ا

أبو الفداء
الحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

البداية والنهاية

الجزء الرابع

١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذيلت بشروح
قامت بها هيئة باشراف الناشر

مكتبة المعارف
بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

سنة ثلاث من الهجرة

فى أولها كانت غزوة نجد ويقال لها غزوة ذى أمر . قال ابن اسحاق : فلما رجع رسول الله (ص) من غزوة السويق أقام بالمدينة بقية ذى الحجة أو قريباً منها ثم غزا نجداً يريد غطفان وهى غزوة ذى أمر . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عثمان بن عفان . قال ابن اسحاق : فأقام بنجد صفراً كله أو قريباً من ذلك ثم رجع ولم يلق كيداً . وقال الواقدى : بلغ رسولَ الله (ص) أن جمعاً من غطفان من بنى ثعلبة بن محارب تجمعوا بذى أمر يريدون حربه ، فخرج اليهم من المدينة يوم الخميس لثنتى عشرة خلت من ربيع الأول سنة ثلاث واستعمل على المدينة عثمان بن عفان فغاب أحد عشر يوما وكان معه أربعمائة وخمسون رجلا ، وهربت منه الاعراب فى رءوس الجبال حتى بلغ ماء يقال له ذو أمر فعسكر به وأصابهم مطر كثير فابتلت ثياب رسول الله (ص) فنزل تحت شجرة هناك ونشر ثيابه لتجف وذلك بمرأى من المشركين ، واشتغل المشركون فى شئونهم ، فبعث المشركون رجلا شجاعا منهم يقال له غورث بن الحارث أو دعثور بن الحارث فقالوا : قد أمكنك الله من قتل محمد ، فذهب ذلك الرجل ومعه سيف صقيل حتى قام على رسول الله (ص) بالسيف مشهوراً ، فقال : يا محمد من يمنعك منى اليوم ؟ قال : الله . ودفع جبريل فى صدره فوقع السيف من يده ، فأخذه رسول الله (ص) ، فقال : من يمنعك منى ؟ قال لا أحد وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والله لا أكثر عليك جمعاً أبداً . فأعطاه رسول الله (ص) سيفه فلما رجع الى أصحابه قالوا : ويلك ، مالك ؟ فقال : نظرت الى رجل طويل فدفع فى صدرى فوقعت لظهرى فعرفت أنه ملك وشهدت أن محمداً رسول الله والله لا أكثر عليه جمعاً ،

وجعل يدعو قومه الى الاسلام . قال : ونزل فى ذلك قوله تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همّ قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكفّ أيديهم عنكم ﴾ الآية . قال البيهقى : وسيأتى فى غزوة ذات الرقاع قصة تشبه هذه فلعلهما قصتان ، قلت : ان كانت هذه محفوظة فهى غيرها قطعاً لأن ذلك الرجل اسمه غورث بن الحارث أيضاً لم يسلم بل استمر على دينه ولم يكن عاهد النبى (ص) أن لا يقاتله . والله أعلم

غزوة الفرع من بحران

قال ابن اسحاق : فأقام بالمدينة ربيعاً الاول كله أو الا قليلا منه ثم غدا يريد قريشاً ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم . قال ابن اسحاق : حتى بلغ بُحران وهو معدن بالحجاز من ناحية الفرُع . وقال الواقدى : انما كانت غيبته عليه السلام عن المدينة عشرة أيام . فالله أعلم

خبر يهود بنى قينقاع فى المدينة

وقد زعم الواقدى انها كانت فى يوم السبت النصف من شوال سنة ثنتين من الهجرة فالله أعلم وهم المرادون بقوله تعالى ﴿ كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ﴾ قال ابن اسحاق : وقد كان فيما بين ذلك من غزو رسول الله (ص) أمر بنى قينقاع . قال وكان من حديثهم ان رسول الله (ص) جمعهم فى سوقهم ثم قال : يامعشر يهود احذروا من الله مثل مانزل بقريش من النقمة وأسلموا فانكم قد عرفتم أنى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله اليكم . فقالوا : يامحمد انك ترى انا قومك لايغرنك أنك لقيت قوماً لاعلم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة أما والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس . قال ابن اسحاق : فحدثنى مولى لزيد بن ثابت عن سعيد بن جبير وعن عكرمة عن ابن عباس قال : ما نزلت هؤلاء الآيات الا فيهم ﴿ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد * قد كان لكم آية فى فئتين التقتا ﴾ يعنى أصحاب بدر من أصحاب رسول الله (ص) وقريش ﴿ فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار ﴾ قال ابن اسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ان بنى قينقاع كانوا أول يهود نقضوا العهد وحاربوا فيما بين بدر وأحد . قال ابن هشام فذكر عبد الله بن جعفر [بن عبد الرحمن] بن المسور بن مخرمة عن أبى عون قال كان أمر بنى قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بنى قينقاع وجلست الى صائغ هناك منهم فجعلوا

يريدونها على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً فشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهلُ المسلم المسلمين على اليهود فأغضب المسلمون فوقع الشر بينهم و بين بنى قينقاع . قال ابن اسحاق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة قال فحاصرهم رسول الله (ص) حتى نزلوا على حكمه فقام اليه عبد الله بن أبيّ ابن سلول حين أمكنه الله منهم فقال : يامحمد أحسن فى موالىّ وكانوا حلفاء الخزرج قال فأبطأ عليه رسول الله (ص) فقال يامحمد أحسن فى موالى فأعرض عنه قال فأدخل يده فى جيب درع النبى (ص) قال ابن هشام وكان يقال لها ذات الفضول فقال له رسول الله (ص) أرسلنى وغضب رسول الله (ص) حتى رأوا لوجهه ظللاً ثم قال ويحك أرسلنى قال لا والله لاأرسلك حتى تحسن فى موالىّ أربعمائة حاسر وثلثمائة دارع قد منعونى من الأحمر والاسود تحصدهم فى غداة واحدة أنى والله امرؤ أخشى الدوائر . قال فقال له رسول الله (ص) هم لك . قال ابن هشام واستعمل رسول الله (ص) فى محاصرته اياهم أبا لبابة بشير بن عبد المنذر وكانت محاصرته اياهم خمس عشرة ليلة . قال ابن اسحاق وحدثنى أبى عن عبادة بن الوليد عن عبادة بن الصامت قال لما حاربت بنو قينقاع رسول الله (ص) تشبث بأمرهم عبد الله بن أبىّ وقام دونهم ومشى عبادة بن الصامت الى رسول الله (ص) وكان من بنى عوف له من حلفهم مثل الذى لهم من عبد الله بن أبى فخلعهم الى رسول الله (ص) وتبرأ الى الله والى رسوله من حلفهم وقال يارسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين وابرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم قال وفيه وفى عبد الله بن أبى نزلت الآيات من المائدة ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ﴾ الآيات حتى قوله ﴿ فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ﴾ يعنى عبد الله ابن أبىّ الى قوله ﴿ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون﴾ يعنى عبادة بن الصامت . وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير

سرية زيد بن حارثة

الى عير قريش صحبة أبى سفيان أيضاً وقيل صحبة صفوان * قال يونس عن بكير عن ابن اسحاق وكانت بعد وقعة بدر بستة أشهر . قال ابن اسحاق وكان من حديثها أن قريشاً خافوا طريقهم التى كانوا يسلكون الى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان ومعه فضة كثيرة وهى عُظم تجاراتهم واستأجروا رجلا من بكر ابن وائل يقال له فرات بن حيان يعنى العجلى حليف بنى سهم ليدلهم على تلك الطريق . قال ابن

اسحاق فبعث رسول الله (ص) زيد بن حارثة فلقيهم على ماء يقال له القردة فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال فقدم بها على رسول الله (ص) فقال فى ذلك حسان بن ثابت :

دعوا فلجات الشام قد حال دونها جلاد كافواه المخاض الاوارك
بايدى رجال هاجروا نحو ربهم وأنصاره حقاً وأيدى الملائك
اذا سلكت للغور من بطن عالج فقولا لها ليس الطريق هنالك

قال ابن هشام وهذه القصيدة فى أبيات لحسان وقد أجابه فيها أبو سفيان بن الحارث . وقال الواقدى كان خروج زيد بن حارثة فى هذه السرية مستهل جمادى الأولى على رأس ثمانية وعشرين شهراً من الهجرة وكان رئيس هذه العير صفوان بن أمية وكان سبب بعثه زيد بن حارثة أن نعيم ابن مسعود قدم المدينة ومعه خبر هذه العير وهو على دين قومه واجتمع بكنانة بن أبى الحقيق فى بنى النضير ومعهم سليط بن النعمان من أسلم فشربوا وكان ذلك قبل أن تحرم الخمر فتحدث بقضية العير نعيم بن مسعود وخروج صفوان بن أمية فيها وما معه من الاموال فخرج سليط من ساعته فأعلم رسول الله (ص) فبعث من وقته زيد بن حارثة فلقوهم فأخذوا الاموال وأعجزهم الرجال وإنما أسروا رجلا أو رجلين وقدموا بالعير فخمسها رسول الله فبلغ خمسها عشرين ألفاً وقسم أربعة أخماسها على السرية وكان فيمن أسر الدليل فرات بن حيان فأسلم رضى الله عنه . قال ابن جرير : وزعم الواقدى أن فى ربيع من هذه السنة تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت رسول الله (ص) وادخلت عليه فى جمادى الآخرة منها

مقتل كعب بن الأشرف

وكان من بنى طيء ثم أحد بنى نبهان ولكن أمه من بنى النضير . هكذا ذكره ابن اسحاق قبل جلاء بنى النضير وذكره البخارى والبيهقى بعد قصة بنى النضير والصحيح ما ذكره ابن اسحاق لأن بنى النضير انما كان أمرها بعد وقعة أحد وفى محاصرتهم حرمت الخمر كما سنبينه بطريقه ان شاء الله . قال البخارى فى صحيحه قتل كعب بن الاشرف حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان قال عمرو سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال رسول الله (ص) من لكعب بن الأشرف فانه قد آذى الله ورسوله فقام محمد بن مسلمة فقال يارسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال نعم . قال فأذن لى أن أقول شيئاً قال قل . فأتاه محمد بن مسلمة فقال ان هذا الرجل قد سألنا صدقة وانه قد عنانا وانى قد أتيتك أستسلفك . قال وأيضاً والله لتملنه . قال إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر الى أى شيء يصير شأنه وقد أردنا أن تسلفنا قال نعم ارهنونى قلت أى شيء تريد قال ارهنونى

نساءكم فقالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب قال فارهنونى أبناءكم قالوا كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكن نرهنك اللأمة . قال سفيان يعنى السلاح . فواعده أن يأتيه ليلا فجاءه ليلا ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة فدعاهم الى الحصن فنزل اليهم فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ وقال غير عمرو قالت أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم .قال انما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعى أبو نائلة . ان الكريم لو دعى الى طعنة بليل لاجاب قال ويُدخل محمد بن مسلمة معه رجلين فقال اذا ماجاء فانى مائل بشعره فأشمه فاذا رأيتمونى استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه وقال مرة ثم أشمكم فنزل اليهم متوشحاً وهو ينفح منه ريح الطيب فقال ما رأبت كاليوم ريحاً أى أطيب وقال غير عمرو قال عندى أعطر نساء العرب وأجمل العرب قال عمرو فقال أتأذن لى أن أشم رأسك ؟ قال نعم . فشمه ثم أشم أصحابه ثم قال أتأذن لى ؟ قال نعم . فلما استمكن منه قال دونكم فقتلوه ثم أتوا النبى (ص) فاخبروه . وقال محمد ابن اسحاق كان من حديث كعب بن الأشرف وكان رجلا من طئ ثم أحد بنى نبهان وأمه من بنى النضير أنه لما بلغه الخبر عن مقتل أهل بدر حين قدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رَواحة قال والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها . فلما تيقن عدو الله الخبر خرج الى مكة فنزل على المطلب بن أبى وداعة بن صبيرة السهمى وعنده عاتكة بنت ابى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف فأنزلته وأكرمته وجعل يحرض على قتال رسول الله (ص) وينشد الأشعار ويندب من قتل من المشركين يوم بدر فذكر ابن اسحاق قصيدته التى أولها :

طحنت رحى بدر لمهلك أهله ولمثل بدر تستهل وتدمع

وذكر جوابها من حسان بن ثابت رضى الله عنه ومن غيره . ثم عاد الى المدينة فجعل يشبب بنساء المسلمين ويهجو النبى (ص) وأصحابه . وقال موسى بن عقبة : وكان كعب بن الاشرف أحد بنى النضير أو فيهم قد آذى رسول الله (ص) بالهجاء وركب الى قريش فاستغواهم ، وقال له أبو سفيان وهو بمكة : أناشدك أديننا أحب الى الله أم دين محمد وأصحابه ، وأينا أهدى فى رأيك وأقرب الى الحق ؟ إنا نطعم الجزور الكوماء ونسقى اللبن على الماء ونطعم ماهبَّت الشمال . فقال له كعب بن الأشرف : أنتم أهدى منهم سبيلا . قال فأنزل الله على رسوله (ص) : ﴿ ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا * أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ﴾ وما بعدها . قال موسى ومحمد بن اسحاق : وقدم للمدينة يعلن بالعداوة ويحرض الناس على الحرب ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله (ص) وجعل يشبب بأم الفضل بن الحارث وبغيرها من

نساء المسلمين . قال ابن اسحاق : فقال رسول الله (ص) كما حدثنى عبد الله بن المغيث بن أبى بردة من لابن الاشرف ؟ فقال له محمد بن مسلمة أخو بنى عبد الاشهل : أنا لك به يارسول الله أنا أقتله، قال فافعل إن قدرت على ذلك ، قال فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثاً لايأكل ولا يشرب إلا ما يعلق نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله (ص) فدعاه فقال له : لم تركت الطعام و الشراب ؟ فقال يارسول الله قلت لك قولا لا أدرى هل أفى لك به ام لا . قال : إنما عليك الجهد . قال : يارسول الله ، إنه لابد لنا أن نقول ، قال : فقولوا مابدا لكم فأنتم فى حل من ذلك . قال: فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة بن وَقْش وهو أبو نائلة أحد بنىعبد الأشهل . وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة وعباد بن بشر بن وَقْش أحد بنىعبدالأشهل والحارث بنأوس بن معاذ أحد بنىعبدالاشهل وأبو عبس بنجبر أخو بنىحارثة ، قال فقدموا بين أيديهم الى عدو الله كعبٍ سلكانَ ابن سلامة أبا نائلة فجاءه فتحدث معه ساعة فتناشدا شعراً — وكان أبو نائلة يقول الشعر — ثم قال : ويحك يا ابن الاشرف انى قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم عنى ، قال أفعل . قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء ، عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبيل حتى ضاع العيال وُجهدت الأنفس وأصبحنا قد جهدنا وُجهد عيالنا . فقال كعب : أناابن الأشرف أما والله لقد كنت أخبرك ياابن سلامة أن الأمر يصير الى ما أقول ، فقال له سلكان : انى قد أردتُ أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك وتحسن فى ذلك ، قال ترهنونى أبناءكم ؟ قال لقد أردتَ أن تفضحنا ، إن معى أصحاباً لى على مثل رأيى وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن فى ذلك ونرهنك من الحلقة مافيه وفاء ، وأراد سلكان أن لاينكر السلاح إذا جاءوا بها . فقال: ان فى الحلقة لوفاء . قال: فرجع سلكان إلى اصحابه فاخبرهم خبره، وامرهم ان يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا اليه ، فاجتمعوا عندرسولالله (ص) . قال ابن اسحاق فحدثنى ثور بن زيدعن عكرمة عن ابن عباس قال : مشى معهم رسول الله (ص) الى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال : «انطلقوا على اسم الله . اللهم أعِنهم » ثم رجع رسول الله (ص) الى بيته وهو فى ليلة مقمرة ، فانطلقوا حتى انتهوا الى حصنه ، فهتف به أبو نائلة وكان حديث عهد بعرس فوثب فى ملحفته ، فأخذت امرأته بناحيتها وقالت : أنت امرؤ محارب وان أصحاب الحرب لاينزلون فى هذه الساعة ، قال انه أبو نائلة لو وجدنى نائماً ما أيقظنى . فقالت : والله انى لأعرف فى صوته الشر . قال : يقول لها كعب لو دُعى الفتى لطعنة أجاب ، فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ثم قالوا : هل لك يا ابن الاشرف أن تماشى الى شِعب العجوز فنتحدث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال إن شئتم. فخرجوا فمشوا ساعة . ثم إن أبا نائلة شام يده فى فود رأسه ثم شم يده فقال مارأيت كالليلة طيباً أعطر قط ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها فأخذ بفودى رأسه ثم قال : اضربوا عدوَّ الله ! فاختلفت

عليه أسيافهم فلم تغن شيئاً . قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولاً فى سيفى فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلاّ أوقدت عليه نار ، قال فوضعته فى ثُنتِهِ ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدوّ الله وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح فى رجله أو فى رأسه اصابه بعض سيوفنا ، قال فخرجنا حتى سلكنا على بنى أمية بن زيد ثم على بنى قريظة ثم على بُعاث حتى أسندنا فى حرة العريض وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونزفه الدم فوقفنا له ساعة ثم أتانا يتبع آثارنا فاحتملناه فجئنا به رسول الله (ص) آخر الليل وهو قائم يصلى فسلمنا عليه فخرج الينا فأخبرناه بقتل عدوّ الله وتفل رسول الله (ص) على جرح صاحبنا ورجعنا الى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا بعدو الله فليس بها يهودى إلا وهو خائف على نفسه . قال ابن جرير : وزعم الواقدى أنهم جاءوا برأس كعب بن الاشرف الى رسول الله (ص) . قال ابن اسحاق : وفى ذلك يقول كعب بن مالك :

فغودر منهمُ كعب صريعاً فذلت بعد مصرعه النضير
على الكفين ثم وقد علته بأيدينا مشهرة ذكور
بأمر محمد إذ دس ليلا الى كعب أخا كعب يسير
فماكره فأنزله بمكر ومحمود أخو ثقة جسور

قال ابن هشام : وهذه الابيات فى قصيدة له فى يوم بنى النضير ستأتى . قلت : كان قتل كعب ابن الاشرف على يدى الأوس بعد وقعة بدر، ثم ان الخزرج قتلوا أبا رافع بن أبى الحقيق بعد وقعة أُحد كما سيأتى بيانه ان شاء الله وبه الثقة . وقد أورد ابن أسحاق شعر حسان بن ثابت :

لله درُّ عصابة لاقيتهم يا ابن الحُقيق وأنت يا ابن الاشرف
يسرون بالبيض الخفاف اليكم مرحاً كأسد فى عرين مغرف
حتى أتوكم فى محل بلادكم فسقوكم حتفاً ببيض ذفف
مستبصرين لنصر دين نبيهم مستصغرين لكل أمر مجحف

قال محمد بن اسحاق : وقال رسول الله (ص) « من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه » فوثب عند ذلك محيصة بن مسعود الأوسى على ابن سنينة — رجل من تجار يهود كان يلابسهم ويبايعهم — فقتله ، وكان أخوه حويصة بن مسعود أسن منه ولم يسلم بعد ، فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول : أى عدوّ الله أقتلته ؟ أما والله لرب شحم فى بطنك من ماله . قال محيصة : فقلت والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك ، قال فو الله إن كان لأول اسلام حويصة وقال والله لو أمرك محمد بقتلى لتقتلنى ؟ قال : نعم ، والله لو أمرنى بضرب عنقك لضربتها . قال : فوالله ان ديناً بلغ بك هذا لعجب ، فأسلم حويصة . قال ابن اسحاق : حدثنى بهذا الحديث مولى لبنى

حارثة عن ابنة محيصة عن أبيها . وقال فى ذلك محيصة :

يلومُ ابنُ أمٍ لو أُمرتُ بقتْلِه لطبَّقتُ ذِفراه بأبيضَ قاربِ
حسامٍ كلونِ الملحِ أُخلِصَ صقلُه متى ما أصوِّبْهُ فليسَ بكاذبِ
وما سرَّني أني قتلتُك طائعاً وأنّ لنا مابينَ بُصرَى ومارِبِ

وحكى ابن هشام عن أبى عبيدة عن أبى عمرو المدنى أن هذه القصة كانت بعد مقتل بنى قريظة فان المقتول كان كعب بن يهوذا فلما قتله محيصة عن أمر رسول الله (ص) يوم بنى قريظة قال له أخوه حويصة ماقال فرد عليه محيصة بما تقدم فأسلم حويصة يومئذ . فالله أعلم

﴿ تنبيه ﴾ : ذكر البيهقى والبخارى قبله خبر بنى النضير قبل وقعة أحد والصواب ايرادها بعد ذلك كما ذكر ذلك محمد بن اسحاق وغيره من أئمة المغازى ، و برهانه أن الخمر حرمت ليالى حصار بنى النضير وثبت فى الصحيح انه اصطبح الخمر جماعة ممن قتل يوم أحد شهيداً فدل على أن الخمر كانت اذ ذاك حلالا وانما حرمت بعد ذلك فتبين ما قلناه من أن قصة بنى النضير بعد وقعة أحد . والله أعلم

﴿ تنبيه آخر ﴾ :خبر يهود بنى قينقاع بعد وقعة بدر كما تقدم وكذلك قتل كعب بن الاشرف اليهودى على يدى الاوس وخبر بنى النضير بعد وقعة أحد كما سيأتى وكذلك مقتل أبى رافع اليهودى تاجر أهل الحجاز على يدى الخزرج وخبر يهود بنى قريظة بعد يوم الاحزاب وقصة الخندق كما سيأتى

غزوة أُحُد فى شوال سنة ثلاث

﴿ فائدة ﴾ ذكرها المؤلف فى تسمية أحُد قال سمى أحد أحداً لتوحده من بين تلك الجبال وفى الصحيح « أحد جبل يحبنا ونحبه » قيل معناه أهله وقيل لأنه كان يبشره بقرب أهله اذا رجع من سفره كما يفعل المحب وقيل على ظاهره كقوله ﴿ وانَّ منها لما يهبط من خشية الله ﴾ وفى الحديث عن أبى عبس بن جبر « أحد يحبنا ونحبه وهو على باب الجنة ، وعير يبغضنا ونبغضه وهو على باب من أبواب النار » قال السهيلى مقويا لهذا الحديث وقد ثبت أنه عليه السلام قال « المرء مع من أحب » وهذا من غريب صنع السهيلى فان هذا الحديث انما يراد به الناس ولا يسمى الجبل امرءاً . وكانت هذه الغزوة فى شوال سنة ثلاث قاله الزهرى وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن اسحاق ومالك قال ابن اسحاق للنصف من شوال وقال قتادة يوم السبت الحادى عشر منه قال مالك وكانت الوقعة فى أول النهار وهى على المشهور التى أنزل الله فيها قوله تعالى [واذ غدوت من أهلك تبوِّئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم * اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل

المؤمنون * ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون * إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين] الآيات وما بعدها الى قوله [ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب] وقد تكلمنا على تفاصيل ذلك كله فى كتاب التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة . ولنذكر ههنا ملخص الوقعة مما ساقه محمد بن اسحاق وغيره من علماء هذا الشأن رح وكان من حديث أحد كما حدثنى محمد ابن مسلم الزهرى ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو ابن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلهم قد حدث ببعض هذا الحديث عن يوم أحد وقد اجتمع حديثهم كلهم فيما سقت . قالوا أو من قال منهم : لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ورجع فلهم الى مكة ورجع أبو سفيان بعيره مشى عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية فى رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم واخوانهم يوم بدر فكلموا أبا سفيان ومن كانت له فى تلك العير من قريش تجارة . فقالوا : يامعشر قريش ، ان محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثأراً ، ففعلوا . قال ابن اسحاق : ففيهم كما ذكر لى بعض أهل العلم أنزل الله تعالى [ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون] قالوا : فاجتمعت قريش لحرب رسول الله (ص) حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحى قد من عليه رسول الله (ص) يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة وكان فى الاسارى ، فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عزة ، انك امرؤ شاعر فأعنا بلسانك واخرج معنا فقال : ان محمداً قد من على فلا أريد أن أظاهر عليه . قال : بلى ، فأعنا بنفسك فلك الله ان رجعت أن أغنيك وان قتلت أن أجعل بناتك مع بناتى يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر . فخرج أبو عزة يسير فى تهامة ويدعو بنى كنانة ويقول :

أيا بَني عبدَ مناةِ الرزامِ　　أنتم حُماةٌ وأبوكُم حام
لا يعدونّي نصرُكم بعدَ العامْ　　لا تسلموني لا يحلّ إسلامْ

قال : وخرج نافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح الى بنى مالك بن كنانة يحرضهم ويقول :

يا مالِ مالِ الحسَبِ المقدَّمِ　　أنشُدُ ذا القُربى وذا التذمُّمِ
من كانَ ذا رحمٍ ومن لم يرحمِ　　الحلف وسْط البلدِ المحرَّمِ
عندَ حطيمِ الكعبةِ المعظَّمِ

قال : ودعا جبير بن مطعم غلاما له حبشياً يقال له وحشى يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطىء بها فقال له : أخرج مع الناس ، فان أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى فانت عتيق . قال : فخرجت قريش بحدها وحديدها وجدها وأحابيشها ومن تابعها من بنى كنانة وأهل تهامة وخرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة وأن لا يفروا ، وخرج أبو سفيان صخر بن حرب وهو قائد الناس ومعه زوجته هند بنت عتبة بن ربيعة وخرج عكرمة بن أبى جهل بزوجته ابنة عمه أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة وخرج عمه الحارث بن هشام بزوجته فاطمة بنت الوليد ابن المغيرة وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج وهى أم ابنه عبد الله بن عمرو وذكر غيرهم ممن خرج بامرأته قال : وكان وحشى كلما مر بهند بنت عتبة أو مرت به تقول ويهاً أبا دسمة اشف واشتف . يعنى تحرضه على قتل حمزة بن عبد المطلب . قال : فاقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادى مقابل المدينة ، فلما سمع بهم رسول الله (ص) والمسلمون قال لهم قد رأيت والله خيراً رأيت بقراً تذبح ورأيت فى ذباب سيفى ثلماً ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة . وهذا الحديث رواه البخارى ومسلم جميعاً عن أبى كريب عن أبى أسامة عن بريد بن عبد الله بن أبى بردة عن أبى بردة عن أبى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « رأيتُ فى المنام أنى أهاجر من مكة الى أرض بها نخل فذهب وَهَلى الى أنها اليمامة أو هجر فاذا هى المدينة يثرب ورأيت فى رؤياى هذه أنى هززت سيفاً فانقطع صدره فاذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان فاذا هو ماجاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين ، ورأيت فيها أيضاً بقراً والله خير فاذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد واذا الخير ماجاء الله به من الخير وثواب الصدق الذى أتانا بعد يوم بدر » وقال البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا الأصم أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أخبرنا ابن وهب أخبرنى ابن أبى الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : تنفل رسول الله (ص) سيفه ذا الفقار يوم بدر قال ابن عباس وهو الذى رأى فيه الرؤيا يوم أحد وذلك ان رسول الله (ص) لما جاءه المشركون يوم أحد كان رأيه أن يقيم بالمدينة فيقاتلهم فيها فقال له ناس لم يكونوا شهدوا بدراً نخرج يارسول الله اليهم نقاتلهم بأحد ورجوا أن يصيبهم من الفضيلة ما أصاب أهل بدر فما زالوا برسول الله (ص) حتى لبس أداته ثم ندموا وقالوا يارسول الله أقم فالرأى رأيك . فقال لهم ماينبغى لنبى أن يضع أداته بعد مالبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه . قال وكان قال لهم يومئذ قبل أن يلبس الاداة انى رايت أنى فى درع حصينة فأولتها المدينة وأنى مردف كبشاً

وأوّلته كبش الكتيبة ورأيت أن سيفي ذا الفقار فل فأولته فلاً فيكم ورأيت بقراً يذبح فبقر والله خير »
رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه به. وروى البيهقي من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس مرفوعاً قال: رأيت فيما يرى النائم كأني مردف كبشاً وكأن ضبة سيفي انكسرت فأولت أني أقتل كبش القوم وأولت كسر ضبة سيفي قتل رجل من عترتي. فقتل حمزة وقتل رسول الله (ص) طلحة وكان صاحب اللواء. وقال موسى بن عقبة رح ورجعت قريش فاستجلبوا من أطاعهم من مشركي العرب وسار أبو سفيان بن حرب في جمع قريش وذلك في شوال من السنة المقبلة من وقعة بدر حتى نزلوا ببطن الوادي الذي قبليّ أحد وكان رجال من المسلمين لم يشهدوا بدراً قد ندموا على مافاتهم من السابقة وتمنوا لقاء العدو ليبلوا ما أبلى إخوانهم يوم بدر فلما نزل أبو سفيان والمشركون بأصل أحد فرح المسلمون الذين لم يشهدوا بدراً بقدوم العدو عليهم وقالوا: قد ساق الله علينا أمنيتنا ثم ان رسول الله (ص) أرى ليلة الجمعة رؤيا فأصبح فجاءه نفر من أصحابه فقال لهم « رأيت البارحة في منامي بقراً تذبح والله خير ورأيت سيفي ذا الفقار انقصم من عند ضبته. أو قال: به فلول فكرهته وهما مصيبتان ورأيت أني في درع حصينة وأني مردف كبشاً ». فلما أخبرهم رسول الله (ص) برؤياه، قالوا: يا رسول الله، ماذا أولت رؤياك؟ قال: أولت البقر الذي رأيت بقراً فينا وفي القوم وكرهت ما رأيت بسيفي. ويقول رجال كان الذي رأى بسيفه الذي أصاب وجهه فان العدو أصاب وجهه يومئذ وقصموا رباعيته وخرقوا شفته يزعمون أن الذي رماه عتبة بن أبي وقاص وكان البقر من قتل من المسلمين يومئذ. وقال أوّلت الكبش أنه كبش كتيبة العدو يقتله الله وأوّلت الدرع الحصينة المدينة فامكثوا واجعلوا الذراري في الآطام فان دخل علينا القوم في الازقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت وكانوا قد سكوا أزقة المدينة بالبنيان حتى [صارت] كالحصن. فقال الذين لم يشهدوا بدراً: كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله فقد ساقه الله الينا وقرب المسير وقال رجل من الانصار: متى نقاتلهم يا رسول الله اذا لم نقاتلهم عند شِعبنا؟ وقال رجال ماذا نمنع اذا لم نمنع الحرب بروع؟ وقال رجال قولا صدقوا به ومضوا عليه منهم حمزة بن عبد المطلب قال: والذي أنزل عليك الكتاب لنجادلنهم. وقال نعيم بن مالك بن ثعلبة وهو أحد بني سالم: يا نبي الله لا تحرمنا الجنة فوالذي نفسي بيده لأدخلنها. فقال له رسول الله (ص): بم؟ قال: بأني أحب الله ورسوله ولا أفر يوم الزحف. فقال له رسول الله (ص): صدقت. واستشهد يومئذ. وأبى كثير من الناس إلا الخروج الى العدو ولم يتناهوا الى قول رسول الله (ص) ورأيه ولو رضوا بالذي أمرهم كان ذلك ولكن غلب القضاء والقدر وعامة من أشار عليه بالخروج رجال لم يشهدوا بدراً قد علموا الذي سبق

لاصحاب بدر من الفضيلة فلما صلى رسول الله (ص.) الجمعة وعظ الناس وذكرهم وأمرهم بالجد والجهادثم انصرف من خطبته وصلاته فدعا بلأمته فلبسها ثم أذن فى الناس بالخروج فلما رأى ذلك رجال من ذوى الرأى قالوا : أمرنا رسول الله (ص.) أن نمكث بالمدينة وهو أعلم بالله وما يريد ويأتيه الوحى من السماء فقالوا يارسول الله أمكث كما أمرتنا فقال : ما ينبغى لنبى اذا أخذ لأمة الحرب وأذن بالخروج الى العدو أن يرجع حتى يقاتل وقد دعوتكم الى هذا الحديث فأبيتم إلا الخروج فعليكم بتقوى الله والصبر عند البأس اذا لقيتم العدو وانظروا ماذا أمركم الله به فافعلوا . قال : فخرج رسول الله (ص.) والمسلمون فسلكوا على البدائع وهم الف رجل والمشركون ثلاثة آلاف فمضى رسول الله (ص.) حتى نزل بأحد ورجع عنه عبد الله بن أبىّ ابن سلول فى ثلثمائة فبقى رسول الله (ص.) فى سبعمائة قال البيهقى رح هذا هو المشهور عند أهل المغازى أنهم بقوا فى سبعمائة مقاتل قال والمشهور عن الزهرى أنهم بقوا فى أربعمائة مقاتل كذلك رواه يعقوب بن سفيان عن أصبغ عن ابن وهب عن يونس عن الزهرى وقيل عنه بهذا الاسناد سبعمائة فالله أعلم . قال موسى بن عقبة وكان على خيل المشركين خالد بن الوليد وكان معهم مائة فرس وكان لواؤه مع عثمان بن طلحة قال ولم يكن مع المسلمين فرس واحدة ثم ذكر الوقعة كما سيأتى تفصيلها ان شاء الله تعالى . وقال محمد بن اسحاق لما قص رسول الله (ص.) رؤياه على أصحابه قال لهم ان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشرّ مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رأى عبد الله بن أبىّ ابن سلول مع رأى رسول الله (ص.) فى أن لايخرج اليهم فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيرهم ممن كان فاته بدر : يارسول الله أخرج بنا الى أعدائنا لايرون أنّا جبنّا عنهم وضعفنا فقال عبد الله ابن أبىّ يارسول الله لاتخرج اليهم فوالله ماخرجنا منها الى عدو قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منه . فلم يزل الناس برسول الله (ص.) حتى دخل فلبس لأمته وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة وقد مات فى ذلك اليوم رجل من بنى النجار يقال له مالك بن عمرو فصلى عليه ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا استكرهنا رسول الله (ص.) ولم يكن لنا ذلك فلما خرج عليهم قالوا يارسول الله ان شئت فاقعد فقال ماينبغى لنبى اذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل . نخرج رسول الله (ص.) فى ألف من أصحابه . قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم قال ابن اسحاق حتى اذا كان بالشوط بين المدينة وأحد انخزل عنه عبد الله بن أبىّ بثلث الناس وقال أطاعهم وعصانى ماندرى علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس . فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام السلمى والد جابر بن عبد الله فقال : ياقوم اذكركم الله أن لاتخذلوا قومكم ونبيكم عند ما حضر من عدوهم . قالوا لو نعلم انكم تقاتلون ما أسلمنا كم

ولكننا لا نرى أن يكون قتال . فلما استعصوا عليه وأبوا الا الانصراف قال : أبعدكم الله أعداء الله فسيغنى الله عنكم نبيه (ص) . قلت : وهؤلاء القوم هم المرادون بقوله تعالى [وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون] يعنى انهم كاذبون فى قولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم ، وذلك لأن وقوع القتال أمره ظاهر بين واضح لاخفاء ولا شك فيه وهم الذين أنزل الله فيهم ﴿ فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا ﴾ الآية وذلك أن طائفة قالت نقاتلهم وقال آخرون لانقاتلهم كما ثبت و بين فى الصحيح . وذكر الزهرى أن الانصار استأذنوا حينئذ رسول الله (ص) فى الاستعانة بحلفائهم من يهود المدينة فقال لاحاجة لنا فيهم . وذكر عروة بن موسى بن عقبة أن بنى سلمة و بنى حارثة لما رجع عبد الله بن أبىّ وأصحابه همتا ان تفشلا فثبتهما الله تعالى ، ولهذا قال ﴿ اذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ قال جابر بن عبد الله ما أحب أنها لم تنزل والله يقول ﴿ والله وليهما ﴾ كما ثبت فى الصحيحين عنه . قال ابن اسحاق ومضى رسول الله (ص) حتى سلك فى حرة بنى حارثة فذب فرسٌ بذنبه فأصاب كُلاّب سيف فاستله فقال رسول الله (ص) لصاحب السيف شم سيفك أى اغمده فانى أرى السيوف ستسل اليوم . ثم قال النبى (ص) لاصحابه : مَن رجل يخرج بنا على القوم من كثب (أى من قريب) من طريق لايمر بنا عليهم فقال أبو خيثمة أخو بنى حارثة بن الحارث أنا يارسول الله فنفذ به فى حرة بنى حارثة و بين أموالهم حتى سلك به فى مال لمربع بن قيظى وكان رجلا منافقاً ضرير البصر فلما سمع حس رسول الله ومن معه من المسلمين قام يحثى فى وجوههم التراب ويقول ان كنتَ رسول الله فانى لا أحل لك أن تدخل فى حائطى . قال ابن اسحاق وقد ذكر لى أنه أخذ حفنة من التراب فى يده ثم قال والله لو أعلم أنى لاأصيب بها غيرك يامحمد لضربت بها وجهك فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله (ص) لاتقتلوه ، فهذا الاعمى أعمى القلب أعمى البصر ، وقد بدر اليه سعد بن زيد أخو بنى عبد الاشهل قبل نهى رسول الله (ص) فضربه بالقوس فى رأسه فشجه ومضى رسول الله (ص) حتى نزل الشعب من أُحُد فى عدوة الوادى و فى الجبل وجعل ظهره وعسكره الى أحد وقال لايقاتلنّ أحد حتى آمره بالقتال وقد سرحت قريش الظهر والكراع فى زروع كانت بالصمغة من قناة كانت للمسلمينَ فقال رجل من الانصار حين نهى رسول الله (ص) عن القتال أتُرعى زروع بنى قيلة ولما نضارب ؟ وتعبأ رسول الله (ص) للقتال وهو فى سبعمائة رجل وأمر على الرماة يومئذ عبد الله بن جبير أخا بنى عمرو بن عوف وهو معلم يومئذ بثياب بيض والرماة خمسون رجلاً فقال انضح الخيل عنا بالنبل لايأتونا من خلفنا ان كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك

لانؤتين من قبلك . وسيأتى شاهد هذا فى الصحيحين ان شاء الله تعالى . قال ابن اسحاق وظاهر رسول الله (ص.) بين درعين يعنى لبس درعاً فوق درع ودفع اللواء الى مصعب بن عمير أخى بنى عبد الدار قلت وقد رد رسول الله (ص.) جماعة من الغلمان يوم أحد فلم يمكنهم من حضور الحرب لصغرهم منهم عبد الله بن عمر كما ثبت فى الصحيحين قال عُرضتُ على النبى (ص.) يوم أُحد فلم يجزنى وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازنى وكذلك رد يومئذ أسامة بن زيد وزيد بن ثابت والبراء بن عازب وأسيد بن ظهير وعَرابة بن أوس بن قيظى ذكره ابن قتيبة وأورده السهيلى ، وهو الذى يقول فيه الشماخ :-

اذا ما رايةٌ رُفعتْ لمجدٍ   تلقَّاها عَرابةُ باليمين

ومنهم ابن سعيد بن خيثمة ذكره السهيلى أيضاً وأجازهم كلهم يوم الخندق وكان قد رد يومئذ سمرة بن جندب ورافع بن خديج وهما ابنا خمس عشرة سنة فقيل يارسول الله ان رافعاً رامٍ فأجازه فقيل يارسول الله فان سمرة يصرع رافعاً فأجازه . قال ابن اسحاق رح وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فرس قد جنبوها فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل بن هشام وقال رسول الله (ص.): من يأخذ هذا السيف بحقه فقام اليه رجال فأمسكه عنهم حتى قام اليه أبو دجانة سماك بن خرَشة أخو بنى ساعدة فقال وما حقه يارسول الله؟ قال أن تضرب به فى العدو حتى ينحنى . قال أنا آخذه يارسول الله بحقه فأعطاه اياه . هكذا ذكره ابن اسحاق منقطعاً . وقد قال الامام أحمد حدثنا يزيد وعفان قالا حدثنا حماد هو ابن سلمة أخبرنا ثابت عن النبى أن رسول الله (ص.) أخذ سيفاً يوم أحد فقال من يأخذ هذا السيف فأخذ قوم فجعلوا ينظرون اليه فقال من يأخذه بحقه فأحجم القوم فقال أبو دجانة سماك : أنا آخذه بحقه . فأخذه ففلق به هام المشركين ورواه مسلم عن أبى بكر عن عفان به . قال ابن اسحاق وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب وكان له عصابة حمراء يعلم بها عند الحرب يعتصب بها فيعلم أنه سيقاتل ، قال فلما أخذ السيف من يد رسول الله (ص.) أخرج عصابته تلك فاعتصب بها ثم جعل يتبختر بين الصفين قال : فحدثنى جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب عن رجل من الانصار من بنى سلمة قال : قال رسول الله (ص.) حين رأى أبا دجانة يتبختر : انها لمشية يبغضها الله الا فى مثل هذا الموطن . قال ابن أسحاق وقد قال أبو سفيان لاصحاب اللواء من بنى عبد الدار يحرضهم على القتال : يابنى عبد الدار قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ماقد رأيتم وانما يؤتَى الناس من قبل راياتهم اذا زالت زالوا فاما أن تكفونا لواءنا واما أن تخلوا بيننا و بينه فنكفيكوه فهموا به وتواعدوه وقالوا : نحن نسلم اليك لواءنا ! ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع . وذلك الذى أراد أبو سفيان . قال فلما التقى الناس ودنا بعضهم من

بعض قامت هند بنت عتبة فى النسوة اللاتى معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضن على القتال فقالت هند فيما تقول :

وَيهاً بني عبدِ الدارْ   ويهاً حماةَ الأَدبار   ضرباً بكلّ بتَّار

وتقول أيضاً :

ان تُقبلوا نُعانقَ   ونفرشُ النمارق
أو تُدْبروا نفارقْ   فِراقَ غيرِ وامق

قال ابن اسحاق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ان أبا عامر عبد عمرو بن صيفى بن مالك بن النعمان أحد بنى ضبيعة وكان قد خرج الى مكة مباعدا لرسول الله (ص) معه خمسون غلاما من الاوس وبعض الناس يقول كانوا خمسة عشر وكان يعد قريشاً أن لو قد لقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبوعامر فى الاحابيش وعبدان أهل مكة فنادى : يامعشر الاوس أنا أبوعامر قالوا :فلا أنعم الله بك عيناً يافاسق . وكان يسمى فى الجاهلية الراهب فسماه رسول الله (ص) الفاسق . فلما سمع ردهم عليه قال لقد أصاب قوميَ بعدى شر ثم قاتلهم قتالا شديداً ثم أرضخهم بالحجارة . قال ابن اسحاق فأقبل الناس حتى حميت الحرب وقاتل أبو دجانة حتى أمعن فى الناس قال ابن هشام وحدثنى غير واحد من أهل العلم أن الزبير بن العوام قال وجدت فى نفسى حين سألت رسول الله (ص) السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة وقلت أنا ابن صفية عمته ومن قريش وقد قمت اليه وسألته اياه قبله فأعطاه أبا دجانة وتركنى والله لأنظرن مايصنع فاتبعته فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه فقالت الانصار أخرج أبو دجانة عصابة الموت وهكذا كانت تقول له اذا تعصب فخرج وهو يقول :

أنا الذى عاهدَني خليـلي   ونحنُ بالسّفحِ لدى النخيل
أن لا أقومَ الدهرَ فى الـكيول   أضربْ بسيفِ الله والرسولِ

وقال الاموى حدثنى أبو عبيد فى حديث النبى (ص) أن رجلا أتاه وهو يقاتل به فقـال لعلك ان أعطيتك تقاتل فى الـكيول ؟ قال لا . فأعطاه سيفاً فجعل يرتجز ويقول :

أنا الذى عاهدَني خليـلى   ان لا أقوم الدهرَ في الـكُيُول

وهذا حديث يروى عن شعبة ورواه اسرائيل كلاهما عن أبى اسحاق عن هنـد بنت خالد أو غيره يرفعه الـكيول يعنى مؤخر الصفوف سمعته من عدة من أهل العلم ولم أسمع هذا الحرف إلا فى هذا الحديث . قال ابن هشام فجعل لايلقى أحداً إلا قتله وكان فى المشركين رجل لايدع جريحاً إلا ذفف عليه فجعل كل منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين

فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله . ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها فقلت الله ورسوله أعلم . وقد رواه البيهقى فى الدلائل من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير بن العوام بذلك . قال ابن اسحاق قال أبو دجانة رأيت انساناً يحمس الناس حمساً شديداً فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول فاذا امرأة فأكرمتُ سيف رسول الله (ص) أن أضرب به امرأة وذكر موسى بن عقبة أن رسول الله (ص) لما عرضه طلبه منه عمر فأعرض عنه ثم طلبه منه الزبير فأعرض عنه فوجدا فى أنفسهما من ذلك ثم عرضه الثالثة فطلبه أبو دجانة فدفعه اليه فأعطى السيف حقه قال فزعموا أن كعب بن مالك قال : كنت فيمن خرج من المسلمين فلما رأيت مثل المشركين بقتلى المسلمين قمت فتجاورت فاذا رجل من المشركين جمع اللأمة يجوز المسلمين وهو يقول : استوسقوا كما استوسقت جزر الغنم . قال واذا رجل من المسلمين ينتظره وعليه لأمته فمضيت حتى كنت من ورائه ثم قمت أقدّر المسلم والكافر ببصرى فاذا الكافر أفضلهما عدة وهيأة . قال فلم أزل أنتظرهما حتى التقيا فضرب المسلم الكافر على حبل عاتقه ضربة بالسيف فبلغت وركه وتفرق فرقتين ثم كشف المسلم عن وجهه وقال : كيف ترى يا كعب ؟ أنا أبو دجانة

مقتل حمزة رضى الله عنه

قال ابن اسحاق وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ، وكذلك قتل عثمان بن ابى طلحة وهو حامل اللواء وهو يقول :

انّ على أهلِ اللواءِ حقّا أن يخضُبوا الصّعْدَةَ أو تندَقّا

فحمل عليه حمزة فقتله ثم مر به سباع بن عبد العزّى الغُبشانى وكان يكنى بأبى نيار فقال حمزة: هلم الىّ ياابن مقطعة البظور وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفى وكانت ختانة بمكة فلما التقيا ضربه حمزة فقتله فقال وحشى غلام جبير بن مطعم والله انى لانظر لحمزة يهد الناس بسيفه مايليق شيئاً يمرُّ به مثل الجمل الأورق إذ قد تقدمنى اليه سباع فقال حمزة هلم ياابن مقطعة البظور فضربه ضربة فكأنما أخطأ رأسه وهززت حربتى حتى إذارضيت منها دفعتها عليه فوقعت فى ثُنّتِهِ حتى خرجت من بين رجليه فأقبل نحوى فغُلب فوقع وأمهلته حتى اذا مات جئت فأخذت حربتى ثم تنحيتُ الى العسكر ولم يكن لى بشىء حاجة غيره . قال ابن اسحاق وحدثنى عبد الله بن الفضل بن عياش بن ربيعة بن الحارث عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمرى

قال : حرجت أنا وعبيد الله بن عدى بن الخيار أحد بنى نوفل بن عبد مناف فى زمان معاوية فأدربنا مع الناس فلما مررنا بحمص وكان وحشى مولى جبير قد سكنها وأقام بها فلما قدمناها قال عبيد الله بن عدى : هل لك فى أن نأتى وحشياً فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ قال قلت له: ان شئت . فخرجنا نسأل عنه بحمص فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه انكما ستجدانه بفناء داره وهو رجل قد غلبت عليه الخمر فان تجداه صاحياً تجدا رجلا عربياً وتجدا عنده بعض ماتريدان وتصيبا عنده ماشئتما من حديث تسألانه عنه وان تجداه وبه بعض مابه فانصرفا عنه ودعاه . قال : فخرجنا نمشى حتى جئناه فاذا هو بفناء داره على طنفسة له واذا شيخ كبير مثل البغاث ، واذا هو صاح لابأس به ، فلما انتهينا اليه سلمنا عليه ، فرفع رأسه الى عبيد الله بن عدى فقال : ابن لعدى بن الخيار أنت ؟ قال نعم . قال أما والله مارأيتك منذ ناولتك أمك السعدية التى أرضعتك بذى طوى فإنى ناولتكها وهى على بعيرها فأخذتك بعرضيك فلمعت لى قدماك حتى رفعتك اليها فوالله ماهو إلا أن وقفتَ علىّ فعرفتهما . قال فجلسنا اليه فقلنا : جئناك لتحدثنا عن قتل حمزة كيف قتله ؟ فقال : أما إنى سأحدثكما كما حدثتُ رسول الله (ص.) حين سألنى عن ذلك ، كنت غلاماً لجبير بن مطعم وكان عمه طعيمة بن عدى قد أصيب يوم بدر ، فلما سارت قريش الى أحد قال لى جبير : إن قتلت حمزة عم محمد بعمى فأنت عتيق . قال فخرجت مع الناس وكنت رجلا حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة قلّ ما أخطىء بها شيئاً ، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة واتبصره حتى رأيته فى عرض الناس كأنه الجمل الأورق يهد الناس بسيفه هداً مايقوم له شىء فوالله إنى لأتهيأ له أريده وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو منى إذ تقدمنى اليه سباع بن عبد العزى فلما رآه حمزة قال هلم إلىّ يا ابن مقطعة البظور ، قال فضربه ضربة كأنما أخطأ رأسه ، قال وهززت حربتى حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فى ثنته حتى خرجت من بين رجليه وذهب لينوء نحوى فغلب وتركته وإياها حتى مات ثم أتيته فأخذت حربتى ثم رجعت الى العسكر وقعدت فيه ولم يكن لى بغيره حاجة إنما قتلته لأعتق ، فلما قدمت مكة عتقت ثم أقمت حتى إذاافتتح رسول الله (ص.) مكة هربت الى الطائف فمكثت بها فلما خرج وفد الطائف الى رسول الله (ص.) ليسلموا تعيّت علىّ المذاهب فقلت ألحق بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد فوالله إنى لفى ذلك من همى إذ قال لى رجل : ويحك انه والله لايقتل أحداً من الناس دخل فى دينه وشهد شهادة الحق ، قال فلما قال لى ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله (ص.) المدينة فلم يرعه إلا بى قائماً على رأسه أشهد شهادة الحق فلما رآنى قال لى :أو حشى أنت ؟ قلت نعم يارسول الله . قال اقعد فحدثنى كيف قتلت حمزة ؟ قال فحدثته كما حدثتكما، فلما فرغت من حديثى قال ويحك غيِّب عنى وجهك فلا أرينك ، قال فكنت

أتنكب برسول الله (ص) حيث كان لئلا يرانى حتى قبضه الله عز وجل ، فلما خرج المسلمون الى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم وأخذت حربتى التى قتلت بها حمزة ، فلما التقى الناس رأيت مسيلمة قائما و بيده السيف وما أعرفه فتهيأت له وتهيأ له رجل من الانصار من الناحية الاخرى كلانا يريده فهززت حربتى حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فيه ، وشدّ عليه الانصارى بالسيف فربك أعلم أينا قتله ، فان كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله (ص) وقتلت شر الناس . قلت : الانصارى هو أبو دجانة سماك بن خَرَشة كما سيأتى فى مقتل أهل اليمامة . وقال الواقدى فى الردة : هو عبد الله بن زيد بن عاصم المازنى . وقال سيف بن عمرو : هو عدى ابن سهل وهو القائل :

ألم ترَ أني ووحشيّهم قتلتُ مُسيلمَةَ المغتَبن

ويسألني الناسُ عن قتلهِ فقلتُ ضَربتُ ، وهذا طعن

والمشهور أن وحشياً هو الذى بدره بالضربة وذفف عليه أبو دجانة ، لما روى ابن اسحاق عن عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار عن ابن عمر قال : سمعت صارخاً يوم اليمامة يقول : قتله العبد الأسود . وقد روى البخارى قصة مقتل حمزة من طريق عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة الماجشون عن عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمرى قال خرجت مع عبد الله بن عدى بن الخيار . فذكر القصة كما تقدم . وذكر أن عبيد الله بن عدى كان معتجراً عمامة لا يرى منه وحشى إلا عينيه ورجليه فذكر من معرفته له ما تقدم ، وهذه قيافة عظيمة كما عرف مجزز المدلجى أقدام زيد وابنه أسامة مع اختلاف ألوانهما . وقال فى سياقه : فلما أن صف الناس للقتال خرج سباع فقال هل من مبارز فخرج اليه حمزة بن عبد المطلب فقال له : ياسباع يا ابن أم أنمار مقطعة البظور أتحادّ الله ورسوله ؟ ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب ، قال وكمنت لحمزة تحت صخرة فلما دنا منى رميته بحربتى فأضعها فى ثنّته حتى خرجت من بين وركيه قال فكان ذلك آخر العهد به ، الى أن قال : فلما قبض رسول الله (ص) وخرج مسيلمة الكذاب قلت لأخرج الى مسيلمة لعلى أقتله فأكافئ به حمزة ، قال فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان قال فاذا رجل قائم فى ثلمة جدار كأنه جمل أورق ثائر الرأس ، قال فرميته بحربتي فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من كتفيه ، قال ووثب اليه رجل من الانصار فضربه بالسيف على هامته ، قال عبد الله بن الفضل فأخبرنى سليمان بن يسار أنه سمع عبد الله بن عمر يقول : فقالت جارية على ظهر البيت : واأمير المؤمنناه قتله العبد الاسود ، قال ابن هشام فبلغنى أن وحشياً لم يزل يُحدّ فى الخمر حتى خُلع من الديوان فكان عمر بن الخطاب يقول : قد قلت إن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة . قلت :

وتوفى وحشى بن حرب أبو دسمة ويقال أبو حرب بحمص وكان أول من لبس الثياب المدلوكة . قال ابن اسحاق : وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله (ص) حتى قتل وكان الذى قتله ابن قمئة الليثى وهو يظن أنه رسول الله (ص) فرجع الى قريش فقال قتلت محمداً . قلت وذكر موسى بن عقبة فى مغازيه عن سعيد بن المسيب أن الذى قتل مصعباً هو أُبىّ بن خلف فالله أعلم . قال ابن اسحاق فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله (ص) اللواء علىّ بن أبى طالب . وقال يونس بن بكير عن ابن اسحاق : كان اللواء أولا مع على بن أبى طالب ، فلما رأى رسول الله (ص) لواء المشركين مع عبد الدار قال نحن أحق بالوفاء منهم أخذ اللواء من على بن أبى طالب فدفعه الى مصعب بن عمير ، فلما قتل مصعب أعطى اللواء علىّ بن أبى طالب . قال ابن اسحاق : وقاتل على بن أبى طالب ورجال من المسلمين . قال ابن هشام وحدثنى مسلمة بن علقمة المازنى . قال : لما اشتد القتال يوم أحد جلس رسول الله (ص) تحت راية الانصار وأرسل الى على أن قدم الراية فقدم على وهو يقول : أنا أبو القصم فناداه أبو سعد بن أبى طلحة وهو صاحب لواء المشركين . هل لك يا أبا القصم فى البراز من حاجة ؟ قال نعم فبرزا بين الصفين فاختلفا ضربتين فضربه على فصرعه ثم انصرف ولم يجهز عليه . فقال له بعض أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟ فقال انه استقبلنى بعورته فعطفتنى عليه الرحم وعرفت أن الله قد قتله . وقد فعل ذلك على رضى الله عنه يوم صفين مع بسر ابن ابى أرطاة لما حمل عليه ليقتله أبدى له عورته فرجع عنه . وكذلك فعل عمرو بن العاص حين حمل عليه على فى بعض أيام صفين أبدى عن عورته فرجع على أيضاً . فى ذلك يقول الحارث بن النضر :

أفى كلِّ يوم فارسٌ غيرُ منتهٍ وعورته وسْط العجاجة باديه
يكفّ لها عَنْهُ عليٌّ سِنَانه ويضحك منها فى الخلاءِ معاويه

وذكر يونس عن ابن اسحاق أن طلحة بن أبى طلحة العبدرى حامل لواء المشركين يومئذ دعا الى البراز فأحجم عنه الناس فبرز اليه الزبير بن العوام فوثب حتى صار معه على جمله ، ثم اقتحم به الارض فألقاه عنه رذبحه بسيفه فأثنى عليه رسول الله (ص) قال « ان لكل نبىٍّ حواريا وحواريَّ الزبير » وقال : لو لم يبرز اليه لبرزت أنا اليه لما رأيت من احجام الناس عنه . وقال ابن اسحاق قتل أبا سعد بن أبى طلحة سعد بن ابى وقاص وقاتل عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح فقتل نافع بن أبى طلحة وأخاه الجلاس كلاهما يشعره سهماً فيأتى أمه سلافة فيضع رأسه فى حجرها فتقول يابنى من أصابك فيقول سمعت رجلا حين رمانى يقول خذها وأنا ابن أبى الأقلح فنذرتْ ان أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر وكان عاصم قد عاهد الله لا يمس مشركا أبداً ولا

بمسه ولهذا حماه الله منه يوم الرجيع كما سيأتى . قال ابن اسحاق : والتقى حنظلة بن أبى عامر واسمه عمرو ويقال عبد عمرو بن صيفى وكان يقال لابى عامر فى الجاهلية الراهب لكثرة عبادته فسماه رسول الله (ص) الفاسق لما خالف الحق وأهله وهرب من المدينة هرباً من الاسلام ومخالفة للرسول عليه السلام وحنظلة الذى يعرف بحنظلة الغسيل لانه غسلته الملائكة كما سيأتى هو وأبو سفيان صخر بن حرب فلما علاه حنظلة رآه شداد بن الاوس وهو الذى يقال له ابن شعوب فضربه شداد فقتله فقال رسول الله (ص) « ان صاحبكم لتغسله الملائكة فاسألوا أهله ما شأنه » فسئلت صاحبته قال الواقدى : هى جميلة بنت أبىّ ابن سلول وكانت عروساً عليه تلك الليلة . فقالت خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة فقال رسول الله (ص) : كذلك غسلته الملائكة . وقد ذكر موسى بن عقبة أن أباه ضرب برجله فى صدره وقال ذنبان أصبتهما ولقد نهيتك عن مصرعك هذا ، ولقد والله كنتَ وصولا للرحم براً بالوالد . قال ابن اسحاق وقال ابن شعوب فى ذلك :

لأحمينّ صاحبي ونفسي ... بطعنةٍ مثلِ شُعاعِ الشمسِ

وقال ابن شعوب :

ولولا دفاعي يا ابنَ حربٍ ومَشهدي ... لألفيتَ يومَ النعفِ غيرَ مجيبِ
ولولا مكرّي المهر بالنعفِ فرفرتْ ... عليه ضباعٌ أو ضِراءُ كليبِ

وقال أبو سفيان :

ولو شئتُ نجتني كُمَيتٌ طِمِرَّةٌ ... ولم أحملِ النعماءَ لابنِ شعوبِ
وما زال مهري مَزجَرَ الكلبِ منهمُ ... لدنْ غدوةٍ حتى دنتْ لغروبِ
أقاتلهم وأدّعي يالغالبٍ ... وأدفعهم عني بركنٍ صليبِ
فبكّي ولا ترعيَ مقالةَ عاذلٍ ... ولا تسأمي من عَبرةٍ ونحيبِ
أباكِ واخواناً له قد تتابعوا ... وحقّ لهم من عبرةٍ بنصيبِ
وسلّي الذي قد كانَ فى النفسِ إنني ... قتلتُ من النجارِ كلَّ نجيبِ
ومن هاشمٍ قرماً كريماً ومُصعباً ... وكانَ لدى الهيجاءِ غيرَ هيوبِ
فلو أنني لم أشفِ نفسيَ منهمُ ... لكانت شجىً فى القلبِ ذاتَ ندوبِ
فآبوا وقد أودى الجلابيبُ منهمُ ... بهم خدبٌ من مُعبطٍ وكئيبِ
أصابهمُ مَنْ لم يكنْ لدمائهم ... كفاءً ولا في خِطّةٍ بضريبِ

فأجابه حسان بن ثابت :

ذكرتَ القرومَ الصِّيدَ من آلِ هاشمٍ ... ولستَ لزورٍ قُلتَه بمصيبِ

أتعجبُ أن أقصدْت حمزةَ منهمُ نجيباً وقد سمّيْتَه بنجيب
ألم يقتلوا عمراً وعتبةَ وابنَه وشيبةَ والحجّاجَ وابنَ حبيب
غداةَ دعا العاصي عَلياً فراعَهُ بضربةِ عَضْبٍ بلَّه بخضيب

فصل

قال ابن اسحاق : ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعده فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر وكانت الهزيمة لا شك فيها . وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال : والله لقد رأيتني أنظر الى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير اذ مالت الرماة على العسكر حين كشفنا القوم عنه وخلوا ظهورنا للخيل فأتينا من خلفنا وصرخ صارخ ألا ان محمداً قد قتل فانكفأنا وانكفأ القوم علينا بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد منهم ، فحدثني بعض أهل العلم أن اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فلاثوا به وكان اللواء مع صواب غلام لبني أبي طلحة حبشي وكان آخر من أخذه منهم فقاتل به حتى قطعت يداه ثم برك عليه فاخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قتل عليه وهو يقول : اللهم هل أعزرت — يعني اللهم هل أعذرت — فقال حسان بن ثابت فى ذلك :

فخرتم باللواءِ وشرُّ فخرٍ لواءٌ حينَ رُدَّ الى صواب
جعلتم فخركم فيهِ لعبدٍ وألأمِ مَن يطا عُفْرَ التراب
ظننتم ، والسفيهُ له ظنونٌ وما انْ ذاكَ مِن أمرِ الصّواب
بأنَّ جلادَنا يومَ التقَينا بمكةَ بيْعُكمْ حُمْرَ العِياب
أقرَّ العينَ ان عُصبتْ يَداه وما أن تُعصَبانِ على خِضَاب

وقال حسان أيضاً فى رفع عمرة بنت علقمة اللواء لهم :

إذا عضلٌ سِيقتْ إلينا كأنها جدايةُ شركٍ مُعْلَمات الحواجب
أقمنا لهم طعناً مُبيراً منكّلاً وحزْناهمُ بالضربِ من كل جانب
فلولا لواءُ الحارثيةِ أصبحوا يُباعونَ فى الاسواقِ بَيْعَ الجلائب

قال ابن اسحاق فانكشف المسلمون وأصاب منهم العدو وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم بالشهادة حتى خلص العدو الى رسول الله (ص) فقذف بالحجارة حتى وقع لشقه فأصيبت رباعيته وشج فى وجهه وكلمت شفته وكان الذى أصابه عتبة بن أبي وقاص فحدثني حميد الطويل عن

أنس بن مالك قال كسرت رباعية النبي (ص) يوم أحد وشج فى وجهه فجعل يمسح الدم ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى الله فأنزل الله [ليس لك من الأمر شيء أو يتوبَ عليهم أو يعذّبهم فانهم ظالمون] قال ابن جرير فى تاريخه حدثنا محمد بن الحسين حدثنا أحمد ابن الفضل حدثنا أسباط عن السدى قال أتى ابن قمئة الحارثى فرمى رسول الله (ص) بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه فى وجهه فأثقله وتفرق عنه أصحابه ودخل بعضهم المدينة وانطلق طائفة فوق الجبل الى الصخرة وجعل رسول الله (ص) يدعو الناس : الىّ عباد الله، الىّ عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فجعلوا يسيرون بين يديه فلم يقف أحد الا طلحة وسهل بن حنيف فحماه طلحة فرمى بسهم فى يده فيبست يده وأقبل أبىّ بن خلف الجمحى وقد حلف ليقتلن النبى (ص) فقال بل أنا أقتله فقال يا كذاب أين تفر فحمل عليه فطعنه النبى (ص) فى جيب الدرع فجرح جرحاً خفيفاً فوقع يخور خُوار الثور فاحتملوه وقالوا ليس بك جراحة فما يجزعك ؟ قال : أليس قال لاقتلنك لو كانت تجمع ربيعة ومضر لقتلهم . فلم يلبث الا يوماً أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح وفشا فى الناس أن رسول الله (ص) قد قتل فقال بعض أصحاب الصخرة ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبىّ فيأخذ لنا أمنة من أبى سفيان ، ياقوم ان محمداً قدقتل فارجعوا الى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم ، فقال أنس ابن النضر ياقوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد (ص) اللهم انى أعتذر اليك مما يقول هؤلاء وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وانطلق رسول الله (ص) يدعو الناس حتى انتهى الى أصحاب الصخرة فلما رأوه وضع رجل سهما فى قوسه يرميه فقال أنا رسول الله ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله (ص) وفرح رسول الله (ص) حين رأى أن فى أصحابه من يمتنع به ، فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله (ص) ذهب عنهم الحزن فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا ، فقال الله عز وجل فى الذين قالوا ان محمداً قد قتل فارجعوا الى قومكم : [وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل] الآية فأقبل ابو سفيان حتى أشرف عليهم فلما نظروا اليه نسوا ذلك الذى كانوا عليه وهمهم أبو سفيان فقال رسول الله (ص) « ليس لهم أن يعلونا ، اللهم ان تقتل هذه العصابة لاتعبد فى الارض » . ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم فقال أبو سفيان يومئذ: أعلُ هبل حنظلة بحنظلة ويوم أحد بيوم بدر . وذكر تمام القصة. وهذا غريب جداً وفيه نكارة . قال ابن هشام : وزعم ربيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه عن أبى سعيد أن عتبة بن أبى وقاص رمى رسول الله (ص) فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وأن عبد الله بن شهاب الزهرى شجه فى جبهته وان عبد الله بن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته ووقع رسول الله (ص) فى حفرة

من الحفر التى عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون فأخذ على بن أبى طالب بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ومص مالك بن سنان أبو أبى سعيد الدم من وجه رسول الله (ص.) ثم ازدرده فقال من مس دمه دمى لم تمسه النار قلت وذكر قتادة ان رسول الله (ص.) لما وقع لشقه أغمى عليه فمر به سالم مولى أبى حذيفة فأجلسه ومسح الدم عن وجهه فأفاق وهو يقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى الله فأنزل الله ﴿ ليس لك من الامر شيء ﴾ الآية رواه ابن جرير وهو مرسل وسيأتى بسط هذا فى فصل وحده قلت : كان أول النهار للمسلمين على الكفار كما قال الله تعالى [ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم بأذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ماتحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين * اذ تُصْعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غماً بغم] الآية قال الامام أحمد حدثنا [عبدالله حدثنى أبى حدثنى] سليمان بن داود أخبرنا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه عن عبيد الله عن ابن عباس أنه قال : ما نصر الله فى موطن كما نصر يوم أحد قال فأنكرنا ذلك فقال بينى و بين من أنكر ذلك كتاب الله ان الله يقول فى يوم أحد ﴿ ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه ﴾ يقول ابن عباس والحس القتل ﴿ حتى اذا فشلتم ﴾ الى قوله ﴿ ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ﴾ وانما عنى بهذا الرماة وذلك أن النبى (ص.) أقامهم فى موضع ثم قال احموا ظهورنا فان رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وان رأيتمونا نغنم فلا تشركونا . فلما غنم النبى (ص.) وأباحوا عسكر المشركين اكب الرماة جميعاً فدخلوا فى العسكر ينهبون وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله (ص.) فهم هكذا (وشبك بين أصابع يديه) والتبسوا فلما أخلّ الرماة تلك الخلة التى كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبى (ص.) فضرب بعضهم بعضاً فالتبسوا وقتل من المسلمين ناس كثير وقد كان لرسول الله وأصحابه أولُ النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة وجال المسلمون جولة نحو الجبل ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار انما كان تحت المهراس ، وصاح الشيطان : قتل محمد ! فلم يشك فيه أنه حق ، فما زلنا كذلك ما نشك أنه حق حتى طلع رسول الله (ص.) بين السعدين نعرفه بتكفّيه اذا مشى قال ففرحنا كأنه لم يصبنا ما أصابنا قال فرقى نحونا وهو يقول اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله . ويقولُ مرة أخرى اللهم انه ليس لهم أن يعلونا حتى انتهى الينا فمكث ساعة فاذا أبو سفيان يصيح فى أسفل الجبل : أعلُ هبل أعل هبل ، مرتين (يعني آلهته) ، أين ابن ابى كبشة أين ابن ابى قحافة أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر بن الخطاب ألا أجيبه؟ قال بلى قال فلما قال اعل هبل قال : الله أعلى وأجل. قال أبو سفيان ياابن الخطاب قد أنعمت

عينها ، فعادعنها ـ أو فعال عنها ـ فقال أين ابن ابى كبشة أين ابن أبى قحافة أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : هذا رسول الله (ص.) وهذا أبو بكر وها انا ذا عمر ، قال فقال أبو سفيان يوم بيوم بدر ، الأيام دول وان الحرب سجال . قال فقال عمر : لا سواء ، قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار . قال انكم لتزعمون ذلك ، لقد خبنا اذن وخسرنا . ثم قال أبو سفيان : اما انكم سوف تجدون فى قتلاكم مثلة ولم يكن ذلك عن رأى سراتنا . قال ثم أدركته حمية الجاهلية فقال اما انه ان كان ذلك لم نكرهه . وقد رواه ابن ابى حاتم والحاكم فى مستدركه ، والبيهقى فى الدلائل من حديث سليمان بن داود الهاشمى به وهذا حديث غريب وهو من مرسلات ابن عباس وله شواهد من وجوه كثيرة سنذكر منها ما تيسر ان شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان وهو المستعان . قال البخارى حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبى اسحاق عن البراء قال : لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبى (ص.) جيشاً من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال : لاتبرحوا ، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا . فلما لقينا هربوا حتى رأيت النساء يشتددن فى الجبل رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة ! فقال عبد الله : عهد إلىّ النبى (ص.) أن لاتبرحوا . فأبوا ، فلما أبوا صرفت وجوههم فأصيب سبعون قتيلا وأشرف أبو سفيان فقال : أفى القوم محمد ؟ فقال لاتجيبوه . فقال أفى القوم ابن أبى قحافة ؟ فقال لاتجيبوه . فقال أفى القوم ابن الخطاب ؟ فقال إن هؤلاء قُتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا ، فلم يملك عمر نفسه فقال : كذبت ياعدوّ الله ، أبقى الله عليك مايحزنك . فقال أبو سفيان : أعلُ هُبل . فقال النبى (ص.) : أجيبوه ، قالوا مانقول ؟ قال قولوا : الله أعلى وأجلّ . فقال أبو سفيان : لنا العُزّى ولا عزّى لكم . فقال النبى (ص.) أجيبوه ، قالوا مانقول ؟ قال قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم . قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، وتجدون مُثلة لم آمر بها ولم تسؤنى . وهذا من افراد البخارى دون مسلم . وقال الامام أحمد :

حدثنا موسى حدثنا زهير حدثنا أبو اسحاق أن البراء بن عازب قال : جعل رسول الله (ص.) على الرماة يوم أحد ـ وكانوا خمسين رجلا ـ عبد الله بن جبير ، قال ووضعهم موضعاً وقال : إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم ، وإن رأيتمونا ظهرنا على العدوّ وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم ، قال فهزموهم ، قال فأنا والله رأيت النساء يشتددن على الجبل وقد بدت أسوقهن وخلاخلهن رافعات ثيابهن ، فقال أصحاب عبد الله بن جبير : الغنيمة ، أى قوم ، الغنيمة . ظهر أصحابكم ، فما تنتظرون ؟ قال عبد الله بن جبير : أنسيتم ماقال لكم رسول الله (ص.) ؟ قالوا : إنّا والله لنأتينّ الناس فلنصيبنّ من الغنيمة ! فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذلك الذى يدعوهم الرسول فى أخراهم ، فلم يبق مع رسول الله (ص.) غير اثنى عشر رجلا فأصابوا

منا سبعين رجلا ، وكان رسول الله (ص) وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة : سبعين أسيراً وسبعين قتيلا ، فقال أبو سفيان : أفي القوم محمد ، أفي القوم محمد ، أفي القوم محمد ؟ ثلاثاً ، فنهاهم رسول الله (ص) أن يجيبوه ، ثم قال : أفي القوم ابن أبي قحافة ، أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن الخطاب ، أفي القوم ابن الخطاب ؟ ثم أقبل على أصحابه فقال : أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم ، فما ملك عمر نفسه أن قال : كذبت والله ياعدو الله ، إن الذين عددت لأحياء كلهم وقد بقي لك مايسوءك . فقال : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، انكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني . ثم أخذ يرتجز : أعل هبل أعل هبل . فقال رسول الله (ص) : ألا تجيبونه قالوا يارسول الله ومانقول ؟ قال قولوا : الله أعلى وأجل . قال : إن العزى لنا ولا عزى لكم ؟ قال رسول الله (ص) : ألا تجيبونه ؟ قالوا : يارسول الله مانقول ؟ قال قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم . ورواه البخاري من حديث زهير وهو ابن معاوية مختصراً وقد تقدم روايته له مطولة من طريق اسرائيل عن أبي اسحاق . وقال الامام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت وعلي ابن زيد عن أنس بن مالك أن المشركين لما رهقوا النبي (ص) وهو في سبعة من الانصار ورجل من قريش ، قال : من يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة ؟ فجاء رجل من الانصار فقاتل حتى قتل . فلما رهقوه أيضاً قال : من يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة ، حتى قتل السبعة ، فقال رسول الله (ص) ما أنصفنا أصحابنا . ورواه مسلم عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة به . وقال البيهقي في الدلائل : باسناده عن عمارة بن غزية عن أبي الزبير عن جابر قال : انهزم الناس عن رسول الله (ص) يوم أحد وبقي معه أحد عشر رجلا من الانصار وطلحة بن عبيد الله وهو يصعد في الجبل فلحقهم المشركون فقال : ألا أحد لهؤلاء ؟ فقال طلحة أنا يارسول الله . فقال : كما أنت ياطلحة ، فقال رجل من الانصار : فأنا يارسول الله ، فقاتل عنه ، وصعد رسول الله (ص) ومن بقي معه ، ثم قتل الانصاري فلحقوه ، فقال : ألا رجل لهؤلاء ؟ فقال طلحة مثل قوله ، فقال رسول الله (ص) مثل قوله . فقال رجل من الانصار : فأنا يارسول الله ، فقاتل وأصحابه يصعدون ثم قتل فلحقوه ، فلم يزل يقول مثل قوله الأول ويقول طلحة أنا يارسول فيحبسه فيستأذنه رجل من الانصار للقتال فيأذن له فيقاتل مثل من كان قبله حتى لم يبق معه إلا طلحة فغشوهما ، فقال رسول الله (ص) : من لهؤلاء ؟ فقال طلحة أنا ، فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيبت أنامله فقال حس ، فقال لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون اليك حتى تلج بك في جو السماء . ثم صعد رسول الله (ص) الى أصحابه وهم مجتمعون. وروى البخاري عن عبد الله بن أبي شيبة عن وكيع عن اسماعيل عن قيس بن أبي حازم قال : رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي (ص) يوم أحد . وفي الصحيحين من حديث موسى بن اسماعيل عن

معتمر بن سليمان عن ابيه عن أبي عثمان النهدى قال : لم يبق مع النبي (ص) في بعض تلك الأيام التى يقاتل فيهن غير طلحة وسعد عن حديثهما. وقال الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن معاوية عن هاشم بن هاشم السعدى سمعت سعيد بن المسيب يقول سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : نثل لى رسول الله (ص) كنانته يوم أحد وقال : ارم فداك أبي وأمي . وأخرجه البخارى عن عبد الله بن محمد عن مروان به . وفى صحيح البخارى من حديث عبد الله بن شداد عن على بن أبي طالب قال ماسمعت النبي (ص) جمع أبويه لاحد الا لسعد بن مالك فانى سمعته يقول يوم أحد : ياسعد ارم فداك أبي وأمي . قال محمد بن اسحاق حدثنى صالح بن كيسان عن بعض آل سعد عن سعد بن أبي وقاص أنه رمى يوم أحد دون رسول الله (ص) . قال سعد فلقد رأيت رسول الله (ص) يناولنى النبل ويقول : ارم فداك أبي وأمي . حتى انه ليناولنى السهم ليس له نصل فأرمى به. وثبت فى الصحيحين من حديث ابراهيم بن سعد عن أبيه عن جده عن سعد بن أبي وقاص قال : رأيت يوم أحد عن يمين النبي (ص) وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان أشد القتال مارأيتهما قبل ذلك ولا بعده . يعنى جبريل وميكائيل عليهما السلام . وقال أحمد حدثنا عفان أخبرنا ثابت عن أنس أن أبا طلحة كان يرمى بين يدى النبي (ص) يوم أحد والنبي (ص) خلفه يترس به وكان رامياً وكان اذا رمى رفع رسول الله (ص) شخصه ينظر أين يقع سهمه ، ويرفع أبو طلحة صدره ويقول هكذا بأبي أنت وأمي يارسول الله لايصيبك سهم ، نحرى دون نحرك . وكان أبو طلحة يسور نفسه بين يدى رسول الله (ص) ويقول : انى جلد يارسول الله ، فوجهنى فى حوائجك ومرنى بما شئت . وقال البخارى حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز عن أنس قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي (ص) وأبو طلحة بين يدى رسول الله (ص) مجوّب عليه بجحفة له وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً ، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل فيقول : انثرها لابى طلحة . قال ويُشرف النبي (ص) ينظر الى القوم فيقول أبو طلحه بأبي أنت وأمي لاتشرف يصيبك سهم من سهام القوم ، نحرى دون نحرك . ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وانهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقزان القرب على متونهما تفرغانه فى أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانه فى أفواه القوم . ولقد وقع السيف من يدى أبي طلحة إما مرتين وإما ثلاثاً . قال البخارى وقال لى خليفة حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس عن أبي طلحة قال : كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفى من يدى مراراً يسقط وآخذه ويسقط فآخذه . هكذا ذكره البخارى معلقاً بصيغة الجزم ويشهد له قوله تعالى [ثم أنزل عليكم من بعد الغمّ أمَنة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم

يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء ، قل ان الامر كله لله يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا ، قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم و ليبتلىَ الله مافى صدوركم وليمحص مافى قلوبكم والله عليم بذات الصدور * ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم]. قال البخارى : حدثنا عبدان أخبرنا أبو حمزة عن عثمان بن موهب قال جاء رجل حج البيت فرأى قوماً جلوساً فقال من هؤلاء القعود قال هؤلاء قريش قال من الشيخ قالوا ابن عمر فأتاه فقال انى سائلك عن شيء أتحدثنى .قال أنشدك بحرمة هذا البيت أتعلم ان عثمان بن عفان فر يوم أحد قال نعم . قال فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدها ؟ قال نعم . قال فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدها ؟ قال نعم . قال فكبر . قال ابن عمر : تعال لاخبرك و لأبين لك عما سألتنى عنه : أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه ، و أما تغيبه عن بدر فانه كان تحته بنت النبى (ص) وكانت مريضة فقال له رسول الله (ص) ان لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه ، ، أما تغيبه عن بيعة الرضوان فانه لوكان أحد أعز ببطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه فبعث عثمان وكانت بيعة الرضوان بعد ماذهب عثمان الى مكة فقال النبى (ص) بيده اليمنى : هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان . اذهب بهذا الآن معك . وقد رواه البخارى أيضا فى موضع آخر والترمذى من حديث أبى عوانة عن عثمان بن عبد الله بن موهب به . وقال الاموى فى مغازيه عن ابن اسحاق حدثنى يحيى بن عباد عن أبيه عن جده سمعت رسول الله (ص) يقول ، وقد كان الناس انهزموا عنه حتى بلغ بعضهم الى المُنَقَّى دون الأعوص ، وفرَّ عثمان بن عفان وسعد بن عثمان رجل من الانصار حتى بلغوا الجلعب جبل بناحية المدينة مما يلى الاعوص فأقاموا ثلاثاً ثم رجعوا ، فزعموا أن رسول الله (ص) قال لهم : لقد ذهبتم فيها عريضة . والمقصود أن أحداً وقع فيها أشياء مما وقع فى بدر ، منها حصول النعاس حال التحام الحرب و هذا دليل على طمأنينة القلوب بنصر الله و تأييده وتمام توكلها على خالقها و بارئها . وقد تقدم الكلام على قوله تعالى فى غزوة بدر : [إذ يغشيكم النعاس أمنةً منه] الآية وقال هاهنا [ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم] يعنى المؤمنين الكُمَّل كما قال ابن مسعود وغيره من السلف : النعاس فى الحرب من الايمان والنعاس فى الصلاة من النفاق . ولهذا قال بعد هذا [وطائفة قد أهمتهم أنفسهم] الآية . ومن ذلك أن رسول الله (ص) استنصر يوم أحد كما استنصر يوم بدر بقوله : « إن تشأ لاتعبد فى الأرض » كما قال الامام أحمد : حدثنا عبد الصمد وعفان قالا حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله (ص) كان يقول يوم أحد : « اللهم إنك ان تشأ لاتعبد فى الارض » ورواه مسلم

عن حجاج بن الشاعر عن عبد الصمد عن حماد بن سلمة به . وقال البخارى : حدثنا عبد الله ابن محمد حدثنا سفيان عن عمرو سمع جابر بن عبد الله قال : قال رجل للنبي (ص) يوم أحد : «أرأيت إن قُتلتُ فأين أنا ؟ قال فى الجنة ، فألقى تمرات فى يده ثم قاتل حتى قُتل » . ورواه مسلم والنسائى من حديث سفيان بن عيينة به ، وهذا شبيه بقصة عمير بن الحمام التى تقدمت فى غزوة بدر رضى الله عنهما وأرضاهما

فصل

فيما لقي النبي (ص) يومئذ من المشركين قبحهم الله

قال البخارى : ما أصاب النبى (ص) من الجراح يوم أحد * حدثنا اسحاق بن نصر حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه سمع أبا هريرة قال : قال رسول الله (ص) « اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه — يشير الى رباعيته — اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله فى سبيل الله » ورواه مسلم من طريق عبد الرزاق حدثنا مخلد بن مالك حدثنا يحيى بن سعيد الاموى حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال : « اشتد غضب الله على من يقتله النبى فى سبيل الله ، اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله » (ص) . وقال أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا ثابت عن أنس أن رسول الله (ص) قال يوم أحد وهو يسلت الدم عن وجهه وهو يقول : « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته ، وهو يدعو الى الله » فأنزل الله [ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون] . ورواه مسلم عن القعنبى عن حماد بن سلمة به ، ورواه الامام أحمد عن هشيم ويزيد بن هارون عن حميد عن أنس أن رسول الله (ص) كسرت رباعيته وشجّ فى وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال : « كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى ربهم » فأنزل الله تعالى [ليس لك من الأمر شىء] وقال البخارى : حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب عن أبى حازم انه سمع سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح النبى (ص) فقال : أما والله انى لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله (ص) ومن كان يسكب الماء وبما دووي ، قال : كانت فاطمة بنت رسول الله (ص) تغسله وعلىّ يسكب الماء بالمجن فلما رأت فاطمة أن الماء لايزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم وكسرت رباعيته يومئذ وجرح وجهه وكسرت البيضة على رأسه . وقال أبو داود الطيالسى فى مسنده : حدثنا ابن المبارك عن اسحاق عن يحيى بن طلحة بن عبيد الله أخبرنى عيسى بن طلحة عن أم المؤمنين عائشة قالت : كان أبوبكر اذا ذكر يوم أحد قال : ذاك يوم كله لطلحة ، ثم أنشأ يحدث قال : كنت أول من فاء يوم أحد فرأيت رجلا يقاتل فى سبيل الله دونه وأراه قال حمية ، قال فقلت كن طلحة حيث فاتنى ما فاتنى ، فقلت يكون رجلا من قومى أحب الى ، وبينى وبين المشركين رجل

لأعرفه وأنا أقرب الى رسول الله (ص) منه وهو يخطف المشى خطفاً لا أخطفه فاذا هو أبوعبيدة بن الجراح فانتهينا الى رسول الله (ص) وقد كسرت رباعيته وشج فى وجهه وقد دخل فى وجنته حلقتان من حلق المغفر، قال رسول الله (ص) « عليكما صاحبكما » يريد طلحة وقد نزف فلم نلتفت الى قوله قال: وذهبت لانزع ذاك من وجهه، فقال: أقسم عليك بحقى لما تركتنى، فتركته فكره تناولها بيده فيؤذى رسول الله (ص) فازم عليها بفيه فاستخرج احدى الحلقتين ووقعت ثنيته مع الحلقة وذهبتُ لاصنع ماصنع فقال أقسمت عليك بحقى لما تركتنى. قال ففعل مثل ما فعل فى المرة الاولى فوقعت ثنيته الاخرى مع الحلقة فكان أبوعبيدة رضى الله عنه من أحسن الناس هتما. فأصلحنا من شأن رسول الله (ص) ثم أتينا طلحة فى بعض تلك الجفار فاذا به بضع وسبعون من بين طعنة ورمية وضربة واذا قد قطعت اصبعه فأصلحنا من شأنه. وذكر الواقدى عن ابن أبى سبرة عن اسحاق بن عبد الله بن أبى فروة عن أبى الحويرث عن نافع بن جبير قال: سمعت رجلا من المهاجرين يقول شهدت أحداً فنظرت الى النبل تأتى من كل ناحية ورسول الله (ص) وسطها كل ذلك يصرف عنه، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهرى يومئذ يقول: دلونى على محمد لا نجوتُ ان نجا، ورسول الله (ص) الى جنبه ما معه أحد فجاوزه، فعاتبه فى ذلك صفوان بن أمية، فقال والله مارايته، أحلف بالله انه منا ممنوع خرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله فلم نخلص اليه. قال الواقدى: ثبت عندى أن الذى رمى فى وجنتى رسول الله (ص) بن قمئة، والذى رمى فى شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبى وقاص، وقد تقدم عن ابن اسحاق نحو هذا وان الرباعية التى كسرت له عليه السلام هى اليمنى السفلى. قال ابن اسحاق: وحدثني صالح بن كيسان عمن حدثه عن سعد بن أبى وقاص قال: ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبى وقاص وان كان ما علمت لسيء الخلق مبغضاً فى قومه، ولقد كفانى فيه قول رسول الله (ص): « اشتد غضب الله على من دمى وجه رسوله ». وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن عثمان الجزرى عن مقسم أن رسول الله (ص) دعا على عتبة بن أبى وقاص حين كسر رباعيته ودمى وجهه فقال « اللهم لايحول عليه الحول حتى يموت كافراً » فما حال عليه الحول حتى مات كافراً الى النار. وقال أبو سليمان الجوزجانى حدثنا محمد بن الحسن حدثنى ابراهيم بن محمد حدثنى ابن عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن حرب عن أبيه عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف أن رسول الله (ص) داوى وجهه يوم أحد بعظم بالٍ. هذا حديث غريب رأيته فى أثناء كتاب المغازى للأموى فى وقعة أحد. ولما نال عبد الله بن قمئة من رسول الله (ص) ما نال رجع وهو يقول: قتلتُ محمداً. وصرخ الشيطان أزبُّ العقبةِ يومئذ بأبعد صوت: ألا ان محمداً قد قتل! فحصل بهتة عظيمة فى المسلمين واعتقد كثير من الناس ذلك وصمموا على القتال عن حوزة الاسلام حتى يموتوا على

مامات عليه رسول الله (ص.)، منهم أنس بن النضر وغيره ممن سيأتي ذكره، وقد أنزل الله تعالى التسلية فى ذلك على تقدير وقوعه فقال تعالى [وما محمد إلا رسول قد خلتْ من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين * وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها، وسنجزى الشاكرين * وكأيِّن من نبى قاتل معه رِبِّيُّون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحبُّ الصابرين * وما كان قولهم الا أن قالوا ربَّنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسنَ ثواب الآخرة والله يحبُّ المحسنين * يأيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردُّوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين * بل الله مولاكم وهو خير الناصرين * سَنُلقى فى قلوب الذين كفروا الرعبَ بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين] . وقد تكلمنا على ذلك مستقصى فى كتابنا التفسير ولله الحمد. وقد خطب الصديق رضى الله عنه فى أول مَقام قامه بعد وفاة رسول الله (ص.) فقال: أيها الناس، من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت. ثم تلا هذه الآية [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم] الآية. قال: فكأنَّ الناس لم يسمعوها قبل ذلك، فما من الناس أحد الا يتلوها. وروى البيهقى فى دلائل النبوة من طريق ابن أبى نجيح عن أبيه قال: مرَّ رجل من المهاجرين يوم أحد على رجل من الانصار وهو يتشحط فى دمه. فقال له: يافلان، أشعرت أن محمداً قد قتل. فقال الانصارى: ان كان محمد (ص.) قد قتل فقد بلغ الرسالة فقاتلوا عن دينكم، فنزل [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل] الآية. ولعل هذا الانصارى هو أنس بن النضر رضى الله عنه وهو عم أنس بن مالك. قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس أن عمه غاب عن قتال بدر، فقال غبتُ عن أول قتال قاتله النبى (ص.) للمشركين، لئن الله أشهدنى قتالا للمشركين ليرينَّ ما أصنع. فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون، فقال: اللهم انى أعتذر اليك عما صنع هؤلاء - يعنى أصحابه - وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء - يعنى المشركين - ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ دون أحد فقال سعد: أنا معك. قال سعد: فلم أستطع أصنع ماصنع، فوجد فيه بضع وثمانون من بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم، قال: فكنا نقول: فيه وفى أصحابه نزلت [فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر] . ورواه الترمذى عن عبد بن حميد والنسائى عن اسحاق بن راهويه كلاهما عن يزيد بن هارون به وقال الترمذى: حسن، قلت: بل على شرط الصحيحين من هذا الوجه. وقال أحمد حدثنا بهز وحدثنا هاشم قالا حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال قال

أنس : عمى (قال هاشم : أنس بن النضر) سميتُ به ولم يشهد مع رسول الله (ص) يوم بدر . قال فشق عليه وقال : أول مشهد شهده رسول الله (ص) غبت عنه ، ولئن أرانى الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله (ص) ليرينّ الله ما أصنع . قال فهاب أن يقول غيرها ، فشهد مع رسول الله (ص) يوم أحد ، قال فاستقبل سعد بن معاذ فقال له أنس : يا أبا عمرو أين ؟ واهاً لريح الجنة أجده دون أُحد . قال فقاتلهم حتى قتل فوجد فى جسده بضع وثمانون من ضربة وطعنة ورمية . قال فقالت أخته عمتى الربيع بنت النضر : فما عرفت أخى إلا ببنانه . ونزلت هذه الآية [من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدّلوا تبديلا] قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفى أصحابه . ورواه مسلم عن محمد بن حاتم عن بهز بن أسد . ورواه الترمذى والنسائى من حديث عبد الله بن المبارك وزاد النسائى وابو داود وحماد بن سلمة أربعتهم عن سليمان بن المغيرة به . وقال الترمذى حسن صحيح . وقال أبو الأسود عن عروة بن الزبير قال كان أُبىّ بن خلف أخو بنى جُمح قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله (ص) . فلما بلغتْ رسولَ الله (ص) حلفته قال : بل أنا أقتله ان شاء الله . فلما كان يوم أحد أقبل أُبىّ فى الحديد مقنعاً وهو يقول : لانجوت إن نجا محمد . فحمل على رسول الله (ص) يريد قتله ، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بنى عبد الدار يقى رسول الله (ص) بنفسه فقُتل مصعب بن عمير وأبصر رسول الله (ص) ترقوة أُبىّ بن خلف من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة فطعنه فيها بالحربة فوقع الى الارض عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم ، فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خُوار الثور فقالوا له : ما أجزعك ؟ انما هو خدش . فذكر لهم قول رسول الله (ص) أنا أقتل أبياً ، ثم قال والذى نفسى بيده لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز لماتوا أجمعون فمات الى النار فسحقاً لأصحاب السعير . وقد رواه موسى بن عقبة فى مغازيه عن الزهرى عن سعيد بن المسيّب نحوه . وقال ابن اسحاق لما أُسند رسول الله (ص) فى الشعب أدركه أُبىّ بن خلف وهو يقول : لانجوتُ ان نجوتَ . فقال القوم : يارسول الله يعطف عليه رجل منا ؟ فقال رسول الله (ص) : دعوه ! فلما دنا منه تناول رسول الله (ص) الحربة من الحارث بن الصمة فقال بعض القوم كما ذُكر لى فلما اخذها رسول الله (ص) انتفض انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير اذا انتفض ، ثم استقبله رسول الله (ص) فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مراراً .

ذكر الواقدى عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الله ابن كعب بن مالك عن أبيه نحو ذلك . قال الواقدى وكان ابن عمر يقول : مات أُبىّ بن خلف ببطن رابغ ، فانى لاسير ببطن رابغ بعد هوى من الليل اذا أنا بنار تأججت فهبتها واذا برجل يخرج منها بسلسلة يجذبها يهيجه العطش فاذا رجل يقول : لاتسقه ، فانه قتيل رسول الله (ص) ، هذا أُبىّ بن خلف . وقد ثبت فى الصحيحين كما تقدم من طريق عبد الرزّاق عن معمر عن همام عن

أبى هريرة قال : قال رسول الله (ص.) « اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله فى سبيل الله » ورواه البخارى من طريق ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس « اشتد غضب الله على من قتله رسول الله بيده فى سبيل الله » وقال البخارى وقال أبو الوليد عن شعبة عن ابن المنكدر سمعت جابراً قال : لما قتل أبى جعلت أبكى وأكشف الثوب عن وجهه ، فجعل أصحاب النبى (ص.) ينهوننى والنبى (ص.) لم ينه ، وقال النبى (ص.) لاتبكه أو ما تبكيه مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع . هكذا ذكر هذا الحديث ههنا معلقاً وقد أسنده فى الجنائز عن بندار عن غندر عن شعبة . ورواه مسلم والنسائى من طرق عن شعبة به وقال البخارى حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله بن المبارك عن شعبة عن سعد بن ابراهيم عن أبيه ابراهيم أن عبد الرحمن ابن عوف أتى بطعام وكان صائما فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير منى كفن فى بردة إن غطى رأسه بدت رجلاه وإن غطى رجلاه بدا رأسه ، وأُراه قال وقتل حمزة هو خير منى ثم بُسط لنا من الدنيا مابسط (أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا) وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا . ثم جعل يبكى حتى برد الطعام . انفرد به البخارى وقال البخارى حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا الأعمش عن شقيق عن خباب بن الأرت قال : هاجرنا مع النبى (ص.) نبتغى وجه الله فوجب أجرنا على الله فمنا من مضى أو ذهب لم يأكل من أجره شيئاً كان منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد لم يترك إلا نمرة كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه وإذا غطى بها رجلاه خرج رأسه فقال لنا النبى (ص.) غطوا بها رأسه واجعلوا على رجله الأذخر . ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها . وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الأعمش به . وقال البخارى حدثنا عبيد الله بن سعيد حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : لما كان يوم أحد هزم المشركون فصرخ ابليس لعنة الله عليه : أى عباد الله أخراكم . فرجعت أولاهم فاجتلدت هى وأخراهم فبصر حذيفة فاذا هو بأبيه اليمان فقال : أى عباد الله أبى أبى . قال قالت فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه . فقال حذيفة يغفر الله لكم . قال عروة : فوالله مازال فى حذيفة بقية خير حتى لقى الله عز وجل . قلت كان سبب ذلك أن اليمان وثابت بن وقش كانا فى الآطام مع النساء لكبرهما وضعفهما فقالا انه لم يبق من آجالنا إلا ظمء حمار فنزلا ليحضرا الحرب فجاء طريقهما ناحية المشركين فأما ثابت فقتله المشركون وأما اليمان فقتله المسلمون خطأ . وتصدق حذيفة بدية أبيه على المسلمين ولم يعاتب أحداً منهم لظهور العذر فى ذلك

فصل قال ابن اسحاق : وأصيب يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى سقطت على وجنته فردها رسول الله (ص.) بيده فكانت أحسن عينيه وأحدّهما . وفى الحديث عن جابر بن عبدالله

أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحد حتى سالت على خده فردها رسول الله (ص) مكانها فكانت أحسن عينيه وأحدّهما وكانت لاترمد اذا رمدت الاخرى. وروى الدارقطنى باسناد غريب عن مالك عن محمد بن عبد الله بن أبى صعصعة عن أبيه عن أبى سعيد عن أخيه قتادة ابن النعمان قال: أصيبت عيناى يوم أحد فسقطتا على وجنتى فأتيت بهما رسول الله (ص) فأعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان. والمشهور الاول أنه أصيبت عينه الواحدة. ولهذا لما وفد ولده على عمر بن عبد العزيز قال له: من أنت؟ فقال له مرتجلا:

أنا ابنُ الذي سالت على الخدّ عينُه فرُدت بكفّ المصطفى أحسنَ الرد
فعادتْ كما كانت لأولِ أمرها فيا حُسْنَها عيناً ويا حُسْنَ ما خدّ

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك:

تلك المكارمُ لا قَعبانِ من لبنٍ شِيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

ثم وصله فأحسن جائزته رضى الله عنه

فصل قال ابن هشام: وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد فذكر سعيد ابن أبى زيد الانصارى أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول دخلت على أم عمارة فقلت لها ياخالة أخبرينى خبرك فقالت خرجت أول النهار أنظر مايصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء فانتهيت الى رسول الله (ص) وهو فى أصحابه والدولة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله (ص) فقمت أباشر القتال وأذبُّ عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح الى. قالت فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور فقلت لها من أصابك بهذا قالت ابن قمئة أقمأه الله، لما ولى الناس عن رسول الله (ص) أقبل يقول دلونى على محمد لانجوتُ ان نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله (ص) فضربنى هذه الضربة. ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان. قال ابن اسحاق وترس أبو دجانة دون رسول الله (ص) بنفسه يقع النبل فى ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل. قال ابن اسحاق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ان رسول الله (ص) رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده. قال ابن اسحاق وحدثنى القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بنى عدى بن النجار قال: انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله فى رجال من المهاجرين والانصار وقد ألقوا بأيديهم فقال فما يجلسكم قالوا قتل رسول الله (ص) قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على مامات عليه رسول الله (ص). ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل وبه سمى أنس بن مالك. فحدثنى حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة فما عرفه

الا أخته . عرفته ببنانه . قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ان عبد الرحمن بن عوف أصيب فوه يومئذ فهتم وجرح عشرين جراحة او أكثر أصابه بعضها فى رجله فعرج

فضل قال ابن اسحاق : وكان أول من عرف رسول الله (ص) بعد الهزيمة وقول الناس قُتل رسول الله (ص) — كما ذكر لى الزهرى — كعبُ بن مالك قال : رأيت عينيه تزهران من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتى : يامعشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله (ص) . فأشار رسول الله (ص) أن انصت . قال ابن اسحاق فلما عرف المسلمون رسول الله (ص) نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب معه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام والحارث بن الصمة ورهط من المسلمين فلما أسند رسول الله (ص) فى الشعب أدركه أبىّ بن خلف (فذكر قتله عليه السلام أبياً كما تقدم) قال ابن اسحاق : وكان أبىّ بن خلف كما حدثنى صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يلقى رسول الله (ص) بمكة فيقول : يامحمد ان عندى العودَ — فرساً — أعلفه كل يوم فَرَقاً من ذرة أقتلك عليه . فيقول رسول الله (ص) : بل أنا أقتلك ان شاء الله . فلما رجع الى قريش وقد خدشه فى عنقه خدشاً غير كبير فاحتقن الدم فقال : قتلنى والله محمد . فقالوا له ذهب والله فؤادك ، والله انْ بك بأس . قال انه قد كان قال لى بمكة : أنا أقتلك . فوالله لو بصق علىّ لقتلنى . فمات عدو الله بسرَف وهم قافلون به الى مكة . قال ابن اسحاق فقال حسان بن ثابت فى ذلك :

لقد ورثَ الضلالةَ عن أبيهِ … أبىٌّ يومَ بارزه الرسولُ
أتيتَ اليه تحملُ رِمَّ عَظْمٍ … وتُوعِده وانتَ به جَهول
وقد قَتلتْ بنو النجّار منكم … أميةَ اذ يغوّث ياعَقيل
وتَبَّ ابنا ربيعةَ اذْ أطاعا … أبا جَهْلٍ لأمِّهما الهَبول
وأفلتَ حارثٌ لمّا شُغلْنا … بأسْرِ القومِ ، أُسرتهِ فَليل

وقال حسان بن ثابت أيضاً :

ألا مَن مبلغٌ عني أُبيّاً … فقد أُلقيت فى سحق السعير
تُمنّي بالضلالةِ من بعيدٍ … وتُقسِمُ إنْ قَدرتَ مع النُذور
تمنّيكَ الامانيَّ من بعيدٍ … وقولُ الكفر يرجعُ فى غرور
فقد لاقتْك طعنةُ ذي حِفاظٍ … كريمِ البيتِ ليسَ بذي فُجور
له فضلٌ على الأحياءِ طُراً … اذا نابتْ مُلِمّاتُ الأمور

قال ابن اسحاق : فلما انتهى رسول الله (ص) الى فم الشعب خرج على بن أبى طالب حتى ملأ درقته ماءً من المهراس فجاء بها الى رسول الله (ص) ليشرب منه فوجد له ريحاً فعافه ولم يشرب منه وغسل

عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول «اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه» وقد تقدم شواهد ذلك من الاحاديث الصحيحة بما فيه الكفاية . قال ابن اسحاق : فبينا رسول الله (ص.) في الشعب معه أولئك النفر من أصحابه اذ علت عالية من قريش الجبل قال ابن هشام فيهم خالد بن الوليد قال ابن اسحاق فقال رسول الله (ص.) اللهم انه لاينبغي لهم أن يعلونا . فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل ونهض النبي (ص.) الى صخرة من الجبل ليعلوها وقد كان بدن رسول الله (ص.) ظاهر بين درعين فلما ذهب لينهض لم يستطع فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال سمعت رسول الله (ص.) يقول يومئذ « أوجب طلحة » حين صنع برسول الله (ص.) يومئذ ماصنع . قال ابن هشام وذكر عمر مولى عفرة ان رسول الله (ص.) صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصابته وصلى المسلمون خلفه قعوداً . قال ابن اسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : كان فينا رجل أتِيٌّ لا يُدرى من هو يقال له قُزمان فكان رسول الله (ص.) يقول اذا ذُكر « انه لمن أهل النار » قال فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديداً فقتل هو وحده ثمانية أو سبعة من المشركين وكان ذا بأس فأثبتته الجراحة فاحتمل الى دار بني ظفر قال فجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم ياقزمان فأبشر . قال بماذا أبشر فوالله ان قاتلت الا عن أحساب قومي ولولا ذلك ماقاتلت . قال فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهما من كنانته فقتل به نفسه . وقد ورد مثل قصة هذا في غزوة خيبر كما سيأتي ان شاء الله . قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن المسيب عن أبي هريرة قال شهدنا مع رسول الله (ص.) خيبر فقال لرجل ممن يدّعي الاسلام « هذا من أهل النار » فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديداً فأصابته جراحة فقيل يارسول الله الرجل الذي قلت انه من أهل النار قاتل اليوم قتالا شديداً وقد مات فقال النبي (ص.) « الى النار » فكاد بعض القوم يرتاب فبينما هم على ذلك اذ قيل فانه لم يمت ولكن به جراح شديدة فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فأخبر النبي (ص.) بذلك فقال الله أكبر ، أشهد أني عبد الله ورسوله » ثم أمر بلالا فنادى في الناس « انه لايدخل الجنة الا نفس مسلمة وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » . وأخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به قال ابن اسحاق وكان ممن قتل يوم أحد مُخيريق وكان أحد بني ثعلبة بن الفيطون فلما كان يوم أحد قال يامعشر يهود والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق . قالوا ان اليوم يوم السبت . قال لاسبت لكم . فأخذ سيفه وعدته وقال ان أصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء . ثم غدا الى رسول الله (ص.) فقاتل معه حتى قتل . فقال رسول الله (ص.) فيما بلغنا « مخيريق خير يهود » قال السهيلي فجعل

رسول الله (ص) أموال مخيريق - وكانت سبع حوائط - أوقافاً بالمدينة لله قال محمد بن كعب القرظى وكانت أول وقف بالمدينة. وقال ابن اسحاق وحدثنى الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن أبى سفيان مولى ابن أبى أحمد عن أبى هريرة أنه كان يقول حدثونى عن رجل دخل الجنة لم يصل قط فاذا لم يعرفه الناس سألوه من هو فيقول اصيرم بنى عبد الاشهل عمرو بن ثابت ابن وقش قال الحصين فقلت لمحمود بن أسد كيف كان شأن الاصيرم؟ قال كان يأبى الاسلام على قومه فلما كان يوم أحد بدا له فأسلم ثم أخذ سيفه فغدا حتى دخل فى عرض الناس فقاتل حتى أثبتته الجراحة قال فبينما رجال من بنى عبد الاشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة اذا هم به فقالوا والله ان هذا للاصيرم ما جاء به لقد تركناه وانه لمنكر لهذا الحديث فسألوه فقالوا [ما جاء بك ياعمرو] أحدب على قومك أم رغبة فى الإسلام فقال بل رغبة فى الاسلام آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ثم أخذت سيفى وغدوت مع رسول الله (ص) فقاتلت حتى أصابنى ما أصابنى. فلم يلبث أن مات فى أيديهم فذكروه لرسول الله (ص) فقال « انه من أهل الجنة ». قال ابن اسحاق وحدثنى أبى عن أشياخ من بنى سلمة قالوا كان عمرو بن الجموح رجلا أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله (ص) المشاهد، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا ان الله قد عذرك فأتى رسول الله (ص) وقال ان بنى يريدون أن يحبسونى عن هذا الوجه والخروج معك فيه فوالله انى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه الجنة فقال رسول الله (ص) « اما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك » وقال لبنيه « ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة » فخرج معه فقتل يوم أحد رضى الله عنه. قال ابن اسحاق: ووقعت هند بنت عتبة - كما حدثنى صالح بن كيسان - والنسوة اللاتى معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله (ص) يجدعن الآذان والانوف حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خدما وقلائد وأعطت خدمها وقلائدها وقرطها وحشياً. وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها. وذكر موسى ابن عقبة ان الذى بقر عن كبد حمزة وحشى فحملها الى هند فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فالله أعلم.

قال ابن اسحاق ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها فقالت:

نحنُ جزَيْناكُم بيومِ بدرِ   والحربُ بعدالحربِ ذاتُ سُعُرِ
ما كانَ لي عن عُتبةٍ من صبرِ   ولا أخي وعمِّهِ وبكرِ
شفَيْتُ نفسي وقضَيتُ نَذْرِي   شَفيتَ وحشيُّ غليلَ صدري
فشكرُ وحشيٍّ عليَّ عُمري   حتى ترمَّ أعظُمي فى قبري

قال فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب فقالت:

خَزِيتِ فى بدرٍ وبعد بدرِ يابنتَ وقّاع عظيم الكفر
صبّحكِ اللهُ غداةَ الفجرِ مِ الهاشميّين الطوالِ الزُهرِ
بكلّ قطّاعٍ حسامٍ يفري حمزةُ ليثي وعليٌّ صقري
اذ رامَ شيبُ وأبوكِ غدري فخضّبا منهُ ضواحي النّحر
ونذرُكِ السوء فشرُّ نذرِ

قال ابن اسحاق وكان الحليس بن زبان أخو بنى الحارث بن عبد مناة ـ وهو يومئذ سيد الاحابيش ـ مر بأبى سفيان وهو يضرب فى شدق حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح ويقول : ذق عقق . فقال الحليس يابنى كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون لحما . فقال : ويحك اكتمها عنى فانها كانت زلة . قال ابن اسحاق : ثم ان أبا سفيان حين أراد الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته : أنعمت ، ان الحرب سجال ، يوم بيوم بدر ، أعلُ هبل (أى ظهر دينك) . فقال رسول الله (ص) لعمر « قم ياعمر فأجبه فقل : الله أعلى وأجل ، لاسواء ، قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار » فقال له أبو سفيان : هلم الى ياعمر . فقال رسول الله (ص) لعمر : ائته فانظر ما شأنه . فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشدك الله ياعمر أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا وانه ليسمع كلامك الآن . قال أنت عندى أصدق من ابن قمئة وأبر . قال ابن اسحاق : ثم نادى أبو سفيان : انه قد كان فى قتلاكم مثل ، والله ما رضيت وما سخطت ، وما نهيت ولا أمرت . قال : ولما انصرف أبو سفيان نادى : ان موعدكم بدر العام المقبل . فقال رسول الله (ص) لرجل من أصحابه : قل نعم هو بيننا وبينك موعد . قال ابن اسحاق ثم بعث رسول الله (ص) على بن أبى طالب فقال : أخرج فى آثار القوم وانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فان كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الابل فانهم يريدون مكة ، وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فهم يريدون المدينة . والذى نفسى بيده إن أرادوها لأسيرن اليهم فيها ثم لاناجزنهم . قال على : فخرجت فى أثرهم أنظر ماذا يصنعون ، فجنبوا الخيل وامتطوا الابل ووجهوا الى مكة

دعاء النبي (ص) يوم أحد

قال الامام احمد حدثنا مروان بن معاوية الفزارى حدثنا عبد الواحد بن أيمن المكى عن ابن رفاعة الزرقى عن أبيه قال : لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله (ص) «استووا حتى أثنى على ربى عز وجل» فصاروا خلفه صفوفاً فقال « اللهم لك الحمد كله ، اللهم لاقابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادى لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطى لما منعت

ولا مانع لما أعطيت ولا مقرّب لما باعدت ولا مبعد لما قربت . اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك. اللهم انى أسألك النعيم المقيم الذى لايحول ولا يزول . اللهم انى أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف . اللهم انى عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشر مامنعتنا . اللهم حبب الينا الايمان وزينه فى قلوبنا ، وكرّه الينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين . اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين . اللهم قاتل الكفرة الذين يكذّبون رسلك ويصدون عن سبيلك ، واجعل عليهم رجزك وعذابك . اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق » ورواه النسأى فى اليوم والليلة عن زياد بن أيوب عن مروان بن معاوية عن عبد الواحد بن أيمن عن عبيد بن رفاعة عن أبيه به

فصل . قال ابن اسحاق وفرغ الناس لقتلاهم فحدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى صعصعة المازنى أخو بنى النجار أن رسول الله (ص.) قال : من رجلٌ ينظر لى ما فعل سعد ابن الربيع أفى الاحياء هو أم فى الاموات ؟ فقال رجل من الانصار : أنا . فنظر فوجده جريحاً فى القتلى و به رمق ، قال فقال له : ان رسول الله (ص.) أمرنى أن أنظر أفى الاحياء أنت أم فى الاموات قال : أنا فى الاموات فأبلغ رسول الله (ص.) سلامى وقل له : ان سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ماجزى نبياً عن أمته . وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم : ان سعد بن الربيع يقول لكم : انه لاعذر لكم عند الله ان خُلص الى نبيكم وفيكم عين تطرف . قال ثم لم أبرح حتى مات وجئت النبى (ص.) فأخبرته خبره

قلت : كان الرجل الذى التمس سعداً فى القتلى محمد بن سلمة فيما ذكره محمد بن عمر الواقدى وذكر أنه ناداه مرتين فلم يجبه فلما قال ان رسول الله أمرنى أن أنظر خبرك أجابه بصوت ضعيف وذكره . وقال الشيخ أبو عمر فى الاستيعاب كان الرجل الذى التمس سعداً أبىّ كعب فالله أعلم . وكان سعد بن الربيع من النقباء ليلة العقبة رضى الله عنه وهو الذى آخى رسولُ الله (ص.) بينه وبين عبدالرحمن بن عوف . قال ابن اسحاق : وخرج رسول الله (ص.) فيما بلغنى يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع أنفه وأذناه ، فحدثنى محمد ابن جعفر بن الزبير أن رسول الله (ص.) قال حين رأى ما رأى : « لولا أن تحزن صفية وتكون سُنة من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثلنّ بثلاثين رجلا منهم » فلما رأى المسلمون حزن رسول الله (ص.) وغيظه على

من فعل بعمه ما فعل ، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب . قال ابن اسحاق فحدثنى بريدة بن سفيان بن فروة الاسلمى عن محمد بن كعب ، وحدثنى من لا أتهم عن ابن عباس أن الله أنزل فى ذلك [وإنْ عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين] الآية . قال : فعفا رسول الله (ص.) وصبر ونهى عن المثلة . قلت : هذه الآية مكية وقصة أحد بعد الهجرة بثلاث سنين فكيف يلتئم هذا فالله أعلم . قال وحدثنى حميد الطويل عن الحسن عن سمرة قال : ما قام رسول الله (ص.) فى مقام قط ففارقه حتى يأمر بالصدقة وينهى عن المثلة . وقال ابن هشام : ولما وقف النبى (ص.) على حمزة قال « لن أصاب بمثلك أبداً ، ما وقفت قط موقفاً أغيظ الىَّ من هذا » ثم قال « جاءنى جبريل فأخبرنى أن حمزة مكتوب فى السماوات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله » قال ابن هشام : وكان حمزة وأبو سلمة بن عبد الاسد أخو رسول الله (ص.) من الرضاعة أرضعتهم ثلاثتهم ثويبة مولاة أبى لهب

الصّلاة على حمزة وقتلى أُحد

وقال ابن اسحاق وحدثنى من لا أتهم عن مقسم عن ابن عباس قال : « أمر رسول الله (ص.) بحمزة فسجى ببردة ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات ثم أتى بالقتلى يوضعون الى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة » وهذا غريب وسنده ضعيف . قال السهيلى : ولم يقل به أحد من علماء الامصار . وقد قال الامام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد حدثنا عطاء بن السائب عن الشعبى عن ابن مسعود قال : إن النساء كن يوم أُحد خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين فلو حلفت يومئذ رجوت أن أبرّ أنا ليس أحد منا يريد الدنيا حتى أنزل الله [منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم] فلما خلف أصحاب رسول الله (ص.) وعصوا ما أمروا به أفرد رسول الله (ص.) فى تسعة ـ سبعةٍ من الانصار واثنين من قريش وهو عاشرهم ـ فلما رهقوه قال : رحم الله رجلا ردّهم عنا ... فلم يزل يقول ذا حتى قتل السبعة فقال رسول الله (ص.) لصاحبيه : ما أنصفنا أصحابنا ، فجاء أبو سفيان فقال : أعلُ هبل ! فقال رسول الله (ص.): قولوا الله أعلى وأجلّ ، فقالوا الله أعلى وأجلّ . فقال أبو سفيان : لنا العزّى ولا عزّى لكم ، فقال رسول الله (ص.): قولوا الله مولانا ولا مولى لكم . ثم قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، يوم لنا ويوم علينا ، ويوم نُساء ويوم نُسر ، حنظلة بحنظلة ، وفلان بفلان ، فقال رسول الله (ص.): لاسواء ، أما قتلانا فأحياء يرزقون وقتلاكم فى النار يعذبون . قال أبو سفيان : قد كانت فى القوم مُثلة وإن كانت لعن غير ملأ منا ، ما أمرت ولا نهيت ولا أحببت ولا كرهت ،

ولا ساءني ولا سرني ، قال فنظروا فاذا حمزة قد بقر بطنه وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها فقال رسول الله (ص.) : أأكلت شيئاً ؟ قالوا لا ، قال ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة في النار ، قال فوضع رسول الله (ص.) حمزة فصلى عليه وجيء برجل من الانصار فوضع الى جنبه فصلى عليه فرفع الانصارى وترك حمزة وجيء بآخر فوضعه الى جنب حمزة فصلى عليه ثم رفع وترك حمزة حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة » تفرد به أحمد وهذا اسناد فيه ضعف أيضاً من جهة عطاء بن السائب فالله أعلم . والذى رواه البخارى أثبتُ حيث قال : حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن جابر بن عبد الله أخبره أن رسول الله (ص.) كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد فى ثوب واحد ثم يقول : أيهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ فاذا أشير له الى أحدهما قدمه فى اللحد وقال أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة . وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يصل عليهم ولم يغسلوا تفرد به البخارى دون مسلم . ورواه أهل السنن من حديث الليث بن سعد به وقال أحمد حدثنا محمد يعنى ابن جعفر حدثنا شعبة سمعت عبد ربه يحدث عن الزهرى عن ابن جابر عن جابر ابن عبد الله عن النبى (ص.) أنه قال فى قتلى أحد : فان كل جرح أو كل دم يفوح مسكا يوم القيامة ولم يصلّ عليهم وثبت أنه صلى عليهم بعد ذلك بسنين عديدة قبل وفاته بيسير كما قال البخارى : حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا زكريا بن عدى أخبرنا المبارك عن حيوة عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن عقبة بن عامر قال : صلى رسول الله (ص.) على قتلى أحد بعد ثماني سنين كالمودّع للاحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : انى بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد وان موعدكم الحوض وانى لأنظر اليه من مقامى هذا وانى لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها . قال : فكان آخر نظرة نظرتها الى رسول الله (ص.) . ورواه البخارى فى مواضع أخر ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث يزيد بن أبى حبيب به نحوه . وقال الأموى حدثنى أبى حدثنا الحسن بن عمارة عن حبيب بن أبى ثابت قال : قالت عائشة : خرجنا من السحر بخروج رسول الله (ص.) الى أحد نستطلع الخبر حتى اذا طلع الفجر اذا رجل محتجر يشتد ويقول :

لبّث قليلاً يشهدِ الهيجا حمل

قال : فنظرنا فاذا أسيد بن حضير ، ثم مكثنا بعد ذلك فاذا بعير قد أقبل ، عليه امرأة بين وسقين قالت فدنونا منها فاذا هى امرأة عمرو بن الجموح فقلنا لها ما الخبر قالت دفع الله عن رسول الله (ص.) واتخذ من المؤمنين شهداء ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا . ثم قالت لبعيرها : حل . ثم نزلت ، فقلنا لها : ما هذا ؟ قالت : أخى وزوجى . وقال ابن اسحاق : وقد أقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر اليه وكان

أخاها لأبيها وأمها فقال رسول الله (ص) لابنها الزبير بن العوام: القها فارجعها لاترى مابأخيها فقال لها: يا أمه ان رسول الله (ص) يأمرك أن ترجعى. قالت ولمَ وقد بلغنى انه مثل بأخى وذلك فى الله فماأرضانا ما كان من ذلك لأحتسبن ولأصبرن ان شاء الله. فلما جاء الزبير الى رسول الله (ص) وأخبره بذلك قال خل سبيلها، فأتته فنظرت اليه وصلت عليه واسترجعت واستغفرت. قال ابن اسحاق: ثم أمر به رسول الله (ص) فدفن ودفن معه ابن اخته عبد الله بن جحش وأمه أميمة بنت عبد المطلب وكان قد مثل به غير انه لم ينقر عن كبده رضى الله عنهما. قال السهيلى: وكان يقال له المجدع فى الله قال وذكر سعد انه هو وعبد الله بن جحش دعيا بدعوة فاستجيبت لهما فدعا سعد أن يلقى فارساً من المشركين فيقتله و يستلبه فكان ذلك ودعا عبد الله بن جحش أن يلقاه فارس فيقتله ويجدع أنفه فى الله فكان ذلك وذكر الزبير بن بكار ان سيفه يومئذ انقطع فأعطاه رسول الله (ص) عرجوناً فصار فى يد عبدالله بن جحش سيفاً يقاتل به ثم بيع فى تركة بعض ولده بمائتى دينار وهذا كما تقدم لعكاشة فى يوم بدر. وقد تقدم فى صحيح البخارى أيضاً ان رسول الله (ص) كان يجمع بين الرجلين والثلاثة فى القبر الواحد بل فى الكفن الواحد وانما أرخص لهم فى ذلك لما بالمسلمين من الجراح التى يشق معها أن يحفروا لكل واحد واحد و يقدم فى اللحد أكثرهما أخذاً للقرآن وكان يجمع بين الرجلين المتصاحبين فى اللحد الواحد كما جمع بين عبدالله بن عمرو بن حرام والد جابر و بين عمرو بن الجموح لانهما كانا متصاحبين ولم يغسلوا بل تركهم بجراحهم ودمائهم كما روى ابن اسحاق عن الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير أن رسول الله (ص) لما انصرف عن القتلى يوم أحد قال: أنا شهيد على هؤلاء انه مامن جريح يجرح فى سبيل الله إلا و الله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون دم والريح ريح مسك. قال وحدثنى عمى موسى بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول: قال أبو القاسم (ص) مامن جريح يجرح فى الله إلا و الله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمى اللون لون الدم و الريح ريح المسك وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين من غير هذا الوجه. وقال الامام احمد حدثنا على بن عاصم عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أمر رسول الله (ص) يوم أحد بالشهداء أن ينزع عنهم الحديد و الجلود وقال ادفنوهم بدمائهم وثيابهم. رواه أبو داود وابن ماجه من حديث على بن عاصم به. وقال الامام أبو داود فى سننه: حدثنا القعنبى أن سليمان بن المغيرة حدثهم عن حميد بن هلال عن هشام بن عامر أنه قال: جاءت الانصار الى رسول الله (ص) يوم أحد فقالوا قد أصابنا قرح وجهد فكيف تأمر فقال: احفروا وأوسعوا واجعلوا الرجلين والثلاثة فى القبر الواحد. قيل: يارسول الله فأيهم يقدم؟ قال: أكثرهم قرآنا. ثم رواه من حديث الثورى عن أيوب عن حميد بن هلال عن هشام بن عامر فذكره وزاد واعمقوا. قال ابن اسحاق: وقد

احتمل ناس من المسلمين قتلاهم الى المدينة فدفنوهم بها ثم نهى رسول الله (ص) عن ذلك وقال : ادفنوهم حيث صرعوا . وقد قال الامام احمد حدثنا على بن اسحاق حدثنا عبد الله وعتاب حدثنا عبد الله حدثنا عمر بن سلمة بن أبي يزيد المدينى حدثنى أبى سمعت جابر بن عبد الله يقول: استشهد أبى بأحد فارسلنى اخواتى اليه بناضح لهن فقلن : اذهب فاحتمل أباك على هذا الجمل فادفنه فى مقبرة بنى سلمة . قال فجئته وأعوان لى فبلغ ذلك نبى الله وهو جالس باحد فدعانى فقال : والذى نفسى بيده لايدفن إلا مع اخوته فدفن مع أصحابه بأحد . تفرد به احمد . وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الاسود بن قيس عن نبيح عن جابر بن عبد الله أن قتلى أحد حملوا من مكانهم فنادى منادى النبى (ص) أن ردوا القتلى الى مضاجعهم . وقد رواه أبو داود والنسائى من حديث الثورى والترمذيّ من حديث شعبة والنسائى أيضا وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينه كلهم عن الاسود بن قيس عن نبيح العنزى عن جابر بن عبد الله قال : خرج رسول الله (ص) من المدينة الى المشركين يقاتلهم وقال لى أبى عبد الله ياجابر لاعليك أن تكون فى نظارى أهل المدينة حتى تعلم الى مامصير أمرنا فانى والله لولا أنى أترك بنات لى بعدى لاحببت أن تقتل بين يدى . قال : فبينا أنا فى النظارين إذ جاءت عمتى بابى وخالى عادلتهما على ناضح فدخلت بهما المدينة لتدفنهما فى مقابرنا إذ لحق رجل ينادى : ألا ان النبى (ص) يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوها فى مصارعها حيث قتلت فرجعنا بهما فدفناهما حيث قتلافبينا أنا فى خلافة معاوية بن أبى سفيان إذ جاءنى رجل فقال ياجابر بن عبدالله والله لقد أثار أباك عمالُ معاوية فبدا فخرج طائفة منه . فاتيته فوجدته على النحو الذى دفنته لم يتغير إلاما لم يدع القتل أو القتيل ، ثم ساق الامام قصة وفائه دين أبيه كما هو ثابت فى الصحيحين . وروى البيهقى من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله قال : لما أجرى معاوية العين عند قتلى أحد بعد أربعين سنة استصرخناهم اليهم فأتيناهم فأخرجناهم فأصابت المسحاة قدم حمزة فانبعث دماً . وفى رواية ابن اسحاق عن جابر قال: فأخرجناهم كأنما دفنوا بالأمس . وذكر الواقدى أن معاوية لما أراد أن يجرى العين نادى مناديه من كان له قتيل بأحد فليشهد ، قال جابر فحفرنا عنهم فوجدت أبى فى قبره كأنما هو نائم على هيئته ووجدنا جاره فى قبره عمرو بن الجموح ويده على جرحه فازيلت عنه فانبعث جرحه دماً ، ويقال انه فاح من قبورهم مثل ريح المسك رضى الله عنهم أجمعين وذلك بعد ست وأربعين سنة من يوم دفنوا .

وقد قال البخارى حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل حدثنا حسين المعلم عن عطاء عن جابر قال : لما حضر أحد دعانى أبى من الليل فقال لى ما أرانى إلا مقتولا فى أول من يقتل من أصحاب النبى (ص) وانى لا أترك بعدى أعز علىّ منك غير نفس رسول الله (ص) وأن علىّ ديناً فاقض

واستوص باخواتك خيرا ، فأصبحنا وكان أول قتيل فدفنت ... آخر فى قبره ثم لم تطب نفسى أن أتركه مع آخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فاذا هو كيوم وضعته هيئة غير أذنه . وثبت فى الصحيحين من حديث شعبة عن محمد بن المنكدر عن جابر أنه لما قتل أبوه جعل يكشف عن الثوب ويبكى فنهاه الناس فقال رسول الله تبكيه أو لا تبكيه ، لم تزل الملائكة تظله حتى رفعتموه . وفى رواية أن عمته هى الباكية . وقال البيهقى حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضى قالا حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن اسحاق حدثنا فيض بن وثيق البصرى حدثنا أبو عبادة الانصارى عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله (ص) لجابر « ياجابر ألا أبشرك ؟ قال بلى بشرك الله بالخير ، فقال : أشعرت أن الله أحيا أباك فقال تمنّ علىّ عبدى ماشئت أعطكه . قال يارب عبدتك حق عبادتك أتمنّى عليك أن تردّنى الى الدنيا فأقتل مع نبيك وأقتل فيك مرة أخرى ، قال : إنه سلف منى أنه اليها لا يرجع » . وقال البيهقى حدثنا أبو الحسن محمد ابن أبى المعروف الاسفراينى حدثنا أبو سهل بشر بن أحمد حدثنا أحمد بن الحسين بن نصر حدثنا على بن المدينى حدثنا موسى بن ابراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الانصارى قال : سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصمة الانصارى ثم السلمى قال : سمعت جابر بن عبد الله قال : نظر إلىّ رسول الله (ص) فقال « مالى أراك مهتماً ؟ قال : قلت يارسول الله قتل أبى وترك ديناً وعيالا ، فقال : ألا أخبرك ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب وإنه كلم أباك كفاحاً وقال له ياعبدى سلنى أعطك . فقال : أسألك أن تردنى الى الدنيا فأقتل فيك ثانية ، فقال : إنه قد سبق منى القول : انهم اليها لايرجعون . قال يارب : فأبلغ من ورائى . فأنزل الله [ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون] الآية . وقال ابن اسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا عن عبد الله بن محمد بن عقيل سمعت جابراً يقول : قال رسول الله (ص) « ألا أبشرك ياجابر ؟ قلت بلى ، قال : إن أباك حيث أصيب بأحد أحياه الله ثم قال له : ماتحب ياعبد الله ماتحب أن أفعل بك ؟ قال : أى رب أحب أن تردنى الى الدنيا فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى » وقد رواه أحمد عن على بن المدينى عن سفيان بن عيينة عن محمد بن على بن ربيعة السلمى عن ابن عقيل عن جابر ، وزاد : فقال الله إنى قضيت أنهم اليها لايرجعون . وقال أحمد : حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن ابن اسحاق حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن عبد الله عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله (ص) يقول اذا ذكر أصحاب أحد « أما والله لوددت أنى غودرت مع أصحابه بحضن الجبل » يعنى سفح الجبل ، تفرد به أحمد . وقد روى البيهقى من حديث عبد الاعلى بن عبد الله بن أبى فروة عن قطن بن وهب عن عبيد بن عمير عن أبى هريرة

أن رسول الله (ص.) حين انصرف من أحد مرّ على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه فوقف عليه فدعا له ثم قرأ [من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه] الآية قال « أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزوروهم والذى نفسى بيده لا يسلم عليهم أحد الى يوم القيامة إلا ردّوا عليه » وهذا حديث غريب ، وروى عن عبيد بن عمير مرسلا . وروى البيهقى من حديث موسى بن يعقوب عن عباد بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة قال : كان النبى (ص.) يأتى قبور الشهداء فاذا أتى فرضة الشعب قال « السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » ثم كان أبو بكر بعد النبى (ص.) يفعله وكان عمر بعد أبى بكر يفعله وكان عثمان بعد عمر يفعله. قال الواقدى : كان النبى (ص.) يزورهم كل حول فاذا بلغ نقرة الشعب يقول « السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » ثم كان أبو بكر يفعل ذلك كل حول ثم عمر ثم عثمان ، وكانت فاطمة بنت رسول الله (ص.) تأتيهم فتبكى عندهم وتدعو لهم ، وكان سعد يسلم ثم يقبل على أصحابه فيقول : ألا تسلمون على قوم يردّون عليكم . ثم حكى زيارتهم عن أبى سعيد وأبى هريرة وعبد الله بن عمر وأم سلمة رضى الله عنهم . وقال ابن أبى الدنيا حدثنى ابراهيم حدثنى الحكم بن نافع حدثنا العطاف بن خالد حدثتنى خالتى قالت : ركبت يوماً الى قبور الشهداء — وكانت لا تزال تأتيهم — فنزلت عند حمزة فصليت ما شاء الله ان أصلى وما فى الوادى داع ولا مجيب إلا غلاماً قائماً آخذاً برأس دابتى فلما فرغت من صلاتى قلت هكذا بيدى « السلام عليكم » قالت فسمعت ردّ السلام علىّ يخرج من تحت الارض أعرفه كما أعرف أن الله عز وجل خلقنى وكما أعرف الليل والنهار فاقشعرّت كل شعرة منى . وقال محمد بن اسحاق عن اسماعيل بن أمية عن أبى الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال النبى (ص.) « لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا أنا أحياء فى الجنة نرزق لئلا ينكلوا عن الحرب ولا يزهدوا فى الجهاد . فقال الله عز وجل : أنا ابلغهم عنكم فأنزل الله فى الكتاب قوله تعالى [ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون] . وروى مسلم والبيهقى من حديث أبى معاوية عن الاعمش عن عبد الله بن مرّة عن مسروق قال : سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فقال : اما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله (ص.) فقال « ارواحهم فى جوف طير خضر تسرح فى ايها شاءت ثم تأوى الى قناديل معلقة بالعرش ، قال فبينما هم كذلك إذ اطلع عليهم ربك اطلاعة ، فقال : اسألونى ماشئتم . فقالوا يا ربنا وما نسألك ونحن نسرح فى الجنة فى أيها شئنا ،

ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أن لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : نسألك أن ترد أرواحنا الى أجسادنا فى الدنيا نقتل فى سبيلك مرة أخرى . قال : فلما رأى أنهم لايسألون إلا هذا تركوا

فصل فى عدد الشهداء . قال موسى بن عقبة جميع من استشهد يوم أحد من المهاجرين والانصار تسعة وأربعون رجلا وقد ثبت فى الحديث الصحيح عند البخارى عن البراء أنهم قتلوا من المسلمين سبعين رجلا فالله أعلم . وقال قتادة عن أنس قتل من الانصار يوم أحد سبعون ويوم بئر معونة سبعون ويوم اليمامة سبعون . وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس انه كان يقول قارب السبعين يوم أحد ويوم بئر معونة ويوم مؤتة ويوم اليمامة . وقال مالك عن يحيى بن سعيد الانصارى عن سعيد بن المسيب قتل من الانصار يوم أحد ويوم اليمامة سبعون ويوم جسر أبى عبيد سبعون وهكذا قال عكرمة وعروة والزهرى ومحمد بن اسحاق فى قتلى أحد ويشهد له قوله تعالى [أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا] يعنى أنهم قتلوا يوم بدر سبعين وأسروا سبعين وعن ابن اسحاق قتل من الانصار — لعله من المسلمين — يوم أحد خمسة وستون أربعة من المهاجرين حمزة وعبد الله بن جحش ومصعب بن عمير وشماس بن عثمان والباقون من الانصار وسرد أسماءهم على قبائلهم وقد استدرك عليه ابن هشام زيادة على ذلك خمسة آخرين فصاروا سبعين على قول ابن هشام وسرد ابن اسحاق أسماء الذين قتلوا من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلا . وعن عروة كان الشهداء يوم أحد أربعة أو قال سبعة وأربعين وقال موسى بن عقبة تسعة وأربعون وقتل من المشركين يومئذ ستة عشر رجلا وقال عروة تسعة عشر وقال ابن اسحاق اثنان وعشرون وقال الربيع عن الشافعى ولم يؤسر من المشركين سوى أبى عزّة الجمحى وقد كان فى الاسارى يوم بدر فمن عليه رسول الله (ص) بلا فدية واشترط عليه ألا يقاتله فلما أسر يوم أحد قال يامحمد امنن على لبناتى وأعاهد أن لا أقاتلك فقال له رسول الله (ص) لا أدعك تمسح عارضيك بمكة وتقول خدعت محمداً مرتين ثم أمر به فضربت عنقه. وذكر بعضهم أنه يومئذ قال رسول الله (ص) « لايلدغ المؤمن من جحر مرتين »

فصل قال ابن اسحق ثم انصرف رسول الله (ص) الى المدينة فلقيته حمنة بنت جحش كما ذكر لى فلما لقيت الناس نعى اليها أخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت له ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولت فقال رسول الله (ص) « ان زوج المرأة منها لبمكان » لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها وصياحها على زوجها. وقد قال ابن ماجه : حدثنا محمد بن يحيى حدثنا اسحاق بن محمد الفروى حدثنا عبد الله بن عمر عن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جحش عن أبيه عن حمنة بنت جحش انه

قيل لها : قتل أخوك . فقالت : رحمه الله وانا لله وانا اليه راجعون . فقالوا : قتل زوجك قالت : واحزناه . فقال رسول الله (ص) : « ان للزوج من المرأة لشعبة ماهى لشئ » قال ابن اسحاق : وحدثنى عبد الواحد بن أبى عون عن اسماعيل عن محمد عن سعد بن أبى وقاص قال : مرّ رسول الله (ص) بامرأة من بنى دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله (ص) بأحد فلما نُعوا لها قالت : مافعل رسول الله (ص) ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتى أنظر اليه ، قال : فأشير لها اليه حتى اذا رأته قالت : كل مصيبه بعدك جلل . قال ابن هشام : الجلل يكون من القليل والكثير وهو ههنا القليل . قال امرؤ القيس :

لَقتلُ بني أَسَدٍ ربَّهم ألا كُلُّ شيءٍ خلاهُ جَلَل

أى صغير وقليل . قال ابن اسحاق : فلما انتهى رسول الله (ص) الى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال: « اغسلى عن هذا دمه يابنيَّة ، فوالله لقد صدقنى فى هذا اليوم » وناولها على بن أبى طالب سيفه فقال : وهذا فاغسلى عنه دمه فوالله لقد صدقنى اليوم . فقال رسول الله (ص) : « لئن كنت صدقت القتال لقد صدقه معك سهل بن حنيف وأبو دجانة » وقال موسى بن عقبة فى موضع آخر: ولما رأى رسول الله (ص) سيف على مخضباً بالدماء قال : « لئن كنت أحسنت القتال فقد أحسن عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف » وروى البيهقى عن سفيان ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال : جاء على بن أبى طالب بسيفه يوم أحد قد انحنى فقال لفاطمة : هاك السيف حميداً فانها قد شفتنى ، فقال رسول الله (ص) : « لئن كنت أجدت الضرب بسيفك لقد أجاده سهل بن حنيف وأبو دجانة وعاصم بن ثابت والحارث ابن الصمة » قال ابن هشام : وسيف رسول الله (ص) هذا هو ذو الفقار ، قال : وحدثنى بعض أهل العلم عن ابن أبى نجيح قال : نادى منادٍ يوم أحد لاسيف الا ذو الفقار ، قال : وحدثنى بعض أهل العلم ان رسول الله (ص) قال لعلى : « لايصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا » قال ابن اسحاق : ومرّ رسول الله (ص) بدار بنى عبد الاشهل فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم فذرفت عينا رسول الله (ص) ثم قال : « لكن حمزة لابواكى له » فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير الى دار بنى عبد الاشهل أمرا نساءهن أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله (ص) . فحدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن بعض رجال بنى عبد الاشهل قال : لما سمع رسول الله (ص) بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن فى باب المسجد يبكين فقال : « ارجعن يرحمكن الله فقد آسيتن بأنفسكن » قال : ونهى رسول الله (ص) يومئذ عن النوح فيما قال ابن هشام ، وهذا الذى ذكره منقطع ومنه مرسل وقد أسنده الامام أحمد فقال: حدثنا زيد بن الحباب حدثنى أسامة بن

زيد حدثنى نافع عن ابن عمر ان رسول الله (ص) لما رجع من أحد فجعل نساء الانصار يبكين على من قتل من أزواجهن قال: فقال رسول الله (ص): « ولكن حمزة لابواكى له » قال: ثم نام فاستنبه وهن يبكين قال: « فهن اليوم اذاً يبكين يندبن حمزة » وهذا على شرط مسلم. وقد رواه ابن ماجه عن هارون بن سعيد عن ابن وهب عن أسامة بن زيد الليثى عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) مرَّ بنساء بنى عبد الاشهل يبكين هلكاهن يوم أُحد فقال رسول الله (ص): « لكن حمزة لابواكى له » فجاء نساء الانصار يبكين حمزة فاستيقظ رسول الله (ص) فقال: « ويحهن ما انقلبن بعد مرورهن فلينقلبن ولا يبكين على هالك بعد اليوم » وقال موسى بن عقبة: ولما دخل رسول الله (ص) أزقة المدينة اذا النوح والبكاء فى الدور قال: « ماهذا » قالوا: هذه نساء الانصار يبكين قتلاهم فقال: « لكن حمزة لابواكى له » واستغفر له فسمع ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وعبد الله بن رواحة فمشوا الى دورهم فجمعوا كل نائحة باكية كانت بالمدينة فقالوا: والله لاتبكين قتلى الانصار حتى تبكين عم النبى (ص) فانه قد ذكر أنه لابواكى له بالمدينة. وزعموا ان الذى جاء بالنوائح عبد الله بن رواحة فلما سمع رسول الله (ص) قال: « ماهذا » فأخبر بما فعلت الانصار بنسائهم فاستغفر لهم وقال لهم خيرا وقال: « ماهذا أردت، وما أحب البكاء » ونهى عنه. وهكذا ذكر ابن لهيعة عن أبى الاسود عن عروة بن الزبير سواء. قال موسى بن عقبة: وأخذ المنافقون عند بكاء المسلمين فى المكر والتفريق عن رسول الله (ص) وتحزين المسلمين وظهر غش اليهود وفارت المدينة بالنفاق فور المرجل وقالت اليهود: لو كان نبياً ماظهروا عليه ولا أصيب منه ما أصيب ولكنه طالب ملك تكون له الدولة وعليه، وقال المنافقون مثل قولهم وقالوا للمسلمين: لو كنتم أطعتمونا ما أصابكم الذين أصابوا منكم فأنزل الله القرآن فى طاعة من أطاع ونفاق من نافق وتعزية المسلمين يعنى فيمن قتل منهم فقال: « واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم » الآيات كلها كما تكلمنا على ذلك فى التفسير ولله الحمد والمنة

خروج النبي (ص) بأصحابه

على ما بهم من القرح والجراح في اثر ابي سفيان

قال موسى بن عقبة بعد اقتصاصه وقعة أحد وذكره رجوعه عليه السلام الى المدينة: وقدم رجل من أهل مكة على رسول الله (ص) فسأله عن أبى سفيان وأصحابه فقال: نازلتهم فسمعتهم يتلاومون ويقول بعضهم لبعض: لم تصنعوا شيئاً أصبتم شوكة القوم وحدهم ثم تركتموهم ولم

تبتروهم فقد بقى منهم رءوس يجمعون لكم ، فأمر رسول الله (ص.) — وبهم أشد القرح — بطلب العدوّ ليسمعوا بذلك وقال : لاينطلقنّ معى إلا من شهد القتال . فقال عبد الله بن أبىّ : أنا راكب معك . فقال لا ، فاستجابوا لله ولرسوله على الذى بهم من البلاء فانطلقوا . فقال الله في كتابه :

[الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم]

قال وأذن رسول الله (ص.) لجابر حين ذكر أن أباه أمره بالمقام فى المدينة على اخواته ، قال وطلب رسول الله (ص.) العدو حتى بلغ حمراء الاسد . وهكذا روى ابن لهيعة عن أبى الاسود عن عروة ابن الزبير سواء . وقال محمد بن اسحاق فى مغازيه : وكان يوم أحد يوم السبت النصف من شوال فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذّن مؤذن رسول الله (ص.) فى الناس بطلب العدوّ وأذّن مؤذنه ألاّ يخرجنّ أحد إلا من حضر يومنا بالأمس ، فكلمه جابر بن عبد الله فأذن له . قال ابن اسحاق : وإنما خرج رسول الله (ص.) مرهباً للعدوّ ليبلغهم أنه خرج فى طلبهم ليظنوا به قوة وأن الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوّهم . قال ابن اسحاق رحمه الله : فحدثنى عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان أن رجلا من بنى عبد الاشهل قال :شهدت أحداً أنا وأخ لى فرجعنا جريحين ، فلما أذّن مؤذن رسول الله (ص.) بالخروج فى طلب العدو قلت لأخى وقال لى : أتفوتنا غزوة مع رسول الله (ص.) ؟ والله مالنا من دابة نركبها وما منّا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله (ص.) وكنت أيسر جرحاً منه ، فكان اذا غُلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا الى ما انتهى اليه المسلمون . قال ابن اسحاق : فخرج رسول الله (ص.) حتى انتهى الى حمراء الأسد وهى من المدينة على ثمانية أميال فأقام بها الاثنين والثلاثاء والاربعاء ثم رجع الى المدينة . قال ابن هشام : وقد كان استعمل على المدينة ابن أم مكتوم . قال ابن اسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر معبد بن أبى معبد الخزاعى وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عَيبة رسول الله (ص.) بتهامة صَفقتهم معه لايخفون عنه شيئاً كان بها ، ومعبد يومئذ مشرك مرّ برسول الله (ص.) وهو مقيم بحمراء الأسد فقال : يامحمد أما والله لقد عز علينا ماأصابك فى أصحابك ولوددنا أن الله عافاك فيهم ، ثم خرج من عند رسول الله (ص.) بحمراء الأسد حتى لقى أبا سفيان ابن حرب ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة الى رسول الله (ص.) وأصحابه وقالوا : أصبنا حد أصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرّن على بقيتهم فلنفرغن منهم . فلما رأى أبو سفيان معبداً قال : ماوراءك يامعبد ؟ قال : محمد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم وندموا على ماصنعوا ، فيهم من الحنق عليكم شئ لم أر مثله قط . قال ويلك ماتقول ؟ قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصى الخيل . قال فوالله لقد أجمعنا الكرّة عليهم لنستأصل شأفتهم ، قال فانى أنهاك عن ذلك ، ووالله لقد

حملني ما رأيتُ على أن قلت فيه أبياتاً من شعر . قال وما قلت ؟ قال قلت :

كادت تُهدُّ من الأصواتِ راحلتي إذ سالتِ الارضُ بالجُرْد الأبابيل
تُردَى بأُسْد كرامٍ لاتنابلةٍ عند اللقاء ولا مِيلٍ معازيل
فظلْتُ عَدْواً أظنّ الارضَ مائلةً لما سَمَوا برئيسٍ غيرِ مخذول
فقلتُ ويلَ ابنِ حربٍ من لقائكمُ اذا تغطمطت البطحاء بالجيل
إني نذيرٌ لأهلِ البَسْلِ ضاحيةً لكل ذي أرْبَةٍ منهم ومعقول
من جيشِ أحمدَ لا وخشٌ قنابلُه وليسَ يوصَف ما أنذرتُ بالقِيل

قال فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه . ومرّ به ركب من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا المدينة ،قال: ولم ؟ قالوا نريد الميرة ؟ قال : فهل أنتم مبلغون عنى محمداً رسالة أرسلكم بها اليه واحمل لكم ابلكم هذه غداً زبيباً بعكاظ اذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم. قال : فاذا وافيتموه فاخبروه انا قد أجمعنا السير اليه والى أصحابه لنستأصل بقيتهم . فمر الركب برسول الله (ص.) وهو بحمراء الأسد فاخبروه بالذى قال أبو سفيان ،فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل . وكذا قال الحسن البصرى . وقد قال البخارى حدثنا أحمد بن يونس أراه قال حدثنا أبو بكر عن أبى حصين عن أبى الضحي عن ابن عباس : حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار وقالها محمد (ص.) حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . تفرد بروايته البخارى وقد قال البخارى : حدثنا محمد بن سلام حدثنا أبو معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها [الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم] قالت لعروة :يا ابن أختى كان أبواك منهم الزبير وأبو بكر رضى الله عنهما لما أصاب رسول الله (ص.) ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا فقال من يذهب فى اثرهم . فانتدب منهم سبعون رجلا فيهم أبو بكر والزبير . هكذا رواه البخارى وقد رواه مسلم مختصراً من وجه عن هشام وهكذا رواه سعيد بن منصور وأبو بكر الحميدى جميعاً عن سفيان بن عيينة . وأخرجه ابن ماجه من طريقه عن هشام بن عروة به . ورواه الحاكم فى مستدركه من طريق أبى سعيد عن هشام ابن عروة به ورواه من حديث السدى عن عروة وقال فى كل منهما صحيح ولم يخرجاه . كذا قال . وهذا السياق غريب جداً فان المشهور عند أصحاب المغازى ان الذين خرجوا مع رسول الله (ص.) الى حمراء الاسد كل من شهد أحداً وكانوا سبعمائة كما تقدم قتل منهم سبعون و بقى الباقون . وقد روى ابن جرير من طريق العوفى عن ابن عباس قال : ان الله قذف فى قلب أبى سفيان الرعب يوم أحد بعد الذى كان منه فرجع الى مكة وكانت وقعة أحد فى شوال وكان التجار يقدمون فى ذى القعدة المدينة فينزلون ببدر الصغرى فى كل سنة مرة وانهم قدموا بعد وقعة أحد وكان اصاب المسلمين

القرح واشتكوا ذلك الى رسول الله (ص.) واشتد عليهم الذى أصابهم وإن رسول الله (ص.) ندب الناس لينطلقوا بهم ويتبعوا ما كانوا متعبين وقال لنا ترتحلون الآن فتأتون الحج ولا يقدرون على مثلها حتى عام قابل فجاء الشيطان يخوف أولياءه فقال ان الناس قد جمعوا لكم فأبى عليه الناس أن يتبعوه فقال انى ذاهب وإن لم يتبعنى أحد فانتدب معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة وابن مسعود وحذيفة فى سبعين رجلا فساروا فى طلب أبى سفيان حتى بلغوا الصفراء فأنزل الله [الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم] وهذا غريب أيضاً وقال ابن هشام: حدثنى أبو عبيدة أن أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد أراد الرجوع الى المدينة فقال لهم صفوان بن أميه لا تفعلوا فان القوم قد حربوا وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذى كان فارجعوا فرجعوا فقال النبى (ص.) وهو بحمراء الاسد حين بلغه أنهم هموا بالرجعة « والذى نفسى بيده لقد سُوّمت لهم حجارة لو صبحوا بها لكانوا كأمس الذاهب » قال: وأخذ رسول الله (ص.) فى وجهه ذلك قبل رجوعه المدينة معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس جد عبد الملك بن مروان لا... ئشة بنت معاوية وأبا عزّة الجمحى وكان رسول الله (ص.) قد أسره ببدر ثم منّ عليه فقال يا رسول الله أقلنى، فقال: لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمداً مرتين، اضرب عنقه يا زبير، فضرب عنقه. قال ابن هشام: وبلغنى عن ابن المسيب أنه قال: قال رسول الله (ص.) « ان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت، فضرب عنقه » وذكر ابن هشام أن معاوية بن المغيرة بن أبى العاص استأمن له عثمان على أن لا يقيم بعد ثلاث فبعث رسول الله (ص.) بعدها زيد بن حارثة وعمار بن ياسر وقال: ستجدانه فى مكان كذا وكذا فاقتلاه ففعلا رضى الله عنهما. قال ابن اسحاق: ولما رجع رسول الله (ص.) الى المدينة كان عبد الله بن أبىّ كما حدثنى الزهرى له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر له شرفا فى نفسه وفى قومه وكان فيهم شريفاً اذا جلس رسول الله (ص.) يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال: أيها الناس، هذا رسول الله بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا. ثم يجلس حتى اذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع الناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون ثيابه من نواحيه وقالوا اجلس أى عدو الله والله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطّى رقاب الناس وهو يقول والله لكأنما قلت بُجراً أن قمت أشدد أمره. فلقيه رجال من الانصار بباب المسجد فقالوا: ويلك مالك؟ قال: قمت أشدد أمره فوثب الى رجال من أصحابه يجبذوننى ويعنفوننى لكأنما قلت بُجراً أن قمت أشدد أمره. قالوا ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله (ص.). قال: والله ما أبغى

أن يستغفر لى . ثم ذكر ابن اسحاق ما نزل من القرآن فى قصة أحد من سورة آل عمران عند قوله [واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم] قال الى تمام ستين آية. وتكلم عليها ، وقد بسطنا الكلام على ذلك فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية . ثم شرع ابن اسحاق فى ذكر شهداء أحد وتعدادهم بأسمائهم وأسماء آبائهم على قبائلهم كما جرت عادته فذكر من المهاجرين أربعة حمزة ومصعب بن عمير و عبد الله بن جحش وشماس بن عثمان رضى الله عنهم ومن الانصار الى تمام خمسة وستين رجلا واستدرك عليه ابن هشام خمسة أخرى فصاروا سبعين على قول ابن هشام ثم سمى ابن اسحاق من قتل من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلا على قبائلهم أيضاً . قلت : ولم يؤسر من المشركين سوى أبى عزة الجمحى كما ذكره الشافعى وغيره وقتله رسول الله (ص) صبراً بين يديه أمر الزبير - ويقال عاصم بن ثابت بن أبى الافلح - فضرب عنقه

فصل

فيما تقاول به المؤمنون والكفار في وقعة أحد من الاشعار

وانما نورد شعر الكفار لنذكر جوابها من شعر الاسلام ليكون أبلغ فى وقعها من الاسماع والافهام وأقطع لشبهة الكفرة الطغام . قال الامام محمد بن اسحاق رحمه الله وكان مما قيل من الشعر يوم أحد قول هبيرة بن أبى وهب المخزومى وهو على دين قومه من قريش فقال :

ما بالُ همٍّ عميدٍ باتَ يطرقني ... بالود من هندَ اذ تعدو عواديها
باتت تعاتبني هندٌ وتعذلني ... والحربُ قد شغلت عني مواليها
مهلاً فلا تعذليني ان من خُلُقي ... ما قدعلمتِ وما ان لستُ أُخفيها
مساعفٌ لبني كعبٍ بما كلِفوا ... حمّالُ عبءٍ وأثقالٍ أعانيها
وقد حملتُ سلاحي فوق مُشْتَرِفٍ ... ساطٍ سَبوحٍ اذا يجري يباريها
كأنهُ اذ جرى عَيْرٌ بفدفدةٍ ... مكدّمٌ لاحقٌ بالعُون يحميها
من آل أعوجَ يرتاحُ النديُّ له ... كجذع شعْراءَ مستعلٍ مراقيها
أُعددتُه ورقاقَ الحدّ منتخلاً ... ومارناً لخطوبٍ قد ألاقيها
هذا وبيضاءُ مثلُ النَّهي مُحكَمةٌ ... لظَّت عليَّ فما تبدو مساويها
سُقْنا كنانةَ من أطراف ذي يمَنٍ ... عرضَ البلادِ على ما كانَ يزجيها
قالت كنانةُ أنّى تذهبونَ بنا ... قلنا النخيلُ فأمُّوها ومن فيها

نحن الفوارسُ يوم الجرّ من أُحد ... هابتْ معدٌّ فقلنا نحن نأتيها
هابوا ضِراباً وطعناً صادقاً خَذِماً ... مما يرون وقد ضُمَّت قواصيها
ثُمّتَ رحنا كأنا عارضٌ بُرِدٌ ... وقام هامُ بني النجّار يبكيها
كأن هامَهم عند الوغى فَلَقٌ ... من قَيْض رُبدٍ نفته عن أداحيها
أو حنظلٌ دعدعتْه الريحُ فى غصُن ... بالٍ تَعاوَرُه منها سوافيها
قد نبذل المالَ سحّاً لا حسابَ له ... و نطعنُ الخيلَ شَزْراً فى مآقيها
وليلةٍ يصطلي بالفرثِ جازرُها ... يختصّ بالنَّقَرى المثرين داعيها
وليلةٍ من جُمادى ذاتِ أنديةٍ ... جرْباً جُماديّةٍ قد بتُّ أسريها
لا ينبحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ ... من القَريسِ ولا تَسْري أفاعيها
أوقدتُ فيها لذي الضرّاء جاحمةً ... كالبرقِ ذاكيةَ الأركانِ أحميها
أورثني ذلكم عمروٌ ووالدُه ... من قبلِه كان بالمشتى يُغاليها
كانوا يُبارونَ أنواءَ النجومِ فما ... دَنَتْ عن السَوْرةِ العَليا مساعيها

قال ابن اسحاق فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال (قال ابن هشام : وتروى ابن مالك وغيره . قلت وقول ابن اسحاق أشهر وأكثر والله أعلم) :

سُقتم كنانةَ جهلاً من سفاهتكم ... الى الرسول فجندُ الله مُخزيها
أوردتموها حياضَ الموت ضاحيةً ... فالنارُ موعدُها والقتلُ لاقيها
جمعتُموهم أحابيشاً بلا حَسَبٍ ... أئمةَ الكفرِ غرَّتكم طواغيها
ألا اعتبرتم بخيلِ الله إذ قَتلت ... أهلَ القليبِ ومَن ألقينَه فيها
كم من أسيرٍ فككناهُ بلا ثمنٍ ... وجزِّ ناصيةٍ كنّا مواليها

قال ابن اسحاق : وقال كعب بن مالك يجيب هبيرة بن أبى وهب المخزومى أيضاً :

ألا هل أتى غسّانَ عنّا ودُونهم ... منَ الأرضِ خَرْقٌ سيرُهُ متنعنِع
صحارى وأعلامٌ كأنَّ قتامَها ... من البُعدِ نَقْعٌ هامدٌ متقطع
تظل به البُزْلُ العراميس رُزَّحاً ... ويخلو به غيثُ السنين فيمرع
به جِيَفُ الحسرى يلوحُ صَليبها ... كما لاحَ كتّانُ التِّجارِ الموضَّع
به العِينُ والآرام يمشين خِلفةً ... وبيضُ نعامٍ قيضُه يتقلّع
مُجالدُنا عن ديننا كلُّ فخمةٍ ... مُذرَّبةٍ فيها القوانسُ تلمع
وكلُّ صموتٍ فى الصِّوان كأنها ... اذا لبستْ نهيٌ من الماء مُترع

ولكن بيدرٍ سائلوا من لقيتمُ ... من الناس والأنباءُ بالغيبِ تنفع
وانّا بأرض الخوفِ لو كانَ أهلُها ... سِوانا لقد أجلوا بليلٍ فأقشعوا
اذا جاء منّا راكبٌ كان قولُه ... أعِدّوا لما يزجي ابنُ حربٍ ويجمع
فمها يهمُّ الناسُ مما يكيدُنا ... فنحن له من سائر الناس أوسع
فلو غيرُنا كانت جميعاً تكيدُه البريّةُ قد أعطوا يداً وتوزّعوا
نُجالدُ لاتبقى علينا قبيلةٌ ... من الناس إلاّ أن يهابوا ويفظعوا
ولما ابتنَوا بالعِرضِ قالت سُراتنا ... علامَ إذا لم نمنع العِرضَ نزرع
وفينا رسولُ الله نتّبِع أمره ... اذا قال فينا القولَ لانتظلع
تدلّى عليه الروحُ من عند ربه ... ينزّل من جوّ السماء ويُرفع
نُشاوره فيما نريد وقصرُنا ... اذا ما اشتهى أنّا نطيع ونسمع
وقال رسولُ الله لمّا بدوا لنا ... ذروا عنكمُ هَوْلَ المنيّات واطمعوا
وكونوا كمن يَشري الحياةَ تقرُّباً ... الى مَلِكٍ يحيا لديه ويرجع
ولكن خُذوا أسيافَكم وتوكّلوا ... على الله إن الأمرَ لله أجمع
فسِرْنا اليهم جهرةً فى رحالهم ... ضُحَيّا علينا البِيضُ لانتخشع
بملمومةٍ فيها السنوّر والقَنا ... اذا ضَربوا أقدامها لاتورّع
فجئنا الى موجٍ من البحر وسْطُه ... أحابيشُ منهم حاسرٌ ومُقنّع
ثلاثةُ آلافٍ ونحن نصيّة ... ثلاثُ مئينٍ إن كَثُرْنا فأربع
نُغاورهم نجري المنيّةَ بيننا ... نشارعُهم حوضَ المنايا ونشرع
تَهادى قسيُّ النَّبْع فينا وفيهمُ ... وما هو إلا اليثربيّ المقطع
ومنجوفةٌ حرميّةٌ صاعدية ... يذرّ عليها السمّ ساعة تصنع
تَصُوبُ بأبدان الرجال وتارةً ... تمرّ بأعراضِ البِصارِ تُقعقع
وخيلٌ تراها بالفضاء كأنها ... جرادُ صَبا في قَرّةٍ يتريّع
فلمّا تلاقينا ودارت بنا الرحا ... وليس لأمرٍ حمّه اللهُ مَدفع
ضربناهمُ حتى تركنا سَراتَهم ... كأنهمُ بالقاعِ خُشبٌ مصرع
لدن غدوةٍ حتى استفقْنا عشيةً ... كأنّ ذُكانا حرُّ نارٍ تلفّع
وراحوا سِراعاً موجَعين كأنهم ... جهامٌ هراقتْ ماءه الريحُ مُقلِع
ورحنا وأُخرانا بطاءٌ كأننا ... أسود على لحم ببيشةَ ضُلّع

فنلنا ونال القومُ منّا وربما ... فَعلنا، ولكن ما لدى الله أوسع
ودارتْ رَحانا واستدارت رحاهمُ ... وقد جعلوا، كلٌّ من الشرّ يشبع
ونحن أناسٌ لانرى القتلَ سُبّةً ... على كل من يحمي الذمارَ ويمنع
جِلادٌ على رَيْبِ الحوادث لانرى ... على هالكٍ عيناً لنا الدهرَ تدمع
بنو الحربِ لانعيا بشيء نقولُه ... ولانحنُ مما جرَّتِ الحربُ نجزع
بنو الحربِ إن نظفرْ فلسنا بفحّشٍ ... ولا نحن من أظفارِنا نتوجع
وكنّا شهاباً يتقي الناسُ حرَّه ... ويُفرِج عنه مَن يليه ويسفع
فخرتَ عليَّ ابن الزِّبعْرى وقد سرى ... لكم طلبٌ من آخرِ الليل متّبع
فسلْ عنك فى عليا معَدٍ وغيرها ... من الناس من أخزى مقاماً وأشنع
ومن هو لم يتركْ له الحربَ مفخراً ... ومن خدُّه يومَ الكريهة أضرع
شددْنا بحول الله والنصرِ شَدّةً ... عليكم وأطرافُ الأسنّةِ شرَّع
تَكرُّ القنا فيكم كأنَّ فروعَها ... عزالى مزادٍ ماؤُها يتهزَّع
عمدْنا الى أهلِ اللواءِ ومن يَطِرْ ... بذكْرِ اللواءِ فهو فى الحمدِ أسرع
فخانوا وقد أعطوا يداً وتخاذلوا ... أبى اللهُ إلا أمرَه وهو أصنع

قال ابنُ اسحاق: وقال عبدُ الله بنُ الزِّبَعْرى فى يوم أُحُد وهو يومئذ مشرك بعد:

يا غُرابَ البَين أسمعتَ فقلْ ... إنما تَنطق شيئاً قد فُعلْ
إن للخير وللشرّ مَدًى ... وكلا ذلك وَجهٌ وقُبلْ
والعطيّاتُ خِساسٌ بينهم ... وسواءٌ قبرُ مُثرٍ ومُقِلّ
كلُّ عيش ونعيمٍ زائلٌ ... وبناتُ الدهر يلعبن بكل
أبلغا حسّانَ عني آيةً ... فقريضُ الشعرِ يشفي ذا الغُلل
كم ترى بالجرّ من جمجمةٍ ... وأكفٍّ قد أُترّت ورِجِل
وسرابيل حسانٍ سرّيت ... عن كماةٍ أُهلكوا فى المنتزَل
كم قتلنا من كريم سيّدٍ ... ماجدِ الجدَّين مِقدامٍ بطل
صادقِ النجدة قِرْمٍ بارعٍ ... غيرِ ملتاثٍ لدى وقْع الأسل
فسل المِهراسَ ما ساكنُهُ ... بين أقحافٍ وهامٍ كالحَجَل
ليتَ أشياخي ببدرٍ شهدوا! ... جزَعَ الخزرج من وقْع الاسل
حين حكّت بقُباءٍ بركَها ... واستحرَّ القتلُ فى عبدِ الاشل

ثم خفّوا عند ذاكم رُقّصاً رَقَصَ الحفّانِ يعلو فى الجبل
فقتلنا الضّعفَ من أشرافهم وعدلنا مَيل بدرٍ فاعتدل
لا ألومُ النفسَ الا أننا لو كررنا لفعلنا المفتعَل
بسيوفِ الهندِ تعلو هامَهم عَلَلاً تعلوهمُ بعدَ نَهَلْ

قال ابن اسحاق : فأجابه حسّان بن ثابت رضى الله عنه :

ذهبتْ بابنِ الزِبعرَى وقعةٌ كانَ منا الفضلُ فيها لو عدل
ولقدْ نلتمْ ونلْنا منكُم وكذاكَ الحربُ أحياناً دُول
نضعُ الاسيافَ فى أكتافكم حيثُ نهوى عَلَلاً بعد نَهَل
نخرجُ الأصبحَ من أستاهكم كسلاحِ النِّيبِ يأكلْنَ العصل
إذْ تولّونَ على أعقابكم هرَباً فى الشّعبِ أشباهَ الرسَل
إذ شددنا شدّةً صادقةً فأجأناكم الى سفحِ الجبل
بخناطيلَ كأشداقِ الملا من يلاقوهُ منَ الناسِ يهل
ضاقَ عنا الشّعبُ إذ نجزعهُ وملأنا الفرطَ منهُ والرجل
برجالٍ لستمُ أمثالَهم أيّدوا جبريلَ نصراً فنزل
وعلونا يومَ بدرٍ بالتقى طاعةِ الله وتصديقِ الرُسُل
وقتلنا كلَّ رأسٍ منهم وقتلنا كلَّ جحجاحٍ رفل
وتركنا فى قريشٍ عورةً يومَ بدرٍ وأحاديثِ المثل
ورسولُ اللهِ حقاً شاهداً يومَ بدرٍ والتنابيلِ الهبل
فى قريشٍ من جموعٍ جمعوا مثل مايُجمعُ فى الخصبِ الهمل
نحنُ لا أمثالكم وُلدُ استِها نحضرُ البأسَ إذا البأسُ نزل

قال ابن اسحق وقال كعب يبكى حمزة ومن قتل من المسلمين يوم أحد رضى الله عنهم :

نشجتَ وهلْ لكَ من منشجٍ وكنتَ متى تذّكرْ تلجج
تذكُّر قومٍ أتاني لهم أحاديثُ فى الزمنِ الأعوج
فقلبكَ من ذكرهم خافقٌ من الشوقِ والحزنِ المنضج
وقتلاهمُ فى جِنانِ النعيمِ كرامُ المداخلِ والمخرج
بما صبروا تحتَ ظلِّ اللواءِ لواءِ الرسولِ بذي الأضوج
غداة أجابتْ بأسيافها جميعاً بنو الاوسِ والخزرج

وأشياعُ احمدَ إذ شايعوا على الحقِّ ذي النورِ والمنهج
فما برحوا يضربونَ الكماةَ ويمضونَ فى القسطلِ المرهج
كذلكَ حتى دعاهُم مليكٌ الى جنةٍ دوحةِ المولج
وكلهمْ ماتَ حرَّ البلاءِ على ملةِ اللهِ لم يحرج
كحمزةَ لما وفى صادقاً بذى هبةٍ صارمٍ سلجج
فلاقاهُ عبدُ بني نوفلٍ يبربرُ كالجملِ الأدعج
فأوجرهُ حربةً كالشهابِ تلهَّبُ فى اللهبِ الموهج
ونعمانُ أوفى بميثاقهِ وحنظلةَ الخيرِ لم يحنج
عن الحقِ حتى غدتْ روحُه الى منزلٍ فاخرِ الزبرج
أولئك لا مَن ثوى منكمُ من النارِ فى الدركِ المرتج

قال ابن اسحاق وقال حسان بن ثابت يبكى حمزة ومن أصيب من المسلمين يوم أحد وهى على رويّ قصيدة أمية بن أبي الصلت فى قتلى المشركين يوم بدر . قال ابن هشام : ومن أهل العلم بالشعر من ينكر هذه لحسان والله أعلم :

يامىُّ قومي فاندبي بسحيرةٍ شجو النوائح
كالحاملات الوقرِ بالثقلِ الملحّاتِ الدوالح
المعولات الخامشاتِ وجوهَ حُرَّاتٍ صحائح
وكأنَّ سيلَ دموعها الانصابُ تُخضبُ بالذبائح
ينقضنَ أشعاراً لهنَّ هناكَ بادية المسائح
وكأنها أذنابُ خيلٍ بالضحى شمسٌ روامح
من بين مشرورٍ ومجزورٍ يذعذعُ بالبوارح
يبكينَ شجوَ مسَلّباتٍ كدحتهن الكوادح
ولقد أصابَ قلوبَها مجلٌ له جلبٌ قوارح
إذ أقصد الحدثان من كنّا نرجّي إذ نشايح
أصحابَ أُحدٍ غالَهم دهرٌ ألمَّ له جوارح
من كان فارسَنا وحامينا اذا بُعثَ المسالح
ياحمزُ لا واللهِ لا أنساكَ ماصرَّ اللقائح
لمناخِ أيتامٍ وأضيافٍ وأرملةٍ تلامح
ولما ينوبُ الدهرُ فى حربٍ لحربٍ وهي لاقح
يافارساً يامِدْرَهاً ياحمزُ قد كنتَ المصامح
عنّا شديداتِ الخطوبِ إذا ينوبُ لهنَّ فادح
ذكّرتني أسدَ الرسول وذاكَ مِدْرَهُنا المنافح
عنا وكان يُعدُّ إذ عُدَّ الشريفون الجحاجح
يعلو القماقمَ جهرةً سبطَ اليدين أغرَّ واضح
لاطائشٌ رعشٌ ولا ذو علّةٍ بالحملِ آنح
بحرٌ فليس يغبُّ جاراً منه سَيْبٌ أو منادح
أودى شبابُ أُلي الحفائظِ والثقيلونَ المراجح
المطعمونَ اذا المشاتي ما يصفّقهنّ ناضح
لحمَ الجلادِ وفوقه من شحمه شُطبٌ شرائح
ليدافعوا عن جارهم ماراَم ذو الضِّغنِ المكاشح
لهفي لشبّانٍ رُزئناهمْ كأنهمُ المصابح
شُمٌّ بطارقةٌ غطارفةٌ خضارمةٌ مسامح

المشترونَ الحمدَ بالأموالِ انَّ الحمدَ رابح ... والجامزونَ بلُجْمهم يوماً إذا ماصاحَ صائح
مَن كان يرمى بالنواقرِ من زمانٍ غيرِ صالح ... ما أن تزالُ ركابُه يرسمن فى غُبْرٍ صحاصح
راحتْ تبارى وهو فى ركبٍ صدورهمُ رواشح ... حتى تئوبَ له المعالي ليس من فوزِ السفائح
ياحمزُ قد أوحدتني كالعُودِ شذَّ به الكوافح ... أشكو اليكَ وفوقكَ التُّربُ المكوَّرُ والصفائح
من جندلٍ يُلقيه فوقكَ إذ أجاد الضرحَ ضارح ... في واسعٍ يحشُونه بالتُّرب سوَّتهُ الماسح
فعزاؤنا أنّا نقول وقولُنا بُرَحٌ بوارح ... مَن كان أمسى وهو عما أوقعَ الحدثانِ جانح
فليأتِنا فلتبكِ عيناه لِهلكانا النوافح ... القائلينَ الفاعلينَ ذوي السماحة والمادح

من لايزال ندى يديه له طوالَ الدهرِ مائح

قال ابن هشام وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان . قال ابن اسحاق وقال كعب بن مالك يبكى حمزة وأصحابه :

طرقتْ همومُك فالرقاد مسهَّد ... وجزعتَ أن سُلخ الشبابُ الاغيد
ودعتْ فؤادَك للهوى ضمرية ... فهواكَ غَوري وصحْوُكَ مُنجد
فدعِ التمادي فى الغِواية سادراً ... قد كنتَ فى طلب الغواية تفند
ولقد أنى لك أن تناهى طائعاً ... أو تستفيقَ اذا نهاكَ المرشد
ولقد هُددتَ لفقْدِ حمزةَ هدةً ... ظلّتْ بناتُ الجوفِ منها ترعد
ولو انّه فُجعتْ حِراء بمثلِه ... لرأيتَ رأسي صخرها يتبدد
قرم تمكّن فى ذؤابةِ هاشمٍ ... حيثُ النبوَّة والندى والسؤدد
والعاقر الكومَ الجلادَ اذا غدتْ ... ريحٌ يكادُ الماءُ منها يجمد
والتاركُ القِرنَ الكميَّ مجدَّلا ... يومَ الكريهة والقنا يتقصد
وتراه يرفل فى الحديد كأنه ... ذو لبدةٍ شَثْنُ البراثنِ أربد
عمُّ النبيِّ محمدٍ وصفيّه ... وَرَد الحِمامَ فطاب ذاكَ المورد
وأتى المنيةَ معلَماً فى أسرةٍ ... نَصروا النبيَّ ومنهمُ المستشهد
ولقد إخال بذاكَ هنداً بشّرت ... لتُميت داخلَ غصّة لاتبرد
مما صبَحْنا بالعقنقل قومَها ... يوماً تغيبُ فيه عنها الأسعد
وببئر بدرٍ إذ يردُّ وجوههم ... جبريلُ تحت لوائنا ومحمد
حتى رأيت لدى النبى سَراتهم ... قسمين نقتل مَن نشاءُ ونطرد
فأقام بالعَطن المعطَّن منهم ... سبعون عُتبةُ منهم والاسود

وابنَ المغيرة قد ضربْنا ضربةً فوقَ الوريد لها رشاشٌ مزبد
وأميّةُ الجمحيُّ قوَّم مَيْلَه عضبٌ بأيدي المؤمنين مهنّد
فأتاكَ فلّ المشركين كأنهم والخيـلُ تثفنهم نعام شرّد
شتّان من هو فى جهنم ثاوياً أبداً ومن هو فى الجنان مخلد

قال ابن اسحاق : وقال عبد الله بن رَواحة يبكى حمزة وأصحابه يوم أحد . قال ابن هشام : وأنشدنيها أبو زيد لكعب بن مالك فالله أعلم :

بكتْ عيني وحقَّ لها بكاها وما يغني البكاء ولا العويل
على أسَدِ الإلٰه غداةَ قالوا أحمزةُ ذاكمُ الرجل القتيل
أُصيب المسلمون به جميعاً هناكَ وقد أصيب به الرسول
أبا يعلىٰ لك الاركانُ هُدَّت وأنت الماجد البَرُّ الوَصول
عليك سلامُ ربِّك فى جنان مخالطُـها نعيمٌ لا يزول
ألا يا هاشمَ الأخيارِ صبراً فكلُّ فعالكم حسَنٌ جميل
رسولُ الله مصطبرٌ كريم بأمر الله ينطِق إذ يقول
ألا مَن مُبلغٌ عني لُؤيّاً فبعـدَ اليوم دائلةٌ تدول
وقبل اليوم ماعرفوا وذاقوا وقائعَنا بهـا يشفى الغليل
نسيتُم ضَرْبَنا بقليبِ بدرٍ غداةَ أتاكمُ الموت العجيل
غداةَ ثوى أبو جهلٍ صريعاً عليه الطيرُ حائمة تجول
وعتبةُ وابنُـه خرّا جميعاً وشَيبةُ عضّه السيفُ الصقيل
ومتركُنا أُميَّةَ مجلعبّاً وفى حَيزومه لَدِنٌ نبيل
وهامُ بني ربيعة سائلوها ففى أسيافنـا منها فلول
ألا يا هند فابكي لا تملّي فأنتِ الوالهُ العَبرى الهبول
ألا يا هند لاتُبـدي شَماتاً بحمزةَ إنَّ عزّكمُ ذليل

قال ابن اسحاق : وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكى أخاها حمزة بن عبد المطلب وهى أم الزبير عمّة النبى (ص) ورضى الله عنهم أجمعين :

أسائلة أصحـابَ أُحْد مخافة بنات أَبي من أعجَمٍ وخبير
فقال الخبير إنّ حمزةَ قد ثوى وزير رسول الله خيرُ وزير
دعاه إلٰه الحق ذو العرش دعوةً الى جَنّةٍ يحيا بها وسرور

فذلك ماكنّا نرجّي ونرتجي ‏ لحمزة يوم الحشر خيرَ مصير
فوالله لاأنساكَ ماهبّت الصَّبا ‏ بكاءً وحزناً محْضري ومسيرى
على أسد الله الذى كان مِدرهاً ‏ يذودُ عن الاسلام كلّ كَفور
فياليت شِلْوي عند ذاك وأعظمي ‏ لدى أضبُعٍ تعتادنى ونسور
أقول وقد أعلى النعيّ عشيرتى ‏ جزى الله خيراً من أخٍ ونصير

قال ابن اسحاق : وقالت نعم امرأة شماس بن عثمان تبكى زوجها والله أعلم ولله الحمد والمنة :

ياعينُ جودي بفيضٍ غير إبساس ‏ على كريم من الفتيان لبّاس
صعبِ البديهة ميمونٍ نقيبتُه ‏ حمّال ألويةٍ ركّاب أفراس
أقول لما أتى الناعى له جَزِعا ‏ أودى الجوادُ وأودى المُطْعِم الكاسى
وقلتُ لمّا خلت منه مجالسُه ‏ لايبعدُ الله منا قُرب شماس

قال فأجابها أخوها الحكم بن سعيد بن يربوع يعزيها فقال :

اقْنَيْ حياءكِ فى ستر وفى كَرَمٍ ‏ فانما كان شمّاسٌ من الناس
لاتقتلي النفسَ إذ حانت منيّته ‏ فى طاعة الله يومَ الروع والباس
قد كان حمزةُ ليثَ الله فاصطبرى ‏ فذاق يومئذٍ من كأس شماس

وقالت هند بنت عتبة امرأة أبى سفيان حين رجعوا من أحُد :

رجعتُ وفى نفسى بلابلُ جمّة ‏ وقد فاتنى بعضُ الذى كان مطلبى
من أصحاب بدرٍ من قريش وغيرِهم ‏ بني هاشمٍ منهم ومنْ أهلِ يثرب
ولكننى قد نِلتُ شيئاً ولم يكن ‏ كما كنتُ أرجو فى مسيري ومركبى

وقد أورد ابن اسحاق فى هذا أشعاراً كثيرة تركنا كثيراً منها خشية الاطالة وخوف الملالة وفيما ذكرنا كفاية ولله الحمد . وقد أورد الاموى فى مغازيه من الاشعار أكثر مما ذكره ابن اسحاق كما جرت عادته ، لا سيما ههنا فمن ذلك ماذكره لحسان بن ثابت أنه قال : أنه قال فى غزوة أحد فالله أعلم :

طاوَعوا الشيطانَ اذ اخزاهمُ ‏ فاستبان الخِزى فيهم والفشلْ
حين صاحوا صيحةً واحدةً ‏ مع أبى سفيان قالوا اعلُ هُبل
فأجبناهم جميعا كلُّنا ‏ ربّنا الرحمن أعلى وأجَلّ
أثبُتوا تستعملوها مرّةً ‏ من حياضِ الموتِ والموتُ نَهل
واعلموا أنّا اذا ما نَضَحتْ ‏ عن خيال الموت قِدْرٌ تشتعل

وكأن هذه الابيات قطعة من جوابه لعبد الله بن الزبعرى والله أعلم

اخر الكلام على وقعة احد

فصل قد تقدم ما وقع فى هذه السنة الثالثة من الحوادث والغزوات والسرايا، ومن أشهرها وقعة أحد كانت فى النصف من شوال منها، وقد تقدم بسطها ولله الحمد

وفيها فى أحد توفى شهيداً أبو يعلى ويقال أبو عمارة أيضاً حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله (ص.) الملقب بأسد الله وأسد رسوله وكان رضيع النبى (ص.) هو وأبو سلمة بن عبد الاسد أرضعتهم ثويبة مولاة أبى لهب كما ثبت ذلك فى الحديث المتفق عليه، فعلى هذا يكون قد جاوز الخمسين من السنين يوم قتل رضى الله عنهم فانه كان من الشجعان الابطال ومن الصديقين الكبار وقتل معه يومئذ تمام السبعين رضى الله عنهم أجمعين

وفيها عقد عثمان بن عفان على أم كلثوم بنت رسول الله (ص.) بعد وفاة أختها رقية وكان عقده عليها فى ربيع الاول منها وبنى بها فى جمادى الآخرة منها كما تقدم فيها ذكره الواقدى

وفيها قال ابن جرير: ولد لفاطمة بنت رسول الله (ص.) الحسن بن على بن أبى طالب قال: وفيها علقت بالحسين رضى الله عنهم

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر

سنة أربع من الهجرة النبوية

فى المحرم منها كانت سرية أبى سلمة بن عبد الاسد أبى طليحة الاسدى فانتهى الى ما يقال له قطن. قال الواقدى: حدثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد اليربوعى عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبى سلمة وغيره قالوا: شهد أبو سلمة أحداً فجرح جرحاً على عضده فاقام شهراً يداوى فلما كان المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة دعاه رسول الله (ص.) فقال: اخرج فى هذه السرية فقد استعملتك عليها وعقد له لواء وقال: سر حتى تأتى أرض بنى أسد فأغر عليهم، وأوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً، وخرج معه فى تلك السرية خمسون ومائة فانتهى الى أدنى قطن وهو ماء لبنى أسد وكان هناك طليحة الاسدى وأخوه سلمة ابنا خويلد وقد جمعا حلفاء من بنى أسد ليقصدوا حرب النبى (ص.) فجاء رجل منهم الى النبى (ص.) فأخبره بما تمالأوا عليه

فبعث معه أبا سلمة فى سريته هذه . فلما انتهوا الى أرضهم تفرقوا وتركوا نعما كثيراً لهم من الابل والغنم فأخذ ذلك كله أبو سلمة و أسر منهم معه ثلاثة مماليك وأقبل راجعاً الى المدينة فأعطى ذلك الرجل الاسدى الذى دلهم نصيباً وافراً من المغنم ، وأخرج صفى النبى (ص.) عبداً وخمس الغنيمة وقسمها بين أصحابه ثم قدم المدينة . قال عمر بن عثمان فحدثنى عبد الملك بن عبيد عن عبد الرحمن ابن سعيد بن يربوع عن عمر بن أبى سلمة قال : كان الذى جرح أبى أبو اسامة الجشمى فمكث شهراً يداويه فبرأ فلما برأ بعثه رسول الله (ص.) في المحرم يعنى من سنة أربع الى قطن فغاب بضع عشرة ليلة ، فلما دخل المدينة انتقض به جرحه فمات لثلاث بقين من جمادى الاولى . قال عمر : واعتدت أمى حتى خلت اربعة أشهر وعشر ثم تزوجها رسول الله (ص.) ودخل بها فى ليال بقين من شوال فكانت أمى تقول : ما بأس بالنكاح فى شوال و الدخول فيه ، قد تزوجنى رسول الله (ص.) فى شوال وبنى فيه . قال : وماتت أم سلمة فى ذى القعدة سنة تسع وخمسين رواه البيهقى . قلت سنذكر فى أواخر هذه السنة فى شوالها تزويج النبى (ص.) بأم سلمة وما يتعلق بذلك من ولاية الابن أمه فى النكاح ومذاهب العلماء فى ذلك ان شاء الله تعالى و به الثقة

غزوة الرجيع

قال الواقدى : وكانت فى صفر يعنى سنة أربع بعثهم رسول الله (ص.) الى أهل مكة ليخبروه قال والرجيع على ثمانية أميال من عسفان . قال البخارى : حدثنى ابراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف عن معمر عن الزهرى عن عمرو بن أبى سفيان الثقفى عن أبى هريرة قال : بعث النبى (ص.) سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى اذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحى من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا الى فدفد وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا : لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا ألا نقتل منكم رجلاً فقال عاصم : أما أنا فلا أنزل فى ذمة كافر اللهم أخبر عنا رسولك فقاتلوهم حتى قتلوا عاصما فى سبعة نفر بالنبل وبقى خبيب وزيد ورجل آخر فأعطوهم العهد والميثاق فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا اليهم فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذى معهما هذا أول الغدر فابى أن يصحبهم فجروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر فمكث عندهم أسيراً حتى اذا

أجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث يستحدُّ بها فاعارته قالت فغفلت عن صبى لى فدرج اليه حتى أتاه فوضعه على فخذه فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك منى وفى يده الموسى فقال : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك ان شاء الله . وكانت تقول ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب لقد رأيته يأكل من قِطف عنب وما بمكة يومئذ من ثمره وانه لموثق فى الحديد وما كان إلا رزقا رزقه الله . فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال : دعونى أصلى ركعتين ثم انصرف اليهم فقال : لولا أن تروا أن مابى جزع من الموت لزدت . فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو . ثم قال : اللهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً . ثم قال :

ولستُ أُبالي حينَ أُقتل مسلماً على أي شقٍّ كانَ في الله مصرعي
وذلكَ فى ذاتِ الإله وإنْ يشأ يباركْ على أوصالِ شِلْوٍ ممزّعِ

قال : ثم قام اليه عقبة بن الحارث فقتله ، وبعثت قريش الى عاصم ليؤتوا بشىء من جسده يعرفونه وكان عاصم قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدَّبْر فحمته من رُسلهم فلم يقدروا منه على شىء . وقال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن عمرو سمع جابر بن عبد الله يقول : الذى قتل خبيباً هو أبو سَرْوَعة قلت واسمه عقبة بن الحارث وقد أسلم بعد ذلك وله حديث فى الرضاع وقد قيل ان أبا سروعة وعقبة أخوان فالله أعلم

هكذا ساق البخارى فى كتاب المغازى من صحيحه قصة الرجيع ورواه أيضاً فى التوحيد وفى الجهاد من طرق عن الزهرى عن عمرو بن أبى سفيان وأسد بن حارثة الثقفى حليف بنى زهرة ومنهم من يقول عمر بن أبى سفيان والمشهور عمرو . وفى لفظ للبخارى بعث رسول الله (ص) عشرة رهط سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح وساق بنحوه وقد خالفه محمد ابن اسحاق وموسى بن عقبة وعروة بن الزبير فى بعض ذلك ولنذكر كلام ابن اسحاق ليعرف مابينهما من التفاوت والاختلاف على أن ابن اسحاق امام فى هذا الشأن غير مدافع كما قال الشافعى رحمه الله من أراد المغازى فهو عيال على محمد بن اسحاق . قال محمد بن اسحاق حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة قال : قدم على رسول الله (ص) بعد أحد رهط من عضل والقارة فقالوا يارسول الله ان فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا فى الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الاسلام . فبعث رسول الله (ص) معهم نفراً ستة من أصحابه وهم مَرْثد بن أبى مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب قال ابن اسحاق وهو أمير القوم وخالد بن البكير الليثى حليف بنى عدى وعاصم بن ثابت بن أبى الاقلح أخو بنى عمرو بن عوف وخبيب بن عدى أخو بنى جَحْجَبى ابن كلفة بن عمرو بن عوف وزيد بن الدثنة أخو بنى بياضة بن عامر وعبد الله بن طارق حليف بنى

ظفر رضى الله عنهم هكذا قال ابن اسحاق أنهم كانوا ستة وكذا ذكر موسى بن عقبة وسماهم كما قال ابن اسحاق وعند البخارى أنهم كانوا عشرة وعنده ان كبيرهم عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح فالله أعلم. قال ابن اسحاق فخرجوا مع القوم حتى اذا كانوا على الرجيع لماء لهذيل بناحية الحجاز من صدور الهدأة غدروا بهم، فاستصرخوا عليهم هذيلاً، فلم يرع القوم وهم فى رحالهم الا الرجال بايديهم السيوف قد غشوهم، فاخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم إنا والله مانريد قتلكم ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم. فأما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا والله لانقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً، وقال عاصم بن ثابت والله أعلم ولله الحمد والمنة:

ماعلّتي وأنا جَلْدُ نابلُ ... والقوسُ فيها وَترٌ عنابلُ
تزلُّ عن صفحتِها المعابلُ ... الموتُ حقٌّ والحياةُ باطلُ
وكلُّ ما حمّ الإلهُ نازل ... بالمرءِ والمرءُ إليه آيل
إن لم أقاتلْكم فأمّي هابل

وقال عاصم أيضاً:

أبو سليمانَ وريشُ المقعدِ ... وضالةٌ مثلُ الجحيمِ الموقَد
اذاالنواحي افترشتْ لم أرعدِ ... ومجناً من جلدِ ثورٍ أجرد
ومؤمن بما على محمد

وقال أيضاً:

أبو سليمانَ ومثلي راما ... وكانَ قومي مَعْشَرا كِراماً

قال: ثم قاتل حتى قتل وقتل صاحباه. فلما قتل عاصم أرادتْ هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن سهيل وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد لئن قدرتْ على رأس عاصم لتشربن فى قحفه الخمر فمنعته الدَّبْر فلما حالت بينهم وبينه قالوا دعوه حتى يمسى فيذهب عنه فنأخذه، فبعث الله الوادى فاحتمل عاصما فذهب به. وقد كان عاصم قد أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا تنجساً فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدبر منعته: يحفظ الله العبد المؤمن كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا فى حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه فى حياته. قال ابن اسحاق: وأما خبيب وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق، فلانوا ورقوا ورغبوا فى الحياة وأعطوا بأيديهم فأسروهم ثم خرجوا بهم الى مكة ليبيعوهم بها حتى اذا كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القران ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة

حتى قتلوه فقبره بالظهران . وأما خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة . قال ابن اسحاق : فابتاع خبيباً حجير بن أبى اهاب التميمى حليف بنى نوفل لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل وكان أبو اهاب أخا الحارث بن عامر لامه ليقتله بابيه . قال : وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه فبعثه مع مولى له يقال له نسطاس الى التنعيم وأخرجه من الحرم ليقتله واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وانك فى أهلك ؟ قال : والله ما أحب أن محمداً الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وانى جالس فى أهلى . قال : يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمدا قال : ثم قتله نسطاس . قال : وأما خبيب بن عدى فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح أنه حدث عن ماوية مولاة حجير بن أبى اهاب ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان عندى خبيب حبس فى بيتى فلقد اطلعت عليه يوما وان فى يده لقطفاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه وما أعلم فى أرض الله عنباً يؤكل قال ابن اسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى نجيح انهما قالا : قالت قال لى حين حضره القتل ابعثى الىّ بحديدة أتطهر بها للقتل . قالت فأعطيت غلاماً من الحى الموسى فقلت له أدخل بها على هذا الرجل البيت فقالت فوالله ان هو الا أن ولى الغلام بها اليه فقلت ما ذا صنعت اصاب والله الرجل ثأره يقتل هذا الغلام فيكون رجلاً برجل ، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال لعمرك ما خافت أمك غدرى حين بعثتك بهذه الحديدة الى . ثم خلى سبيله . قال ابن هشام : ويقال ان الغلام ابنها . قال ابن اسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا بخبيب حتى جاءوا به الى التنعيم ليصلبوه ، وقال لهم : ان رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع ، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى انما طوّلت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة . قال : فكان خبيب أول من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين[1]

(١) يوجد على الهامش فى هذا المكان مانصه «حاشية بخط المصنف . قال السهيلى : وانما صارت سنّة لانهـا فعلت فى زمن النبى ص.» واستحسنت من صنيعه ، قال وقد صلاها زيد بن حارثة فى حياة النبى (ص.) ثم ساق باسناده من طريق أبى بكر بن أبى خيثمة عن يحيى بن معين عن يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد قال : بلغنى أن زيد بن حارثة استأجر من رجل بغلا من الطائف واشترط عليه الكرى أن ينزله حيث شاء ، فمال به الى خربة فاذا بها قتلى كثيرة ، فلما همّ بقتله قال له زيد : دعنى حتى أُصلّى ركعتين . فقال : صلّ ركعتين فطالما صلى هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا . قال فصليت ثم جاء ليقتلنى فقلت : يا أرحم الراحمين ، فاذا صارخ يقول لاتقتله ،

قال : ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا ، ثم قتلوه . وكان معاوية ابن أبي سفيان يقول : حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان فلقد رأيته يلقيني الى الارض فرقاً من دعوة خبيب ، وكانوا يقولون ان الرجل اذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زلت عنه . وفى مغازى موسى بن عقبة : أن خبيبا وزيد بن الدثنة قتلا فى يوم واحد وأن رسول الله (ص) سمع يوم قتلا وهو يقول وعليكما أو عليك السلام خبيب قتلته قريش . وذكر أنهم لما صلبوا زيد بن الدثنة رموه بالنبل ليفتنوه عن دينه فما زاده إلا ايماناً وتسليما . وذكر عروة وموسى بن عقبة أنهم لما رفعوا خبيباً على الخشبة نادوه يناشدونه أتحب أن محمداً مكانك ؟ قال : لا والله العظيم ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها فى قدمه فضحكوا منه . وهذا ذكره ابن اسحاق فى قصة زيد بن الدثنة فالله أعلم . قال موسى بن عقبة : زعموا أن عمرو بن أمية دفن خبيبا . قال ابن اسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد عن عقبة بن الحارث قال سمعته يقول : والله ما أنا قتلت خبيباً لأنا كنت أصغر من ذلك ولكن أبا ميسرة أخا بنى عبد الدار أخذ الحربة فجعلها فى يدى ثم أخذ بيدى وبالحربة ثم طعنه بها حتى قتله . قال ابن اسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا قال : كان عمر بن الخطاب استعمل سعيد بن عامر بن حذيم الجمحى على بعض الشام فكانت تصيبه غشية وهو بين ظهرى القوم فذكر ذلك لعمر وقيل إن الرجل مصاب، فسأله عمر فى قدمة قدمها عليه فقال : ياسعيد ماهذا الذى يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين مابى من بأس ولكنى كنت فيمن حضر خبيب بن عدى حين قتل وسمعت دعوته فوالله ما خطرت على قلبى وأنا فى مجلس قط إلا غشى على .

فهاب وذهب ينظر فلم يرشيئا ، ثم جاء ليقتلنى فقلت : يا أرحم الراحمين ، فسمع أيضا الصوت يقول لاتقتله ، فذهب لينظر ثم جاء ، فقلت : يا أرحم الراحمين ، فاذا أنا بفارس على فرس فى يده حربة فى رأسها شعلة من نار فطعنه بها حتى أنفذه فوقع ميتا ، ثم قال : لما دعوت الله فى المرة الاولى كنت فى السماء السابعة ولما دعوته فى المرة الثانية كنت فى السماء الدنيا ولما دعوته فى الثالثة أتيتك . قال السهيلى : وقد صلاها حجر بن عدى ابن الادبر حين حمل الى معاوية من العراق ومعه كتاب زياد ابن أبيه وفيه أنه خرج عليه وأراد خلعه ، وفى الكتاب شهادة جماعة من التابعين منهم الحسن وابن سيرين ، فلما دخل على معاوية قال : السلام عليك ياأمير المؤمنين . قال أو أنا أمير المؤمنين ؟ وأمر بقتله . فصلى ركعتين قبل قتله ثم قتل رحمه الله . قال وقد عاتبت عائشة معاوية فى قتله فقال : انما قتله من شهد عليه ، ثم قال : دعينى وحجراً فانى سألقاه على الجادة يوم القيامة . قالت : فأين ذهب عنك حلم أبى سفيان ؟ قال حين غاب مثلك من قومى . اهـ من الهامش

فزادته عند عمر خيرا . وقد قال الاموى حدثنى أبى قال : قال ابن اسحاق : و بلغنا أن عمر قال: من سره أن ينظر الى رجل نسيج وحده فلينظر الى سعيد بن عامر . قال ابن هشام : أقام خبيب فى أيديهم حتى انسلخت الاشهر الحرم ثم قتلوه . وقد روى البيهقى من طريق ابراهيم بن اسماعيل حدثنى جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جده عمرو بن أمية أن رسول الله ص.، كان بعثه عيناً وحده قال جئت الى خشبة خبيب فرقيت فيها وأنا أتخوف العيون فأطلقته فوقع الى الارض ثم اقتحمت فانتبذت قليلا ثم التفت فلم أر شيئاً فكأنما بلعته الارض فلم تذكر لخبيب رمة حتى الساعة . ثم روى ابن اسحاق عن محمد بن أبى محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال : لما قتل أصحاب الرجيع قال ناس من المنافقين : ياويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا لاهم أقاموا فى أهلهم ولا هم أدّوا رسالة صاحبهم ، فأنزل الله فيهم ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا و يشهد الله على مافى قلبه وهو ألد الخصام ﴾ وما بعدها . وأنزل الله فى أصحاب السرية ﴿ ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد ﴾ . قال ابن اسحاق وكان مما قيل من الشعر فى هذه الغزوة قول خبيب حين اجمعوا على قتله (قال ابن هشام : ومن الناس من ينكرها له) :

لقد جمع الاحزابُ حولى وألّبوا ... قبائلَهم واستجمعوا كل مجمع
وكلُّهمُ مبدي العداوةِ جاهدٌ ... عليَّ لأني فى وثاق بمضيع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم ... وقُرِّبْتُ من جِذعٍ طويلٍ ممنّع
الى الله أشكو غربتى ثم كربتى ... وماأرصدَ الاعداءُ لى عندمصرعى
فذا العرش صبّرْني على ما يُراد بى ... فقد بَضَعوا لحمي وقد ياس مطمعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ ... يبارِكْ على أوصال شِلوٍ ممزع
وقد خيروني الكفرَ والموتُ دونه ... وقد هَمَلتْ عيناي من غير مجزع
وما بى حَذارُ الموت انى لميّتٌ ... ولكن حَذاري جَحْمُ نار ملفع
فوالله ما أرجو اذا متّ مسلماً ... على أي جَنْبٍ كان فى الله مضجعى
فلستُ بمبدٍ للعدوّ تخشّعاً ... ولا جزَعا انى الى الله مرجعى

وقد تقدم فى صحيح البخارى بيتان من هذه القصيدة وهما قوله :

فلستُ أبالي حين أُقتل مسلماً ... على أي شِقٍّ كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذاتِ الإله وان يشأ ... يبارِكْ على أوصالِ شِلوٍ ممزع

وقال حسان بن ثابت يرثى خبيباً فيما ذكره ابن اسحاق :

ما بالُ عينِك لا ترقا مدامعُها   سحّاً على الصدر مثلَ اللؤلؤ الفلق
على خبيبٍ فتى الفتيان قد علموا   لافشلٍ حينَ تلقاه ولا نزق
فاذهب خبيبُ جزاكَ الله طيّبة   وجنّةَ الخلد عند الحور فى الرُّفُق
ما ذا تقولون إن قال النبي لكم   حين الملائكةُ الابرارُ فى الافق
فيمَ قتلتمْ شهيدَ الله في رجل   طاغٍ قد اوعث فى البلدان والرُّفَق

قال ابن هشام : تركنا بعضها لانه أقذع فيها ، وقال حسان يهجو الذين غدروا بأصحاب الرجيع من بنى لحيان فيما ذكره ابن اسحاق ، والله أعلم ولله الحمد والمنة والتوفيق والعصمة

ان سرّك الغدرُ صِرفا لا مزاجَ له   فأت الرجيعَ فَسَلْ عن دارِ لحيان
قومٌ تواصوا بأكلِ الجارِ بينهم   فالكلبُ والقردُ والانسانُ مِثْلان
لو ينطقُ التيْسُ يوماً قام يخطبُهم   وكان ذا شرف فيهم وذا شان

وقال حسان بن ثابت أيضاً يهجو هذيلا و بنى لَحيان على غدرهم بأصحاب الرجيع رضى الله تعالى عنهم أجمعين :

لعمري لقد شانت هذيلَ بنَ مدركٍ   أحاديثُ كانت فى خبيب وعاصم
أحاديثُ لحيانٍ صُلوا بقبيحها   ولحيانُ جرّامون شرَّ الجرائم
أناسٌ همُ من قومهم فى صَميمهم   بمنزلةِ الزمعانِ دُبْرَ القوادم
همُ غادروا يومَ الرجيع وأسلمت   أمانتهم ذا عفّة ومكارم
رسولَ رسولِ الله غدراً ولم تكن   هذيل توقّى منكَرات المحارم
فسوف يرون النصرَ يوماً عليهم   بقتل الذى تحميه دون الحرائم
أبابيلُ دَبْرٍ شُمّسٍ دون لحمه   حمتْ لحم شهّادٍ عظيم الملاحم
لعل هذيلا أن يروا بمُصابه   مصارعَ قتلى أو مقاما لمأتم
ونُوقِعُ فيها وقعةً ذاتَ صولةٍ   يوافى بها الرّكبانُ أهلَ المواسم
بأمرِ رسول الله ان رسوله   رأى رأيَ ذى حزمٍ بلحيان عالم
قبيّلةٌ ليس الوفاء يهمّهم   وإن ظُلموا لم يدفعوا كفَّ ظالم
اذا الناس حلّوا بالفضاء رأيتَهم   بمجرى مسيل الماء بين المخارم
محلهمُ دارُ البوار ورأيُهم   اذا نابهم أمرٌ كرأيِ البهائم

وقال حسان رضى الله عنه أيضاً يمدح أصحاب الرجيع ويسميهم بشعره كما ذكره ابن اسحاق رحمه الله تعالى :

صلى الإلهُ على الذين تتابعوا ... يوم الرجيع فأكرِموا وأثيبوا
رأسُ السرّيةِ مَرثدٌ وأميرُهم ... وابنُ البكير إمامُهم وخبيب
وابنٌ لطارقَ وابنُ دثنةَ منهم ... وافاه ثَم حِمامه المكتوب
والعاصم المقتولُ عند رجيعهم ... كَسَبَ المعالي انه لَكسوب
منع المقادةَ أن ينالوا ظَهره ... حتى يُجالد إنه لَنجيب

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان

سرية عمرو بن أمية الضمري

قال الواقدي: حدثني ابراهيم بن جعفر عن أبيه وعبد الله بن أبي عبيدة عن جعفر بن [الفضل بن الحسن بن] عمرو بن أمية الضمري وعبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن أبي عوف (وزاد بعضهم على بعض) قالوا: كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة: ما أحد يغتال محمداً فانه يمشي في الاسواق فندرك ثارنا. فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله وقال له: إن أنت وفيتني خرجت اليه حتى أغتاله، فاني هاد بالطريق خرّيت، معي خنجر مثل خافية النسر. قال: أنت صاحبنا. وأعطاه بعيراً ونفقه وقال: اطو أمرك فاني لا آمن أن يسمع هذا أحد فينميه الى محمد. قال قال العربي لا يعلمه أحد. فخرج ليلا على راحلته فسار خمساً وصبح ظهر الحي يوم سادسه ثم أقبل يسأل عن رسول الله (ص.) حتى أتى المصلى فقال له قائل: قد توجه الى بني عبد الاشهل فخرج الاعرابي يقود راحلته حتى انتهى الى بني عبد الاشهل فعقل راحلته ثم أقبل يؤم رسول الله (ص.) فوجده في جماعة من أصحابه يحدث في مسجده. فلما دخل ورآه رسول الله (ص.) قال لاصحابه ان هذا الرجل يريد غدراً والله حائل بينه وبين ما يريده. فوقف وقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فقال له رسول الله (ص.): أنا ابن عبد المطلب فذهب ينحني على رسول الله (ص.) كأنه يسارّه فجبذه أسيد بن حضير وقال: تنح عن رسول الله (ص.) وجذب بداخل ازاره فاذا الخنجر فقال: يا رسول الله هذا غادر. فأسقط في يد الاعرابي وقال: دمي دمي يا محمد. وأخذه أسيد بن حضير يلببه فقال له النبي (ص.) اصدقني ما أنت وما أقدمك فان صدقتني نفعك الصدق وان كذبتني فقد اطلعتُ على ماهممتَ به. قال العربي فأنا آمن؟ قال وأنت آمن. فأخبره بخبر أبي سفيان وما جعل له فأمر به فحبس عند أسيد بن حضير ثم دعا به من الغد فقال قد أمنتك فاذهب حيث شئت أو خير لك من ذلك قال وما هو فقال أن تشهد أن لا إله الا الله وأن رسول الله فقال أشهد أن لا إله الا الله وانك

أنت رسول الله والله يا محمد ما كنت أفرق من الرجال فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلى وضعفت ثم اطلعتَ على ماهممتُ به فما سبقت به الركبان ولم يطلع عليه أحد فعرفت أنك ممنوع وأنك على حق وأن حزب أبى سفيان حزب الشيطان . فجعل النبى (ص) يتبسم وأقام أياماً ثم استأذن النبى (ص) فخرج من عنده ولم يسمع له بذكر وقال رسول الله (ص) لعمرو بن أمية الضمرى ولسلمة ابن أسلم بن حريش أخرجا حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب فان أصبتما منه غرة فاقتلاه . قال عمرو فخرجت أنا وصاحبى حتى أتينا بطن يأجج فقيدنا بعيرنا وقال لى صاحبى : ياعمرو هل لك فى أن نأتى مكة فنطوف بالبيت سبعاً ونصلى ركعتين فقلت [أنا أعلم بأهل مكة منك انهم اذا أظلموا رشّوا أفنيتهم ثم جلسوا بهاو[1]] انى أعرف بمكة من الفرس الابلق . فأبى علىّ فانطلقنا فأتينا مكة فطفنا أسبوعاً وصلينا ركعتين فلما خرجت لقينى معاوية بن أبى سفيان فعرفنى وقال: عمرو بن أمية واحزناه . فنذر بنا أهل مكة فقالوا ماجاء عمرو فى خير . وكان عمرو فاتكا فى الجاهلية . فحشد أهل مكة وتجمعوا وهرب عمرو وسلمة وخرجوا فى طلبهما واشتدوا فى الجبل . قال عمرو فدخلت فى غار فتغيبت عنهم حتى أصبحت وباتوا يطلبوننا فى الجبل وعمى الله عليهم طريق المدينة أن يهتدوا له فلما كان ضحوة الغد أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمى يختلى لفرسه حشيشا فقلت لسلمة بن أسلم اذا أبصرنا أشعر بنا أهل مكة وقد انفضوا عنا فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا ، قال فخرجت اليه فطعنته طعنة تحت الثدى بخنجرى فسقط وصاح فاجتمع أهل مكة فأقبلوا بعد تفرقهم [ورجعت الى مكانى فدخلت فيه] وقلت لصاحبى لاتتحرك ، فأقبلوا حتى أتوه وقالوا من قتلك ؟ قال عمرو بن أمية الضمرى . فقال أبو سفيان قد علمنا أنه لم يأت لخير . ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا فانه كان بآخر رمق فمات وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم فحملوه فمكثنا ليلتين فى مكاننا حتى [سكن عنا الطلب ثم] خرجنا [الى التنعيم] فقال صاحبى ياعمرو بن أمية هل لك فى خبيب بن عدى ننزله ؟ فقلت له : أين هو ؟ قال هو ذاك مصلوب حوله الحرس . فقلت أمهلنى وتنح عنى فان خشيت شيئا فانحُ الى بعيرك فاقعد عليه فأت رسول الله (ص) فأخبره الخبر ودعنى فانى عالم بالمدينة . ثم استدرت عليه حتى وجدته فحملته على ظهرى فما مشيت به إلا عشرين ذراعاً حتى استيقظوا فخرجوا فى أثرى فطرحت الخشبة فما أنسى وجيبها يعنى صوتها ثم أهلت عليه التراب برجلى فاخذت طريق الصفراء فأعيوا ورجعوا وكنت لا أدرى مع بقاء نفسى فانطلق صاحبى الى البعير فركبه وأتى النبى (ص) فأخبره وأقبلت حتى أشرفت على الغليل غليل ضجنان فدخلت فى غار معي قوسى واسهمى وخنجرى فبينما أنا فيه إذ أقبل رجل من بنى الدمل بن بكر أعور طويل يسوق غنما ومعزى فدخل الغار وقال : من الرجل ؟ فقلت رجل من

(١) هذه الزيادة وما بعدها من الطبرى ٣ : ٣٢

بنى بكر فقال و أنا من بنى بكر ثم اتكأ ورفع عقيرته يتغنى ويقول :

فلستُ بمسلم مادمتُ حيّاً   ولستُ أَدينُ دِينَ المسلمينا

فقلت فى نفسى والله أنى لأرجو أن أقتلك . فلما نام قمت اليه فقتلته شر قتلة قتلها أحد قط ثم خرجت حتى هبطت فلما أسهلت فى الطريق إذا رجلان بعثهما قريش يتجسسان الاخبار فقلت استأسرا فأبى أحدهما فرميته فقتلته فلما رأى ذلك الآخر استأسر فشددته وثاقاً ثم أقبلت به الى النبى (ص.) فلما قدمت المدينة أتى صبيان الانصار وهم يلعبون وسمعوا أشياخهم يقولون هذا عمرو فاشتدالصبيان الى النبى (ص.) فأخبروه وأتيته بالرجل قد ربطت ابهامه بوتر قوسى فلقد رأيت النبى (ص.) وهو يضحك ثم دعا لى بخير . وكان قدوم سلمة قبل قدوم عمرو بثلاثة أيام رواه البيهقى . وقد تقدم أن عمراً لما أهبط خبيباً لم يرله رمة ولاجسداً فلعله دفن مكان سقوطه والله أعلم . وهذه السرية انما استدركها ابن هشام على ابن اسحاق وساقها بنحو من سياق الواقدى لها لكن عنده أن رفيق عمرو بن أمية فى هذه السرية جبار بن صخر . فالله أعلم ولله الحمد

سرية بئر معونة

وقد كانت فى صفر منها وأغرب مكحول رحمه الله حيث قال انها كانت بعد الخندق . قال البخارى حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز عن أنس بن مالك قال بعث رسول الله (ص.) سبعين رجلا لحاجة يقال لهم القراء فعرض لهم حيّان من بنى سُليم رِعْل وذكوان عند بئر يقال لها بئر مَعُونة فقال القوم والله ما إياكم أردنا وانما نحن مجتازون فى حاجة للنبى (ص.) فقتلوهم فدعا النبى (ص.) عليهم شهراً فى صلاة الغداة وذلك بدء القنوت وما كنا نقنت . ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بنحوه . ثم قال البخارى حدثنا عبد الاعلى بن حماد حدثنا يزيد بن زُريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك ان رِعْلا وذكوان وعُصيَّة وبنى لحيان استمدوا رسول الله (ص.) على عدو فأمدهم بسبعين من الانصار كنا نسميهم القراء فى زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى اذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ النبى (ص.) فقنت شهراً يدعو فى الصبح على احياء من العرب على رعل وذكوان وعصيّة وبنى لحيان قال أنس فقرأنا فيهم قرآناً ثم ان ذلك رفع « بلغوا عنا قومنا أنّا قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا » ثم قال البخارى حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا همام عن اسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة حدثنى أنس ابن مالك ان النبى (ص.) بعث حراماً (أخاً لأم سُليم) فى سبعين راكباً وكان رئيس المشركين عامر ابن الطفيل خير رسول الله (ص.) بين ثلاث خصال فقال يكون لك أهل السهل ولى أهل المدر أو

أكون خليفتك أو أغزوك بأهل غطفان بألف وألف فطُعن عامر فى بيت أم فلان فقال غدّة كغدة البَكر فى بيت امرأة من آل فلان، ائتونى بفرسى فمات على ظهر فرسه فانطلق حرام أخو أم سليم وهو رجل أعرج ورجل من بنى فلان فقال كونا قريباً حتى آتيهم فان آمنونى كنتم قريباً وان قتلونى أتيتم أصحابكم فقال أتؤمنونى حتى أبلغ رسالة رسول الله (ص.) فجعل يحدثهم وأومأوا الى رجل فأتاه من خلفه فطعنه قال همام أحسبه حتى أنفذه بالرمح فقال الله أكبر فزتُ ورب الكعبة فلحق الرجل فقتلوا كلهم غير الأعرج وكان فى رأس جبل فأنزل الله علينا ثم كان من المنسوخ «انا لقد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا» فدعا النبى (ص.) ثلاثين صباحاً على رِعل وذَكوان وبنى لحيان وعصية الذين عصوا الله ورسوله . وقال البخارى : حدثنا حِبَّان حدثنا عبد الله أخبرنى معمر حدثنى ثمامة بن عبد الله بن أنس انه سمع أنس بن مالك يقول لما طعن حرام بن ملحان ـ وكان خاله ـ يوم بئر معونة قال بالدم هكذا فنضحه على وجهه ورأسه وقال فزتُ ورب الكعبة . وروى البخارى عن عبيد بن اسماعيل عن أبى أسامة عن هشام بن عروة أخبرنى أبى قال لما قتل الذين ببئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمرى قال له عامر بن الطفيل من هذا وأشار الى قتيل فقال له عمرو بن أمية هذا عامر بن فهيرة قال لقد رأيته بعد ماقتل رفع الى السماء حتى انى لأنظر الى السماء بينه وبين الارض ثم وضع فأتى النبى (ص.) خبرهم فنعاهم فقال : ان أصحابكم قد أصيبوا وانهم قد سألوا ربهم فقالوا ربنا اخبر عنا اخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا . فأخبرهم عنهم وأصيب يومئذ فيهم عروة بن أسماء بن الصلت فسمى عروة به ومنذر بن عمرو وسمى به منذر . هكذا وقع فى رواية البخارى مرسلا عن عروة وقد رواه البيهقى من حديث يحيى بن سعيد عن أبى أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة فساق من حديث الهجرة وأدرج فى آخره ما ذكره البخارى ههنا فالله أعلم . وروى الواقدى عن مصعب بن ثابت عن أبى الاسود عن عروة فذكر القصة وشأن عامر ابن فهيرة واخبار عامر بن الطفيل انه رفع الى السماء وذكر ان الذى قتله جبار بن سلمى الكلابى قال ولما طعنه بالرمح قال فزتُ ورب الكعبة ثم سأل جبار بعد ذلك : مامعنى قوله فزت قالوا يعنى بالجنة فقال صدق والله ثم أسلم جبار بعد ذلك لذلك. وفى مغازى موسى بن عقبة عن عروة انه قال لم يوجد جسد عامر بن فهيرة يرون ان الملائكة وارته وقال يونس عن ابن اسحاق فأقام رسول الله (ص.) يعنى بعد أحد بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم ثم بعث أصحاب بئر معونة فى صفر على رأس أربعة أشهر من أحد فحدثنى أبى اسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيرهما من أهل العلم قالوا : قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة على رسول الله (ص.) بالمدينة

فعرض عليه الاسلام ودعاه اليه فلم يسلم ولم يبعد وقال : يامحمد لو بعثتَ رجالا من أصحابك الى أهل نجد فدعوهم الى أمرك رجوتُ أن يستجيبوا لك. فقال (ص) انى أخشى عليهم أهل نجد. فقال أبو براء أنا لهم جار . فبعث رسول الله (ص) المنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة المعنق ليموت فى أربعين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين فيهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان أخو بنى عدى بن النجار وعروة ابن أسماء بن الصلت السلمى ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر فى رجال من خيار المسلمين فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهى بين أرض بنى عامر وحرَّة بنى سُليم فلما نزلوا بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله (ص) الى عامر بن الطفيل فلما أتاه لم ينظر فى الكتاب حتى عدا على الرجل فقتله ثم استصرخ عليهم بنى عامر فأبوا أن يجيبوا الى مادعاهم وقالوا : لن نُخفر أبا براء وقد عَقد لهم عقداً وجواراً فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سُليم ـ عُصيَّة ورِعلا وذكوان والقارة ـ فاجابوه الى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم أخذوا أسيافهم ثم قاتلوا القوم حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن زيد أخا بنى دينار بن النجار فانهم تركوه به رمق فارتث من بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمرى ورجل من الانصار من بنى عمرو بن عوف ، فلم ينبئهما بمصاب القوم الا الطير تحوم حول العسكر فقالا والله ان لهذه الطير لشأناً فأقبلا لينظرا فاذا القوم فى دمائهم واذا الخيل التى أصابتهم واقفة فقال الانصارى لعمرو بن أمية ماذا ترى؟ فقال أرى ان نلحق برسول الله (ص) فنخبره الخبر فقال الانصارى لكنى لم أكن لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو وما كنت لأخبر عنه الرجال . فقاتل القوم حتى قتل وأخذ عمرو أسيراً فلما أخبرهم انه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة كانت على أمه فيما زعم. قال وخرج عمرو بن أمية حتى اذا كان بالقرقرة من صدر قناة أقبل رجلان من بنى عامر حتى نزلا فى ظل هو فيه وكان مع العامريين عهد من رسول الله (ص) وجوار لم يعلمه عمرو بن أمية وقد سألهما حين نزلا ممن أنتما قالا من بنى عامر فأمهلهما حتى اذا ناما عدا عليهما وقتلهما وهو يرى أن قد أصاب بهما ثأراً من بنى عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله (ص) فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله (ص) أخبره بالخبر فقال رسول الله (ص) : « لقد قتلتَ قتيلين لأدِيَنَّهما » ثم قال رسول الله (ص) : « هذا عمل أبى براء ، قد كنتُ لهذا كارهاً متخوِّفاً » فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه اخفار عامر اياه وما أصاب أصحابَ رسول الله (ص) بسببه وجواره ، فقال حسان بن ثابت فى اخفار عامر أبا براء ويحرض بنى أبى براء على عامر :

بنى أمَّ البنينَ ألم يرُعكم وأنتم منْ ذوائبِ أهلِ نجْدِ

تهكُّمُ عامرٍ بأبي بَراء ليُخفِرَه وما خطأٌ كعَمد
ألا أَبلغْ ربيعةَ ذا المساعي فما أحدثتَ فى الحَدَثان بعدي
أبوكَ أبو الحروبِ أبو براءٍ وخالُكَ ماجدٌ حَكَمُ بنِ سعد

قال ابن هشـام : أم البنين أم أبى براء وهى بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . قال فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل فطعنه فى فخذه فأشواه ووقع عن فرسه وقال : هذا عمل أبى براء ، إن أمت فدمى لعمى فلا يتبعن به ، وإن أعش فسأرى رأيى

وذكر موسى بن عقبة عن الزهرى نحو سياق محمد بن اسحاق ، قال موسى وكان أمير القوم المنذر بن عمرو وقيل مرثد بن أبى مرثد

وقال حسان بن ثابت يبـكى قتلى بئر معونة ـ فيما ذكره ابن اسحاق رحمه الله ـ والله أعلم :

على قتـلي معونةَ فاستهلّي بدمع العينِ سَحًّا غير نَزْر
على خيلِ الرسولِ غداةَ لاقوا ولاقتْهـم مَناياهم بقَـدْر
أصابهمُ الفنـاءُ بعقدِ قومٍ تَخوّنَ عقـدُ حبلهمُ بغدر
فيالهفي لمنـذرَ إذْ تولى وأعنَقَ فى منيّته بصبر
وكائنْ قد أُصيبَ غداةَ ذاكُم من أبيضَ ماجدٍ من سرّ عمرو

غزوة بنى النّضير
وفيها سورة الحشر

فى صحيح البخارى عن ابن عباس أنه كان يسميها سورة بنى النضير . وحكى البخارى عن الزهرى عن عروة أنه قال : كانت بنو النضير بعـد بدر بستة أشهر قبل أحد ، وقد أسنده ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبيه عن عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهرى به ، وهكذا روى حنبل بن اسحاق عن هلال بن العلاء عن عبد الله بن جعفر الرَّقى عن مطرف بن مازن اليمانى عن معمر عن الزهرى فذكر غزوة بدر فى سابع عشر رمضـان سنة ثنتين ، قال ثم غزا بنى النضير ثم غزا أحداً فى شوال سنة ثلاث ثم قاتل يوم الخنـدق فى شوال سنة أربع . وقال البيهقى : وقد كان الزهرى يقول هى قبل أحد ، قال وذهب آخرون الى أنها بعدها وبعد بئر معونة أيضـاً . قلت : هكذا ذكر ابن اسحاق كما تقدم فانه بعد ذكره بئر معونة ورجوع عمرو بن أمية وقتله ذينك الرجلين من بنى عامر ولم يشعر بعهدهما الذى معهما من رسول الله ﷺ ولهـذا قال له رسول الله

ص) « لقد قتلتَ رجلين لأدِيَنَّهما » . قال ابن اسحاق ثم خرج رسول الله (ص) الى بنى النضير يستعينهم فى دية ذينك القتيلين من بنى عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية للعهد الذى كان (ص) أعطاهما وكان بين بنى النضير و بين بنى عامر عهد وحلف فلما أتاهم (ص) قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه (ورسول الله (ص) الى جنب جدار من بيوتهم قاعد) فمن رجلٌ يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة و يريحنا منه . فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال أنا لذلك فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال ورسول الله (ص) فى نفر من أصحابه فيهم أبو بكر و عمر و على فأتى رسولَ الله الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعاً الى المدينة فلما استلبث النبيَّ (ص) أصحابُه قاموا فى طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخلا المدينة فأقبل أصحابُ رسول الله (ص) حتى انتهوا اليه فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به ، قال الواقدى فبعث رسول الله (ص) محمد بن مَسلمة يأمرهم بالخروج من جواره و بلده فبعث اليهم أهلُ النفاق يثبتونهم و يحرضونهم على المقام و يعدونهم النصر ، فقويت عند ذلك نفوسهم وحمى حييُّ بن أخطب و بعثوا الى رسول الله (ص) أنهم لا يخرجون و نابذوه بنقض العهود فعند ذلك أمر النـاس بالخروج اليهم ، قال الواقدى فحاصروهم خمس عشرة ليلة . وقال ابن اسحاق : وأمر النبى (ص) بالتهيُّؤ لحربهم والمسير اليهم . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وذلك فى شهر ربيع الاول . قال ابن اسحاق فسار حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليال ، ونزل تحريم الخمر حينئذ ، وتحصنوا فى الحصون فأمر رسول الله (ص) بقطع النخيل والتحريق فيها فنادوه أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيب مَن صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها ، قال وقد كان رهط من بنى عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبىّ وو ديعة ومالك و سويد وداعس قد بعثوا الى بنى النضير أن اثبتوا و تمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان أخرجتم خرجنا معكم . فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف الله فى قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله أن يجليهم ويكف عن دمائهم على ان لهم ما حملت الابل من أموالهم الا الحلقة وقال العوفى عن ابن عباس أعطى كل ثلاثة بعيرا يعتقبونه وسقاً رواه البيهقى وروى من طريق يعقوب بن محمد عن الزهرى عن ابراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة عن أبيه عن جده عن محمد بن مسلمة ان رسول الله (ص) بعثه الى بنى النضير وأمره أن يؤجلهم فى الجلاء ثلاث ليال . وروى البيهقى وغيره انه كانت لهم ديون مؤجلة فقال رسول الله (ص) ضعوا وتعجلوا . وفى صحته نظر والله أعلم .

قال ابن اسحاق فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الابل فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به فخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى الشام فكان من أشراف

من ذهب منهم الى خيبر سلام بن أبى الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وحيي بن أخطب فلما نزلوها دان لهم أهلها . فحدثنى عبد الله بن أبى بكر انه حدث انهم استقبلوا بالنساء والابناء والاموال معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم بزهاء وفخر ماروؤي مثله لحى من الناس فى زمانهم . قال وخلوا الاموال لرسول الله (ص) يعنى النخيل والمزارع فكانت له خاصة يضعها حيث شاء فقسمها على المهاجرين الاولين دون الانصار الا ان سهل بن حنيف وأبا دجانة ذكرا فقراً فأعطاهما (وأضاف بعضهم اليهما الحارث بن الصمة حكاه السهيلى) . قال ابن اسحاق ولم يُسلم من بنى النضير الا رجلان وهما يامين بن عمير بن كعب ابن عم عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب فأحرزا أموالها . قال ابن اسحاق وقد حدثنى بعض آل يامين ان رسول الله (ص) قال ليامين : ألم تر مالقيتُ من ابن عمك وما همَّ به من شأنى ؟ فجعل يامين لرجل جعلا على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله لعنه الله . قال ابن اسحاق فأنزل الله فيهم سورة الحشر بكمالها يذكر فيها ما أصابهم به من نقمته وما سلط عليهم به رسوله وما عمل به فيهم ثم شرع ابن اسحاق يفسرها وقد تكلمنا عليها بطولها مبسوطة فى كتابنا التفسير ولله الحمد . قال الله تعالى : [سبح لله مافى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ماظننتم أن يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الابصار ولولا أن كتب عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار وذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب . ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله ولنجزى الفاسقين] . سبح سبحانه وتعالى نفسه الكريمة وأخبر انه يسبح له جميع مخلوقاته العلوية والسفلية وأنه العزيز وهو منيع الجناب فلا ترام عظمته وكبرياؤه وانه الحكيم فى جميع ماخلق وجميع ماقدر وشرع ، فمن ذلك تقديره وتدبيره وتيسيره لرسول الله (ص) وعباده المؤمنين فى ظفرهم بأعدائهم اليهود الذين شاقوا الله ورسوله وجانبوا رسوله وشرعه وما كان من السبب المفضى لقتالهم كما تقدم حتى حاصرهم المؤيد بالرعب والرهب مسيرة شهر ومع هذا فأسرهم بالمحاصرة بجنوده ونفسه الشريفة ست ليال فذهب بهم الرعب كل مذهب حتى صانعوا وصالحوا على حقن دمائهم وأن يأخذوا من أموالهم ما استقلت به ركابهم على انهم لايصحبون شيئاً من السلاح اهانة لهم واحتقاراً فجعلوا يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الابصار . ثم ذكر تعالى انه لو لم يصبهم الجلاء وهو التسيير والنفى من جوار الرسول من المدينة لأصابهم ماهو أشد منه من العذاب الدنيوى وهو القتل مع ما ادخر لهم فى الآخرة من العذاب الاليم المقدر لهم . ثم ذكر

تعالى حكمة ماوقع من تحريق نخلهم وترك مابقى لهم وان ذلك كله سائغ فقال ماقطعتم من لينة وهو جيد التمر أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله ان الجميع قد أذن فيه شرعاً وقدراً فلا حرج عليكم فيه ولنعم مارأيتم من ذلك وليس هو بفساد كما قاله شرار العباد انما هو اظهار للقوة واخزاء للكفرة الفجرة . وقد روى البخارى ومسلم جميعاً عن قتيبة عن الليث عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله (ص.) حرق نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة فأنزل الله [ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله ولنجزى الفاسقين] . وعند البخارى من طريق جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص.) حرق نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة ولها يقول حسان بن ثابت :

وهانَ على سَراةِ بني لؤيٍّ ... حريقٌ بالبُويرة مستطيرُ

فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول :

أدامَ الله ذلك من صَنيعٍ ... وحرّقَ فى نواحيها السعير

ستعلم أيّنا منها بستْرٍ ... وتعلمُ أيّ أرضينا نُضير

قال ابن اسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر اجلاء بنى النضير وقتل كعب بن الاشرف والله أعلم

لقد خزِيَتْ بغدرتها الحبور[1] ... كذاك الدهرُ ذو صَرفٍ يدور

وذلك أنهم كفروا بربّ ... عظيمٍ أمرُهُ أمرٌ كبيرُ

وقد أُوتوا معاً فهماً وعِلماً ... وجاءهُمُ من اللهِ النذير

نذيرٌ صادق أدّى كتاباً ... وآياتٍ مبيِّنة تنير

فقالوا ما أتيتَ بأمرِ صِدق ... وأنتَ بمنكر منا جدير

فقال بلى لقد أدّيتُ حقّاً ... يصدّقنى به الفَهِم الخبير

فمن يتبعه يُهدَ لكلّ رُشدٍ ... ومن يكفُرْ به يُجزَ الكَفور

فلما أُشرِبوا غدراً وكفراً ... وجدّ بهم عن الحق النَّفور

أرى الله النبيَّ برأي صدق ... وكانَ اللهُ يحكم لا يجور

فأيّده وسلّطه عليهم ... وكان نصيرَهُ نِعْم النصير

فغُودِرَ منهم كعبٌ صريعاً ... فذلّتْ بعد مَصرعه النضير

على الكفَّين ثمّ وقد عَلَتْهُ ... بأيدينا مشهَّرة ذكور

بأمر محمد إذ دسّ ليلا ... الى كعبٍ أخا كعب يسير

فماكَرَهُ فأنزله بمكر ... ومحمودٌ أخو ثقة جسور

(١) الحبور جمع حبر ، وهم علماء اليهود . من هامش الاصل

فتلكَ بنو النضير بدار سوء　　أبارَهمُ بما اجترموا المبير
غداةَ أتاهمُ فى الزحف رهواً　　رسولُ الله وهو بهم بصير
وغسّانُ الحماةُ مؤازروه　　على الاعداء وهو لهم وزير
فقال السّلم ويحكمُ فصدّوا　　وخالفَ أمرَهم كذب وزور
فذاقوا غِبَّ أمرهم وبالاً　　لكل ثلاثة منهم بعير
وأجلَوا عامدين لِقَينقاع　　وغُودر منهم نخلٌ ودور

وقد ذكر ابن اسحاق جوابها لسمال اليهودى، فتركناها قصداً. قال ابن اسحاق: وكان مما قيل فى بنى النضير قول ابن لقيم العبسى، ويقال قالها قيس بن بحر بن طريف الاشجعى:

أهلي فداء لامرئٍ غيرِ هالك　　أحلَّ اليهود بالحسِيِّ المزنّم
يَقيلون فى خَمر العضاهِ وبُدّلوا　　أهيضبَ عوداً بالوَدِيِّ المكمم
فإن يكُ ظنّي صادقاً بمحمد　　تروا خيلَه بين الصّلا ويرمرم
يؤمَّ بها عمرو بنَ بهثةَ إنهم　　عدو وما حيٌّ صديقٌ كجرم
عليهن أبطالٌ مساعيرُ فى الوغى　　يهزّون أطرافَ الوشيج المقوّم
وكلَّ رقيقِ الشّفرتين مهنّدٍ　　تُورِثن من أزمان عادٍ وجُرْهم
فمن مبلغٌ عنّى قريشاً رسالةً　　فهل بعدهم فى المجد من متكرّم
بأنّ أخاهم فاعلمنَّ محمدا　　تليدُ الندى بين الحجون وزمزم
فدِينوا له بالحقّ تجسم أمورُكم　　وتسمو من الدنيا الى كل معظم
نبيٌّ تلافَته من الله رحمةٌ　　ولا تسألوه أمرَ غيبٍ مرجَّم
فقد كانَ فى بدرٍ لعمريَ عبرةٌ　　لكم ياقريشُ والقَليب الملم
غداةَ أتى فى الخزرجية عامداً　　إليكم مطيعاً للعظيم المكرّم
مُعاناً بروح القُدُس ينكى عدوه　　رسولاً من الرحمن حقا بعلم
رسولا من الرحمن يتلو كتابه　　فلما أنار الحقُّ لم يتلعثم
أرى أمرَه يزداد فى كل موطن　　علوّاً لأمرٍ حَمَّه اللهُ مُحْكَم

قال ابن اسحاق وقال على بن أبى طالب، وقال ابن هشام قالها رجل من المسلمين ولم أر أحداً يعرفها لعلى:

عرفتُ ومن يعتدلْ يعرفِ　　وأيقنتُ حقاً ولم أصدِفِ

عن الكلِمِ المحكَمِ اللاء من لدى الله ذي الرأفة الأرأف
رسائلُ تُدرَسُ فى المؤمنين بهن اصطفى أحمدَ المصطفى
فأصبحَ أحمد فينا عزيزاً عزيزَ المقامة والموقف
فيا أيها المُوعِدُوهُ سَفاهاً ولم يأتِ جوراً ولم يعنُف
ألستمْ تخافون أدنى العذابِ وما آمنُ الله كالأخوف
وان تُصرعوا تحت أسيافه كصرع كعبٍ أبى الأشرف
غداةَ رأى اللهُ طغيانه وأعرض كالجمل الأجنف
فأنزلَ جبريلَ فى قتله بوحيٍ الى عبده ملطف
فدسَّ الرسول رسولاً له بأبيضَ ذي هبَّةٍ مرهَف
فباتت عيونٌ له مُعْوِلات متى يُنع كعبٌ لها تذرف
وقلن لأحمدَ ذَرْنا قليلا فإنا من النَّوحِ لم نشتف
فخلاهمُ ثم قال اظعنوا دُحوراً على رَغْمِ الآنُف
وأجلى النضيرَ الى غُربة وكانوا بدارٍ ذوي زُخرف
الى أذرعات رِدافاً وهمْ على كلّ ذي دبر أعجف

وتركنا جوابها أيضاً من ممال اليهوى قصداً

ثم ذكر تعالى حكم الفيء وأنه حكم بأموال بنى النضير لرسول الله (ص) وملكها له فوضعها رسول الله (ص) حيث أراه الله تعالى كما ثبت فى الصحيحين عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال: كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله (ص) خاصة فكان يعزل نفقة أهله سنة ثم يجعل مابقى فى الكراع والسلاح عدة فى سبيل الله عز وجل. ثم بين تعالى حكم الفيء وأنه للمهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان على منوالهم وطريقتهم ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دُولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب. قال الامام احمد حدَّثنا عارم وعفان قالا حدثنا معتمر سمعت أبى يقول حدثنا أنس بن مالك عن نبى الله (ص) أن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات أو كما شاء الله حتى فتحت عليه قريظة والنضير قال: فجعل يرد بعد ذلك. قال: وان أهلى أمرونى أن آتى نبى الله (ص) فاسأله الذى كان أهله أعطوه أو بعضه وكان نبى الله (ص) أعطاه أم أيمن أو كما شاء الله. قال: فسألت النبى (ص) فأعطانيهن فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب فى عنقى وجعلت تقول: كلا والله الذى لا إله إلا هو لا أعطيكهن وقد أعطانيهن أو كما قالت. فقال النبى (ص) لك كذا وكذا وتقول كلا والله قال

ويقول لك كذا وكذا وتقول كلا والله قال ويقول لك كذا وكذا حتى أعطاها حسبت أنه قال عشرة أمثاله أو قال قريباً من عشرة أمثاله أو كما قال أخرجاه بنحوه من طرق عن معتمر به. ثم قال تعالى ذاماً للمنافقين الذين مالوا الى بنى النضير فى الباطن كما تقدم ووعدوهم النصر فلم يكن من ذلك شىء بل خذلوهم أحوج ما كانوا اليهم وغروهم من أنفسهم فقال [ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد أنهم لكاذبون. لئن أخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لاينصرون] ثم ذمهم تعالى على جبنهم وقلة علمهم وخفة عقلهم النافع ثم ضرب لهم مثلا قبيحاً شنيعاً بالشيطان حين قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين

قصة عمرو بن سعدى القرظى

حين مر على ديار بنى النضير وقد صارت يبابا ليس بها داع ولا مجيب وقد كانت بنو النضير أشرف من بنى قريظة حتى حداه ذلك على الاسلام وأظهر صفة رسول الله (ص) من التوراة. قال الواقدى حدثنا ابراهيم بن جعفر عن أبيه قال: لما خرجت بنو النضير من المدينة أقبل عمرو ابن سعدى فأطاف بمنازلهم فرأى خرابها وفكر ثم رجع الى بنى قريظة فوجدهم فى الكنيسة فنفخ فى بوقهم فاجتمعوا فقال الزبير بن باطا: ياأباسعيد أين كنت منذ اليوم لم تزل وكان لايفارق الكنيسة وكان يتأله فى اليهودية (قال رأيت اليوم عبراً قد عبرنا بها، رأيت منازل اخواننا خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف الفاضل والعقل البارع قد تركوا أموالهم وملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل. ولا والتوراة ماسلط هذا على قوم قط لله بهم حاجة وقد أوقع قبل ذلك بابن الاشرف ذى عزهم ثم بيته فى بيته آمنا وأوقع بابن سنينة سيدهم وأوقع ببنى قينقاع فأجلاهم وهم أهل جد يهود وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة فحصرهم فلم يخرج انسان منهم رأسه حتى سباهم وكلم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب. ياقوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعونى وتعالوا نتبع محمداً والله انكم لتعلمون انه نبى قد بشرنا به وبأمره ابن الهيبان أبو عمير وابن حراش وهما أعلم يهود جاءانا يتوكفان قدومه وأمرانا باتباعه جاءانا من بيت المقدس وأمرانا أن نقرئه منهما السلام ثم ماتا على دينهما ودفناهما بحرتنا هذه) فأسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم، ثم أعاد هذا الكلام ونحوه وخوفهم بالحرب والسباء والجلاء. فقال الزبير بن باطا: قد والتوراة قرأت صفته فى كتاب باطا التوراة التى نزلت على موسى ليس فى المثانى الذى أحدثنا، قال فقال له كعب بن أسد: مايمنعك

يا أبا عبد الرحمن من اتباعه ؟ قال أنت يا كعب . قال كعب فلم والتوراة ما حلت بينك و بينه قط ، قال الزبير : بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا فان اتبعته اتبعناه و إن أبيت أبينا . فأقبل عمرو بن سعدى على كعب فذكر ماتقاولا فى ذلك الى أن قال عمرو ما عندي فى أمره إلا ماقلت : ماتطيب نفسي أن أصير تابعاً . رواه البيهقى

غزوة بني لحيان

ذكرها البيهقى فى الدلائل ، وانما ذكرها ابن اسحاق فيما رأيته من طريق هشام عن زياد عنه فى جمادى الاولى من سنة ثنتين من الهجرة بعد الخندق و بنى قريظة وهو أشبه مما ذكره البيهقى والله أعلم . وقال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس الاصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار وغيره قالوا : لما أصيب خبيب وأصحابه خرج رسول الله (ص) طالباً بدمائهم ليصيب من بنى لحيان غرة ، فسلك طريق الشام ليرى انه لايريد بنى لحيان ، حتى نزل بأرضهم فوجدهم قد حذروا وتمنعوا فى رؤس الجبال ، فقال رسول الله (ص) : « لو انا هبطنا عسفان لرأت قريش أنا قد جئنا مكة » فخرج فى مائتى راكب حتى نزل عسفان ثم بعث فارسين حتى جاءا كراع الغميم ثم انصرفا ، فذكر أبو عياش الزرقى ان رسول الله (ص) صلى بعسفان صلاة الخوف . وقد قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا الثورى عن منصور عن مجاهد عن ابن عياش قال : كنا مع رسول الله (ص) بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا و بين القبلة فصلى بنا رسول الله (ص) صلاة الظهر فقالوا : قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم . ثم قالوا تأتى الآن عليهم صلاة هى أحب اليهم من أبنائهم وأنفسهم . قال فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر [واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة] قال فحضرت فأمرهم رسول الله (ص) فأخذوا السلاح فصففنا خلفه صفين ثم ركع فركعنا جميعاً ثم رفع فرفعنا جميعا ثم سجد بالصف الذى يليه والآخرون قيام يحرسونهم فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا فى مكانهم ثم تقدم هؤلاء الى مصاف هؤلاء وجاء هؤلاء الى مصاف هؤلاء قال ثم ركع فركعوا جميعاً ثم رفع فرفعوا جميعاً ثم سجد الصف الذى يليه والآخرون قيام يحرسونهم فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا ثم سلم عليهم ثم انصرف . قال فصلاها رسول الله (ص) مرتين مرة بأرض عسفان ومرة بأرض بنى سليم . ثم رواه أحمد عن غندر عن شعبة عن منصور به نحوه . وقد رواه أبو داود عن سعيد بن منصور عن جرير بن عبد الحميد والنسائى عن الفلاس عن عبد العزيز بن عبد الصمد عن

محمد بن المثنى و بندار عن غندر عن شعبة ثلاثتهم عن منصور به . وهذا اسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجه واحد منهما لكن روى مسلم من طريق أبى خيثمة زهير بن معاوية عن أبى الزبير عن جابر قال غزونا مع رسول الله (ص) قوماً من جهينة فقاتلوا قتالا شديداً فلما أن صلى الظهر قال المشركون لو ملنا عليهم ميلة لاقتطعناهم فأخبر جبريل رسول الله (ص) بذلك وذكر لنا رسول الله (ص) قال : « وقالوا انه ستأتيهم صلاة هى أحب اليهم من الاولاد » فذكر الحديث كنحو ماتقدم

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا هشام عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله قال : « صلى رسول الله (ص) بأصحابه الظهر بنخل فهمّ به المشركون ثم قالوا دعوهم فان لهم صلاة بعد هذه الصلاة هى أحب اليهم من أبنائهم ، قال فنزل جبريل على رسول الله (ص) فأخبره فصلى بأصحابه صلاة العصر فصفهم صفين بين أيديهم رسول الله والعدو بين يدى رسول الله (ص) فكبّر وكبروا جميعاً وركعوا جميعاً ثم سجد الذين يلونهم والآخرون قيام فلما رفعوا رؤسهم سجد الآخرون ثم تقدم هؤلاء وتأخر هؤلاء فكبروا جميعاً وركعوا جميعاً ثم سجد الذين يلونه والآخرون قيام فلما رفعوا رؤسهم سجد الآخرون ، وقد استشهد البخارى فى صحيحه برواية هشام هذه عن أبى الزبير عن جابر وقال الامام أحمد ثنا عبد الصمد حدثنا سعيد بن عبيد الهُنائى حدثنا عبد الله بن شقيق حدثنا أبو هريرة أن رسول الله (ص) نزل بين ضجنان وعسفان فقال المشركون إن لهؤلاء صلاة هى أحب اليهم من أبنائهم وأبكارهم وهى العصر فأجمعوا أمركم فميلوا عليهم ميلة واحدة . وإن جبريل أتى رسول الله (ص) وأمره أن يقيم أصحابه شطرين فيصلى ببعضهم ويقدم الطائفة الاخرى وراءهم وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ثم تأتى الاخرى فيصلون معه ويأخذ هؤلاء حذرهم وأسلحتهم ليكون لهم ركعة ركعة مع رسول الله (ص) ولرسول الله ركعتان . ورواه الترمذى والنسائى من حديث عبد الصمد به وقال الترمذى حسن صحيح . قلت إن كان أبو هريرة شهد هذا فهو بعد خيبر وإلا فهو من مرسلات الصحابى ولا يضر ذلك عند الجمهور والله أعلم . ولم يذكر فى سياق حديث جابر عند مسلم ولا عند أبى داود الطيالسى أمر عسفان ولا خالد بن الوليد لكن الظاهر أنها واحدة . بقى الشأن فى أن غزوة عسفان قبل الخندق أو بعدها ، فان من العلماء منهم الشافعى من يزعم أن صلاة الخوف إنما شرعت بعد يوم الخندق فانهم أخّروا الصلاة يومئذ عن ميقاتها لعذر القتال ولو كانت صلاة الخوف مشروعة إذ ذاك لفعلوها ولم يؤخروها ، ولهذا قال بعض أهل المغازى : إن غزوة بنى لحيان التى صلى فيها صلاة الخوف بعسفان كانت بعد بنى قريظة . وقد ذكر الواقدى بأسناده عن خالد بن الوليد قال : لما خرج رسول الله (ص) الى الحديبية لقيته بعسفان فوقفت بأزائه وتعرضت له فصلى بأصحابه الظهر أمامنا فهممنا أن نغير عليه ثم لم يعزم لنا فأطلعه الله على

ما فى أنفسنا من الهمّ به فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف . قلت : وعمرة الحديبية كانت فى ذى القعدة سنة ست بعد الخندق و بني قريظة كما سيأتى . وفى سياق حديث أبى عياش الزرقي مايقتضى أن آية صلاة الخوف نزلت فى هذه الغزوة يوم عسفان فاقتضى ذلك أنها أول صلاة خوف صلاها والله أعلم . وسنذكر إن شاء الله تعالى كيفية صلاة الخوف واختلاف الروايات فيها فى كتاب الاحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان

غزوة ذات الرقاع

قال ابن اسحاق ثم أقام رسول الله (ص) بالمدينة بعد غزوة بنى النضير شهرى ربيع و بعض جمادى ثم غزا نجداً يريد بنى محارب و بنى ثعلبة من غطفان واستعمل على المدينة أبا ذر . قال ابن هشام : ويقال عثمان بن عفان ، قال ابن اسحاق فسار حتى نزل نخلاً وهى غزوة ذات الرقاع . قال ابن هشام لانهم رقّعوا فيها راياتهم ، ويقال لشجرة هناك اسمها ذات الرقاع ، وقال الواقدى بجبل فيه بقع حمر وسود وبيض . وفى حديث أبى موسى : انما سميت بذلك لما كانوا يربطون على أرجلهم من الخرق من شدة الحر . قال ابن اسحاق : فلقى بها جمعاً من غطفان فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب وقد خاف الناس بعضهم بعضاً حتى صلى رسول الله (ص) بالناس صلاة الخوف ، وقد أسند ابن هشام حديث صلاة الخوف ههنا عن عبد الوارث بن سعيد التَنورى عن يونس بن عبيدعن الحسن عن جابر بن عبد الله وعن عبد الوارث عن أيوب عن أبى الزبير عن جابر وعن عبد الوارث عن أيوب عن نافع عن ابن عمر ولكن لم يذكر فى هذه الطرق غزوة نجد ولا ذات الرقاع ولم يتعرض لزمان ولا مكان وفى كون غزوة ذات الرقاع التى كانت بنجد لقتال بنى محارب وبنى ثعلبة بن غطفان قبل الخندق نظر . وقد ذهب البخارى الى أن ذلك كان بعد خيبر واستدل على ذلك بأن أبا موسى الاشعرى شهدها كما سيأتى وقدومه انما كان ليالى خيبر صحبة جعفر وأصحابه وكذلك أبو هريرة وقد قال صليت مع رسول الله (ص) فى غزوة نجد صلاة الخوف ، ومما يدل على أنها بعد الخندق أن ابن عمر انما أجازه رسول الله (ص) فى القتال أول ماأجازه يوم الخندق. وقد ثبت عنه فى الصحيح أنه قال : غزوتُ مع رسول الله (ص) قبل نجد فذكر صلاة الخوف ، وقول الواقدى انه عليه السلام خرج الى ذات الرقاع فى أربعمائة ويقال سبعمائة من اصحابه ليلة السبت لعشر خلون من المحرم سنة خمس فيه نظر ، ثم لايحصل به نجاة من أن صلاة الخوف انما شرعت بعد الخندق لان الخندق كان فى شوال سنة خمس على المشهور ، وقيل فى شوال سنة أربع ، فتحصل على هذا القول مخلص من حديث ابن عمر ، فأما حديث أبى موسى وأبى هريرة فلا .

قصة غورث بن الحارث

قال ابن اسحاق في هذه الغزوة : حدثني عمرو بن عبيد عن الحسن عن جابر بن عبد الله أن رجلا من بنى محارب يقال له غورث قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا بلى وكيف تقتله ؟ قال : أفتك به . قال : فأقبل الى رسول الله (ص) وهو جالس ، وسيف رسول الله (ص) فى حجره . فقال يا محمد ، أنظر الى سيفك هذا ؟ قال : نعم ، فأخذه ثم جعل يهزه ويهم ، فكبته الله . ثم قال : يا محمد ، أما تخافنى ؟ قال : لا ، ما أخاف منك ؟ قال : أما تخافني وفى يدى السيف . قال : لا ، يمنعني الله منك . ثم عمد الى سيف النبى (ص) فرده عليه فأنزل الله عز وجل [ياأيها الذين آمنوا أذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون] . قال ابن اسحاق : وحدثني يزيد بن رومان أنه انما أنزلت فى عمرو بن جحاش أخى بنى النضير وماهمَّ به . هكذا ذكر ابن اسحاق قصة غورث هذا عن عمرو بن عبيد القدرى رأس الفرقة الضالة وهو وان كان لايتهم بتعمد الكذب فى الحديث إلا أنه ممن لا ينبغى أن يروى عنه لبدعته ودعائه اليها ، وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين من غير هذا الوجه ولله الحمد . فقد أورد الحافظ البيهقى ها هنا طرقا لهذا الحديث من عدة أماكن ، وهى ثابتة فى الصحيحين من حديث الزهرى عن سنان بن أبى سنان وأبى سلمة عن جابر أنه غزا مع رسول الله (ص) غزوة نجد فلما قفل رسول الله (ص) أدركته القائلة فى واد كثير العضاه فتفرق الناس يستظلون بالشجر وكان رسول الله (ص) تحت ظل شجرة فعلق بها سيفه . قال جابر : فنمنا نومة فاذا رسول الله (ص) يدعونا فأجبناه واذا عنده اعرابى جالس فقال رسول الله (ص) : ان هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو فى يده صلتاً فقال من يمنعك منى ؟ قلت : الله . فقال من يمنعك منى ؟ قلت الله . فشام السيف وجلس ولم يعاقبه رسول الله (ص) وقد فعل ذلك ، وقد رواه مسلم أيضاً عن أبى بكر بن أبى شيبة عن عفان عن أبان عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن جابر قال : أقبلنا مع رسول الله (ص) حتى إذا كنا بذات الرقاع ، وكنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله (ص) فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله (ص) معلق بشجرة ، فأخذ سيف رسول الله فاخترطه وقال لرسول الله (ص) تخافنى ؟ قال : لا . قال فمن يمنعك منى ؟ قال : الله يمنعنى منك قال : فهدده أصحاب رسول الله (ص) فأغمد السيف وعلقه . قال : ونودى بالصلاة فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفة الاخرى ركعتين قال : فكانت لرسول الله (ص) أربع ركعات وللقوم ركعتان . وقد علقه البخارى بصيغة الجزم عن أبان به . قال البخارى وقال مسدد

عن أبي عوانة عن أبي بشر أن اسم الرجل غورث بن الحارث . وأسند البيهقي من طريق أبي عوانة عن أبي بشر عن سليمان بن قيس عن جابر قال : قاتل رسول الله ص محارب وغطفان بنخل فرأوا من المسلمين غره فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله (ص) بالسيف وقال من يمنعك منى قال الله فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله (ص) السيف وقال من يمنعك منى فقال كن خير آخذ . قال : تشهد أن لا إله إلا الله؟ قال: لا ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، فخلى سبيله فأتى أصحابه وقال : جئتكم من عند خير الناس . ثم ذكر صلاة الخوف وانه صلى أربع ركعات بكل طائفة ركعتين . وقد أورد البيهقي هنا طرق صلاة الخوف بذات الرقاع عن صالح بن خوات بن جبير عن سهل بن أبي حثمة ، وحديث الزهري عن سالم عن أبيه في صلاة الخوف بنجد وموضع ذلك كتاب الاحكام . والله أعلم

قصة الذي أصيبت امرأته يومئذ

قال محمد بن اسحاق حدثني عمي صدقة بن يسار عن عقيل بن جابر عن جابر بن عبد الله قال : خرجنا مع رسول الله (ص) في غزوة ذات الرقاع من نخل فاصاب رجل امرأة رجل من المشركين فلما انصرف رسول الله (ص) قافلا ، أتى زوجها وكان غائباً ، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد دما فخرج يتبع إثر رسول الله (ص) فنزل رسول الله (ص) منزلا فقال من رجل يكلؤنا ليلتنا فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الانصار . فقالا : نحن يا رسول الله ، قال : فكونا بفم الشعب من الوادي ، وهما عمار بن ياسر وعباد بن بشر فلما خرجا الى فم الشعب قال الانصاري للمهاجري : أي الليل تحب أن أكفيكه أوله أم آخره ؟ قال : بل اكفني أوله ، فاضطجع المهاجري فنام وقام الانصاري يصلي ، قال : وأتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة القوم فرمى بسهم فوضعه فيه فانتزعه ووضعه وثبت قائما قال : ثم رمى بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه فوضعه وثبت قائما قال ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ثم أهب صاحبه فقال: اجلس فقد أثبت قال: فوثب الرجل فلما رآهما عرف أنه قد نذرا به فهرب قال: ولما رأى المهاجري ما بالانصاري من الدماء قال سبحان الله أفلا أهببتني أول ما رماك قال كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفدها فلما تابع على الرمي ركعت فآذنتك وأيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله (ص) بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدها . هكذا ذكره ابن اسحاق في المغازي وقد رواه أبو داود عن أبي توبة عن عبد الله بن المبارك عن ابن اسحاق به . وقد ذكر الواقدي عن عبد الله العمري عن أخيه عبيد الله عن القاسم بن محمد عن صالح بن خوات عن ابيه حديث صلاة

الخوف بطوله قال وكان رسول الله (ص.) قد أصاب فى محالهم نسوة ، وكان فى السبى جارية وضيئة وكان زوجها يحبها فحلف ليطلبن محمداً ولا يرجع حتى يصيب دماً أو يخلص صاحبته ثم ذكر من السياق نحو ما أورده محمد بن اسحاق. قال الواقدى وكان جابر بن عبد الله يقول بينا أنا مع رسول الله (ص.) اذ جاء رجل من أصحابه بفرخ طائر ورسول الله (ص.) ينظر اليه فأقبل اليه أبواه أو أحدهما حتى طرح نفسه فى يدى الذى أخذ فرخه فرأيت أن الناس عجبوا من ذلك فقال رسول الله (ص.) أتعجبون من هذا الطائر أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه فوالله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه

قصة جمل جابر

قال محمد بن اسحاق : حدثنى وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله (ص.) الى غزوة ذات الرقاع من نخل على جمل لى ضعيف فلما قفل رسول الله (ص.) جعلت الرفاق تمضى وجعلت أتخلف حتى أدركنى رسول الله (ص.) فقال : مالك ياجابر ؟ قلت يارسول الله أبطأ بى جملى هذا . قال : أنخه ، قال فأنخته وأناخ رسول الله (ص.) ثم قال : أعطنى هذه العصا من يدك أو اقطع عصا من شجرة ففعلت فأخذها رسول الله (ص.) فنخسه بها نخسات ثم قال : اركب فركبت فخرج والذى بعثه بالحق يواهق ناقته مواهقة . قال : وتحدثت مع رسول الله (ص.) فقال : أتبيعنى جملك هذا ياجابر ؟ قال : قلت بل أهبه لك قال : لا ولكن بعنيه ، قال : قلت فسُمْنيه ، قال : قد أخذته بدرهم ، قال قلت : لا اذاً تغبننى يارسول الله ، قال : فبدرهمين ، قال : قلت لا ، قال : فلم يزل يرفع لى رسول الله (ص.) حتى بلغ الاوقية ، قال فقلت : أفقد رضيتَ ؟ قال : نعم ، قلت فهو لك ، قال : قد أخذته ثم قال : ياجابر هل تزوجت بعد ، قال قلت : نعم يارسول الله ، قال : أثيباً أم بكراً ، قال : قلت بل ثيباً ، قال : أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك ، قال : قلت يارسول الله ان أبى أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعاً فنكحت أمرأة جامعة تجمع رءوسهن فتقوم عليهن . قال : أصبتَ انشاءالله ، أما انا لو جئنا صراراً أمرنا بجزور فنحرت فأقمنا عليها يومنا ذلك وسمعتْ بنا فنفضت نمارقها ، قال : فقلت والله يارسول الله مالنا نمارق ، قال : انها ستكون فاذا أنت قدمت فاعمل عملا كيساً ، قال : فلما جئنا صراراً أمر رسول الله (ص.) بجزور فنحرت وأقمنا عليها ذلك اليوم ، فلما أمسى رسول الله (ص.) دخل ودخلنا . قال : فحدثتُ المرأة الحديث وما قال لى رسول الله (ص.) ، قالت : فدونك فسمع وطاعة فلما أصبحتُ أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله (ص.) ثم جلست فى المسجد قريباً منه ، قال : وخرج رسول الله (ص.)

فرأى الجمل فقال : ماهذا ، قالوا : يارسول الله هذا جمل جاء به جابر ، قال : فأين جابر ، فدعيت له ، قال فقال : ياابن أخى خذ برأس جملك فهو لك ، قال : ودعا بلالا فقال : اذهب بجابر فأعطه أوقية ، قال : فذهبت معه فأعطانى أوقية وزادنى شيئاً يسيراً ، قال : فوالله مازال ينمى عندى ويرى مكانه من بيننا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا . يعنى يوم الحرة . وقد أخرجه صاحب الصحيح من حديث عبيد الله بن عمر العمرى عن وهب بن كيسان عن جابر بنحوه . قال السهيلى : فى هذا الحديث اشارة الى ما كان أخبر به رسول الله (ص.) جابر بن عبد الله أن الله أحيا والده وكلمه فقال له تمنَّ علىَّ . وذلك أنه شهيد وقد قال الله تعالى [ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم] وزادهم على ذلك فى قوله [للذين أحسنوا الحسنى وزيادة] ثم جمع لهم بين العوض والمعوض فرد عليهم أرواحهم التى اشتراها منهم فقال [ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أموات بل أحياء عند ربهم يرزقون] والروح للانسان بمنزلة المطية كما قال ذلك عمر بن عبد العزيز . قال : فلذلك اشترى رسول الله (ص.) من جابر جمله وهو مطيته فأعطاه ثمنه ثم رده عليه وزاده مع ذلك . قال ففيه تحقيق لما كان أخبره به عن أبيه . وهذا الذى سلكه السهيلى هاهنا اشارة غريبة وتخيّل بديع والله سبحانه وتعالى أعلم . وقد ترجم الحافظ البيهقى فى كتابه (دلائل النبوة) على هذا الحديث فى هذه الغزوة فقال : باب ما كان ظهر فى غزاته هذه من بركاته وآياته فى جمل جابر بن عبد الله رضى الله عنه . وهذا الحديث له طرق عن جابر وألفاظ كثيرة وفيه اختلاف كثير فى كمية ثمن الجمل وكيفية ما اشترط فى البيع . وتحرير ذلك واستقصاؤه لائق بكتاب البيع من الاحكام والله أعلم . وقد جاء تقييده بهذه الغزوة وجاء تقييده بغيرها كما سيأتى ومستبعد تعداد ذلك والله أعلم

غزوة بدر الآخرة

وهى بدر الموعد التى تواعدوا اليها من أحد كما تقدم . قال ابن اسحاق : ولما رجع رسول الله (ص.) الى المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الاولى وجمادى الآخرة ورجباً ثم خرج فى شعبان الى بدر لميعاد أبى سفيان . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول . قال ابن اسحاق فنزل رسول الله (ص.) بدراً وأقام عليه ثمانياً ينتظر أبا سفيان . وخرج أبو سفيان فى أهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية الظهران . وبعض الناس يقول قد بلغ عسفان ثم بدا له فى الرجوع فقال : يامعشر قريش انه لايصلحكم الا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، فان عامكم هذا عام جدب وانى راجع فارجعوا . فرجع الناس فسماهم أهل مكة

جيش السويق يقولون انما خرجتم تشربون السويق . قال واتى مخشى بن عمرو الضمرى وقد كان وادع النبى (ص.) فى غزوة ودان على بنى ضمرة فقال : يامحمد أجئت للقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم يا أخا بنى ضمرة وان شئت رددنا اليك ما كان بيننا و بينك وجالدناك حتى يحكم الله بيننا و بينك . قال : لا والله يامحمد مالنا بذلك من حاجة . ثم رجع رسول الله (ص.) الى المدينة ولم يلق كيداً . قال ابن اسحاق وقد قال عبد الله بن رواحة يعنى فى انتظارهم أبا سفيان ورجوعه بقريش عامه ذلك قال ابن هشام وقد أنشدنيها أبو زيد لكعب بن مالك :

وَعَدْنا أبا سفيانَ بدراً فلم نجد — لميعاده صِدقاً وما كان وافيا
فأقسمُ لو لاقيْتَنا فلقيتَنا — لأُبتَ ذميماً وافتقدت المواليا
تركْنا به أوصال عتبةَ وابنَه — وعمرا أبا جهل تركناه ثاويا
عصيْتُم رسولَ الله افٍ لدينكم — وأمركم السَّيءُ الذي كان غاويا
فإنى وان عنّفتمونى لقائل — فِدى لرسول الله أهلي وماليا
أطعناه لم نعدله فينا بغَيْره — شهاباً لنا فى ظُلمة الليل هاديا

قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت فى ذلك :

دعوا فَلَجاتِ الشام قد حالَ دونها — جِلادٌ كأفواه المخاض الأوارك
بأيدى رجالٍ هاجروا نحو ربّهم — وأنصارِه حقّاً وايدي الملائك
اذا سلكتْ للغورِ من بطن عالجٍ — فقولا لها ليس الطريق هنالك
أقمنا على الرسّ النَزوعَ ثمانيا — بأرعنَ جرّارٍ عريض المبارك
بكل كُميْتٍ جَوْزُه نصفُ خَلْقِه — وقُبٍّ طِوال مُشرفات الحوارك
ترى العرفجَ العاميّ تذري أصولَه — مناسمُ اخفافِ المطيّ الرواتك
فان تلقَ فى تطوافنا والتماسنا — فراتَ بنَ حيّانٍ يكنْ رهْنَ هالك
وان تلقَ قيسَ بنَ أمرئِ القيس بعده — يزدْ فى سَواد لونه لون حالك
فأبلغ أبا سفيان عنى رسالةً — فانك من غرّ الرجال الصعالك

قال : فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وقد أسلم فيما بعد ذلك :

أحسّانُ إنا ياابنَ آكلة الفغا — وجدّك نغتال الخُروقَ كذلك
خرجنا وما تنجو اليعافيرُ بيننا — ولو والَتْ منا بشد مدارك
اذا ما انبعثْنا من مُناخٍ حسبْتَه — مدمّنَ أهلِ الموسم المتعارك
أقمتَ على الرسّ النزوعَ تُريدنا — وتتركُنا فى النَخل عند المدارك

على الزرعِ تمشى خيلُنا وركابُنا فما وطئتْ ألصقنَه بالدكادك
أقمنا ثلاثاً بين سَلعٍ وفارع بجُرْدِ الجيادِ والمطيّ الرواتك
حسبتم جِلاد القوم عند فنائكم كمأخذِكم بالعين أرطال آنك
فلا تبعثِ الخيلَ الجيادَ وقل لها على نحوِ قولِ المعصِم المتماسك
سَعِدتم بها وغيرُكم كانَ أهلَها فوارسُ من أبناء فِهرِ بنِ مالك
فانك لافي هجرةٍ إن ذكرتَها ولا حُرمات دِينها أنتَ ناسك

قال ابن هشام : تركنا منها أبياتاً لاختلاف قوافيها ، وقد ذكر موسى بن عقبة عن الزهرى وابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة بن الزبير أن رسول الله (ص) استنفر النـاس لموعد أبى سفيان وانبعث المنافقون في الناس يثبطونهم فسلم الله أولياءه ، وخرج المسلمون صحبة رسول الله (ص) الى بدر وأخذوا معهم بضائع وقالوا إن وجدنا أبا سفيان وإلا اشترينا من بضائع موسم بدر ثم ذكر نحو سياق ابن اسحاق فى خروج أبى سفيان الى مجنة ورجوعه وفى مقاولة الضمرى ، وعرض النبى (ص) المنـابذة فأبى ذلك . قال الواقدى : خرج رسول الله (ص) اليهـا فى ألف وخمسمائة من أصحابه واستخلف على المدينة عبد الله بن رَواحة . وكان خروجه اليهـا فى مستهل ذى القعدة يعنى سنة أربع ، والصحيح قول ابن اسحاق أن ذلك فى شعبان من هذه السنة الرابعة ووافق قول موسى بن عقبة أنهـا فى شعبان لـكن قال فى سنة ثلاث وهذا وهم فان هذه تواعدوا اليهـا من أحد وكانت أحد فى شوال سنة ثلاث كما تقدم والله أعلم . قال الواقدى : فأقاموا ببدر مدة الموسم الذى كان يعقد فيها ثمانية أيام فرجعوا وقد ربحوا من الدرهم درهمين . وقال غيره : فانقلبوا كما قال الله عز وجل : ﴿ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾

فصل

في جملة من الحوادث الواقعة سنة اربع من الهجرة

قال ابن جرير : وفى جمادى الأولى من هذه السنة مات عبد الله بن عثمان بن عفان رضى الله عنه يعنى من رقية بنت رسول الله (ص) وهو ابن ست سنين فصلى عليه رسول الله (ص) ونزل فى حفرته والده عثمان بن عفان رضى الله عنه . قلت : وفيه توفى أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشى المخزومى وأمه برّة بنت عبد المطلب عمة رسول الله

(ص) وكان رضيع رسول الله (ص) ارتضعا من ثويبة مولاة أبي لهب . وكان اسلام أبي سلم وأبي عبيدة وعثمان بن عفان والارقم بن أبي الارقم قديماً في يوم واحد ، وقد هاجر هو وزوجته أم سلمة الى أرض الحبشة ثم عاد الى مكة وقد ولد لهما بالحبشة أولاد ، ثم هاجر من مكة الى المدينة وتبعته أم سلمة الى المدينة كما تقدم ، وشهد بدراً وأحداً ومات من آثار جرح جُرِحه بأحد رضي الله عنه وأرضاه ، له حديث واحد في الاسترجاع عند المصيبة سيأتي في سياق تزويج رسول الله (ص) بأم سلمة قريباً . قال ابن جرير : وفي ليال خلون من شعبان منها ولد الحسين بن علي من فاطمة بنت رسول الله (ص) ورضي الله عنهم . قال وفي شهر رمضان من هذه السنة تزوج رسول الله (ص) زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية . وقد حكى أبو عمر بن عبد البر عن علي بن عبد العزيز الجرجاني انه قال : كانت أخت ميمونة بنت الحارث . ثم استغربه وقال لم أره لغيره . وهي التي يقال لها أم المساكين لكثرة صدقاتها عليهم وبرها لهم واحسانها اليهم . وأصدقها ثنتي عشرة أوقية ونشا ودخل بها في رمضان وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث فطلقها . قال أبو عمر بن عبد البر عن علي بن عبد العزيز الجرجاني : ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف . قال ابن الأثير في الغابة : وقيل كانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أُحد . قال أبو عمر : ولا خلاف انها ماتت في حياة رسول الله (ص) ، وقيل لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة حتى توفيت رضي الله عنها ، وقال الواقدي في شوال من هذه السنة تزوج رسول الله (ص) أم سلمة بنت أبي أمية . قلت : وكانت قبله عند زوجها أبي اولادها أبي سلمة بن عبد الاسد وقد كان شهد أحداً كما تقدم ، وجرح يوم أحد فداوى جرحه شهراً حتى برئ ، ثم خرج في سرية فغنم منها نعما ومغنماً جيدا ، ثم أقام بعد ذلك سبعة عشر يوماً ثم انتقض عليه جرحه فمات لثلاث بقين من جمادى الاولى من هذه السنة ، فلما حلت في شوال خطبها رسول الله (ص) الى نفسها بنفسه الكريمة وبعث اليها عمر بن الخطاب في ذلك مراراً فتذكر أنها امرأة غيرى أي شديدة الغيرة وانها مصبية أي لها صبيان يشغلونها عنه ويحتاجون الى مؤنة تحتاج معها أن تعمل لهم في قوتهم ، فقال : أما الصبية فالى الله والى رسوله أي نفقتهم ليس اليك ، وأما الغيرة فادعو الله فيذهبها ، فأذنت في ذلك وقالت لعمر آخر ماقالت له : قم فزوّج النبي (ص) تعني قد رضيت وأذنت . فتوهم بعض العلماء انها تقول لابنها عمر بن أبي سلمة وقد كان إذ ذاك صغيراً لايلي مثله العقد ، وقدجمعتُ في ذلك جزءاً مفرداً بينت فيه الصواب في ذلك ولله الحمد والمنة . وان الذي ولي عقدها عليه ابنها سلمة بن أبي سلمة وهو أكبر ولدها وساغ هذا لان أباه ابن عمها فللابن ولاية أمه اذا كان

سبباً لها من غير جهة البنوة بالاجماع . وكذا اذا كان معتقاً أو حاكماً ، فأما محض البنوة فلا يلى بها عقد النكاح عند الشافعى وحده وخالفه الثلاثة أبو حنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله . ولبسط هذا موضع آخر يذكر فيه وهو كتاب النكاح من الاحكام الكبير إن شاء الله

قال الامام أحمد : حدثنا يونس حدثنا ليث يعنى ابن سعد عن يزيد بن عبد الله بن أسامة ابن الهاد عن عمرو بن أبى عمرو عن المطلب عن أم سلمة قالت : أتانى أبو سلمة يوماً من عند رسول الله (ص) فقال : لقد سمعت من رسول الله (ص) قولا سررت به ، قال : « لايصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول اللهم آجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيراً منها إلا فعل به » . قالت أم سلمة : فحفظت ذلك منه ، فلما توفى أبو سلمة استرجعت وقلت : اللهم آجرنى فى مصيبتى وأخلف لى خيراً منها . ثم رجعت الى نفسى فقلت : من أين لى خير من أبى سلمة ؟ فلما انقضت عدتى استأذن علىّ رسول الله (ص) وأنا أدبغ إهاباً لى فغسلت يدى من القرظ وأذنت له فوضعت له وسادة أدم حشوها ليف فقعد عليها فخطبنى الى نفسى ، فلما فرغ من مقالته قلت : يا رسول الله مابى أن لا تكون بك الرغبة ، ولكنى امرأة بى غيرة شديدة فأخاف أن ترى منى شيئاً يعذبنى الله به ، وأنا امرأة قد دخلت فى السن وأنا ذات عيال . فقال : أما ماذكرت من الغيرة فسيذهبها الله عنك ، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابنى مثل الذى أصابك ، وأما ماذكرت من العيال فانما عيالك عيالى ، فقالت : فقد سلمت لرسول الله (ص) . فقالت أم سلمة : فقد أبدلنى الله بأبى سلمة خيرا منه رسول الله (ص) . وقد رواه الترمذى والنسائى من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عمر بن أبى سلمة عن أمه أم سلمة عن أبى سلمة به . وقال الترمذى حسن غريب . وفى رواية للنسائى عن ثابت عن ابن عمر بن أبى سلمة عن أبيه . ورواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يزيد بن هارون عن عبد الملك بن قدامة الجمحى عن أبيه عن عمر بن أبى سلمة به .

وقال ابن اسحاق : ثم انصرف رسول الله (ص) – يعنى من بدر الموعد – راجعاً الى المدينة فأقام بها حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهى سنة أربع . وقال الواقدى : وفى هذه السنة يعنى سنة أربع أمر رسول الله (ص) زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود . قلت : فثبت عنه فى الصحيح أنه قال تعلمته فى خمسة عشر يوماً والله أعلم

سنة خمس من الهجرة النبوية

غزوة دومة الجندل في ربيع الأول منها

قال ابن اسحاق : ثم غزا رسول الله (ص) دومة الجندل . قال ابن هشام فى ربيع الاول ، - يعنى من سنة خمس - واستعمل على المدينة سباع بن عُرْفُطة الغفارى . قال ابن اسحاق : ثم رجع الى المدينة قبل أن يصل اليها ولم يلقَ كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سنته . هكذا قال ابن اسحاق . وقد قال محمد بن عمر الواقدى باسناده عن شيوخه عن جماعة من السلف قالوا : أراد رسول الله (ص) أن يدنو الى أدانى الشام ، وقيل له ان ذلك مما يفزع قيصر ، وذكر له أن بدومة الجندل جمعاً كبيراً وأنهم يظلمون من مرّ بهم ، وكان لها سوق عظيم وهم يريدون أن يدنوا من المدينة . فندب رسول الله (ص) الناس فخرج فى ألف من المسلمين ، فكان يسير الليل ويكمن النهار ومعه دليل له من بنى عذرة يقال له مذكور هادٍ خريت . فلما دنا من دومة الجندل أخبره دليله بسوائم بنى تميم ، فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب فى كل وجه ، وجاء الخبر أهل دومة الجندل فتفرقوا ، فنزل رسول الله (ص) بساحتهم فلم يجد فيها أحداً ، فأقام بها أياما ، وبث السرايا ثم رجعوا وأخذ محمد بن سلمة رجلا منهم فأتى به رسول الله (ص) ، فسأله عن أصحابه فقال هربوا أمس ، فعرض عليه رسول الله (ص) الاسلام فأسلم ، ورجع رسول الله (ص) الى المدينة . قال الواقدى : وكان خروجه عليه السلام الى دومة الجندل فى ربيع الآخر (١) سنة خمس . قال : وفيه توفيت أم سعد بن عبادة وابنها مع رسول الله (ص) فى هذه الغزوة وقد قال أبو عيسى الترمذى فى جامعه : حدّثنا محمد بن بشار حدّثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن أم سعد ماتت والنبى (ص) غائب ، فلما قدم صلى عليها وقد مضى لذلك شهر وهذا مرسل جيد ، وهو يقتضى أنه عليه السلام غاب فى هذه الغزوة شهراً فما فوقه على ما ذكره الواقدى رحمه الله

غزوة الخندق أو الأحزاب

وقد أنزل الله تعالى فيها صدر سورة الاحزاب فقال تعالى [يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا * إذ

---

(١) فى تاريخ ابن جرير عن الواقدي أنه فى ربيع الاول .

جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم و إذ زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتليَ المؤمنون وزُلزلوا زلزالا شديداً * واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلاغرورا * وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مُقام لكم فارجعوا ، و يستأذن فريق منهم النبيَّ يقولون ان بيوتنا عورة وما هى بعورة ان يريدون إلا فِرارا * ولو دُخلتْ عليهم من أقطارها ثم سُئلوا الفتنةَ لأَتوْها وما تلبثوا بها إلا يسيرا * ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا * قل لن ينفعكم الفِرارُ إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تُمتَّعون إلا قليلا * قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيرا * قد يعلم الله المعوِّقين منكم والقائلين لاخوانهم هلمَّ الينا ولا يأتون البأس إلا قليلا * أشِحةً عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يُغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فاحبطَ الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا * يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودُّوا لو أنهم بادون فى الاعراب يسألون عن أنبائكم ولوكانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا * لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا * ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليما * من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا * ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إنْ شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما * وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزا * وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسِرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شىء قديرا] وقد تكلمنا على كل من هذه الآيات الكريمات فى التفسير ولله الحمد والمنة ، ولنذكر هاهنا ما يتعلق بالقصة إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان

وقد كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس من الهجرة نص على ذلك ابن اسحاق وعروة ابن الزبير وقتادة والبيهقى وغير واحد من العلماء سلفاً وخلفاً وقد روى موسى بن عقبة عن الزهرى أنه قال : ثم كانت وقعة الاحزاب فى شوال سنة أربع . وكذلك قال الامام مالك بن أنس فيما رواه احمد بن حنبل عن موسى بن داود عنه . قال البيهقى : ولا اختلاف بينهم فى الحقيقة لان مرادهم ان ذلك بعد مضىّ أربع سنين وقبل استكمال خمس ، ولاشك أن المشركين لما انصرفوا عن أحد واعدوا المسلمين الى بدر العام القابل ، فذهب النبى (ص) وأصحابه كما تقدم فى شعبان سنة أربع

ورجع أبو سفيان بقريش لجدب ذلك العام فلم يكونوا ليأتوا الى المدينة بعد شهرين ، فتعين أن الخندق فى شوال من سنة خمس والله أعلم . وقد صرح الزهرى بان الخندق كانت بعد أحد بسنتين ولا خلاف أن أحداً فى شوال سنة ثلاث الا على قول من ذهب الى أن أول التاريخ من محرم السنة الثانية لسنة الهجرة ، ولم يعدوا الشهور الباقية من سنة الهجرة من ربيع الاول الى آخرها كما حكاه البيهقى . وبه قال يعقوب بن سفيان الفسوى وقد صرح بان بدراً فى الاولى ، وأحداً فى سنة ثنتين ، وبدر الموعد فى شعبان سنة ثلاث ، والخندق فى شوال سنة أربع . وهذا مخالف لقول الجمهور فان المشهور أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جعل أول التاريخ من محرم سنة الهجرة ، وعن مالك من ربيع الاول سنة الهجرة ، فصارت الاقوال ثلاثة والله أعلم . والصحيح قول الجمهور أن أحداً فى شوال سنة ثلاث ، وأن الخندق فى شوال سنة خمس من الهجرة والله أعلم .
فاما الحديث المتفق عليه فى الصحيحين من طريق عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه قال : عُرضتُ على رسول الله (ص) يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزنى ، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فاجازنى ، فقد أجاب عنها جماعة من العلماء منهم البيهقى بانه عرض يوم أحد فى أول الرابعة عشرة ، ويوم الاحزاب فى أواخر الخامسة عشرة . قلت : ويحتمل أنه أراد أنه لما عرض عليه فى يوم الاحزاب كان قد استكمل خمس عشرة سنة التى يجاز لمثلها الغلمان ، فلا يبقى على هذا زيادة عليها . ولهذا لما بلغ نافع عمر بن عبد العزيز هذا الحديث قال : ان هذا الفرق بين الصغير والكبير . ثم كتب به الى الآفاق واعتمد على ذلك جمهور العلماء والله أعلم

وهذا سياق القصة مما ذكره ابن اسحاق وغيره . قال ابن اسحاق : ثم كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس . فحدثنى يزيد بن رومان عن عروة ومن لا أتهم عن عبيد الله بن كعب بن مالك ومحمد بن كعب القرظى والزهرى وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر وغيرهم من علمائنا وبعضهم يحدث مالا يحدث بعض . قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود منهم سلام بن أبى الحقيق النضرى وحيى بن أخطب النضرى وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وهوذة بن قيس الوائلى وأبو عمار الوائلى فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل وهم الذين حزّبوا الاحزاب على رسول الله (ص) ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله (ص) وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، فقالت لهم قريش : يامعشر يهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خيرٌ أم دينه ؟ قالوا بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه ، فهم الذين أنزل الله فيهم [ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين

آمنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا الآيات . فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله (ص.) ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له ، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم الى حرب النبى (ص.) وأخبروهم أنهم يكونون معهم عليه وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فيه ، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فى بنى فزارة ، والحارث بن عوف بن أبى حارثة المرى فى بنى مرة ومسعر بن رُخَيلة بن نويره ابن طريف بن سُحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع . فلما سمع بهم رسول الله (ص.) وما أجمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة قال ابن هشام : يقال ان الذى أشار به سلمان . قال الطبرى والسهيلى : أول من حفر الخنادق منوشهر بن أيرج بن أفريدون وكان فى زمن موسى عليه السلام . قال ابن اسحاق : فعمل فيه رسول الله (ص.) ترغيباً للمسلمين فى الاجر ، وعمل معه المسلمون ، وتخلف طائفة من المنافقين يعتذرون بالضعف ، ومنهم من ينسلُّ خفية بغير اذنه ولا علمه عليه الصلاة والسلام . وقد أنزل الله تعالى فى ذلك قوله تعالى : [إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم * لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ، ألا ان لله ما فى السماوات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شىء عليم]

قال ابن اسحاق : فعمل المسلمون فيه حتى احكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له جُعيل سماه رسول الله (ص.) عَمْراً ، فقالوا فيما يقولون :

سمّاه من بعدِ جُعَيلٍ عَمْراً وكانَ للبائسِ يوماً ظَهرا

وكانوا اذا قالوا عمْراً قال معهم رسول الله (ص.) عمرا ، واذا قالوا ظهراً قال لهم ظهرا . وقد قال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو اسحاق عن حميد سمعت أنساً قال : خرج رسول الله (ص.) الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون فى غداةٍ باردةٍ ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى مابهم من النصب والجوع قال : « اللهم ان العيش عيش الآخره ، فأغفر الأنصارَ والمهاجره » فقالوا مجيبين له :

نحنُ الذين بايَعوا محمّدا على الجهادِ مابَقِينا أبَدا

وفى الصحيحين من حديث شعبة عن معاوية بن قرة عن أنس نحوه . وقد رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت وحميد عن أنس بنحوه . وقال البخارى حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث عن عبد العزيز عن أنس قال : جعل المهاجرون والانصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم ويقولون :

نحن الذين بايعوا محمدا   على الاسلام مابقينا أبدا

قال يقول النبى (ص.) مجيباً لهم «اللهم انه لاخير الا خير الآخره ،فبارك فى الانصار والمهاجره» قال يؤتون بملء كفى من الشعير فيصنع لهم باهالة سنخة توضع بين يدى القوم والقوم جياع ، وهى بشعة فى الحلق ولها ريح منتن . وقال البخارى حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز بن أبى حازم عن سهل بن سعد قال : كنا مع رسول الله (ص.) فى الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكتادنا ، فقال رسول الله (ص.) : « اللهم لا عيش الا عيش الآخرة ، فاغفر للمهاجرين والانصار » . ورواه مسلم عن القعنبى عن عبد العزيز به . وقال البخارى : حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا شعبة عن أبى اسحاق عن البراء بن عازب قال : كان رسول الله (ص.) ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو اغبرَّ بطنه يقول :

والله لولا اللهُ ما اهتدَينا   ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا
فأنزلنْ سَكِينةً علينا   وثبِّتِ الاقدامَ إن لاقينا
إنّ الأُلى قد بَغَوا علينا   إذا أرادوا فِتنةً أَبينا

ورفع بها صوته : أَبينا، أَبينا . ورواه مسلم من حديث شعبة به . ثم قال البخارى : حدثنا أحمد بن عثمان حدثنا شريح بن مَسلمة حدثنى ابراهيم بن يوسف حدثنى أبى عن أبى اسحاق عن البراء يحدث قال : لما كان يوم الاحزاب وخندق رسول الله (ص.) رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عنى الترابُ جلدة بطنه ، وكان كثير الشعر ، فسمعته يرتجز بكلمات عبد الله بن رَواحة وهو ينقل من التراب يقول :

اللهمَّ لولا أنتَ ما اهتدَينا   ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا
فأنزلنْ سَكِينةً علَينا   وثبِّتِ الاقدامَ إن لاقينا
ان الأُلى قدَ بغوا علينا   وإن أرادوا فِتنةً أبينا

ثم يمد صوته بآخرها . وقال البيهقى فى الدلائل : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد ابن عبيد الصفار حدثنا اسماعيل بن الفضل البجلى حدثنا ابراهيم بن يوسف البلخى حدثنا المسيب ابن شريك عن زياد بن أبى زياد عن أبى عثمان عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب فى

الخندق وقال: بسم الله وبه هُدينا ولو عبدْنا غيرَه شَقينا
يا حبَّذا ربًّا وحبَّ دِينا

وهذا حديث غريب من هذا الوجه. وقال الامام أحمد حدثنا سليمان حدثنا شعبة عن معاوية ابن قرة عن أنس ان رسول الله (ص) قال وهم يحفرون الخندق: « اللهم لاخير الا خير الآخره، فأصلح الانصار والمهاجره » وأخرجاه فى الصحيحين من حديث غندر عن شعبة

قال ابن اسحاق وقد كان فى حفر الخندق أحاديث بلغتنى من الله فيها عبرة فى تصديق رسول الله (ص) وتحقيق نبوته، عاين ذلك المسلمون. فمن ذلك ان جابر بن عبد الله كان يحدث أنه اشتدت عليهم فى بعض الخندق كُدْيَة، فشكوها الى رسول الله (ص) فدعا باناء من ماء فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به، ثم نضح الماء على تلك الكدية، فيقول من حضرها: فوالذى بعثه بالحق لانهالت حتى عادت كالكثيب ماترد فأساً ولا مسحاة. هكذا ذكره ابن اسحاق منقطعاً عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه. وقد قال البخاري رحمه الله حدثنا خلاد بن يحيى حدثنا عبدالواحد ابن أيمن عن أبيه قال: أتيت جابراً فقال انا يوم الخندق نحفر فعرضت كُدْيَة شديدة فجاؤا النبى (ص) فقالوا هذه كدية عرضت فى الخندق، فقال: أنا نازل. ثم قام و بطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لانذوق ذَواقا فأخذ النبى (ص) المعول فضرب فعاد كثيباً أهْيَلَ أوأهْيَمَ فقلت يارسول الله ائذنلى الى البيت، فقلت لامرأتى رأيت بالنبى (ص) شيئاً ماكان فى ذلك صبر فعندك شيء؟ قالت عندى شعير وعَناق، فذبحتُ العناق وطحنَتِ الشعير حتى جعلنا اللحم فى البرمة ثم جئت النبى (ص) والعجين قد انكسر والبرمة بين الاثافى قد كادت أن تنضَج فقلت طعيّم لى فقم أنت يارسول الله ورجل أو رجلان. قال كم هو؟ فذكرت له، فقال كثير طيب، قل لها لاتنزِعِ البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتى، فقال قوموا فقام المهاجرون والانصار. فلما دخل على امرأته قال ويحك جاء النبى (ص) بالمهاجرين والانصار ومن معهم. قالت هل سألك؟ قلت نعم فقال ادخلوا ولا تضاغطوا، فجعل يكسر الخبز و يجعل عليه اللحم ويخمّر البرمة والتنور اذا أخذ منه و يقرّب الى أصحابه، ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبزَ و يغرف حتى شبعوا و بقى بقية قال: كلى هذا وأهدى، فان الناس أصابتهم مجاعة. تفرد به البخارى. وقد رواه الامام أحمد عن وكيع عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه أيمن الحبشي مولى بنى مخزوم عن جابر بقصة الكدية و ربط الحجر على بطنه الكريم. ورواه البيهقى فى الدلائل عن الحاكم عن الاصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه عن جابر بقصة الكدية والطعام وطوله أتم من رواية البخارى قال فيه: لما علم النبى (ص) بمقدار الطعام قال للمسلمين جميعاً قوموا الى جابر فقاموا، قال فلقيت من

الحياء مالا يعلمه إلا الله وقلت جاءنا بخلق على صاع من شعير وعناق . ودخلت على امرأتى أقول : افتضحت جاءك رسول الله (ص) بالخندق أجمعين ، فقالت : هل كان سألك كم طعامك ؟ قلت : نعم . فقالت الله ورسوله أعلم . قال فكشفتْ عنى غماً شديداً ، قال فدخل رسول الله (ص) فقال خدمى ودعيني من اللحم . وجعل رسول الله (ص) يثرد ويغرف اللحم ويخمر هذا ويخمر هذا فما زال يقرب الى الناس حتى شبعوا أجمعين ويعود التنور والقدر أملأ ما كانا ، ثم قال رسول الله (ص) كلى واهدى فلم تزل تأكل وتهدى يومها . وقد رواه كذلك أبو بكر بن أبى شيبة عن عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه عن جابر به وأبسط أيضاً ، وقال فى آخره : وأخبرنى أنهم كانوا ثمانمائة أو قال ثلثمائة . وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد عن أبى الزبير عن جابر . فذكر القصة بطولها فى الطعام فقط وقال وكانوا ثلثمائة . ثم قال البخارى : حدثنا عمرو بن على حدثنا أبو عاصم حدثنا حنظلة بن أبى سفيان عن أبى الزبير حدثنا ابن ميناء سمعت جابر بن عبد الله قال : لما حفر الخندق رأيت من النبى (ص) خمصاً فانكفأتُ الى امرأتى فقلت هل عندك شيء فانى رأيت برسول الله (ص) خمصاً شديداً . فأخرجت لى جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها فطحنت ففرغت الى فراغى وقطعتها فى برمتها ثم وليت الى رسول الله (ص) فقالت لاتفضحنى برسول الله (ص) وبمن معه ، فجئته فساررته فقلت يارسول الله ذبحت بهيمة لنا وطحنت صاعاً من شعير كان عندنا ، فتعال أنت ونفر معك . فصاح رسول الله (ص) فقال : يا أهل الخندق ان جابراً قد صنع سؤراً فحيهلا بكم ، فقال رسول الله (ص) لاتنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء . فجئت وجاء رسول الله (ص) يقدم الناس حتى جئت امرأتى فقالت بك وبك . فقلت قد فعلت الذى قلت . فأخرجت لنا عجيناً فبسق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبسق وبارك ثم قال : ادع خبازة فلتخبز معكَ واقدحى من برمتك ولا تنزلوها وهم ألف فأقسم بالله لا كلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هى وان عجيننا كما هو . ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر عن أبى عاصم به نحوه . وقد روى محمد بن اسحاق هذا الحديث وفى سياقه غرابة من بعض الوجوه فقال حدثني سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله قال : عملنا مع رسول الله (ص) فى الخندق وكانت عندى شويهة غير جد سمينة قال فقلت والله لو صنعناها لرسول الله (ص) قال وأمرت امرأتى فطحنت لنا شيئا من شعير فصنعت لنا منه خبزاً وذبحت تلك الشاة فشويناها لرسول الله (ص) فلما أمسينا وأراد رسول الله (ص) الانصراف عن الخندق قال وكنا نعمل فيه نهاراً فاذا أمسينا رجعنا الى أهالينا فقلت يارسول الله انى قد صنعت لك شويهة كانت عندنا وصنعنا معها شيئا من خبز هذا الشعير فانا أحب أن تنصرف معى الى منزلى قال وانما أريد أن ينصرف معى رسول الله (ص) وحده . قال فلما أن قلت ذلك قال نعم ثم أمر صارخاً فصرخ أن

انصرفوا مع رسول الله (ص) الى بيت جابر بن عبد الله . قال قلت انا لله وانا اليه راجعون . قال فاقبل رسول الله (ص) وأقبل الناس معه فجلس وأخرجناها اليه قال فبرك وسمى الله تعالى ثم أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس حتى صدر أهل الخندق عنها . والعجب أن الامام احمد انما رواه من طريق سعيد بن ميناء عن يعقوب بن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن اسحاق عنه عن جابر مثله سواء . قال محمد بن اسحاق وحدثني سعيد بن ميناء أنه قد حدث أن ابنة لبشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت دعتني أمي عمرة بنت رواحة فاعطتني حفنة من تمر في ثوبي ثم قالت أي بنية اذهبي الى أبيك وخالك عبد الله بن رواحه بغدائهما . قالت فاخذتها وانطلقت بها فمررت برسول الله (ص) وأنا ألتمس أبي وخالي فقال تعالي يابنية ماهذا معك قالت قلت يارسول الله هذا تمر بعثتني به أمي الى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله بن رواحة يتغديانه . فقال هاتيه قالت فصببته في كفي رسول الله (ص) فما ملأتهما ثم أمر بثوب فبسط له ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب ثم قال لانسان عنده : اصرخ في أهل الخندق أن هلم الى الغداء . فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وانه ليسقط من أطراف الثوب . هكذا رواه ابن اسحاق وفيه انقطاع ، وهكذا رواه الحافظ البيهقي من طريقه ولم يزد .

قال ابن اسحاق : وحدثت عن سلمان الفارسي أنه قال : ضربت في ناحية من الخندق فغلظت على صخرة ورسول الله (ص) قريب مني فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان علي نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى قال ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى قال قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب؟ قال : أوقد رأيت ذلك ياسلمان ؟ قال قلت: نعم . قال : أما الاولى فان الله فتح علي بها اليمن وأما الثانية فان الله فتح علي بها الشام والمغرب وأما الثالثة فان الله فتح علي بها المشرق . قال البيهقي : وهذا الذي ذكره ابن اسحاق قد ذكره موسى بن عقبة في مغازيه ، وذكره أبو الاسود عن عروة ثم روى البيهقي من طريق محمد بن يونس الكديمي وفي حديثه نظر . لكن رواه ابن جرير في تاريخه عن محمد بن بشار وبندار ، كلاهما عن محمد بن خالد بن عثمة عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده فذكر حديثاً فيه أن رسول الله (ص) خط الخندق بين كل عشرة أربعين ذراعاً قال : واحتق المهاجرون والانصار في سلمان فقال رسول الله (ص) سلمان منا أهل البيت قال عمرو بن عوف فكنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن وستة من الانصار في أربعين ذراعاً لحفرنا حتى اذا بلغنا الندى ظهرت لنا صخرة بيضاء مروة فكسرت حديدنا وشقت علينا ، فذهب سلمان الى رسول الله (ص) ، وهو في قبة تركية ، فأخبره عنها فجاء

فاخذ المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها ، و برقت منها برقة أضاءت ما بين لا بتيها ـ يعنى المدينة ـ حتى كأنها مصباح فى جوف ليل مظلم فكبر رسول الله (ص) تكبير فتح وكبر المسلمون ، ثم ضربها الثانية فكذلك ، ثم الثالثة فكذلك . وذكر ذلك سلمان والمسلمون لرسول الله (ص) وسألوه عن ذلك النور ، فقال : لقد أضاء لى من الاولى قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب فاخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها . ومن الثانية أضاءت القصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها . ومن الثالثة أضاءت قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها فابشروا ، واستبشر المسلمون و قالوا الحمد لله موعود صادق . قال : ولما طلعت الاحزاب قال المؤمنون : هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا ايماناً وتسليما . وقال المنافقون : يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزل فيهم [واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا] وهذا حديث غريب . وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدّثنا هارون بن ملول حدّثنا أبو عبد الرحمن حدّثنا عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو قال لما أمر رسول الله (ص) بالخندق نخندق على المدينة قالوا يا رسول الله انا وجدنا صفاة لا نستطيع حفرها فقام النبى (ص) وقمنا معه فلما أتاها أخذ المعول فضرب به ضربة وكبر فسمعت هدّة لم أسمع مثلها قطّ فقال فتحت فارس ، ثم ضرب أخرى فكبر فسمعت هدّة لم أسمع مثلها قطّ فقال فتحت الروم ، ثم ضرب أخرى فكبر فسمعت هدّة لم أسمع مثلها قط فقال : جاء الله بحمير أعواناً وأنصارا . وهذا أيضا غريب من هذا الوجه وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الافريقى فيه ضعف فالله أعلم . وقال الطبرانى أيضا : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني سعيد بن محمد الجرمى حدّثنا أبو نميلة حدّثنا نعيم بن سعيد الغرى أن عكرمة حدث عن ابن عباس قال : احتفر رسول الله (ص) الخندق ، وأصحابه قد شدوا الحجارة على بطونهم من الجوع فلما رأى ذلك رسول الله (ص) قال : هل دللتم على رجل يطعمنا أكلة ؟ قال رجل نعم . قال أما لا فتقدّم فدلنا عليه . فانطلقوا الى [بيت] الرجل فاذا هو فى الخندق يعالج نصيبه منه فارسلت امرأته أن جىء فان رسول الله (ص) قد أتانا فجاء الرجل يسعى وقال : بأبى وأمى وله معزة ومعها جديها فوثب اليها فقال النبى (ص) الجدى من ورائها فذبح الجدى وعمدت المرأة الى طحينة لها فعجنتها وخبزت فادركت القدر فثردت قصعتها فقربتها الى رسول الله (ص) وأصحابه فوضع رسول الله (ص) اصبعه فيها وقال بسم الله اللهم بارك فيها اطعموا فاكلوا منها حتى صدروا ولم يأكلوا منها إلا ثلثها وبقى ثلثاها فسرح أولئك العشرة الذين كانوا معه أن اذهبوا وسرحوا الينا بعدتكم فذهبوا

فجاء أولئك العشرة فأكلوا منها حتى شبعوا ثم قام ودعا لربة البيت وسمت عليها وعلى أهل بيتها ، ثم مشوا الى الخندق فقال : اذهبوا بنا الى سلمان ، واذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها ، فقال رسول الله (ص) : دعونى فأكون أول من ضربها . فقال : بسم الله . فضربها فوقعت فلقة ثلثها فقال الله أكبر قصور الشام ورب الكعبة ، ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة فقال الله اكبر قصور فارس ورب الكعبة . فقال عندها المنافقون : نحن نخندق على أنفسنا وهو يعدنا قصور فارس والروم ، ثم قال الحافظ البيهقى : أخبرنا على بن احمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا محمد بن غالب بن حرب حدثنا هوذة حدثنا عوف عن ميمون بن استاذ الزهرى حدثنى البراء بن عازب الانصارى قال لما كان حين أمرنا رسول الله (ص) بحفر الخندق عرض لنا فى بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لاتأخذ فيها المعاول فشكوا ذلك الى رسول الله (ص) فلما رآها أخذ المعول وقال بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها وقال الله اكبر أعطيت مفاتيح الشام والله انى لأبصر قصورها الحمر ان شاء الله ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر فقال الله اكبر أعطيت مفاتيح فارس والله انى لابصر قصر المدائن الابيض ، ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله فقطع بقية الحجر فقال الله اكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله انى لابصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة . وهذا حديث غريب أيضاً تفرد به ميمون بن استاذ هذا وهو بصرى روى عن البراء وعبد الله بن عمرو وعنه حميد الطويل والُجريرى وعوف الاعرابى قال أبو حاتم عن اسحاق بن منصور عن ابن معين كان ثقة وقال على بن المدينى كان يحيى بن سعيد القطان لايحدث عنه . وقال النسائى حدثنا عيسى بن يونس حدثنا ضمرة عن أبى زرعة السيبانى عن أبى سكينة رجل من البحرين عن رجل من أصحاب النبى (ص) قال لما أمر رسول الله (ص) بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر فقام النبى (ص) وأخذ المعول ووضع رداءه ناحية الخندق وقال [وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لامبدّل لكلماته وهو السميع العليم] فندر ثلث الحجر وسلمان الفارسى قائم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله (ص) برقة ثم ضرب الثانية وقال وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلمات الله وهو السميع العليم فندر الثلث الآخر وبرقت برقة فرآها سلمان ثم ضرب الثالثة وقال وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته وهو السميع العليم فندر الثلث الباقى وخرج رسول الله (ص) فأخذ رداءه وجلس فقال سلمان يارسول الله رأيتك حين ضربت لاتضرب ضربة الا كانت معها برقة قال رسول الله (ص) ياسلمان رأيتَ ذلك ؟ قال أى والذى بعثك بالحق يارسول الله قال فانى حين ضربت الضربة الاولى رفعت لى مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة حتى رأيتها بعينى فقال له من حضره من أصحابه يارسول الله ادع أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم

ونخرب بأيدينا بلادهم فدعا بذلك قال ثم ضربت الضربة الثانية فرفعت لى مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها بعيني قالوا يارسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ونخرب بأيدينا بلادهم فدعا ثم قال ثم ضربت الضربة الثالثة فرفعت لى مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتى رأيتها بعيني . ثم قال رسول الله (ص) «دعوا الحبشة ماودعوكم واتركوا الترك ماتركوكم» هكذا رواه النسائي مطولا وانما روى منه أبو داود دعوا الحبشة ماودعوكم واتركوا الترك ماتركوكم عن عيسى بن محمد الرملي عن ضمرة بن ربيعة عن أبي زرعة يحيى بن أبي عمرو السيباني به ثم قال ابن اسحاق وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة انه كان يقول حين فتحت هذه الامصار فى زمان عمر وزمان عثمان وما بعده افتتحوا مابدا لكم فو الذى نفس أبي هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها الى يوم القيامة الا وقد أعطى الله محمداً (ص) مفاتيحها قبل ذلك . وهذا من هذا الوجه منقطع أيضاً وقد وصل من غير وجه ولله الحمد فقال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنا ليث حدثني عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله (ص) يقول بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الارض فوضعت فى يدى . وقد رواه البخاري منفرداً به عن يحيى بن بكير وسعيد بن عفير كلاهما عن الليث به وعنده قال أبو هريرة فذهب رسول الله (ص) وأنتم تنتثلونها وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا محمد ابن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وجعلت لى الارض مسجداً وطهورا وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الارض فتلت فى يدى . وهذا اسناد جيد قوى على شرط مسلم ولم يخرجوه . وفي الصحيحين اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده واذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذى نفسي بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله . وفى الحديث الصحيح ان الله زوى لى الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لى منها

فصل

قال ابن اسحاق : ولما فرغ رسول الله (ص) من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال من رومة بين الجرف وزغابه فى عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بنى كنانه وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نَقمى الى جانب أحد وخرج رسول الله (ص) والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذرارى والنساء فجعلوا فوق الآطام . قال ابن

هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم . قلت وهذا معنى قوله تعالى [إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وقد زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا] قال البخارى : حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا عبيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة [اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار] قالت ذلك يوم الخندق . قال موسى بن عقبة ولما نزل الاحزاب حول المدينه أغلق بنو قريظة حصنهم دونهم . قال ابن اسحاق وخرج حيي بن اخطب النضرى حتى أتى كعب بن أسد القرظى صاحب عقدهم وعهدهم فلما سمع به كعب أغلق باب حصنه دون حيي فاستأذن عليه فابى أن يفتح له فناداه ويحك يا كعب افتح لى . قال ويحك ياحيي انك امرؤ مشئوم وأنى قد عاهدت محمداً فلست بناقض مابينى وبينه ولم أر منه إلا وفاء وصدقا . قال ويحك افتح لى أكلك . قال ما أنا بفاعل . قال والله ان أغلقت دونى الا خوفاً على جشيشتك ان آكل معك منها . فأحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وبحر طام قال وما ذاك قال جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الاسيال من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى الى جانب أحد ، قد عاهدونى وعاقدونى على أن لايبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه . فقال كعب جئتنى والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماؤه يرعد ويبرق وليس فيه شىء ويحك ياحيي فدعنى وما أنا عليه فانى لم أر من محمد إلا وفاء وصدقا وقد تكلم عمرو بن سعد القرظي فأحسن فيما ذكره موسى بن عقبة ذكرهم ميثاق رسول الله (ص) وعهده ومعاقدتهم اياه على نصره وقال : اذا لم تنصروه فاتركوه وعدوه . قال ابن اسحاق فلم يزل حيي بكعب يفتله فى الذروة والغارب حتى سمع له ـ يعنى فى نقض عهد رسول الله (ص) وفى محاربته مع الاحزاب ـ على أن أعطاه حيي عهد الله وميثاقه لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن ادخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك . فنقض كعب بن أسد العهد وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله (ص) قال موسى بن عقبة وأمر كعب بن أسد وبنو قريظة حيي بن أخطب أن يأخذ لهم من قريش وغطفان رهائن تكون عندهم لئلا ينالهم ضيم ان هم رجعوا ولم يناجزوا محمدا ، قالوا : وتكون الرهائن تسعين رجلا من أشرافهم . فنازلهم حيي على ذلك . فعند ذلك نقضوا العهد ومزقوا الصحيفة التى كان فيها العقد الا بنى سعنة أسد وأسيد وثعلبة فانهم خرجوا الى رسول الله (ص) .

قال ابن اسحاق: فلما انتهى الخبر الى رسول (ص) الله والى المسلمين بعث سعد بن معاذ وهو يومئذ سيد الاوس وسعد بن عبادة وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير قال انطلقوا حتى تأتوا هؤلاء القوم فتنظروا احق مابلغنا عنهم فان كان حقاً فالحنوا لى لحناً أعرفه ولا تفتوا فى أعضاد المسلمين وان كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس . قال فخرجوا حتى أتوهم . قال موسى

ابن عقبة فدخلوا معهم حصنهم فدعوهم الى الموادعة وتجديد الحلف فقالوا : الآن وقد كسر جناحنا وأخرجهم (يريدون بني النضير)ونالوا من رسول الله (ص.) فجعل سعد بن عبادة يشاتمهم فأغضبوه فقال له سعد بن معاذ انا والله ماجئنا لهذا ولما بيننا أكبر من المشاتمة . ثم ناداهم سعد بن معاذ فقال انكم قد علمتم الذى بيننا و بينكم يابنى قريظة وأنا خائف عليكم مثل يوم بنى النضير أو أمرٍ منه . فقالوا اكلت أير أبيك . فقال غير هذا من القول كان أجمل بكم وأحسن . وقال ابن اسحاق : نالوا من رسول الله (ص.) وقالوا من رسول الله؟ لاعهد بيننا و بين محمد . فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه وكان رجلا فيه حدة فقال له سعد بن عبادة دع عنك مشاتمتهم لما بيننا و بينهم أربى من المشاتمة . ثم أقبل السعدان ومن معهما الى رسول الله (ص.) فسلموا عليه ثم قالوا عضل والقارةُ أى كغدرهم بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه فقال رسول الله (ص.) : الله أكبر ابشروا يامعشر المسلمين . قال موسى بن عقبة ثم تقنع رسول الله (ص.) بثوبه حين جاءه الخبر عن بنى قريظة فاضطجع ومكث طويلا فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه اضطجع وعرفوا انه لم يأته عن بنى قريظة خير . ثم انه رفع رأسه وقال ابشروا بفتح الله ونصره . فلما أن أصبحوا دنا القوم بعضهم من بعض وكان بينهم رمى بالنبل والحجارة قال سعيد بن المسيب قال رسول الله (ص.) : اللهم انى أسألك عهدك ووعدك اللهم ان تشأ لاتعبد . قال ابن اسحاق وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير أخو بنى عمرو بن عوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لايأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط . وحتى قال أوس بن قيظى : يارسول الله ان بيوتنا عورة من العدو ، وذلك عن ملأ من رجال قومه فأذن لنا أن نرجع الى دارنا فانها خارج من المدينة . قلت : هؤلاء وأمثالهم المرادون بقوله تعالى [واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا * واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مُقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا]

قال ابن اسحاق : فأقام رسول الله (ص.) مرابطاً و أقام المشركون يحاصرونه بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر ولم يكن بينهم حرب إلا الرميا بالنبل ، فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله (ص.) كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم عن الزهرى الى عيينة بن حصن والحارث بن عوف المرى وهما قائدا غطفان واعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه فجرى بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة ، فلما أراد رسول الله (ص.) أن يفعل ذلك بعث الى السعدين فذكر لهما ذلك ، واستشارهما فيه ، فقالا : يارسول الله أمراً تحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به لابد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟ فقال : بل

شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذاك إلا لأنى رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم الى أمرٍ مَّا . فقال له سعد بن معاذ : يارسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الاوثان لانعبد الله ولا نعرفه وهم لايطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قِرى أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ مالنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال النبي (ص) : أنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا . قال فأقام النبي (ص) وأصحابه محاصرين ولم يكن بينهم وبين عدوهم قتال إلا أن فوارس من قريش - منهم عمرو بن عبد ودّ بن أبي قيس أحد بنى عامر بن لؤيّ ، وعكرمة بن أبي جهل ، وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان ، وضرار بن الخطاب بن مرداس أحد بنى محارب بن فهر - تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بنى كنانة فقالوا تهيئوا يا بنى كنانة للحرب فستعلمون مَن الفرسان اليوم ، ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها . ثم تيمموا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيلهم فاقتحمت منه فجالت بهم فى السبخة بين الخندق وسلع ، وخرج علىّ بن أبي طالب فى نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليه الثغرة التى أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم ، وكان عمرو بن عبد ودّ قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه ، فلما خرج هو وخيله قال : من يبارز ؟ فبرز له علىّ بن أبي طالب رضى الله عنه ، فقال له : ياعمرو انك كنتَ عاهدت الله لايدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين الا أخذتها منه ، قال أجل . قال له علىّ : فانى أدعوك الى الله والى رسوله والى الاسلام . قال : لاحاجة لى بذلك . قال : فانى أدعوك الى النزال . قال له : لِمَ يا ابن أخى فوالله ما أحب أن أقتلك . قال له على : لكنى والله أحب أن أقتلك . فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على علىّ فتنازلا وتجاولا فقتله علىّ رضى الله عنه وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة . قال ابن اسحاق وقال علىّ بن أبي طالب فى ذلك :

نصرَ الحجارةَ من سفاهة رأيه ... ونصرتُ ربَّ محمدٍ بصواب

فصدرتُ حين تركتُه متجدّلا ... كالجذع بين دكادكٍ وروابي

وعففتُ عن أثوابه ولو آنني ... كنتُ المقطَّر بَزَّنى أثوابي

لا تحسبنَّ الله خاذلَ دينه ... ونبيِّه يا معشرَ الأحزاب

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلىّ . قال ابن هشام : وألقى عكرمة

رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو فقال فى ذلك حسان بن ثابت :

فرَّ وألقَى لنا رمحَه لعلَّك عكرمُ لم تفعلِ
وولَّيتَ تعدو كعدْو الظَّلي م ما ان يحوَّر عن المعدِل
ولم تلوِ ظهرَك مستأْنِساً كأَنّ قفاكَ قفا فرْعَل

قال ابن هشام : الفراعل صغار الصباع . وذكر الحافظ البيهقى فى دلائل النبوة عن ابن اسحاق فى موضع آخر من السيرة قال : خرج عمرو بن عبد ودّ وهو مقنع بالحديد فنادى : من يبارز ؟ فقام علىّ بن أبى طالب فقال : أنا لها يانبى الله . فقال : انه عمرو ، اجلس . ثم نادى عمرو : ألا رجل يبرز ؟ فجعل يؤنبهم ويقول: أين جنتكم التى تزعمون أنه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون إلىَّ رجلا ؟ فقام علىّ فقال : أنا يارسول الله ؟ فقال : اجلس . ثم نادى الثالثة فقال :

ولقد بُححتُ من النداءِ بِجمعِهم هلْ من مُبارز
ووقفتُ إذ جَبُنَ المشجَّعُ موقفَ القِرنِ المناجز
ولذاكَ إني لم أزلْ متسرِّعاً قَبْلَ الهزاهز
انّ الشجاعةَ فى الفتى والجودُ من خَيرِ الغرائز

قال فقام علىّ رضى الله عنه فقال : يارسول الله أنا . فقال : انه عمرو ، فقال وان كان عمراً . فأذن له رسول الله (ص) فمشى اليه حتى أتى وهو يقول:

لاتعجَلنّ فقد أتاكَ مجيبُ صوتِك غيرُ عاجز
فى نيَّةٍ وبصيرةٍ والصدقُ مَنجَى كل فائز
إني لأرجو أن أقيـ م عليك نائحةَ الجنائز
من ضربةٍ نجلاءَ يبقى ذكرُها عندَ الهزاهز

فقال له عمرو: من أنت ؟ قال: أنا علىّ ، قال : ابن عبد مناف ؟ قال: أنا علىّ بن أبى طالب . فقال : ياابن أخى من أعمامك من هو أسن منك فانى أكره أن أهريق دمك ؟ فقال له علىّ : لكنى والله لا أكره أن أهريق دمك ، فغضب فنزل وسل سيفه كأنه شعلة نار ، ثم أقبل نحو علىّ مغضباً واستقبله علىٌّ بدرقته فضربه عمرو فى درقته فقدَّها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه ، وضربه علىٌّ على حبل عاتقه فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله (ص) التكبير فعرفنا أن علياً قد قتله . فثمَّ يقول على :

أعليَّ تقتحمُ الفوارسُ هكذا عنّي وعنهُم أخّروا أصحابي
اليوم يمنعنى الفرارَ حفيظتى ومصمّمٌ في الرأس ليس بنابي

الى أن قال :   عبد الحجارة من سفاهة رأيه   وعبدت ربَّ محمدٍ بصواب

الى آخرها . قال ثم أقبل عليٌّ نحو رسول الله (ص) ووجهه يتهلل ، فقال له عمر بن الخطاب: هلاَّ استلبته درعه فانه ليس للعرب درع خير منها ؟ فقال : ضربته فاتقاني بسوءته فاستحييت ابن عمي أن أسلبه ، قال وخرجت خيوله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق

وذكر ابن اسحاق فيما حكاه عن البيهقي أن علياً طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقه فمات في الخندق ، وبعث المشركون الى رسول الله (ص) يشترون جيفته بعشرة آلاف ، فقال هو لكم لانأكل ثمن الموتى . وقال الامام أحمد حدَّثنا نصر بن باب حدثنا حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أنه قال : قتل المسلمون يوم الخندق رجلا من المشركين فأعطوا بجيفته مالا ، فقال رسول الله (ص) ادفعوا اليهم جيفته فانه خبيث الجيفة خبيث الدية ، فلم يقبل منهم شيئاً . وقد رواه البيهقي من حديث حماد بن سلمة عن حجاج وهو ابن ارطاة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس : أن رجلا من المشركين قتل يوم الاحزاب فبعثوا الى رسول الله (ص) أن ابعث الينا بجسده ونعطيهم اثني عشر ألفا فقال رسول الله (ص) « لاخير في جسده ولافي ثمنه » . وقد رواه الترمذي من حديث سفيان الثوري عن ابن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس وقال غريب . وقد ذكر موسى بن عقبة أن المشركين انما بعثوا يطلبون جسد نوفل بن عبد الله المخزومي حين قتل وعرضوا عليه الدية فقال : « انه خبيث خبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته . فلا أرب لنا في ديته ولسنا نمنعكم أن تدفنوه » وذكر يونس بن بكير عن ابن اسحاق قال : وخرج نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي فسأل المبارزة فخرج اليه الزبير بن العوام فضربه فشقه باثنتين حتى فلَّ في سيفه فلاًّ وانصرف وهو يقول :

اني امرؤٌ أحمي وأحتمي[1]   عن النبيِّ المصطفى الأُمي

وقد ذكر ابن جرير أن نوفلا لما تورط في الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل يقول : قتلة أحسن من هذه يا معشر العرب . فنزل اليه عليٌّ فقتله وطلب المشركون رمته من رسول الله (ص) بالثمن فأبى عليهم أن يأخذ منهم شيئا ومكنهم من أخذه اليهم وهذا غريب من وجهين . وقد روى البيهقي من طريق حماد بن يزيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال جعلت يوم الخندق مع النساء والصبيان في الاطم ومعي عمر بن أبي سلمة فجعل يطأطيء لي فاصعد على ظهره فأنظر قال فنظرت الى أبي وهو يحمل مرَّة هاهنا ومرة هاهنا فما يرتفع له شيء الا أتاه فلما أمسى جاءنا الى الاطم قلت ياأبة رأيتك اليوم وما تصنع قال ورأيتني يابني قلت نعم قال فدى لك أبي

---

(١) كذا بالنسخ .

وأمى . قال ابن اسحاق : وحدثنى أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الانصارى أخو بنى حارثة أن عائشة أم المؤمنين كانت فى حصن بنى حارثة يوم الخندق وكان من أحرز حصون المدينة قال وكانت أم سعد بن معاذ معها فى الحصن . قالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب . قالت فمر سعد وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفى يده حربته يرفل بها ويقول :

لبِّثْ قليلاً يشهدِ الهيجا جَمَلْ   لا بأسَ بالموتِ إذا حانَ الأَجل

فقالت له أمه الحق بنى فقد والله أخرت . قالت عائشة فقلت لها يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هى . قالت وخفتُ عليه حيث أصاب السهم منه . فرُمى سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الاكحل . قال ابن اسحاق حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة قال رماه حيان بن قيس بن العرقة أحد بنى عامر بن لؤى فلما أصابه قال خذها منى وأنا ابن العرقة ، فقال له سعد عرق الله وجهك فى النار اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقنى لها فانه لا قوم أحب الى أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه . اللهم وان كنت وضعت الحرب بيننا و بينهم فاجعلها لى شهادة ولا تمتنى حتى تقرعينى من بنى قريظة . قال ابن اسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك انه كان يقول ما أصاب سعداً يومئذ الا أبو أسامة الجشمى حليف بنى مخزوم ، وقد قال أبو أسامة فى ذلك شعراً قاله لعكرمة بن أبى جهل :

أعكرمُ هلاَّ لُمتني إذ تقولُ لي   فِداكَ بآطامِ المدينةِ خالدُ
ألستُ الذي ألزمتُ سعداً مَرِيشة   لها بين أثناءِ المرافقِ عاند
قضى نحبه منها سعيدُ فأعولت   عليه مع الشمطِ العذارى النواهدُ
وأنتَ الذي دافعتَ عنه وقد دعا   عُبيدةَ جمعاً منهمُ إذ يكابد
على حين ماهم جائر عنْ طريقهِ   وآخرُ مرعوبٌ عن القصدِ قاصد

قال ابن اسحاق والله أعلم أى ذلك كان . قال ابن هشام و يقال ان الذى رمى سعداً خفاجة بن عاصم بن حبان قلت وقد استجاب الله دعوة وليه سعد بن معاذ فى بنى قريظة أقر الله عينه فحكم فيهم بقدرته وتيسيره وجعلهم هم الذين يطلبون ذلك كما سيأتى بيانه فحكم بقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم حتى قال له رسول الله (ص) لقد حكمتَ فيهم بحكم الله فوق سبع أرقعة . قال ابن اسحاق وحدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال كانت صفية بنت عبد المطلب فى فارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها و بين رسول الله (ص) وليس بيننا و بينهم أحد يدفع عنا

ورسول الله (ص.) والمسلمون فى نحور عدوهم لايستطيعون أن ينصرفوا عنهم الينا اذ أتانا آت فقلت ياحسان ان هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن وانى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود وقد شغل رسول الله(ص.) وأصحابه فانزل اليه فاقتله . قال يغفر الله لك يابنت عبد المطلب والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا . قالت فلما قال لى ذلك ولم أر عنده شيئاً احتجزتُ ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغتُ منه رجعت الى الحصن فقلت ياحسان انزل فاستلبه فانه لم يمنعنى من سلبه الا انه رجل . قال مالى بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب . قال موسى بن عقبة وأحاط المشركون بالمسلمين حتى جعلوهم فى مثل الحصن من كتائبهم فحاصروهم قريباً من عشرين ليلة وأخذوا بكل ناحية حتى لايدرى أتم أم لا قال ووجهوا نحو منزل رسول الله (ص.) كتيبة غليظة فقاتلوهم يوماً الى الليل فلما حانت صلاة العصر دنت الكتيبة فلم يقدر النبى (ص.) ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا فانكفأت الكتيبة مع الليل فزعموا ان رسول الله (ص.) قال شغلونا عن صلاة العصر ملأ الله بطونهم وقلوبهم وفى رواية وقبورهم نارا . فلما اشتد البلاء نافق ناس كثير وتكلموا بكلام قبيح فلما رأى رسول الله (ص.) ما بالناس من البلاء والكرب جعل يبشرهم ويقول « والذى نفسى بيده ليفرجن عنكم ماترون من الشدة وانى لأرجو أن أطوف بالبيتِ العتيق آمناً وأن يدفع الله الىَّ مفاتيح الكعبة وليهلكن الله كسرى وقيصر ولتنفقُن كنوزهما فى سبيل الله »

وقد قال البخارى : حدّثنا اسحاق حدّثنا رَوح حدثنا هشام عن محمد عن عبيدة عن علىّ عن النبى (ص.) أنه قال يوم الخندق «ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس » وهكذا رواه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن هشام بن حسان عن محمد ابن سيرين عن عبيدة عن على به ورواه مسلم والترمذى من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أبى حسان الاعرج عن عبيدة عن على به وقال الترمذى حسن صحيح. ثم قال البخارى حدثنا المكىُّ بن ابراهيم حدثناهشام عن يحيى عن أبى سلمة عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعد ماغربت الشمس فجعل يسب كفار قريش وقال : يارسول الله ما كدت أن أصلى حتى كادت الشمس أن تغرب قال النبى (ص.) والله ماصليتها فنزلنا مع رسول الله (ص.) بطْحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب . وقد رواه البخارى أيضا ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة به وقال الامام احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا ثابت حدثنا هلال عن عكرمه عن ابن عباس قال قاتل النبى (ص.) عدواً فلم يفرغ منهم حتى أخر العصر عن وقتها فلما رأى ذلك قال« اللهم من حبسنا عن الصلاة

الوسطى فاملأ بيوتهم ناراً واملأ قبورهم ناراً » ونحو ذلك تفرد به احمد وهو من رواية هلال بن خباب العبدى الكوفى وهو ثقة يصحح له الترمذى وغيره . وقد استدل طائفة من العلماء بهذه الاحاديث على كون الصلاة الوسطى هى صلاة العصر كما هو منصوص عليه فى هذه الاحاديث وألزم القاضى الماوردى مذهب الشافعى بهذا لصحة الحديث وقد حررنا ذلك نقلا واستدلالا عند قوله تعالى : [حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين] . وقد استدل طائفة بهذا الصنيع على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال كما هو مذهب مكحول والاوزاعى وقد بوب البخارى ذلك واستدل بهذا الحديث وبقوله ص. يوم أمرهم بالذهاب الى بنى قريظة ـ كما سيأتى ـ « لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة » وكان من الناس من صلى العصر فى الطريق ومنهم من لم يصل إلا فى بنى قريظة بعد الغروب ولم يعنف واحداً من الفريقين واستدل بما ذكره عن الصحابة ومن معهم فى حصار تستر سنة عشرين فى زمن عمر حيث صلوا الصبح بعد طلوع الشمس لعذر القتال واقتراب فتح الحصن . وقال آخرون من العلماء وهم الجمهور منهم الشافعى هذا الصنيع يوم الخندق منسوخ بشرعية صلاة الخوف بعد ذلك فانها لم تكن مشروعة إذ ذاك فلهذا أخروها يومئذ وهو مشكل قال ابن اسحاق وجماعة ذهبوا الى أن النبى ص. صلى صلاة الخوف بعسفان وقد ذكرها ابن اسحاق وهو امام فى المغازى قبل الخندق وكذلك ذات الرقاع ذكرها قبل الخندق فالله أعلم . وأما الذين قالوا ان تأخير الصلاة يوم الخندق وقع نسياناً كما حكاه شراح مسلم عن بعض الناس فهو مشكل إذ يبعد أن يقع هذا من جمع كبير مع شدة حرصهم على محافظة الصلاة كيف وقد روى أنهم تركوا يومئذ الظهر والعصر والمغرب حتى صلوا الجميع فى وقت العشاء من رواية أبى هريرة وأبى سعيد قال الامام حدثنا يزيد وحجاج قالا حدثنا ابن أبى ذئب عن المقبرى عن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه قال حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هوى من الليل حتى كفينا وذلك قوله [وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزاً] قال فدعا رسول الله ص. بلالا فأمره فأقام فصلى الظهر كما كان يصليها فى وقتها ثم أقام العصر فصلاها كذلك ثم أقام المغرب فصلاها كذلك ثم أقام العشاء فصلاها كذلك وذلك قبل أن ينزل . قال حجاج فى صلاة الخوف فان خفتم فرجالا أو ركبانا وقد رواه النسائى عن الفلاس عن يحيى القطان عن ابن أبى ذئب به قال شغلنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس فذكره . وقال أحمد حدثنا هشيم حدثنا أبو الزبير عن نافع بن جبير عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه أن المشركين شغلوا رسول الله ص. يوم الخندق عن أربع صلوات حتى ذهب من الليل ماشاء الله قال فأمر بلالا فأذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ثم أقام فصلى المغرب ثم أقام فصلى العشاء . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن معمر حدثنا مؤمل يعنى ابن اسماعيل حدثنا حماد يعنى ابن سلمة عن عبد الكريم يعنى ابن أبى المخارق

عن مجاهد عن جابر بن عبد الله ان النبي (ص) شغلى يوم الخندق عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى الظهر ثم أمره فأذن وأقام فصلى العصر ثم أمره فأذن وأقام فصلى المغرب ثم أمره فأذن وأقام فصلى العشاء ثم قال «ما على وجه الارض قوم يذكرون الله فى هذه الساعة غيركم» تفرد به البزار وقال لانعرفه الا من هذا الوجه وقد رواه بعضهم عن عبد الكريم عن مجاهد عن أبى عبيدة عن عبد الله

فصل في دعائه عليه السلام على الأحزاب

قال الامام أحمد: حدّثنا أبو عامر حدثنا الزبير ـ يعنى ابن عبد الله ـ حدثنا ربيح بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه قال: قلنا يوم الخندق يارسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر، قال «نعم، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا» قال فضرب الله وجوه أعدائه بالريح. وقد رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبيه عن أبى عامر ـ وهو العقدى ـ عن الزبير بن عبد الله مولى عثمان بن عفان عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه عن أبى سعيد فذكره وهذا هو الصواب. وقال الامام أحمد حدثنا حسين عن ابن أبى ذئب عن رجل من بنى سلمة عن جابر ابن عبد الله ان النبي (ص) أتى مسجد الاحزاب فوضع رداءه وقام ورفع يديه مدّاً يدعو عليهم ولم يصلّ قال ثم جاء ودعا عليهم وصلى. وثبت فى الصحيحين من حديث اسماعيل بن أبى خالد عن عبد الله بن أبى أوفى قال: دعا رسول الله (ص) على الاحزاب فقال «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب. اللهم اهزمهم وزلزلهم. وفى رواية اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم. وروى البخارى عن قتيبة عن الليث عن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة ان رسول الله (ص) كان يقول «لا إله إلا الله وحده أعز جنده ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده فلا شيء بعده» وقال ابن اسحاق وأقام رسول الله (ص) وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم واتيانهم اياهم من فوقهم ومن أسفل منهم. قال ثم ان نعيم بن مسعود ابن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع ابن ريث بن غطفان أتى رسول الله (ص) فقال: يارسول الله انى قد أسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت فقال رسول الله (ص) «انما أنت فينا رجل واحد، فخذّل عنا ان استطعت، فان الحرب خدعة» فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة وكان لهم نديماً فى الجاهلية فقال: يابنى

قريظة قدعرفتم ودى اياكم وخاصة ما بينى و بينكم . قالوا صدقت لست عندنا بمتهم . فقال لهم ان قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لاتقدرون على أن تتحولوا منه الى غيره وان قريشاً وغطفان قدجاءوا لحرب محمد وأصحابه.وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم ونساؤهم وأموالهم بغيره فليسوا كأنتم فان رأوا نهزة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه . قالوا لقد أشرت بالرأى . ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لابى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودى لكم وفراقي محمداً ، وانه قد بلغنى أمر قد رأيت علىَّ حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتموا عنى . قالوا نفعل قال تعلموا ان معشر يهود قد ندموا على ماصنعوا فيما بينهم وبين محمد وقدأرسلوا اليه انا قدندمنا على مافعلنا فهل يرضيك أن نأخذلك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى تستأصلهم . فأرسل اليهم ان نعم . فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلاتدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا . ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يامعشر غطفان انكم أصلى وعشيرتى وأحب الناس الى ولا أراكم تتهمونى . قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم قال فاكتموا عنى قالوا نفعل . ثم قال لهم مثل ماقال لقريش وحذرهم ماحذرهم . فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان من صنيع الله تعالى لرسوله (ص) أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورءوس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقال لهم انا لسنا بدار مقام هلك الخف والحافر فاعدّوا للقتال حتى نناجز محمداً و نفرغ مما بيننا و بينه . فأرسلوا اليهم : ان اليوم يوم السبت وهو يوم لانعمل فيه شيئاً وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابهم مالم يخفَ عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان ضرستكم الحرب و اشتد عليكم القتال ان تنشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلادنا ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنوقريظة قالت قريش وغطفان: والله ان الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحق . فأرسلوا الى بنى قريظة :انا والله لاندفع اليكم رجلا واحداً من رجالنا ، فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا ان الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ، مايريد القوم الا أن تقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم وخلوا بينكم و بين الرجل فى بلدكم . فأرسلوا الى قريش وغطفان نا والله مانقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث الله الريح فى ليلة شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم ،

وهذا الذى ذكره ابن اسحاق من قصة نعيم بن مسعود أحسن مماذكره موسى بن عقبة . وقد أورده عنه البيهقى فى الدلائل فانه ذكر ما حاصله أن نعيم بن مسعود كان يذيع ما يسمعه من الحديث ، فاتفق أنه مرَّ برسول الله (ص) ذات يوم عشاء ، فأشار اليه أن تعال ، فجاء فقال : ماوراءك ؟ فقال : انه قد بعثت قريش و غطفان الى بنى قريظة يطلبون منهم أن يخرجوا اليهم فيناجزوك ، فقالت قريظة نعم فأرسلوا الينا بالرهن . وقد ذكر فيما تقدم : أنهم انما نقضوا العهد على يدى حيى بن أخطب بشرط أن يأتيهم برهائن تكون عندهم توثقة ، قال فقال له رسول الله (ص) : إنى مُسرٌّ اليك شيئا فلا تذكره ، قال : انهم قد أرسلوا إلىَّ يدعوننى الى الصلح وأردّ بنى النضير الى دورهم وأموالهم ؛ فخرج نعيم بن مسعود عامداً الى غطفان . وقال رسول الله (ص) « الحرب خدعة وعسى أن يصنع الله لنا » فأتى نعيم غطفان و قريشاً فأعلمهم ، فبادر القوم وأرسلوا الى بنى قريظة عكرمة وجماعة معه واتفق ذلك ليلة السبت يطلبون منهم أن يخرجوا للقتال معهم فاعتلّت اليهود بالسبت ، ثم أيضاً طلبوا الرهن توثقة فأوقع الله بينهم واختلفوا . قلت : وقد يحتمل أن تكون قريظة لما يئسوا من انتظام أمرهم مع قريش وغطفان بعثوا الى رسول الله (ص) يريدون منه الصلح على أن يرد بنى النضير الى المدينة و الله أعلم

قال ابن اسحاق : فلما انتهى الى رسول الله (ص) ما اختلف من أمرهم و ما فرق الله من جمعهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم لينظر ما فعل القوم ليلا . قال ابن اسحاق : فحدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله أرأيتم رسول الله (ص) وصحبتموه ؟ قال : نعم يا ابن أخى ، قال فكيف كنتم تصنعون ؟ قال والله لقد كنا نجتهد ، قال : والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الارض ولحملناه على أعناقنا ، قال فقال حذيفة : يا ابن أخى والله لقد رأيتنا مع رسول الله (ص) بالخندق وصلى رسول الله (ص) هوياً من الليل ثم التفت الينا فقال: مَن رجل يقوم فينظر لنا مافعل القوم ثم يرجع ـ فشرط له رسول الله (ص) الرجعة ـ أسأل الله أن يكون رفيقى فى الجنة ، فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع والبرد ، فلما لم يقم أحد دعانى ، فلم يكن لى بد من القيام حين دعانى ، فقال : ياحذيفة اذهب فادخل فى القوم فانظر ماذا يفعلون ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا ، قال فذهبت فدخلت فى القوم و الريح وجنود الله تفعل بهم ماتفعل لا تُقرّ لهم قِدراً ولا ناراً ولا بناء ، فقام أبو سفيان فقال : يامعشر قريش لينظر امرؤ مَن جليسه . قال حذيفة فأخذتُ بيد الرجل الذى كان الى جنبى فقلت من أنت ؟ قال فلان ابن فلان ؛ ثم قال : يامعشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من شدة الريح ماترون ماتطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فانى مرتحل ، ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به

على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ولولا عهد رسول الله (ص) إليّ لاتحدثْ شيئاً حتى تأتيني لقتلته بسهم . قال حذيفة : فرجعت الى رسول الله (ص) وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مرحّل فلما رآني أدخلني الى رجليه وطرح عليّ طرف المرط ثم ركع وسجد واني لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر . وسمعتْ غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين الى بلادهم ، وهذا منقطع من هذا الوجه . وقد روى هذا الحديث مسلم بن الحجاج في صحيحه من حديث الاعمش عن ابراهيم ابن يزيد التيمي عن أبيه قال : كنا عند حذيفة فقال له رجل : لو أدركت رسول الله (ص) قاتلت معه وأبليت ، فقال له حذيفة : أنت كنت تفعل ذلك ؟ لقد رأيتنا مع رسول الله (ص) ليلة الاحزاب في ليلة ذات ريح شديدة وقر ، فقال رسول الله (ص) ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة ؟ فلم يجبه منا أحد ، ثم الثانية ثم الثالثة مثله . ثم قال : يا حذيفة قم فأتنا بخبر القوم ، فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم ، فقال ائتني بخبر القوم ولا تذعرهم عليّ . قال فمضيت كأنما أمشي في حمّام حتى أتيتهم فاذا أبو سفيان يُصْلي ظهره بالنار فوضعت سهماً في كبد قوسي وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله (ص) : لاتذعرهم عليّ ، ولو رميته لأصبته ، فرجعت كأنما أمشي في حمام فأتيت رسول الله (ص) فأصابني البرد حين رجعت وقررت فأخبرت رسول الله (ص) وألبسني من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها فلم أبرح نائماً حتى الصبح ، فلما أن أصبحت قال رسول الله (ص) : قم يانومان !

وقد روى الحاكم والحافظ البيهقي في الدلائل هذا الحديث مبسوطا من حديث عكرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلي عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة قال : ذكر حذيفة مشاهدهم مع رسول الله (ص) فقال جلساؤه : أما والله لو كنا شهدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا فقال حذيفة لاتمنوا ذلك لقد رأيتنا ليلة الاحزاب ونحن صافّون قعود وأبو سفيان ومن معه فوقنا وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحا منها في أصوات ريحها أمثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى أحدنا اصبعه فجعل المنافقون يستأذنون النبي (ص) ويقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له ويأذن لهم ويتسللون ونحن ثلاثمائة ونحو ذلك إذ استقبلنا رسول الله (ص) رجلا رجلا حتى أتى عليّ وما عليَّ جُنةٌ من العدو ولا من البرد إلا مرط لامرأتي مايجاوز ركبتي قال : فأتاني وأنا جاث على ركبتي فقال : من هذا ؟ فقلت حذيفة فقال حذيفة ! فتقاصرت للارض فقلت : بلى يارسول الله كراهية أن أقوم فقمت فقال انه كائن في القوم خبر فأتني بخبر القوم . قال : وأنا من أشد الناس فزعاً وأشدهم قراً قال : فخرجت فقال رسول الله (ص) « اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته » قال فوالله

ما خلق الله فزعا ولا قرا فى جوفى إلا خرج من جوفى فما أجد فيه شيئا . قال فلما وليت قال : ياحذيفة لاتحدثن فى القوم شيئاً حتى تأتينى . قال : فخرجت حتى اذا دنوت من عسكر القوم نظرت ضوء نار لهم توقد واذا رجل أدهم ضخم يقول بيديه على النار ويمسح خاصرته ويقول : الرحيل الرحيل ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك فانتزعت سهما من كنانتى أبيض الريش فأضعه فى كبد قوسى لأرميه به فى ضوء النار فذكرت قول رسول الله (ص) لاتحدثن فيهم شيئا حتى تأتينى فأمسكت ورددت سهمي الى كنانتى ثم انى شجعت نفسى حتى دخلت العسكر فاذا أدنى الناس منى بنو عامر يقولون : يا آل عامر الرحيل الرحيل لا مقام لكم . واذا الريح فى عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبرا فوالله انى لأسمع صوت الحجارة فى رحالهم وفرشهم الريح تضرب بها ثم انى خرجت نحو رسول الله (ص) . فلما انتصفت بى الطريق أو نحو من ذلك اذا أنا بنحو من عشرين فارساً أو نحو ذلك معتمين فقالوا : أخبر صاحبك أن الله قد كفاه . قال فرجعت الى رسول الله (ص) وهو مشتمل فى شملة يصلى فوالله ما عدا أن رجعت راجعنى القر وجعلت أقرقف فأومأ الىّ رسول الله (ص) بيده وهو يصلى فدنوت منه فأسبل علىّ شملته ، وكان رسول الله (ص) اذا حزبه أمر صلى . فأخبرته خبر القوم ، أخبرته أنى تركتهم يرحلون قال وأنزل الله تعالى [يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا] يعنى الآيات كلها الى قوله [وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا] أى صرف الله عنهم عدوهم بالريح التى أرسلها عليهم والجنود من الملائكة وغيرهم التى بعثها الله اليهم وكفى الله المؤمنين القتال أى لم يحتاجوا الى منازلتهم ومبارزتهم بل صرفهم القوى العزيز بحوله وقوته . لهذا ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة قال : كان رسول الله (ص) يقول : لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده فلا شئ بعده . وفى قوله [وكفى الله المؤمنين القتال] اشارة الى وضع الحرب بينهم وبينهم وهكذا وقع ولم ترجع قريش بعدها الى حرب المسلمين كما قال محمد بن اسحاق رحمه الله ، فلما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله (ص) فيما بلغنا : لن تغزوكم قريش بعد عامكم ولكنكم تغزونهم . قال : فلم تغز قريش بعد ذلك وكان يغزوهم بعد ذلك حتى فتح الله عليه مكة وهذا بلاغ من ابن إسحاق . وقدقال الامام أحمد حدّثنا يحيى عن سفيان حدثني أبو اسحاق سمعت سليمان بن صرد رضى الله يقول قال رسول الله (ص) : الآن نغزوهم ولا يغزوننا . وهكذا رواه البخارى من حديث إسرائيل وسفيان الثورى كلاهما عن أبى اسحاق السبيعى عن سليمان بن صرد به قال ابن اسحاق : واستشهد من المسلمين يوم الخندق ثلاثة من بنى عبد الاشهل وهم سعد بن معاذ — وستأتى وفاته مبسوطة —

وأنس بن أوس بن عتبك بن عمرو وعبد الله بن سهل والطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة الجشميان السلميان وكعب بن زيد النجارى أصابه سهم غرب فقتله قال : وقتل من المشركين ثلاثة وهم : منبه ابن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات منه بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة اقتحم الخندق بفرسه فتورط فيه فقتل هناك وطلبوا جسده بثمن كبير كما تقدم وعمرو بن عبد ود العامرى قتله على بن أبى طالب . قال ابن هشام : وحدثني الثقة أنه حدث عن الزهرى أنه قال : قتل علىٌّ يومئذ عمرو بن عبد ود وابنه حسل بن عمرو قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبدود ويقال عمرو بن عبد

فصل في غزوة بني قريظة

وما أحل الله تعالى بهم من البأس الشديد مع ما أعدَّ الله لهم فى الآخرة من العذاب الاليم وذلك لكفرهم ونقضهم العهود التى كانت بينهم وبين رسول الله (ص) ومما لأنهم الاحزاب عليه فما أجدى ذلك عنهم شيئاً وباؤا بغضب من الله ورسوله والصفقة الخاسرة فى الدنيا والآخرة وقد قال الله تعالى [وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً * وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطأوها وكان الله على كل شيء قديرا] . قال البخارى حدّثنا محمد بن مقاتل حدّثنا عبد الله حدّثنا موسى بن عقبة عن سالم ونافع عن عبد الله أن رسول الله (ص) كان اذا قفل من الغزو والحج والعمرة يبدأ فيكبر ثم يقول « لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده »

قال محمد بن اسحاق رحمه الله : ولما أصبح رسول (ص) الله انصرف عن الخندق راجعاً الى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح ، فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله (ص) كما حدثني الزهرى معتجراً بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوَقد وضعتَ السلاح يارسول الله ؟ قال نعم ، فقال جبريل : ما وضعتِ الملائكة السلاح بعد وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، ان الله يأمرك يامحمد بالمسير الى بنى قريظة ، فأنى عامد اليهم فمزلزل بهم فأمر رسول الله (ص) مؤذناً فأذن فى الناس : منْ كان سامعاً مطيعا فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

وقال البخاري : حدثني عبد الله بن أبي شيبة حدثنا ابن نُمير عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لما رجع النبي (ص) من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال : قد وضعت السلاح والله ما وضعناه ! فاخرج اليهم ، قال فالى أين ؟ قال هاهنا وأشار الى بني قريظة ، فخرج النبي (ص) . وقال أحمد : وحدثنا حسن حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله (ص) لما فرغ من الاحزاب دخل المغتسل ليغتسل وجاء جبريل فرأيته من خلل البيت قد عصَّب رأسه الغبار ، فقال: يامحمد أوضعتم أسلحتكم ؟ فقال: وضعنا أسلحتنا فقال: انا لم نضع أسلحتنا بعد انهَدْ الى بني قريظة ، ثم قال البخاري : حدثنا موسى حدثنا جرير بن حازم عن حميد بن هلال عن أنس بن مالك قال كأني أنظر الى الغبار ساطعا في زقاق بني غَنْم موكبَ جبريل حين سار رسول الله (ص) الى بني قريظة . ثم قال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد بن اسماء حدثنا جويرية بن اسماء عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص) يوم الاحزاب : « لايصلينَّ أحد العصر إلا في بني قريظة » فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لانصلي العصر حتى نأتيها ، وقال بعضهم : بل نصلي لم يُرد منا ذلك . فذكر ذلك للنبي (ص) فلم يعنف واحداً منهم . وهكذا رواه مسلم عن عبد الله بن محمد بن أسماء به . وقال الحافظ البيهقي : حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن خالد بن علي حدثنا بشر بن حرب عن أبيه حدثنا الزهري أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ابن مالك أن عمه عبيد الله أخبره أن رسول الله (ص) لما رجع من طلب الاحزاب وضع عنه اللأمة واغتسل واستحم ، فتبدَّى له جبريل عليه السلام فقال : عذيرك من محارب ألا أراك قد وضعت اللأمة وما وضعناها بعد ، قال فوثب النبي (ص) فزعاً فعزم على الناس أن لايصلوا صلاة العصر الا في بني قريظة . قال : فلبس الناس السلاح فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس فاختصم الناس عند غروب الشمس ، فقال بعضهم : ان رسول الله (ص) عزم علينا أن لانصلي حتى نأتي بني قريظة فانما نحن في عزيمة رسول الله (ص) فليس علينا اثم وصلى طائفة من الناس احتساباً وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس فصلوها حين جاءوا بني قريظة احتسابا فلم يعنف رسول الله (ص) واحداً من الفريقين . ثم روى البيهقي من طريق عبد الله العمري عن أخيه عبيد الله عن القاسم بن محمد عن عائشة أن رسول الله (ص) كان عندها فسلم علينا رجل ونحن في البيت فقام رسول الله (ص) فزعاً وقمت في أثره فاذا بدحية الكلبي ، فقال : هذا جبريل أمرني أن أذهب الى بني قريظة وقال : قد وضعتم السلاح لكننا لم نضع ، طلبنا المشركين حتى بلغنا حمراء الاسد وذلك حين رجع رسول الله (ص) من الخندق فقام رسول الله (ص) فزعاً وقال لاصحابه : عزمت عليكم أن لاتُصلوا

صلاة العصر حتى تأتوا بنى قريظة ، فغربت الشمس قبل أن يأتوهم ، فقالت طائفة من المسلمين : ان رسول الله (ص) لم يرد أن تدعوا الصلاة فصلوا ، وقالت طائفة : والله إنا لفى عزيمة رسول الله (ص) وما علينا من إثم ، فصلت طائفة إيماناً واحتساباً وتركت طائفة ايماناً واحتساباً ولم يعنف رسول الله (ص) واحداً من الفريقين . وخرج رسول الله (ص) فمر بمجالس بينه وبين بنى قريظة فقال هل مرّ بكم أحد ؟ فقالوا مرّ علينا دحية الكلبى على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج ، فقال ذلك جبريل أرسل الى بنى قريظة ليزلزلهم ويقذف فى قلوبهم الرعب فحاصرهم النبى (ص) وأمر أصحابه أن يستروه بالجحف حتى يسمع كلامهم ، فناداهم يا اخوة القردة والخنازير . فقالوا : يا أبا القاسم لم تكن فحاشا ، فحاصرهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ وكانوا حلفاءه فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم . ولهذا الحديث طرق جيدة عن عائشة وغيرها . وقد اختلف العلماء فى المصيب من الصحابة يومئذ من هو ؟ بل الاجماع على أن كلا من الفريقين مأجور ومعذور غير معنف . فقالت طائفة من العلماء : الذين أخروا الصلاة يومئذ عن وقتها المقدر لها حتى صلوها فى بنى قريظة هم المصيبون ، لان أمرهم يومئذ بتأخير الصلاة خاص فيقدم على عموم الأمر بها فى وقتها المقدر لها شرعاً . قال أبو محمد بن حزم الظاهرى فى كتاب السيرة : وعلم الله أنا لو كنا هناك لم نصلّ العصر إلا فى بنى قريظة ولو بعد أيام . وهذا القول منه ماش على قاعدته الاصلية فى الاخذ بالظاهر . وقالت طائفة أخرى من العلماء : بل الذين صلوا الصلاة فى وقتها لما أدركتهم وهم فى مسيرهم هم المصيبون لانهم فهموا أن المراد انما هو تعجيل السير الى بنى قريظة لاتأخير الصلاة فعملوا بمقتضى الادلة الدالة على أفضلية الصلاة فى أول وقتها مع فهمهم عن الشارع ما أراد ، ولهذا لم يعنفهم ولم يأمرهم باعادة الصلاة فى وقتها التى حولت اليه يومئذ كما يدعيه أولئك ، وأما أولئك الذين أخروا فعذروا بحسب مافهموا ، وأكثر ما كانوا يؤمرون بالقضاء وقد فعلوه . وأما على قول من يجوز تأخير الصلاة لعذر القتال كما فهمه البخارى حيث احتج على ذلك بحديث ابن عمر المتقدم فى هذا فلا إشكال على من أخّر ولا على من قدّم أيضاً والله أعلم

ثم قال ابن إسحاق : وقدّم رسول الله (ص) عليّ بن أبى طالب ومعه رايته وابتدرها الناس . وقال موسى بن عقبة فى مغازيه عن الزهرى : فبينما رسول الله (ص) فى مغتسله كما يزعمون قد رجّل أحد شقيه أتاه جبريل على فرس عليه لأمته حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز فخرج اليه رسول الله (ص) فقال له جبريل : غفر الله لك أو قد وضعت السلاح ؟ قال نعم . فقال جبريل : لكنا لم نضعه منذ نزل بك العدو وما زلت فى طلبهم حتى هزمهم الله — ويقولون ان على وجه جبريل لأثر الغبار — فقال له جبريل : ان الله قد أمرك بقتال بنى قريظة فأنا عامد اليهم بمن معي

من الملائكة تزلزل بهم الحصون فاخرج بالناس ، فخرج رسول الله (ص) فى أثر جبريل فمر على مجلس بنى غنم وهم ينتظرون رسول الله (ص) فسألهم فقال : مر عليكم فارس آنفا ؟ قالوا مرَّ علينا دحية الكلبى على فرس أبيض تحته نمط أو قطيفة ديباج عليه اللأمة ، فذكروا أن رسول الله (ص) قال : ذاك جبريل . وكان رسول الله (ص) يشبّه دحية الكلبى بجبريل ، فقال الحقونى ببنى قريظة فصلوا فيهم العصر ، فقاموا وما شاء الله من المسلمين فانطلقوا الى بنى قريظة فحانت صلاة العصر وهم بالطريق فذكروا الصلاة فقال بعضهم لبعض : ألم تعلموا أن رسول الله (ص) أمركم أن تصلوا العصر فى بنى قريظة . وقال آخرون : هي الصلاة ، فصلى منهم قوم وأخرت طائفة الصلاة حتى صلوها فى بنى قريظة بعد أن غابت الشمس ، فذكروا لرسول الله (ص) من عجل منهم الصلاة ومن أخرها فذكروا أن رسول الله (ص) لم يعنف واحداً من الفريقين . قال فلما رأى علىّ بن أبى طالب رسول الله (ص) مقبلا تلقاه وقال : ارجع يارسول الله فان الله كافيك اليهود ، وكان علىّ قد سمع منهم قولا سيئاً لرسول الله (ص) وأزواجه رضى الله عنهن فكره أن يسمع ذلك رسول الله (ص) ، فقال رسول الله (ص) : لم تأمرنى بالرجوع ؟ فكتمه ماسمع منهم فقال : أظنك سمعت فىّ منهم أذى فامض فان أعداء الله لو رأونى لم يقولوا شيئاً مما سمعت ، فلما نزل رسول الله (ص) بحصنهم وكانوا فى أعلاه نادى بأعلى صوته نفراً من أشرافهم حتى أسمعهم فقال : أجيبوا يا معشر يهود يا اخوة القردة قد نزل بكم خزى الله عز وجل ، فحاصرهم رسول الله (ص) بكتائب المسلمين بضع عشرة ليلة ورد الله حيى بن أخطب حتى دخل حصن بنى قريظة وقذف الله فى قلوبهم الرعب واشتد عليهم الحصار فصرخوا بأبى لبابة بن عبد المنذر — وكانوا حلفاء الانصار — فقال أبو لبابة لاآتيهم حتى يأذن لى رسول الله (ص) فقال له رسول الله (ص) قد أذنت لك ، فأتاهم أبو لبابة فبكوا اليه وقالوا : يا أبا لبابة ماذا ترى وماذا تأمرنا فانه لاطاقة لنا بالقتال ، فأشار أبو لبابة بيده الى حلقه وأمرّ عليه اصابعه ، يريهم انما يراد بهم القتل . فلما انصرف أبو لبابة سقط فى يده ورأى أنه قد أصابته فتنة عظيمة فقال والله لا أنظر فى وجه رسول الله (ص) حتى أُحدث لله توبة نصوحا يعلمها الله من نفسى ، فرجع الى المدينة فربط يديه الى جذع من جذوع المسجد . وزعموا أنه ارتبط قريباً من عشرين ليلة ، فقال رسول الله (ص) حين غاب عليه أبو لبابة : أمافرغ أبو لبابة من حلفائه ، فذكر له مافعل ؟ فقال : لقد أصابته بعدى فتنة ولو جاءنى لاستغفرت له وإذ قد فعل هذا فلن أحركه من مكانه حتى يقضى الله فيه مايشاء . وهكذا رواه ابن لهيعة عن أبى الاسود عن عروة وكذا ذكره محمد بن اسحاق فى مغازيه فى مثل سياق موسى بن عقبة عن الزهرى ومثل رواية أبى الاسود عن عروة . قال ابن اسحاق ونزل رسول الله (ص) على بئر من آبار بنى قريظة

من ناحية أموالهم يقال لها بئر أنى فحاصرهم خمساوعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف فى قلوبهم الرعب وقد كان حيي بن أخطب دخل معهم حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه فلما أيقنوا أن رسول الله (ص) غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد : يامعشر يهود قد نزل بكم من الامر ما ترون وانى عارض عليكم خلالا ثلاثا نخذوا بما شئتم منها . قالوا وما هن ؟ قال : نتابع هذا الرجل و نصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه لنبى مرسل وأنه للذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون به على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا : لانفارق حكم التوراة أبداً ولانستبدل به غيره . قال فاذا أبيتم علىَّ هذه فهلم فلنقتل أبناءنا و نساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين بالسيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا و بين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه وان نظهر فلعمرى لنجدن النساء والابناء .قالوا : أنقتل هؤلاء المساكين ؟ فما خير العيش بعدهم؟قال : فان أبيتم علىّ هذه فالليلة ليلة السبت وانه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة . قالوا أنفسد سبتنا ونحدث فيه مالم يحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت فاصابه مالم يخفَ عنك من المسخ فقال : مابات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة من الدهر حازماً . ثم انهم بعثوا الى رسول الله (ص) أن ابعث الينا أبا لبابه بن عبد المنذر أخا بنى عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الاوس نستشيره فى أمرنا . فارسله رسول الله (ص) فلما رأوه قام اليه الرجال وجهش اليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه فرقّ لهم وقالوا ياأبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم . وأشار بيده الى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابه : فوالله مازالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله . ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله (ص) حتى ارتبط فى المسجد الى عمود من عمده وقال : لاأبرح مكانى حتى يتوب الله على مما صنعت . وعاهد الله أن لا أطأ بنى قريظة أبداً ولا أرى فى بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً . قال ابن هشام وأنزل الله فيما قال سفيان بن عيينه عن اسماعيل ابن أبى خالد عن عبد الله بن أبى قتادة [يأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون] . قال ابن هشام : أقام مرتبطا ست ليال تأتيه امرأته فى وقت كل صلاة فتحله حتى يتوضأ ويصلى ثم يرتبط حتى نزلت توبته فى قوله تعالى [وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم] . وقول موسى بن عقبة انه مكث عشرين ليلة مرتبطاً به والله أعلم . وذكر ابن اسحاق أن الله أنزل توبته على رسوله من آخر الليل وهو فى بيت أم سلمة فجعل يبتسم فسألته أم سلمة فأخبرها بتوبة الله على أبى لبابة فاستأذنته أن تبشره فاذن لها فخرجت فبشرته فثار الناس اليه يبشرونه وأرادوا أن يحلوه من

رباطه فقال والله لايحلني منه إلا رسول الله (ص) فلما خرج رسول الله (ص) الى صلاة الفجر حله من رباطه رضى الله عنه وأرضاه . قال ابن اسحاق ثم ان ثعلبة بن سعية واسيد بن سعية وأسد بن عبيد وهم نفر من بنى هدل ليسوا من بنى قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم أسلموا فى تلك الليلة التى نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله (ص) وخرج فى تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظى فمر بحرس رسول الله (ص) وعليهم محمد بن مسلمة تلك الليلة فلما رآه قال من هذا ؟ قال أنا عمرو ابن سعدى ـ وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة فى غدرهم برسول الله (ص) وقال لا اغدر بمحمد أبداً ـ فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لاتحرمنى اقالة عثرات الكرام ، ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات فى مسجد رسول الله (ص) بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب لم يدر أين توجه من الارض الى يومه هذا فذكر شأنه لرسول الله (ص) فقال : ذاك رجل نجاه الله بوفائه . قال وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بنى قريظة فاصبحت رمته ملقاة ولم يدر أين ذهب فقال رسول الله (ص) فيه تلك المقالة والله أعلم أى ذلك كان . قال ابن اسحاق فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله (ص) فتواثبت الاوس فقالوا : يارسول الله انهم كانوا موالينا دون الخزرج وقد فعلت فى موالى اخواننا بالامس ماقد علمت يعنون عفوه عن بنى قينقاع حين سأله فيهم عبد الله ابن أبىّ كما تقدم . قال ابن اسحاق فلما كلمته الاوس قال رسول الله (ص) : يامعشر الاوس ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا بلى . قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان رسول الله (ص) قد جعل سعد بن معاذ فى خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة فى مسجده وكانت تداوى الجرحى فلما حكمه فى بنى قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من أدم وكان رجلا جسيما جميلا ثم أقبلوا معه الى رسول الله (ص) وهم يقولون ياأبا عمرو أحسن في مواليك فان رسول الله (ص) انما ولاك ذلك لتحسن فيهم . فلما أكثروا عليه قال : قد آن لسعد أن لاتأخذه فى الله لومة لائم . فرجع بعض من كان معه من قومه الى دار بنى عبد الاشهل فنعى لهم رجال بنى قريظة قبل أن يصل اليهم سعد عن كلمته التى سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله (ص) والمسلمين قال رسول الله (ص) قوموا الى سيدكم فأما المهاجرون من قريش فيقولون انما أراد الانصار واما الانصار فيقولون قد عم رسول الله (ص) المسلمين فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله (ص) قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم لما حكمت قالوا نعم قال وعلى من هاهنا فى الناحية التى فيها رسول الله (ص) وهو معرض عن رسول الله (ص) اجلالا له فقال رسول الله (ص) نعم قال سعد فانى أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذرارى والنساء . قال ابن اسحاق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن معاذ عن علقمة بن وقاص

الليثى قال قال رسول الله (ص) لسعد لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة . وقال ابن هشام حدثنى من أثق به من أهل العلم ان على بن أبى طالب صاح وهم محاصرو بنى قريظة يا كتيبة الايمان وتقدم هو والزبير بن العوام وقال والله لأذوقن ماذاق حمزة أواقتحم حصنهم فقالوا يامحمد ننزل على حكم سعد بن معاذ . وقد قال الامام أحمد حدثنامحمد بن جعفر حدثناشعبة عن سعد بن ابراهيم سمعت أبا امامة بن سهل سمعت أبا سعيد الخدرى قال نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ قال فأرسل رسول الله (ص) الى سعد فأتاه على حمار فلما دنا قريباً من المسجد قال رسول الله (ص) : قوموا اسيدكم أو خيركم . ثم قال ان هؤلاء نزلوا على حكمك قال نقتل مقاتلتهم ونسبى ذريتهم قال فقال رسول الله (ص) قضيتَ بحكم الله . وربما قال قضيت بحكم الملك وفى رواية الملك . أخرجاه فى الصحيحين من طرق عن شعبة وقال الامام أحمد حدثنا حجين ويونس قالا حدثنا الليث بن سعد عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله انه قال رمى يوم الاحزاب سعد بن معاذ فقطعوا أكحله فحسمه رسول الله (ص) بالنار فانتفخت يده فنزفه فحسمه أخرى فانتفخت يده فنزفه فلما رأى ذلك قال اللهم لاتخرج نفسى حتى تقر عينى من بنى قريظة فاستمسك عرقه فما قطر قطرة حتى نزلوا على حكم سعد فأرسل اليه فحكم أن تقتل رجالهم وتسبى نساؤهم وذراريهم يستعين بهم المسلمون فقال رسول الله (ص) أصبت حكم الله فيهم وكانوا أربعمائة . فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات . وقد رواه الترمذى والنسائى جميعاً عن قتيبة عن الليث به وقال الترمذى حسن صحيح . وقال الامام أحمد حدثنا ابن نمير عن هشام أخبرنى أبى عن عائشة قالت لما رجع رسول الله (ص) من الخندق ووضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل وعلى رأسه الغبار فقال قد وضعتَ السلاح فوالله ماوضعتها أخرج اليهم . قال رسول الله (ص) فأين قال هاهنا وأشار الى بنى قريظة فخرج رسول الله (ص) اليهم . قال هشام فأخبرنى أبى انهم نزلوا على حكم النبى (ص) فرد الحكم فيهم الى سعد قال فانى أحكم أن تقتل المقاتلة وتسبى النساء والذرية وتقسم أموالهم . قال هشام قال أبى فأخبرت ان رسول الله (ص) قال لقد حكمت فيهم بحكم الله . وقال البخارى حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا عبد الله بن نُمير حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش يقال له حِبّان بن العرقة رماه فى الأكحل فضرب النبى (ص) خيمة فى المسجد ليعوده من قريب فلما رجع رسول الله (ص) من الخندق وضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار فقال قد وضعت السلاح والله ماوضعته أخرج اليهم. قال النبى (ص) فأين فأشار الى بنى قريظة فأتاهم رسول الله (ص) فنزلوا على حكمه فرد الحكم الى سعد قال فانى أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذرية وأن تقسم أموالهم قال هشام فأخبرنى أبى عن عائشة أن سعداً قال اللهم انك تعلم انه

ليس أحد أحب الىّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه اللهم فانى أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا و بينهم فان كان بقى من حرب قريش شىء فأبقنى له حتى أجاهدهم فيك وان كنت وضعت الحرب فافجرها واجعل موتى فيها. فانفجرت من لبته فلم يرعهم وفى المسجد خيمة من بنى غفار الا الدم يسيل اليهم فقالوا يا أهل الخيمة ماهذا الذى يأتينا من قبلكم فاذا سعد يغذو جرحه دماً فمات منها . وهذا رواه مسلم من حديث عبد الله بن نمير به . قلت كان دعا أولا بهذا الدعاء قبل أن يحكم فى بنى قريظة ولهذا قال فيه ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة فاستجاب الله له فلما حكم فيهم وأقر الله عينه أىَّ قرار دعا ثانياً بهذا الدعاء فجعلها الله له شهادة رضى الله عنه وأرضاه. وسيأتى ذكر وفاته قريباً ان شاء الله. وقد رواه الامام أحمد من وجه آخر عن عائشة مطولا جداً وفيه فوائد فقال حدثنا يزيد أنبأنا محمد بن عمرو عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال أخبرتنى عائشة قالت خرجت يوم الخندق أقفو الناس فسمعت وئيد الارض ورائى فاذا أنا بسعد بن معاذ و معه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنه، قالت فجلست الى الارض فمر سعد وعليه درع من حديد قد خرجت منها أطرافه فانا أتخوف على أطراف سعد، قالت وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم فمر وهو يرتجز ويقول :

لبّث قليلاً يدرك الهيجا جمَلْ ما أحسن الموتَ إذا حانَ الأجل

قالت : فقمت فاقتحمت حديقة فاذا نفر من المسلمين فاذا فيها عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه سبغة له تعنى المغفر فقال عمر : ما جاء بكِ والله انك لجريئة وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تحوّز فما زال يلومنى حتى تمنيت أن الارض فتحت ساعتئذ فدخلت فيها فرفع الرجل السبغة عن وجهه فاذا هو طلحة بن عبيدالله فقال : ياعمر ويحك انك قد أكثرت منذ اليوم وأين التحوز أو الفرار الا الى الله عز وجل. قالت: ويرمي سعداً رجل من قريش يقال له ابن العرقة وقال خذها وأنا ابن العرقة فاصاب أكحله فقطعه فدعا اللهَ سعد فقال : اللهم لا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة قالت وكانوا حلفاءه ومواليه فى الجاهلية قالت فرقأ كلمه وبعث الله الريح على المشركين وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً . فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا فى صياصيهم ورجع رسول الله ﷺ الى المدينة وأمر بقبة من أدم فضربت على سعد فى المسجد قالت : فجاء جبريل وان على ثناياه لنقع الغبار فقال : أقد وضعت السلاح لا والله ما وضعت الملائكة السلاح بعد، أخرج الى بنى قريظة فقاتلهم . قالت : فلبس رسول الله ﷺ لأمته وأذن فى الناس بالرحيل أن يخرجوا فمر على بنى غنم، وهم جيران المسجد حوله فقال : من مرَّ بكم ؟ قالوا : مر بنا دحية الكلبى - وكان دحية الكلبى تشبه لحيته وسنه ووجهه

جبريل عليه السلام ـ فاتاهم رسول الله (ص.) فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة فلما اشتد حصرهم و اشتد البلاء قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله (ص.) فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر فاشار اليهم أنه الذبح قالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ فقال رسول الله (ص.) انزلوا على حكم سعد بن معاذ ، فاتى به على حمار عليه اكاف من ليف قد حمل عليه وحف به قومه فقالوا يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية ومن قد علمت قالت ولا يرجع اليهم شيئاً ولا يلتفت اليهم حتى اذا دنا من دورهم التفت الى قومه فقال : قد آن لى أن لا أبالى فى الله لومة لائم . قالت : قال أبو سعيد : فلما طلع قال رسول الله (ص.) : قوموا الى سيدكم فانزلوه قال عمر : سيدنا الله ، قال : انزلوه ، فانزلوه . قال رسول الله (ص.) : أحكم فيهم ، فقال سعد : فانى أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتقسم أموالهم فقال رسول الله (ص.) : لقد حكمت فيهم بحكم الله و حكم رسوله ثم دعا سعد فقال : اللهم إن كنتَ أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئاً فأبقنى لها وان كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضنى اليك قالت : فانفجر كلمه وكان قد برئ حتى لا يُرى منه الا مثل الخرص ورجع الى قبته التى ضرب عليه رسول الله (ص.) قالت عائشة : فحضره رسول الله (ص.) وأبو بكر وعمر قالت : فوالذى نفس محمد بيده انى لاعرف بكاء عمر من بكاء أبى بكر وأنا فى حجرتى وكانوا كما قال الله «رحماء بينهم» قال علقمة : فقلت يا أمه فكيف كان رسول الله (ص.) يصنع ؟ قالت : كانت عينه لا تدمع على أحد ولكنه كان اذا وجد فانما هو آخذ بلحيته . وهذا الحديث إسناده جيد وله شواهد من وجوه كثيرة ، وفيه التصريح بدعاء سعد مرتين مرة قبل حكمه فى بنى قريظة ومرة بعد ذلك كما قلناه أولا ولله الحمد والمنة وسنذكر كيفية وفاته ودفنه وفضله فى ذلك رضى الله عنه وأرضاه بعد فراغنا من القصة . قال ابن اسحاق : ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله (ص.) بالمدينة فى دار بنت الحارث امرأة من بنى النجار قلت : هى نسيبة ابنة الحارث بن كرز بن حبيب بن عبد شمس وكانت تحت مسيلمة الكذاب ثم خلف عليها عبدالله بن عامر بن كريز ، ثم خرج (ص.) الى سوق المدينة فخندق بها خنادق ثم بعث اليهم فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق فخرج بهم اليه ارسالا وفيهم عدو الله حيى بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة . والمكثر لهم يقول كانوا ما بين الثمانمائة والتسعمائة . قلت : وقد تقدم فيما رواه الليث عن أبى الزبير عن جابر أنهم كانوا أربعمائة فالله أعلم . قال ابن اسحاق : وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يُذهب بهم الى رسول الله (ص.) ارسالا : يا كعب ما تراه يصنع بنا ؟ قال : أفى كل موطن لا تعقلون ألا ترون الداعى لا ينزع ومن ذُهب به منكم لا يرجع هو والله القتل . فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم وأتى بحيى بن أخطب وعليه حلة له فقاحية [1] قد شقها

(١) قال ابن هشام «فقاحية : ضرب من الوشي» .

عليه من كل ناحية قدر أنملة لئلا يسلبها مجموعة يداه الى عنقه بحبل. فلما نظر الى رسول الله (ص) قال أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل . ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس ، انه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني اسرائيل . ثم جلس فضربت عنقه ، فقال جبل بن جوال الثعلبي :

لعمرُكَ مالامَ ابنُ أخطبَ نفسَه ولكنّهُ مَنْ يَخذلِ اللهُ يُخذلِ

لجاهدَ حتى أبلغَ النفسَ عُذْرَها وقلقلَ يبغي العزّ كلَّ مقلقل

وذكر ابن اسحاق قصة الزبير بن باطا وكان شيخاً كبيراً قد عمى وكان قد منَّ يوم بعاث على ثابت بن قيس بن شماس وجز ناصيته فلما كان هذا اليوم أراد أن يكافئه فجاءه فقال : هل تعرفني ياأبا عبد الرحمن ؟ قال : وهل يجهل مثلي مثلك فقال له ثابت أريد أن أكافئك فقال : ان الكريم يجزى الكريم فذهب ثابت الى رسول الله (ص) فاستطلقه فاطلقه له ثم جاءه فأخبره فقال شيخ كبير لا أهل ولا ولد فما يصنع بالحياة فذهب الى رسول الله (ص) فاستطلق له امرأته وولده فأطلقهم له ثم جاءه فقال أهل بيت بالحجاز لامال لهم فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت الى رسول الله (ص) فاستطلق مال الزبير بن باطا فأطلقه له ثم جاءه فأخبره فقال له ياثابت ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى حي كعب بن أسد ؟ قال : قتل . قال : فما فعل سيد الحاضر والبادى حيي بن أخطب ؟ قال قتل ، قال : فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحاميتنا اذا فررنا : عزال بن شموال ؟ قال : قتل . قال فما فعل المجلسان ؟ — يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة — قال : ذهبوا قتلوا ، قال فاني أسألك ياثابت بيدى عندك إلا ألحقتني بالقوم فوالله مافي العيش بعد هؤلاء من خير فما أنا بصابر لله فيلة دلو ناضح حتى ألقى الأحبة ، فقدمه ثابت فضربت عنقه ، فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله « ألقى الاحبة » قال « يلقاهم والله في نار جهنم خالداً فيها مخلدا » قال ابن اسحاق « فيلة » بالفاء والياء المثناة من أسفل وقال ابن هشام بالقاف والباء الموحدة . وقال ابن هشام : الناضح البعير الذي يستقي عليه الماء لسقي النخل ، وقال أبو عبيدة : معناه افراغة دلو .

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله (ص) قد أمر بقتل كل من انبت منهم . فحدثني شعبة بن الحجاج عن عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي قال : كان رسول الله (ص) قد أمر أن يقتل من بني قريظة كل من انبت منهم وكنتُ غلاماً فوجدوني لم أنبت فخلوا سبيلي . ورواه أهل السنن الاربعة من حديث عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي بنحوه . وقد استدل به من ذهب من العلماء الى أن انبات الشعر الخشن حول الفرج دليل على البلوغ بل هو بلوغ في أصح قولي الشافعي . ومن العلماء من يفرق بين صبيان أهل الذمة فيكون بلوغاً في حقهم دون غيرهم لان المسلم قد يتأذى بذلك

لمقصد . وقد روى اسحاق عن أيوب بن عبد الرحمن أن سلمى بنت قيس أم المنذر استطلقت من رسول الله (ص) رفاعة بن شموال ، وكان قد بلغ فلاذ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك فأطلقه لها ، وكانت قالت : يارسول الله ان رفاعة يزعم أنه سيصلى ويأكل لحم الجمل . فأجابها الى ذلك فأطلقه . قال ابن اسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت : لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة ، قالت والله أنها لعندى تحدث معى تضحك ظهراً وبطناً ورسول الله (ص) يقتل رجالها فى السوق إذ هتف هاتف باسمها أين فلانة ؟ قالت أنا والله ، قالت قلت لها : ويلك مالك ؟ قالت أقتل ! قلت ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته ، قالت فانطلق بها فضربت عنقها ، وكانت عائشة تقول فوالله ما أنسى عجباً منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت انها تقتل . وهكذا رواه الامام أحمد عن يعقوب بن ابراهيم عن أبيه عن محمد بن اسحاق به . قال ابن اسحاق : هى التى طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته ، يعنى فقتلها رسول الله (ص) به . قال ابن اسحاق : فى موضع آخر وسماها نباتة امرأة الحكم القرظى . قال ابن اسحاق : ثم ان رسول الله (ص) قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين بعد ما أخرج الخمس ، وقسم للفارس ثلاثة أسهم سهمين للفرس وسهما لراكبه وسهماً للراجل ، وكانت الخيل يومئذ ستاً وثلاثين . قال وكان أول فئ وقعت فيه السهمان وخمس . قال ابن اسحاق : وبعث رسول الله (ص) سعيد بن زيد بسبايا من بنى قريظة الى نجد فابتاع بها خيلا وسلاحا . وكان رسول الله (ص) قد اصطفى من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة احدى نساء بنى عمرو بن قريظة وكان عليها حتى توفى عنها وهي فى ملكه ، وقد كان رسول الله (ص) عرض عليها الاسلام فامتنعت ثم أسلمت بعد ذلك فسر رسول الله (ص) باسلامها وقد عرض عليها أن يعتقها ويتزوجها فاختارت أن تستمر على الرق ليكون أسهل عليها فلم تزل عنده حتى توفى عليه الصلاة والسلام ، ثم تكلم ابن اسحاق على ما نزل من الآيات فى قصة الخندق من أول سورة الاحزاب ، وقد ذكرنا ذلك مستقصى فى تفسيرها ولله الحمد والمنة . وقد قال ابن اسحاق : واستشهد من المسلمين يوم بنى قريظة خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو الخزرجى طرحت عليه رحا فشدخته شدخاً شديداً فزعموا أن رسول الله (ص) قال : « إن له لأجر شهيدين . قلت : كان الذى ألقى عليه الرحى تلك المرأة التى لم يقتل من بنى قريظة امرأة غيرها كما تقدم والله أعلم . قال ابن اسحاق : ومات أبو سنان بن محصن بن حرثان من بنى أسد بن خزيمة ورسول الله (ص) محاصر بنى قريظة فدفن فى مقبرتهم اليوم

وفاة سعد بن معاذ رضى الله عنه

قد تقدم أن حبان بن العرقة لعنه الله رماه بسهم فأصاب أكحله ، فحسمه رسول الله (ص) كياً بالنار فاستمسك الجرح ، وكان سعد قد دعا الله أن لايميته حتى يقر عينه من بنى قريظة ،

وذلك حين نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله (ص) من العهود والمواثيق والذمام ومالوا عليه مع الاحزاب ، فلما ذهب الاحزاب وانقشعوا عن المدينة وباءت بنو قريظة بسواد الوجه والصفقة الخاسرة فى الدنيا والآخرة وسار اليهم رسول الله (ص) ليحاصرهم كما تقدم فلما ضيق عليهم وأخذهم من كل جانب أنابوا أن ينزلوا على حكم رسول الله (ص) فيحكم فيهم بما أراه الله فرد الحكم فيهم الى رئيس الاوس وكانوا حلفاءهم فى الجاهلية وهو سعد بن معاذ فرضوا بذلك ويقال بل نزلوا ابتداءً على حكم سعد لما يرجون من حنوه عليهم واحسانه وميله اليهم ولم يعلموا بأنهم أبغض اليه من أعدادهم من القردة والخنازير لشدة ايمانه وصديقيّته رضى الله عنه وأرضاه ، فبعث اليه رسول الله (ص) وكان فى خيمة فى المسجد النبوى فجئ به على حمار تحته اكاف قد وطئ تحته لمرضه ولما قارب خيمة الرسول (ص) أمر عليه السلام من هناك بالقيام له قيل لينزل من شدة مرضه ، وقيل توقيراً له بحضرة المحكوم عليهم ليكون أبلغ فى نفوذ حكمه والله أعلم ، فلما حكم فيهم بالقتل والسبى وأقرّ الله عينه وشفى صدره منهم وعاد الى خيمته من المسجد النبوى صحبة رسول الله (ص) دعا الله عز وجل أن تكون له شهادة واختار الله له ما عنده فانفجر جرحه من الليل فلم يزل يخرج منه الدم حتى مات رضى الله عنه . قال ابن اسحاق : فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات منه شهيدا . حدثنى معاذ بن رفاعة الزرقى قال حدثنى من شئت من رجال قومى : أن جبريل أتى رسول ال (ص) حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من استبرق فقال : يامحمد من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش ؟ قال فقام رسو الله (ص) سريعاً يجر ثوبه الى سعد فوجده قد مات رضى الله عنه ، هكذا ذكره ابن اسحاق رحمه الله . وقد قال الحافظ البيهقى فى الدلائل : حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا أبى وشعيب بن الليث قالا : حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن الهاد عن معاذ بن رفاعة عن جابر بن عبد الله قال : جاء جبريل الى رسول الله (ص) فقال : من هذا العبد الصالح الذى مات فتحت له أبواب السماء وتحرك له العرش ؟ قال فخرج رسول الله (ص) فاذا سعد بن معاذ ، قال فجلس رسول الله (ص) على قبره وهو يدفن ، فبينما هو جالس اذ قال « سبحان الله » مرتين ، فسبح القوم ، ثم قال « الله أكبر الله أكبر » فكبر القوم ، ثم قال رسول الله (ص) : « عجبت لهذا العبد الصالح شدد عليه فى قبره حتى كان هذا حين فرج له »

وروى الامام احمد والنسائى من طريق يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ويحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة عن جابر قال قال رسول الله (ص) لسعد يوم مات وهو يدفن : سبحان الله لهذا

الصالح الذى تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء شـدد عليه ثم فرج الله عنه . وقال محمد بن اسحاق : حدثنى معاذ بن رفاعة عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح عن جابر بن عبد الله قال : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله (ص) سبح رسول الله (ص) فسبح الناس معه ثم كبر فـكبر الناس معه فقالوا يارسول الله مم سبحت ؟ قال لقـد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه . وهكذا رواه الامام احمد عن يعقوب بن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن اسحاق به قال ابن هشام ومجاز هذا الحديث قول عائشة قال رسول الله (ص) ان للقبر ضمة لو كان أحد منها ناجيا لـكان سعد بن معاذ . قلت : وهذا الحديث قد رواه الامام احمد حدثنا يحيي عن شعبة عن سعد ابن ابراهيم عن نافع عن عائشة عن النبى (ص) قال : ان للقبر ضغطة ولو كان أحد ناجياً منها لنجا سعد بن معاذ . وهذا الحديث سنده على شرط الصحيحين إلا أن الامام احمد رواه عن غندر عن شعبة عن سعد بن ابراهيم عن انسان عن عائشة به ورواه الحافظ البزار عن نافع عن ابن عمر قال: حدثنا عبد الاعلى بن حماد حدثنا داود عن عبد الرحمن حدثنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص) لقد هبط يوم مات سعد بن معاذ سبعون الف ملك الى الارض لم يهبطوا قبل ذلك ولقد ضمه القبر ضمة . ثم بكى نافع . وهذا اسناد جيد لـكن قال البزار رواه غيره عن عبيد الله عن نافع مرسـلا ثم رواه البزار عن سليمان بن سيف عن أبى عتاب عن سكين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله (ص) لقد نزل لموت سعد ابن معاذ سبعون الف ملك ما وطئ الارض قبلها وقال حين دفن سبحان الله لو انفلت أحد من ضغطة القبر لانفلت منها سعد وقال البزار حدثنا اسماعيل بن حفص عن محمد بن فضيل حدثنا عطاء ابن السائب عن مجاهد عن ابن عمر قال اهتز العرش لحب لقاء الله سعد بن معاذ فقيل انما يعنى السرير ورفع أبويه على العرش قال تفتحت أعواده قال : ودخل رسول الله (ص) قبره فاحتبس فلما خرج قيل له يارسول الله ماحبسك قال ضم سعد فى القبر ضمة فدعوت الله فـكشف عنه قال البزار تفرد به عطاء بن السـائب . قلت : وهو متكلم فيه . وقد ذكر البيهقى رحمه الله بعد روايته ضمة سعد رضى الله عنه فى القبر أثراً غريبا فقال حدثنا أبو عبـد الله الحافظ حدثنا أبو العباس حدثنا احمد ابن عبد الجبار حدثنا يونس عن ابن اسحاق حدثني أمية بن عبد الله أنه سأل بعض أهل سعد مابلغكم من قول رسول الله (ص) فى هذا ؟ فقالوا ذكر لنا أن رسول الله (ص) سئل عن ذلك فقال : كان يقصّر فى بعض الطهور من البول . وقال البخارى حدثنا محمد بن المثنى حدثنا الفضـل بن مساور حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبى سفيان عن جابر قال : سمعت النبى (ص) يقول : اهتز العرش لموت سعد بن معاذ . وعن الاعمش حدثنا أبو صالح عن جابر عن النبى (ص) مثله فقال رجل لجابر فان البراء بن عازب يقول : اهتز السرير انه كان بين هذين الحيين ضغائن سمعت النبى (ص) يقول

اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ ورواه مسلم عن عمرو الناقد عن عبد الله بن ادريس وابن ماجه عن علي بن محمد عن أبي معاوية كلاهما عن الأعمش به وليس عندهما زيادة قول الاعمش عن أبي صالح عن جابر وقال احمد حدثنا عبد الرزاق عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله (ص) يقول وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم اهتز لها عرش الرحمن ورواه مسلم عن عبد بن حميد والترمذي عن محمود بن غيلان كلاهما عن عبد الرزاق به وقال الامام احمد حدثنا يحيي بن سعيد حدثنا عوف حدثنا أبو نضرة سمعت أبا سعيد عن النبي (ص) اهتز العرش لموت سعد بن معاذ . ورواه النسائي عن يعقوب بن ابراهيم عن يحيي به وقال احمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد قال قتادة حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله (ص) قال وجنازته موضوعة اهتز لها عرش الرحمن ورواه مسلم عن محمد بن عبدالله الازدي عن عبد الوهاب به وقد روى البيهقي من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحسن البصري قال اهتز عرش الرحمن فرحا بروحه .

وقال الحافظ البزار حدثنا زهير بن محمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس قال لما حملت جنازة سعد قال المنافقون ما أخف جنازته وذلك لحكمه في بني قريظة فسئل رسول الله (ص) فقال لا ولكن الملائكة تحملته اسناد جيد . وقال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي اسحاق سمعت البراء بن عازب يقول أهديت للنبي (ص) حلة حرير فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال أتعجبون من لين هذه لمناديل سعد بن معاذ خير منها أو ألين ثم قال رواه قتادة والزهري سمعنا أنسا عن النبي (ص) وقال احمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد هو ابن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن أكيدر دومة أهدى الى رسول الله (ص) جبة وذلك قبل أن ينهى عن الحرير فلبسها فعجب الناس منها فقال والذي نفسي بيده لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذه . وهذا اسناد على شرط الشيخين ولم يخرجوه وانما ذكره البخاري تعليقاً وقال احمد حدثنا يزيد حدثنا محمد بن عمرو حدثني واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ قال محمد وكان واقد من أحسن الناس وأعظمهم وأطولهم قال دخلت على أنس بن مالك فقال لي من أنت ؟ قلت أنا واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ فقال انك بسعد لشبيه ثم بكى وأكثر البكاء وقال رحمة الله على سعد كان من أعظم الناس وأطولهم ثم قال بعث رسول الله (ص) جيشاً الى اكيدر دومة فأرسل الى رسول الله (ص) بجبة من ديباج منسوج فيها الذهب فلبسها رسول الله (ص) فقام على المنبر وجلس فلم يتكلم ثم نزل فجعل الناس يلمسون الجبة وينظرون اليها فقال رسول الله (ص) أتعجبون منها لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن مما ترون . وهكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث محمد بن عمرو به وقال الترمذي حسن صحيح. قال ابن اسحاق بعد ذكر اهتزاز العرش لموت سعد

ابن معاذ وفى ذلك يقول رجل من الانصار :

وما اهتزّ عرشُ الله من موتِ هالكٍ سمعنا به إلا لِسَعدِ أبي عمرو

قال : وقالت أمه يعنى كبيشسة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة الخدرية الخزرجية حين احتمل سعد على نعشه تندبه :

ويل أم سعدٍ سعدا صرامةً وحداً

وسؤدداً ومجدا وفارساً مُعدّا

سدّ به مسدّا يقدّها ما قدّا

قال : يقول رسول الله (ص) « كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ » قلت : كانت وفاته بعد انصراف الاحزاب بنحو من خمس وعشرين ليلة ، اذ كان قدوم الاحزاب فى شوال سنة خمس كما تقدم فاقاموا قريباً من شهر ثم خرج رسول الله (ص) لحصار بنى قريظة فاقام عليهم خمساً وعشرين ليلة ، ثم نزلوا على حكم سعد فمات بعد حكمه عليهم بقليل فيكون ذلك فى أواخر ذي القعدة أو أوائل ذى الحجة من سنة خمس والله أعلم . وهكذا قال محمد بن اسحاق : ان فتح بنى قريظة كان فى ذى القعدة وصدر ذى الحجة قال : وولى تلك الحجة المشركون . قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت يرثى سعد بن معاذ رضى الله عنه :

لقد سجمتْ من دمع عيني عبرة وحقّ لعينِي أن تفيضَ على سعدِ

قتيلٌ ثوى فى معركٍ فُجعتْ به عيونٌ ذواري الدمع دائمة الوجد

على ملّة الرحمن وارثُ جنّة مع الشهداءِ وفدُها أكرمُ الوفد

فان تكُ قد ودّعتنا وتركتنا وأمسيتَ فى غبراءَ مظلمةِ اللحد

فأنت الذى يا سعدَ أُبتَ بمشهد كريم وأثوابِ المكارم والمجد

بحكمك فى حيّيْ قُريْظة بالذى قضى اللهُ فيهم ما قضيتَ على عمد

فوافقَ حكمُ الله حكمَكَ فيهمُ ولم تعفُ اذ ذُكّرتَ ما كان من عهد

فان كان ريبُ الدهر أمضاكَ فى الألى شَروا هذه الدنيا بجنّاتها الخلد

فنعم مصيرُ الصادقين اذا دُعوا الى الله يوماً للوجاهةِ والقصد

فصل الأشعار في الخندق وبني قريظة

قال البخاري : حدثنا حجاج بن منهال حدّثنا شعبة حدّثنا عدى بن ثابت أنه سمع البراء ابن عازب قال قال النبي (ص.) لحسان : اهجهم أو هاجهم وجبريل معك . قال البخاري : وزاد ابراهيم بن طهمان عن الشيباني عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب قال قال النبي (ص.) يوم قريظة لحسان بن ثابت : أهجُ المشركين فان جبريل معك . وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم والنسائي من طرق عن شعبة بدون الزيادة التي ذكرها البخاري يوم بني قريظة . قال ابن اسحاق رحمه الله : وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بني محارب بن فهر في يوم الخندق (قلت : وذلك قبل اسلامه) :

ومُشفقةٍ تظنّ بنا الظُنونا وقد قُدْنا عَرندسةً طَحونا
كأن زَهاءَها أُحُدٌ اذا ما بدتْ أركانُه للناظرينا
ترى الأبدانَ فيها مسبَغَاتٍ على الأبطالِ واليَلَب الحصينا
وجُرداً كالقِداح مسوّماتٍ نؤمّ بها الغُواةَ الخاطئينا
كأنهم اذا صالوا وصُلنا بباب الخندقَين مُصافحونا
أناسٌ لا نرى فيهمْ رَشيداً وقد قالوا ألسنا راشدينا
فأحجرناهُمُ شهراً كريتاً وكنّا فوقَهمْ كالقاهرينا
نُراوحهم ونغدو كلَّ يوم عليهم في السّلاح مدججينا
بأيدينا صوارمُ مرهفاتٌ نقدُّ بها المفارقَ والشئونا
كأنّ وميضَهنّ مُعرّياتٍ اذا لاحت بأيدي مُصلتينا
وميضُ عقيقةٍ لمعتْ بليلٍ ترى فيها العقائقَ مستبينا
فلولا خندقٌ كانوا لديه لدمّرْنا عليهم أجمعينا
ولكن حالَ دونهمُ وكانوا به من خوفنا متعوّذينا
فان نرحلْ فإنا قد تركْنا لدى أبياتِكم سَعداً رهينا
اذا جنّ الظلامُ سمعتَ نوحاً على سَعدٍ يرجّعن الحنينا
وسوف نزوركم عمّا قريبٍ كما زرْناكمُ متوازرينا
بجمعٍ من كنانةَ غيرِ عُزلٍ كأسْد الغاب اذ حَمَتِ العرينا

قال : فأجابه كعب بن مالك أخو بني سلمة رضي الله عنه فقال :

وسائلةٍ تسائلُ ما لقينا ولو شهدتْ رأتنا صابرينا
صَبرْنا لا نرى لله عدلاً على ما نابنا متوكّلينا
وكان لنا النبيُّ وزيرَ صدقٍ به نعلو البريّةَ أجمعينا
نقاتلُ معشراً ظلموا وعقّوا وكانوا بالعداوة مُرْصدينا
نعالجهم إذا نهضوا إلينا بضرب يُعجلُ المتسرّعينا
ترانا في فضافضَ سابغاتٍ كغُدران الملا مُتَسَرْبلينا
وفي أيماننا بيضٌ خِفافٌ بها نشفي مراحَ الشاغبينا
بباب الخندقين كأن أُسْداً شوابكُهنَّ يحمينَ العرينا
فوارسُنا اذا بكروا وراحوا على الأعداء شُوساً معلمينا
لننصرَ أحمداً والله حتى نكونَ عبادَ صدقٍ مخلصينا
ويعلمَ أهلُ مكةَ حين ساروا وأحزابٌ أتوا متحزّبينا
بأنّ الله ليس له شريكٌ وأن الله مولى المؤمنينا
فاما تقتلوا سعداً سفاهاً فانّ اللهَ خيرُ القادرينا
سيُدخله جناناً طيباتٍ تكونُ مقامةً للصالحينا
كما قد ردّكم فلاً شريداً بغيظكمُ خزايا خائبينا
خزايا لم تنالوا ثم خيراً وكِدْتم أن تكونوا دامرينا
بريحٍ عاصفٍ هبّتْ عليكم فكُنْتم تحتها متكمّهينا

قال ابن اسحاق وقال عبد الله بن الزبعرى السهمي في يوم الخندق (قلت وذلك قبل أن يسلم)

حيِّ الديارَ محا معارفَ رسمها طولُ البلى وتراوحُ الاحقاب
فكأنما كتبَ اليهودَ رسومَها الا الكنيفَ ومعقدَ الأُطناب
قفراً كأنك لم تكن تلهو بها في نعمةٍ بأوانسٍ أتراب
فاترك تذكُّرَ ما مضى من عيشةٍ ومحلّةٍ خَلَقِ المقام يَباب
واذكر بلاء معاشرٍ واشكرهمُ ساروا بأجمعهم من الأنصاب
أنصابِ مكةَ عامدين ليثربٍ في ذي غياطلَ جحفلٍ جَبْجاب
يَدَع الحُزُونَ مَنَاهجاً معلومةً في كل نَشْزٍ ظاهرٍ وشِعاب
فيها الجيادُ شوازبٌ مجنوبةٌ قُبُّ البطونِ لواحقُ الاقراب

من كل سلهبةٍ وأجردَ سلهبٍ كالسيدِ بادرَ غفلةَ الرقّاب
جيشٌ عيينةُ قاصدٌ بلوائه فيه وصخرٌ قائد الاحزاب
قرمانِ كالبدرَيْن أصبحَ فيهما غيثُ الفقير ومعقلُ الهُرّاب
حتى اذا وَرَدوا المدينةَ وارتدَوا للموتِ كلّ مجرَّبٍ قضّاب
شهراً وعشراً قاهرين محمداً وصِحابُهُ فى الحرب خيرُ صِحاب
نادَوا برحلتهم صبيحةَ قُلتمُ كِدنا نكون بها مع الخيّاب
لولا الخنادقُ غادروا من جمْعِهم قتلى لطيرٍ سُغَّبٍ وذئاب

قال فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال :

هل رسم دارسة المقام يبابِ متكلم لمحاورٍ بجواب
قفرٌ عفا رِهَمُ السحابِ رسومَه وهبوبُ كل مُطِلّةٍ مِرباب
ولقدرأيتُ بها الحُلولَ يَزينُهم بيضُ الوجوه ثواقبُ الاحساب
فدعِ الديارَ وذِكْرَ كلِّ خريدةٍ بيضاءَ آنسةِ الحديثِ كَعاب
واشكُ الهمومَ الى الإلهِ وماترى من معشرٍ ظَلموا الرسولَ غِضاب
ساروا بأجمعِهم اليه وألّبوا أهلَ القرى وبواديَ الأعراب
جيشٌ عيينةُ وابنُ حربٍ فيهم مُتخمِّطون بحلبةِ الأحزاب
حتى اذا وردوا المدينة وارتجَوا قَتْلَ الرسول ومغنَمَ الاسلاب
وغدَوا علينا قادرين بأيْدِهم رُدوا بغيظهمُ على الأعقاب
بهبوبِ معصفةٍ تُفرّق جمْعَهم وجنودُ ربِّك سيّدُ الأرباب
فكفى الالهُ المؤمنينَ قتالَهم وأثابهم فى الأجرِ خيرَ ثواب
من بعدِ ماقنِطوا ففرّقَ جمْعَهم تنزيلُ نصرِ مليكِنا الوهّاب
وأقرّ عينَ محمدٍ وصِحابِهِ وأذلّ كل مكذِّبٍ مرتاب
عاتي الفؤادِ موقَّعٌ ذي ريبةٍ فى الكفرِ ليس بطاهرِ الاثواب
علِقَ الشقاءُ بقلبه ففؤادِه فى الكفرِ آخرَ هذه الأحقاب

قال وأجابه كعب بن مالك رضى الله عنه أيضاً فقال :

أبقى لنا حَدَثُ الحروبِ بقيّةً من خيرِ نحلةِ ربّنا الوهّاب
بيضاء مشرفة الذُرى ومعاطناً حُمَّ الجذوعِ غزيرةَ الاحلاب
كاللوبِ يُبذَل جمُّها وحَفيلُها للجارِ وابنِ العمِّ والمنتاب

ونزائعاً مثلَ السراج نمى بها | علفُ الشعيرِ وجزَّةُ المقضاب
عرّى الشَّوى منها وأردف نحضَها | جردُ المنونِ وسائرُ الآراب
قُوداً تُراح الى الصَّباح اذا غدتْ | فِعلَ الضِّراءِ تُراحُ للكُلاّب
وتحوطُ سائمةَ الديارِ وتارةً | تُردي العِدى وتئوبُ بالاسلاب
حُوشُ الوحوش مطارةٌ عند الوغى | عُبْسُ اللقاءِ مُبينة الانجاب
عُلفتْ على دَعَةٍ فصارت بُدّناً | دُخْسَ البَضيع خفيفةَ الأقصاب
يغدون بالزغَفِ المضاعَفِ شكُّه | وبمترَصَاتٍ فى الثّقافِ صِياب
وصوارمٍ نَزَعَ الصيا قلُ غُلْبَها | وبكلِّ أروعَ ماجدِ الانساب
يصلُ اليمينَ بمارنٍ متقاربٍ | وُكِلَتْ وقيعتُه الى خَبّاب
وأغرَّ أزرقَ فى القناة كأنه | فى طُخْيةِ الظلماء ضوءُ شهاب
وكتيبةٍ ينفي القِران قتيرُها | وتردُّ حدَّ قَواحِزِ النشّاب
جأْوى ململةٌ كأنّ رماحَها | فى كل مُجمعَةٍ صريمةُ غابِ
تأوي الى ظلّ اللواءِ كأنه | فى صعدة الخطّيّ فيءُ عُقاب
أعيَتْ أبا كَربٍ وأعيتْ تُبَّعاً | وأبتْ بسالتَها على الأعراب
ومواعظٍ من ربّنا نُهدى بها | بلسانِ أزهرَ طيّبِ الاثواب
عُرِضتْ علينا فاشتهينا ذِكْرَها | من بعدِ ماعُرِضَتْ على الأحزاب
حِكماً يراها المجرمون بزعمهم | حَرِجاً ويفهمُها ذوو الألباب
جاءت سَخينةُ كي تغالبَ ربَّها | فليُغلبنَّ مُغالبُ الغلاّب

قال ابن هشام: حدثنى من أثق به حدثنى عبد الملك بن يحيي بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن رسول الله (ص) قال له لما سمع منه هذا البيت: لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا. قلت ومراده بسخينة قريش وانما كانت العرب تسميهم بذلك لكثرة أكلهم الطعام السخن الذى لايتهيأ لغيرهم غالباً من أهل البوادى فالله أعلم. قال ابن اسحاق وقال كعب بن مالك أيضاً:

من سرَّهُ ضربٌ يُمَعْمِعُ بعضُه | بعضاً كمعمعةِ الإباء المحْرَق
فليأت مأسدةً تسنّ سيوفَها | بين المذادِ وبين جِذْعِ الخندق
دَربوا بضَرْبِ المُعْلَمين وأسلموا | مهجاتِ أنفسهم لربِّ المشرق
فى عُصبةٍ نَصرَ الإلهُ نبيَّه | بهمُ وكانَ بعبدِه ذا مرفق
فى كل سابغةٍ تخطّ فضولُها | كالنَّهي هبَّتْ ريحُه المترقرق

بيضاءَ مُحْكَمَةٍ كأنّ قتيرَها حَدقُ الجنادبِ ذاتِ شكّ موثق
جدلاءَ يحفزها نجادُ مهنّدٍ صافي الحديدة صارمٍ ذي رونق
تِلكمْ مع التقوى تكونُ لباسَنا يومَ الهياج وكلّ ساعة مصدق
نَصِلُ السيوفَ اذا قَصُرنَ بخطْونا قُدُماً ونُلحقها اذا لم تلحق
فترى الجماجمَ ضاحياً هاماتُها بُلهَ الأكفّ كأنّها لم تخلق
نلقى العدوَّ بفخمةٍ ملمومةٍ تنفي الجموعَ كقصد رأس المشرق
ونُعدُّ للاعداءِ كلَّ مقلّصٍ وَرْدٍ ومحجولِ القوائمِ أبلق
تردى بفرسانٍ كأنّ كُماتهم عند الهياج أسودُ طلٍّ ملثق
صُدُقٍ يعاطون الكُماةَ حُتوفَهم تحتَ العَماية بالوشيج المزهق
أمرَ الإلهُ بربطها لعدوّه في الحرب ان الله خيرُ موفق
لتكونَ غيظاً للعدوِّ وحُيَّطاً للدارِ إنْ دَلَفت خيولُ النزّق
ويعينُنا الله العزيزُ بقوّةٍ منهُ وصدقِ الصبرِ ساعةَ نلتقى
ونطيعُ أمرَ نبيِّنا ونجيبه واذا دعا لكريهةٍ لم نُسبق
ومتى ينادَى للشدائدِ نأتِها ومتى نرى الحوماتِ فيها نُعنق
من يتّبع قول النبي فإنه فينا مُطاعُ الأمر حقّ مصدّق
فبذاك ينصُرنا ويُظهر عزّنا ويصيبنا من نيْلِ ذاك بمرفق
إن الذين يكذّبون محمداً كفروا وضلّوا عن سبيل المتقي

قال ابن اسحاق : وقال كعب بن مالك أيضاً :

لقد عَلِم الأحزابُ حين تألّبوا علينا وراموا دِيننا ما نوادع
أضاميمُ من قيس بن غيلان أصفقتْ وخندفَ لم يدروا بما هو واقع
يذودوننا عن ديننا ونذودهم عن الكفر والرحمنُ راءٍ وسامع
اذا غايظونا فى مقامٍ أعاننا على غيظهم نصرٌ من الله واسع
وذلك حِفظُ الله فينا وفضلُه علينا ومَن لم يَحفظِ الله ضائع
هدانا لِدِين الحق واختارَه لنا ولله فوق الصانعين صانع

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له — يعنى طويلة — قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت فى مقتل بنى قريظة :

لقد لقيتْ قُرَيظةُ ماساءها وما وجَدتْ لذلٍّ من نصير

أصابهمُ بلاءٌ كان فيه ... سِوى ماقد أصابَ بنى النضير
غداةَ أتاهمُ يهوي اليهم ... رسولُ الله كالقمر المنير
له خيل مجنَّبةٌ تَعَادى ... بفرسانٍ عليها كالصقور
تركناهمْ وما ظفروا بشيء ... دِماؤهمُ عليها كالعبير
فهم صرعى تحومُ الطير فيهم ... كذاكَ يُدانُ ذو العَنَدِ الفَجور
فأنذرْ مثلها نُصْحاً قريشاً ... من الرحمن إنْ قَبلتْ نذيرى

قال وقال حسان بن ثابت أيضاً فى بني قريظة :

تعاقد معشرٌ نصروا قُريشاً ... وليسَ لهم ببلدتِهم نصير
همُ أوتوا الكتابَ فضيعوه ... وهم عُميٌ من التوراة بورُ
كفرتم بالقُرانِ وقد أتيتم ... بتصديقِ الذي قالَ النذير
فهان على سَراة بني لؤيّ ... حريقٌ بالبُويرة مستطير

فأجابه ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال :

ادام الله ذلكَ من صَنيعٍ ... وحرّق فى طوائفها السعيرُ
ستعلم اينا منها بنزهٍ ... وتعلم أي أرْضينا تَضير
فلو كانَ النخيلُ بها ركابا ... لقالوا لأمقامَ لَكم فسيروا

قلت : وهذا قاله أبو سفيان بن الحارث قبل أن يسلم ، وقد تقدم فى صحيح البخارى بعض هذه الابيات . وذكر ابن اسحاق جواب حسان فى ذلك لجبل بن جوال الثعلبي تركناه قصداً .

قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً يبكى سعداً وجماعة ممن استشهد يوم بنى قريظة :

ألا يالَقومي هل لما حَمّ دافعٌ ... وهل مامضى من صالحِ العيش راجع
تذكّرتُ عصراً قد مضى فتهافتَتْ ... بناتُ الحشا وانْهلَّ مني المدامع
صبابةُ وَجدٍ ذكّرتنيَ إخوة ... وقتلى مضى فيها طفيل ورافع
وسعدٌ فأضحَوا فى الجنان وأوحشَتْ ... منازلُهم فالأرضُ منهم بلاقع
وفَوا يومَ بدرٍ للرسول وفوقَهم ... ظلالُ المنايا والسيوفُ اللوامع
دعا فأجابوه بحقٍ وكلّهم ... مطيعٌ له فى كل أمرٍ وسامع
فما نَكلوا حتى توالَوا جماعةً ... ولا يقطعُ الآجالَ الا المصارع
لأنّهمُ يرجُون منه شفاعة ... اذا لم يكن إلا النبيّون شافع
فذلكَ ياخيرَ العباد بلاؤنا ... إجَابَتُنا لله والموت ناقع

لنا القَدَمُ الأُولى اليكَ وخلفَنا لأَوَّلنا في مِلَّةِ اللهِ تابع
ونعلمُ أن المُلكَ للهِ وحدَه وان قضاءَ اللهِ لا بُدَّ واقع

مقتل أبي رافع اليهودي

قال ابن اسحاق : ولما انقضى شأن الخندق وأمر بني قريظة وكان سلام بن أبي الحقيق ـ وهو أبو رافع ـ فيمن حزّب الاحزاب على رسول الله (ص) وكانت الأوس قبل أُحُدٍ قد قتلت كعب بن الاشرف فاستأذن الخزرج رسول الله (ص) في قتل سلام بن أبي الحقيق وهو بخيبر فأذن لهم . قال ابن اسحاق : فحدثني محمد بن مسلم الزهرى عن عبد الله بن كعب بن مالك قال : وكان مما صنع الله لرسوله (ص) أن هذين الحيين من الانصار الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله (ص) تصاول الفحلين لا تصنع الاوس شيئاً فيه غناء عن رسول الله (ص) الا وقالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله (ص). فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها واذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الاوس مثل ذلك . قال : ولما أصابت الاوس كعبَ بن الاشرف في عداوته لرسول الله (ص) قالت الخزرج والله لا ينهبون بها فضلا علينا ابدا . قال : فتذاكروا مَن رجل لرسول الله (ص) في العداوة كابن الاشرف فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخيبر فاستأذنوا الرسول (ص) في قتله فأذن لهم فخرج من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر عبد الله بن عتيك ومسعود بن سنان وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة الحارث ابن ربعي وخزاعي بن أسود حليف لهم من أسلم فخرجوا وأمّر عليهم رسول الله (ص) عبد الله بن عتيك ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة ، فخرجوا حتى اذا قدموا خيبر أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلا فلم يدعوا بيتاً في الدار حتى أغلقوه على أهله قال : وكان في علية له اليها عجلة قال : فأسندوا اليها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا فخرجت اليهم امرأته ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا : أناس من العرب نلتمس الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه . فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليه الحجرة تخوفاً أن يكون دونه مجاولة تحول بيننا وبينه . قال : فصاحت امرأته فنوهت بنا فابتدرناه وهو على فراشه بأسيافنا فوالله مايدلنا عليه في سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية ملقاة . قال : فلما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهى رسول الله (ص) فيكف يده ولولا ذلك لفرغنا منها بليل . قال فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول : قطني قطني أى حسبي حسبي. قال : وخرجنا وكان عبد الله بن عتيك سيء البصر قال فوقع من الدرجة فوثبت يده وثباً شديداً وحملناه حتى نأتي به منهراً من عيونهم فندخل فيه فاوقدوا النيران واشتدوا

فى كل وجه يطلبو نا حتى اذا يئسوا رجعوا اليه فا كتنفوه وهو يقضى قال فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ قال فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم . فانطلق حتى دخل فى الناس قال : فوجدتها - يعنى امرأته - ورجال يهود حوله وفى يدها المصباح تنظر فى وجهه وتحدثهم وتقول :أما والله قد سمعت صوت ابن عتيك ثم أ كذبت نفسي وقلت : أنى ابن عتيك بهذه البلاد . ثم أقبلت عليه تنظر فى وجهه فقالت : فاظ واله يهود ، فما سمعت كلمة كانت ألذّ على نفسى منها . قال : ثم جاءنا فأخبر نا فاحتملنا صاحبنا وقدمنا على رسول الله (ص.) فأخبر ناه بقتل عدوّ الله و اختلفنا عنده فى قتله كلنا يدّعيه . قال فقال : هاتوا أسيافكم .فجئنا بها فنظر اليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله أرى ، فيه أثر الطعام . قال ابن اسحاق : فقال حسان بن ثابت فى ذلك :

لله درُّ عصابةٍ لاقيتَهم ... ياابنَ الحقيقِ وأنتَ ياابنَ الأشرف
يسرُون بالبيضِ الخِفافِ اليكمُ ... مَرَحاً كأسْدٍ فى عرينٍ مغرف
حتى أتوْكم فى محلّ بلادِكم ... فسقُوكم حتفاً ببيضٍ ذُفَّف
مستبصِرين لنصرِ دينِ نبيِّهم ... مستصغِرينَ لكلّ أمرٍ مجحِفِ

هكذا أورد هذه القصة الامام محمد بن اسحاق رحمه الله . وقد قال الامام أبو عبد الله البخارى حدثنا اسحاق بن نصر حدّثنا يحيى بن آدم حدَّثنا ابن أبى زائدة عن أبيه عن أبى اسحاق عن البراء بن عازب قال: بعث النبى (ص.) رهطا الى أبى رافع فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلا وهو نائم فقتله . قال البخارى : حدَّثنا يوسف بن موسى حدّثنا عبد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبى اسحاق عن البراء قال: بعث رسول الله (ص.) الى أبى رافع اليهودي رجالا من الانصار وأمَّر عليهم عبد الله بن عتيك وكان أبو رافع يؤذى رسول الله (ص.) ويعين عليه وكان فى حصن له بأرض الحجاز فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال عبد الله : اجلسوا مكانكم فانى منطلق متلطف للبواب لعلى أن أدخل ، فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضى حاجته وقد دخل الناس فهتف به البواب ياعبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل فانى أريد أن أغلق الباب . فدخلت فكمنت فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الاغاليق على وَدّ قال : فقمت الى الاقاليد وأخذتها وفتحت الباب وكان أبو رافع يسمر عنده وكان فى علالى له فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحتُ باباً أغلقت علىَّ من داخل فقلت انِ القوم سدروا لى لم يخلصوا الىَّ حتى أقتله . فانتهيت اليه فاذا هو فى بيت مظلم وسط عياله لا أدرى أين هو من البيت قلت أبا رافع . قال من هذا . فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف ضربة وأنا دهش فما أغنيت شيئاً وصاح فخرجتُ من البيت فأمكث غير بعيد ثم دخلت اليه فقلت ماهذا الصوت

ياأبا رافع فقال لأمك الويل ان رجلا فى البيت قتل بالسيف . قال فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله ثم وضعت صبيب السيف فى بطنه حتى أخذ فى ظهره فعرفت أنى قتلته فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت الى درجة له فوضعت رجلى وأنا أرى أنى قد انتهيت فوقعت فى ليلة مقمرة فانكسرت ساق فعصبتها بعمامة حتى انطلقتُ حتى جلست على الباب فقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته فلما صاح الديك قام الناعى على السور فقال أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز فانطلقت الى أصحابى فقلت النجاء فقد قتل الله أبا رافع فانتهيت الى النبى (ص) فحدثته فقال ابسط رجلك فبسطت رجلى فمسحها فكأنما لم اشتكها قط . قال البخارى حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الاودى حدثنا شريح حدثنا ابراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبى اسحاق سمعت البراء قال بعث رسول الله (ص) الى أبى رافع عبد الله بن عتيك وعبد الله بن عتبة فى ناس معهم فانطلقوا حتى دنوا من الحصن فقال لهم عبد الله ابن عتيك امكثوا أنتم حتى أنطلق أنا فانظر قال : فتلطفت حتى أدخل الحصن ففقدوا حمارا لهم فخرجوا بقبس يطلبونه قال : فخشيت أن أعرف قال : فغطيت رأسى وجلست كأنى أقضى حاجة فقال : من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أغلقه . فدخلت ثم اختبأت فى مربط حمار عند باب الحصن فتعشوا عند أبى رافع وتحدثوا حتى ذهب ساعة من الليل ثم رجعوا الى بيوتهم فلما هدأت الاصوات ولا أسمع حركة خرجت قال ورأيت صاحب الباب حيث وضع مفتاح الحصن فى كوة فأخذته ففتحت به باب الحصن قال قلت ان نَذِرَ بى القوم انطلقت على مهل ثم عمدت الى أبواب بيوتهم فغلقتها عليهم من ظاهر ثم صعدت الى أبى رافع فى سلم فاذا البيت مظلم قد طفىء سراجه لم أدر أين الرجل فقلت ياأبا رافع قال من هذا فعمدت نحو الصوت فاضربه وصاح فلم تغن شيئاً قال ثم جئته كأنى أغيثه فقلت مالك ياأبا رافع وغيرت صوتى قال لاأعجبك لأمك الويل دخل علىّ رجل فضربنى بالسيف قال فعمدت اليه أيضا فأضربه اخرى فلم تغن شيئاً فصاح وقام أهله ثم جئت وغيرت صوتى كهيئة المغيث فاذا هو مستلق على ظهره فاضع السيف فى بطنه ثم انكفىء عليه حتى سمعت صوت العظم ثم خرجت دهشاً حتى أتيت السلم أريد أن أنزل فاسقط منه فانخلعت رجلى فعصبتها ثم أتيت أصحابى أحجل فقلت انطلقوا فبشروا رسول الله (ص) فانى لاأبرح حتى أسمع الناعية فلما كان فى وجه الصبح صعد الناعية فقال أنعى أبا رافع قال فقمت أمشى مابى قلبه فادركت أصحابى قبل أن يأتوا رسول الله (ص) فبشرته . تفرد به البخارى بهذه السياقات من بين أصحاب الكتب الستة ثم قال : قال الزهرى قال أبىّ بن كعب فقدموا على رسول الله (ص) وهو على المنبر فقال أفلحت الوجوه قال أفلح وجهك يارسول الله قال أفتكتموه قالوا نعم قال ناولنى السيف فسله فقال اجل هذا طعامه فى ذباب السيف . قلت يحتمل أن عبد الله بن عتيك

لما سقط من تلك الدرجة انفكت قدمه وانكسرت ساقه ووثبت رجله فلما عصبها استكن مابه لما هو فيه من الامر الباهر ولما أراد المشى أعين على ذلك لما هو فيه من الجهاد النافع ثم لما وصل الى رسول الله (ص) واستقرت نفسه ثاوره الوجع فى رجله فلما بسط رجله ومسح رسول الله (ص) ذهب ماكان بها من بأس فى الماضى ولم يبق بها وجع يتوقع حصوله فى المستقبل جمعا بين هذه الرواية والتى تقدمت والله أعلم. هذا وقد ذكر موسى بن عقبة فى مغازيه مثل سياق محمد بن اسحاق وسمى الجماعة الذين ذهبوا اليه كما ذكره ابن اسحاق وابراهيم وأبو عبيد

مقتل خالد بن سفيان الهذلي

ذكره الحافظ البيهقى فى الدلائل تلو مقتل أبى رافع. قال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن ابن اسحاق حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن ابن عبد الله بن أنيس عن أبيه قال: دعانى رسول الله (ص) فقال: انه قد بلغنى ان خالد بن سفيان بن نبيح الهذلى يجمع لى الناس ليغزونى وهو بعُرَنَة فائته فاقتله. قال قلت يارسول الله انعته لى حتى أعرفه. قال اذا رأيته وجدت له قشعريرة قال فخرجت متوشحاً سيفى حتى وقعت عليه وهو بعرنة مع ظعن يرتاد لهن منزلا وحين كان وقت العصر فلما رأيته وجدت ما وصف لى رسول الله (ص) من القشعريرة فأقبلت نحوه وخشيت أن يكون بينى وبينه مجاولة تشغلنى عن الصلاة فصليت وأنا أمشى نحوه أومئ برأسى للركوع والسجود فلما انتهيت اليه قال: من الرجل؟ قلت رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك. قال أجل انا فى ذلك قال فمشيت معه شيئاً حتى اذا أمكننى حملت عليه السيف حتى قتلته ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه فلما قدمت على رسول الله (ص) فرآنى قال أفلح الوجه قال قلت قتلته يارسول الله قال صدقت قال ثم قام معى رسول الله (ص) فدخل فى بيته فأعطانى عصا فقال: امسك هذه عندك ياعبد الله بن أنيس. قال فخرجت بها على الناس فقالوا ماهذه العصا؟ قال قلت أعطانيها رسول الله (ص) وأمرنى أن أمسكها قالوا أولا ترجع الى رسول الله (ص) فتسأله عن ذلك. قال فرجعت الى رسول الله (ص) فقلت يارسول الله لم أعطيتنى هذه العصا؟ قال آية بينى وبينك يوم القيامة ان أقل الناس المتخصرون يومئذ. قال فقرنها عبد الله بسيفه فلم تزل معه حتى اذا مات أمر بها فضمت فى كفنه ثم دفنا جميعاً ثم رواه الامام أحمد عن يحيى بن آدم عن عبد الله بن ادريس عن محمد ابن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن بعض ولد عبد الله بن انيس - أو قال عن عبد الله بن عبد الله بن أنيس - عن عبد الله بن انيس فذكر نحوه. وهكذا رواه أبو داود عن أبى معمر عن عبد الوارث عن محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر عن عبد الله بن انيس عن أبيه فذكر نحوه

ورواه الحافظ البيهقي من طريق محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عبد الله بن عبد الله بن انيس عن أبيه فذكره. وقد ذكر قصة عروة بن الزبير وموسى بن عقبة في مغازيهما مرسلة فالله أعلم. قال ابن هشام وقال عبد الله بن أنيس في قتله خالد بن سفيان:

تركتُ ابنَ ثورٍ كالحوار وحولَه ... نوائحُ تفري كلَّ جيبٍ مُعدَّد
تناولتَه والظعْنُ خلفي وخلفَه ... بأبيضَ من ماء الحديد المهند
عجومٍ لهام الدارعين كأنه ... شهابٌ غضيٌ من مُلهبٍ متوقد
أقول له والسيفُ يعجم رأسه ... أنا ابن أنيسٍ فارسٌ غيرُ قعدد
أنا ابنَ الذي لم يَنزلِ الدهرَ قِدرُه ... رحيبٍ فناء الدار غير مزند
وقلتُ له خذها بضربةِ ماجدٍ ... خفيفٍ على دينِ النبيِّ محمد
وكنت اذا همَّ النبي بكافرٍ ... سبقتُ اليه باللسانِ وباليد

قلت عبد الله بن انيس بن حرام أبو يحيى الجهني صحابي مشهور كبير القدر كان فيمن شهد العقبة وشهد أحداً والخندق وما بعد ذلك وتأخر موته بالشام الى سنة ثمانين على المشهور وقيل توفى سنة أربع وخمسين والله أعلم. وقد فرق علي بن الزبير وخليفة بن خياط بينه وبين عبد الله بن انيس ابي عيسى الانصاري الذي روى عن النبي ﷺ أنه دعا يوم أحد باداوة فيها ماء فحل فمها وشرب منها كما رواه أبو داود والترمذي من طريق عبد الله العمري عن عيسى بن عبد الله بن انيس عن أبيه ثم قال الترمذي وليس اسناده يصح وعبد الله العمري ضعيف من قبل حفظه

قصة عمرو بن العاص مع النجاشي

قال محمد بن اسحاق بعد مقتل أبي رافع وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن راشد مولى حبيب ابن اوس الثقفي عن حبيب بن اوس حدثني عمرو بن العاص من فيه قال: لما انصرفنا يوم الاحزاب عن الخندق جمعتُ رجالا من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني فقلت لهم تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الامور علواً منكراً واني لقد رأيت أمراً فما ترون فيه. قالوا وما رأيت قال رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده فان ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي فانا ان نكن تحت يديه أحب الينا من أن نكون تحت يدي محمد وان ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير. قالوا: ان هذا لرأي. قلت: فاجمعوا لنا مانهدي له فكان أحب مايهدى اليه من أرضنا الادم فجمعنا له أدماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله انا لعنده إذ جاءه عمرو بن

أمية الضمرى وكان رسول الله ﷺ قد بعثه اليه فى شأن جعفر و أصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال فقلت لاصحابى : هذا عمرو بن أمية لو قد دخلت على النجاشى فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه فاذا فعلت رأت قريش أنى قدأجزأت عنهاحين قتلت رسول محمد . قال : فدخلت عليه فسجدتله كما كنت أصنع . فقال : مرحبا بصديقى هل أهديت لى من بلادك شيئاً ؟ قال : قلت نعم أيها الملك قد أهديت لك أدماً كثيراً . قال ثم قربته اليه فأعجبه واشتهاه . ثم قلت له أيها الملك انى قد رأيت رجلا خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فأعطنيه لاقتله فانه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا . قال فغضب ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره فلو انشقت الارض لدخلت فيها فرقا . ثم قلت أيها الملك والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه . قال أتسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى فتقتله ؟ قال قلت أيها الملك أكذاك هو ؟ قال ويحك ياعمرو أطعنى واتبعه فانه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده قال قلت افتبايعنى له على الاسلام قال نعم فبسط يده فبايعته على الاسلام ثم خرجت على أصحابى وقد حال رأيى عما كان عليه وكتمت أصحابى اسلامى ثم خرجت عامداً الى رسول الله ﷺ لأسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة فقلت أين أبا سليمان ؟ فقال والله لقد استقام الميسم وان الرجل لنبى أذهب والله أسلم فحتى متى ؟ قال قلت والله ماجئت الا لاسلم . قال فقدمنا المدينة على النبى ﷺ فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ثم دنوت فقلت يارسول الله انى أبايعك على أن تغفر لى ماتقدم من ذنبى ولا أذكر ما تأخر . قال فقال رسول الله ﷺ : ياعمرو بايع فان الاسلام يجبُّ ما كان قبله وان الهجرة تجبُّ ما كان قبلها . قال فبايعته ثم انصرفت . قال ابن اسحاق وقد حدثنى من لا أتهم ان عثمان بن طلحة بن أبى طلحة كان معهما ، أسلم حين أسلما ، فقال عبد الله بن ابى الزبعرى السهمى :

أنشدُ عثمانَ بن طلحةَ خلفنا وملقى نعالِ القوم عند المقبل
وما عقدَ الآباءُ من كلِّ حِلفة وما خالدٌ من مثلها بمحلل
أمفتاحَ بيتٍ غير بيتك تبتغي وما تبتغى من بيتِ مجدٍ مؤثل
فلا تأمننَّ خالداً بعد هذه وعثمان جاءا بالدهيم المعضّل

قلت كان اسلامهم بعد الحديبية وذلك ان خالد بن الوليد كان يومئذ فى خيل المشركين كما سيأتى بيانه فكان ذكر هذا الفصل فى اسلامهم بعد ذلك أنسب ولكن ذكرنا ذلك تبعاً للامام محمد بن اسحاق رحمه الله تعالى لأن أول ذهاب عمرو بن العاص الى النجاشى كان بعد وقعة الخندق الظاهر انه ذهب بقية سنة خمس . والله أعلم

فصل في تزويج النبي "ص" بأم حبيبة

ذكر البيهقى بعد وقعة الخندق من طريق الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ﴾ قال هو تزويج النبى (ص) بأم حبيبة بنت أبى سفيان فصارت أم المؤمنين وصار معاوية خال المؤمنين . ثم قال البيهقى أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أحمد بن نجدة حدثنا يحيى بن عبد الحميد أنبأنا ابن المبارك عن معمر عن الزهرى عن عروة عن أم حبيبة انها كانت عند عبد الله بن جحش وكان رحل الى النجاشى فمات وان رسول الله (ص) تزوج بأم حبيبة وهى بأرض الحبشة وزوجها اياه النجاشى ومهرها أربعة آلاف درهم وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة وجهزها من عنده وما بعث رسول الله (ص) بشيء . قال وكان مهور أزواج النبى (ص) أربعمائة . قلت والصحيح ان مهور أزواج النبى (ص) كانت ثنتى عشرة أوقية ونشاً والوقية أربعون درهما والنش النصف وذلك يعدل خمسمائة درهم . ثم روى البيهقى من طريق ابن لهيعة عن أبى الاسود عن عروة ان عبيد الله بن جحش مات بالحبشة نصرانيا فخلف على زوجته أم حبيبة رسول الله (ص) زوجها منه عثمان بن عفان رضى الله عنه

قلت أما تنصر عبيد الله بن جحش فقد تقدم بيانه وذلك على أثر ماهاجر مع المسلمين الى أرض الحبشة استزله الشيطان فزين له دين النصارى فصار اليه حتى مات عليه لعنة الله وكان يعير المسلمين فيقول لهم أبصرنا وصأصأتم وقد تقدم شرح ذلك فى هجرة الحبشة . وأما قول عروة ان عثمان زوجها منه فغريب لأن عثمان كان قد رجع الى مكة قبل ذلك ثم هاجر الى المدينة وصحبته زوجته رقية كما تقدم والله أعلم . والصحيح ما ذكره يونس عن محمد بن اسحاق قال بلغنى ان الذى ولى نكاحها ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص . قلت وكان وكيل رسول الله (ص) فى قبول العقد أصحمة النجاشى ملك الحبشة كما قال يونس عن محمد بن اسحاق حدثنى أبو جعفر محمد بن على بن الحسين قال بعث رسول الله (ص) عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى فزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان وساق عنه أربعمائة دينار

وقال الزبير بن بكار حدثنى محمد بن الحسن عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن زهير عن اسماعيل بن عمرو أن أم حبيبة بنت أبى سفيان قالت : ماشعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشى جارية يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه ووهنه فاستأذنت علىَّ فأذنت لها فقالت : ان الملك يقول لكِ ان رسول الله (ص) كتب إلى أن أزوجكهِ فقلت بشرك الله بالخير وقالت يقول لك

الملك وكلى من يزوجك . قالت : فأرسلت الى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته وأعطيت أبرهة سوارين من فضة وخدمتين من فضة كانتا علىَّ وخواتيم من فضة فى كل أصابع رجلى سروراً بما بشرتنى به . فلما أن كان من العشى أمر النجاشى جعفر بن أبى طالب ومن كان هناك من المسلمين أن يحضروا وخطب النجاشى وقال : الحمد لله الملك القدوس المؤمن العزيز الجبار وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنه الذى بشر به عيسى بن مريم . أما بعد فان رسول الله ص طلب أن أزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان فاجبت الى مادعا اليه رسول الله ص وقد أصدقها أربعمائة دينار ثم سكب الدنانير بين يدى القوم . فتكلم خالد بن سعيد فقال : الحمد لله أحمده واستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . أما بعد فقد أجبت الى مادعا اليه رسول الله ص وزوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان فبارك الله لرسول الله ص ودفع النجاشى الدنانير الى خالد بن سعيد فقبضها ثم أرادوا أن يقوموا فقال : اجلسوا فان من سنة الانبياء اذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج . فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا . قلت : فلعل عمرو بن العاص لما رأى عمرو بن أمية خارجاً من عند النجاشى بعد الخندق انما كان فى قضية أم حبيبة فالله أعلم . لكن قال الحافظ البيهقى ذكر أبو عبد الله ابن منده أن تزويجه عليه السلام بام حبيبة كان فى سنة ست وان تزويجه بأم سلمة كان فى سنة أربع . قلت وكذا قال خليفة وأبو عبيد الله معمر بن المثنى وابن البرقى وان تزويج أم حبيبة كان فى سنة ست وقال بعض الناس سنة سبع . قال البيهقى هو أشبه قلت قد تقدم تزويجه عليه السلام بام سلمة فى أواخر سنة أربع وأما أم حبيبة فيحتمل أن يكون قبل ذلك ويحتمل أن يكون بعده وكونه بعد الخندق أشبه لما تقدم من ذكر عمرو بن العاص أنه رأى عمرو بن أمية عند النجاشى فهو فى قضيتها والله أعلم . وقد حكى الحافظ ابن الاثير فى الغابة عن قتادة أن أم حبيبة لما هاجرت من الحبشة الى المدينة خطبها رسول الله ص وتزوجها . وحكى عن بعضهم أنه تزوجها بعد اسلام أبيها بعد الفتح واحتج هذا القائل بما رواه مسلم من طريق عكرمة بن عمار اليمانى عن أبى زميل سماك بن الوليد عن ابن عباس أن ابا سفيان قال يارسول الله ثلاث أعطنيهن . قال نعم . قال تؤمرنى على أن أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال نعم . قال ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك . قال نعم . قال وعندى أحسن العرب واجمله أم حبيبة بنت أبى سفيان أزوجكها . الحديث بتمامه . قال ابن الاثير وهذا الحديث مما أنكر على مسلم لان ابا سفيان لما جاء يجدد العقد قبل الفتح دخل على ابنته أم حبيبة فثنت عنه فراش النبى ص فقال والله ما أدرى أرغبت بى عنه أو به عنى ؟ قالت بل هذا فراش رسول الله ص وأنت رجل مشرك . فقال والله لقد أصابك بعدى يابنية شر

وقال ابن حزم هذا الحديث وضعه عكرمة بن عمار وهذا القول منه لايتابع عليه . وقال آخرون أراد ان يجدد العقد لما فيه بغير إذنه من الغضاضة عليه . وقال بعضهم لانه اعتقد انفساخ نكاح ابنته باسلامه . وهذه كلها ضعيفة والاحسن فى هذا أنه أراد ان يزوجه ابنته الاخرى عزة لما رأى فى ذلك من الشرف له واستعان باختها ام حبيبة كما فى الصحيحين وانما وهم الراوى فى تسميته ام حبيبة وقد أوردنا لذلك خبراً مفرداً . قال أبو عبيد القاسم بن سلام توفيت أم حبيبة سنة أربع وأربعين وقال ابو بكر بن أبى خيثمة توفيت قبل معاوية لسنة وكانت وفاة معاوية فى رجب سنة ستين

تزويجه بزينب بنت جحش

ابن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الاسدية أم المؤمنين وهى بنت أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ص . وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه قال قتادة والواقدى وبعض أهل المدينة تزوجها عليه السلام سنة خمس زاد بعضهم فى ذى القعدة قال الحافظ البيهقى تزوجها بعد بنى قريظة وقال خليفة بن خياط وأبو عبيدة معمر بن المثنى وابن منده تزوجها سنة ثلاث والاول أشهر وهو الذى سلكه ابن جرير وغير واحد من أهل التاريخ وقد ذكر غير واحد من المفسرين والفقهاء وأهل التاريخ فى سبب تزويجه إياها عليه السلام حديثا ذكره احمد بن حنبل فى مسنده تركنا إيراده قصداً لئلا يضعه من لايفهم على غير موضعه وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز : [واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ماالله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى زواج أدعيائهم اذا قضوا منهما وطراً وكان أمر الله مفعولا] . [ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً]

وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير بما فيه كفاية فالمراد بالذى أنعم الله عليه هاهنا زيد بن حارثة مولى رسول الله ص أنعم الله عليه بالاسلام وأنعم عليه رسول الله ص بالعتق وزوجه بابنة عمه زينب بنت جحش . قال مقاتل بن حيان : وكان صداقه لها عشرة دنانير وستين درهماً وخماراً وملحفة ودرعاً وخمسين مداً وعشرة أمداد من تمر فمكثت عنده قريباً من سنة أو فوقها ثم وقع بينهما فجاء زوجها يشكو الى رسول الله ص فكان ص يقول له : اتق الله وامسك عليك زوجك . قال الله [وتخفى فى نفسك ما الله مبديه] قال على بن الحسين زين العابدين والسدى : كان الله قد علم أنها ستكون من أزواجه فهو الذى كان فى نفسه عليه السلام . وقد تكلم كثير من السلف ها هنا بآثار

غريبة و بعضها فيه نظر تركناها . قال الله تعالى [فلما قضى زيد منها وطراً زوجنا كها] ، ذلك أن زيداً طلقها فلما انقضت عدتها بعث اليها رسول الله (ص) يخطبها الى نفسها ثم تزوجها وكان الذى زوجها منه رب العالمين تبارك وتعالى كما ثبت فى صحيح البخارى عن أنس بن مالك أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبى (ص) فتقول : زوجكن أهليكن وزوجنى الله من فوق سبع سماوات . وفى رواية من طريق عيسى بن طهمان عن أنس قال : كانت زينب تفخر على نساء النبى (ص) وتقول : أنكحنى الله من السماء . وفيها أنزلت آية الحجاب [يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه] الآية. وروى البيهقى من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال : جاء زيد يشكو زينب فجعل رسول الله (ص) يقول : اتق الله وأمسك عليك زوجك ، قال أنس : فلو كان رسول الله (ص) كاتماً شيئاً لكتم هذه فكانت تفخر على أزواج النبى (ص) تقول : زوجكن أهليكن وزوجنى الله من فوق سبع سماوات ثم قال : رواه البخارى عن أحمد عن محمد بن أبى بكر المقدمى عن حماد بن زيد ، ثم روى البيهقى من طريق عفان عن حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال : جاء زيد يشكو الى رسول الله (ص) من زينب بنت جحش فقال النبى (ص) : أمسك عليك أهلك فنزلت [وتخفى فى نفسك ما الله مبديه] ثم قال البخارى عن محمد بن عبد الرحيم عن معلى بن منصور عن محمد مختصراً وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى قال : كانت زينب تقول للنبى (ص) انى لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن ان جدى وجدك واحد تعنى عبد المطلب فانه أبو أبى النبى (ص) وأبو أمها أميمة بنت عبد المطلب وانى أنكحنيك الله عز وجل من السماء وان السفير جبريل عليه السلام . وقال الامام أحمد حدثنا هاشم ـ يعنى ابن القاسم ـ حدثنا النضر حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب قال النبى (ص) لزيد اذهب فاذكرها على فانطلق حتى أتاها وهى تخمر عجينها قال : فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر اليها أن رسول الله (ص) ذكرها فوليتها ظهرى ونكصت على عقبى . وقلت يا زينب أبشرى أرسلنى رسول الله (ص) بذكرك قالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أؤامر ربى عز وجل ثم قامت الى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله (ص) فدخل عليها بغير إذن قال أنس : ولقد رأيتنا حين دخل عليها رسول الله (ص) اطعمنا عليها الخبز واللحم فخرج الناس وبقى رجال يتحدثون فى البيت بعد الطعام فخرج رسول الله (ص) واتبعته فجعل يتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن : يا رسول الله كيف وجدت أهلك ؟ فما أدرى أنا أخبرته والقوم قد خرجوا أو أخبر . قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستر بينى وبينه ونزل

الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به [لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم] الآية ، وكذا رواه مسلم والنسائي من طريق سليمان بن المغيرة

نزول الحجاب صبيحة عرس زينب

فناسب نزول الحجاب في هذا العرس صيانة لها ولأخواتها من أمهات المؤمنين وذلك وفق الرأي العمري . قال البخاري : حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشي حدثنا معتمر بن سليمان سمعت أبي حدثنا أبو مجلز عن أنس بن مالك قال : لما تزوج رسول الله (ص) زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا وجلسوا يتحدثون فاذا هو يتهيأ للقيام فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر وجاء النبي (ص) ليدخل فاذا القوم جلوس ثم انهم قاموا فانطلقوا ، فجئت فأخبرت النبي (ص) أنهم قد انطلقوا ، فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه فأنزل الله تعالى [يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي] الآية ، وقد رواه البخاري في مواضع أخر ومسلم والنسائي من طرق عن معتمر . ثم رواه البخاري منفردا به من حديث أيوب عن أبي قلابة عن أنس نحوه . وقال البخاري : حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : بني على النبي (ص) بزينب بنت جحش بخبز ولحم فأرسلت على الطعام داعياً فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون فدعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه ، فقلت : يا نبي الله ما أجد أحداً أدعوه . قال : ارفعوا طعامكم ، وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت ، فخرج النبي (ص) فانطلق الى حجرة عائشة فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، قالت : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته كيف وجدت أهلك بارك الله لك ؟ فتقرّى حجر نسائه كلهن ويقول لهن كما يقول لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة ثم رجع النبي (ص) فاذا رهط ثلاثة في البيت يتحدثون وكان النبي (ص) شديد الحياء فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة فما أدري أخبرته أم أخبر أن القوم خرجوا فخرج حتى اذا وضع رجله في أسكفة الباب واخرى خارجه أرخى الستر بيني وبينه وأنزلت آية الحجاب ، تفرد به البخاري من هذا الوجه . ثم رواه منفرداً به أيضاً عن اسحاق هو ابن نصر عن عبد الله بن بكير السهمي عن حميد بن أنس بنحو ذلك ، وقال « رجلان » بدل ثلاثة فالله أعلم

قال البخاري : وقال ابراهيم بن طهمان عن الجعد أبي عثمان عن أنس فذكر نحوه . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو المظفر حدثنا جعفر بن سليمان عن الجعد أبي عثمان اليشكري عن أنس بن مالك قال : أعرس رسول الله (ص) ببعض نسائه فصنعت أم سليم حيساً ثم حطته في ثور فقالت اذهب الى رسول الله (ص) وأخبره ان هذا منا له قليل قال أنس والناس يومئذ في

جهد فجئت به فقلت يارسول بعثت بهذا أم سليم اليك وهي تقرئك السلام و تقول ان هذا منـا له قليل فنظر اليه ثم قال ضعه فى ناحية البيت ثم قال اذهب فادع لى فلاناً وفلاناً فسمى رجالا كثيرا قال ومن لقيت من المسلمين فدعوت من قال لى و من لقيت من المسلمين فجئت والبيت والصفة والحجرة ملاء من الناس . فقلت يا أبا عثمان كم كانوا قال كانوا زهاء ثلثمائة . قال أنس فقال لى رسول الله (ص) جيء فجئت به اليه فوضع يده عليه ودعا وقال ما شاء الله ثم قال ليتحلق عشرة عشرة ويسموا وليأكل كل انسان مما يليه فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلوا كلهم فقال لى رسول الله (ص) ارفعه قال فجئت فأخذت التور فنظرت فيه فلا أدرى أهو حين وضعته أكثر أم حين رفعته قال وتخلف رجال يتحدثون فى بيت رسول الله (ص) وزوج رسول الله (ص) التى دخل بها معهم مولية وجهها الى الحائط فأطالوا الحديث فشقوا على رسول الله (ص) وكان أشد النـاس حياء ولو علموا كان ذلك عليهم عزيزاً فقام رسول الله (ص) فسلم على حجره وعلى نسائه فلما رأوه قد جاء ظنوا انهم قد ثقلوا عليه ابتدروا الباب فخرجوا وجاء رسول الله (ص) حتى أرخى الستر ودخل البيت وأنا فى الحجرة فمكث رسول الله (ص) فى بيته يسيرا وأنزل الله القرآن فخرج وهو يقرأ هذه الآية [يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لـكم الى طعام غير ناظرين اناه ولـكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلـكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لايستحيى من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلـكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لـكم ان تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعد أبداً ان ذلـكم كان عند الله عظيما . ان تبدوا شيئاً أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما] قال أنس فقرأهن على قبل الناس وأنا أحدث الناس بهن عهدا . وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة عن جعفر بن سليمان عن الجعد أبى عثمان به وقال الترمذى حسن صحيح ورواه مسلم أيضاً عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن الجعد أبى عثمان به وقد روى هذا الحديث البخارى والترمذى والنسائى من طرق عن أبى بشر الاحمسى الـكوفى عن أنس بنحوه ورواه ابن أبى حاتم من حديث أبى نضرة العبدى عن أنس بنحوه ولم يخرجوه . ورواه ابن جرير من حديث عمرو بن سعيد ومن حديث الزهرى عن أنس نحو ذلك . قلت : كانت زينب بنت جحش رضى الله عنها من المهاجرات الاول وكانت كثيرة الخير والصدقة وكان اسمها أولا بره فسماها النبى (ص) زينب وكانت تكنى بأم الحـكم قالت عائشة رضى الله عنها مارأيت امرأة قط خيراً فى الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم أمانة وصدقة . وثبت فى الصحيحين كما سيأتى فى حديث الافك عن عائشة انها قالت وسأل رسول الله (ص) عن زينب بنت جحش

وهى التى كانت تساميني من نساء النبى (ص) فعصمها الله بالورع فقالت يارسول الله احمى سمعى و بصرى ، ماعلمت الا خيرا . وقال مسلم بن الحجاج فى صحيحه حدثنا محمود بن غيلان حدثنا الفضل بن موسى الشيبانى حدثنا طلحة بن يحيى بن طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت قال رسول الله (ص) أسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا قالت فكنا نتطاول أينا أطول يداً قالت فكانت زينب أطولنا يدا لانها كانت تعمل بيدها وتتصدق . انفرد به مسلم . قال الواقدى وغيره من أهل السير والمغازى والتواريخ توفيت سنة عشرين من الهجرة وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه و دفنت بالبقيع وهى أول امرأة صنع لها النعش

سنة ست من الهجرة

قال البيهقى كان يقال فى المحرم منها سرية محمد بن مسلمة قبل نجد وأسروا فيها ثمامة بن أثال اليمامى قلت : لكن فى سياق ابن اسحاق عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة أنه شهد ذلك وهو انما هاجر بعد خيبر فيؤخر الى مابعدها والله أعلم . وهى السنة التى كان فى أوائلها غزوة بنى لحيان على الصحيح قال ابن اسحاق وكان فتح بنى قريظة فى ذي القعدة وصدر من ذى الحجة وولى تلك الحجة المشركون يعنى فى سنة خمس كما تقدم . قال ثم أقام رسول الله (ص) بالمدينة ذا الحجه والمحرم وصفراً وشهرى ربيع وخرج فى جمادى الاولى على رأس ستة أشهر من فتح بنى قريظة الى بنى لحيان يطلب بأصحاب الرجيع حبيب وأصحابه وأظهر انه يريد الشام ليصيب من القوم غرة قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم والمقصود انه عليه السلام لما انتهى الى منازلهم هربوا من بين يديه فتحصنوا فى رؤوس الجبال فمال الى عسفان فلقى بها جمعاً من المشركين وصلى بها صلاة الخوف . وقد تقدم ذكر هذه الغزوة فى سنة أربع وهنالك ذكرها البيهقى والاشبه ماذكره ابن اسحاق انها كانت بعد الخندق وقد ثبت انه صلى بعسفان يوم بنى لحيان فلتكتب هاهنا وتحول من هناك اتباعا لامام أصحاب المغازى فى زمانه وبعده كما قال الشافعى رحمه الله : من أراد المغازى فهو عيال على محمد بن اسحاق . وقد قال كعب بن مالك فى غزوة بنى لحيان :

لو أنّ بني لحيان كانوا تناظروا لقوا عُصباً فى دارهم ذاتَ مصدق
لقَوا سَرعاناً يملأ السِّربَ رَوْعه أمام طحونٍ كالمجرّة فيلق
ولكنّهم كانوا وباراً تتبّعَت شعابَ حجازٍ غيرِ ذي متنفّق

غزوة ذى قرد

قال ابن اسحاق : ثم قدم رسول الله (ص) المدينة فلم يقم بها إلا ليالى قلائل حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى فى خيل من غطفان على لقاح النبى (ص) بالغابة وفيها رجل من بنى غفار ومعه امرأته فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة فى اللقاح . قال ابن اسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك ـ كل قد حدث فى غزوة ذى قرد بعض الحديث ـ أنه كان أول من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الاكوع الاسلمى غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده حتى اذا علا ثنية الوداع نظر الى بعض خيولهم فاشرف فى ناحية سلع ثم صرخ : واصباحاه ! ثم خرج يشتد فى آثار القوم وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم فجعل يردهم بالنبل ويقول :

خُذها وأنا ابنُ الاكوع   اليومُ يومُ الرضّع

فاذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا ثم عارضهم فاذا أمكنه الرمى رمى ثم قال :

خذها وأنا ابن الأكوع   اليومَ يومُ الرضع

قال فيقول قائلهم : أويكمنا هو أول النهار . قال : وبلغ رسول الله (ص) صياح ابن الاكوع فصرخ بالمدينة : الفزع الفزع . فترامت الخيول الى رسول الله (ص) فكان أول من انتهى اليه من الفرسان المقداد بن الاسود ثم عباد بن بشر وسعد بن زيد وأسيد بن ظهير ـ يشك فيه ـ وعكاشة بن محصن ومحرز بن نضلة أخو بنى أسد بن خزيمة وأبو قتادة الحارث بن ربعى أخو بنى سلمة وأبو عياش عبيد بن زيد بن صامت أخو بنى زريق قال : فلما اجتمعوا الى رسول الله (ص) أمر عليهم سعد بن زيد ثم قال : أخرج فى طلب القوم حتى ألحقك فى الناس وقد قال النبى (ص) لابى عياش فيما بلغنى عن رجال من بنى زريق يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلا هو أفرس منك فلحق بالقوم قال أبو عياش : فقلت يا رسول الله أنا أفرس الناس . ثم ضربت الفرس فوالله ما جرى بى خمسين ذراعاً حتى طرحنى فعجبت من ذلك ، فزعم رجال من زريق أن رسول الله (ص) أعطى فرس أبى عياش معاذ بن ماعص أو عائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة وكان ثامناً قال وبعض الناس يعد سلمة بن الاكوع ثامنا ويطرح أسيد بن ظهير فالله أعلم أى ذلك كان .

قال : ولم يكن سلمة بن الاكوع يومئذ فارسا قد كان أول من لحق بالقوم على رجليه . قال : فخرج الفرسان حتى تلاحقوا فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة وكان يقال له الاخرم ويقال له قمير وكانت الفرس التى تحته لمحمود بن مسلمة وكان يقال للفرس ذو اللمة

فلما انتهى الى العدو قال لهم : قفوا معشر بنى اللكيعة حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والانصار قال : فحمل عليه رجل منهم فقتله وجال الفرس فلم يقدر عليه حتى وقف على أرية من بنى عبد الاشهل أى رجع الى مربطه الذى كان فيه بالمدينة

قال ابن اسحاق ولم يقتل يومئذ من المسلمين غيره قال ابن هشام وقد ذكر غير واحد من أهل العلم انه قد قتل معه أيضا وقاص بن مجزز المدلجى . قال ابن اسحاق وحدثنى بعض من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أن محرزا كان على فرس لعكاشة بن محصن يقال لها الجناح فقتل محرز واستلب جناح فالله أعلم . قال ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حبيبَ بن عيينة وغشاه برده ثم لحق بالناس وأقبل رسول الله (ص) فى المسلمين . قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم فاذا حبيب مسجى ببرد أبى قتادة فاسترجع الناس وقالوا قتل أبو قتادة فقال رسول الله (ص) ليس بأبى قتادة ولكنه قتيل لابى قتادة ووضع عليه برده لتعرفوا أنه صاحبه قال وادرك عكاشة بن محصن أوبارا وابنه عمرو بن أوبار وهما على بعير واحد فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعا واستنقذوا بعض اللقاح قال وسار رسول الله (ص) حتى نزل بالجبل من ذى قرد وتلاحق به الناس فاقام عليه يوما وليلة وقال له سلمة بن الاكوع يارسول الله لوسرحتنى فى مائة رجل لاستنقذت بقية السرح وأخذت باعناق القوم فقال رسول الله (ص) فيما بلغنى : انهم الآن ليغبقون فى غطفان فقسم رسول الله (ص) فى أصحابه فى كل مائة رجل جزورا وأقاموا عليها ثم رجع قافلا حتى قدم المدينة قال واقبلت امرأة الغفارى على ناقة من ابل النبى (ص) حتى قدمت عليه المدينة فاخبرته الخبر فلما فرغت قالت يارسول الله انى قد نذرت لله أن أنحرها ان نجانى الله عليها قال فتبسم رسول الله (ص) ثم قال « بئسما جزيتيها أن حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها انه لانذر فى معصية الله ولافيما لاتملكين انما هى ناقة من ابلى فارجعى الى أهلك على بركة الله » قال ابن اسحاق والحديث فى ذلك عن أبى الزبير المكى عن الحسن البصرى . هكذا أورد ابن اسحاق هذه القصة بما ذكر من الاسناد والسياق . وقد قال البخارى رحمه الله بعد قصة الحديبية وقبل خيبر غزوة ذى قرد وهى الغزوة التى أغاروا على لقاح النبى (ص) قبل خيبر بثلاث حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حاتم عن يزيد بن أبى عبيد سمعت سلمة بن الاكوع يقول خرجت قبل أن يؤذن بالاولى وكانت لقاح النبى (ص) ترعى بذى قرد قال فلقينى غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال أخذت لقاح النبى (ص) فقلت من أخذها قال غطفان قال فصرخت ثلاث صرخات واصباحاه قال فاسمعت مابين لابتى المدينة ثم اندفعت على وجهى حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء فجعلت أرميهم بنبلى وكنت رامياً وأقول أنا ابن الاكوع اليوم يوم الرضع وأرتجز حتى استنقذت اللقاح منهم واستلبت منهم ثلاثين بردة قال وجاء النبى (ص) والناس فقلت يارسول الله قد حميت

القوم الماء وهم عطاش فابعث اليهم الساعة . فقال « يا ابن الاكوع ، ملكت فأسجح » ثم رجعنا وردفني رسول الله (ص) على ناقته حتى قدمنا المدينة . وهكذا رواه مسلم عن قتيبة به ورواه البخارى عن أبى عاصم السهلى عن يزيد بن أبى عبيدة عن مولاه سلمة بنحوه

وقال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عكرمة بن عمار حدثنى اياس بن سلمة بن الاكوع عن أبيه قال : قدمنا المدينة زمن الحديبية مع رسول الله (ص) فخرجت أنا ورباح غلام النبى (ص) بظهر رسول الله (ص) وخرجت بفرس لطلحة بن عبيد الله أريد أن أنديه مع الابل فلما كان بغلس أغار عبد الرحمن بن عيينة على ابل رسول الله (ص) فقتل راعيها وخرج يطردها هو وأناس معه فى خيل فقلت يارباح اقعد على هذا الفرس فالحقه بطلحة وأخبر رسول الله (ص) أنه قد أغير على سرحه . قال : وقمت على تل فجعلت وجهى من قبل المدينة ثم ناديت ثلاث مرات : ياصباحاه ! قال : ثم اتبعت القوم معى سيفى ونبلى فجعلت أرميهم وأعقر بهم وذلك حين يكثر الشجر فاذا رجع إلى فارس جلست له فى أصل شجرة ثم رميت فلا يقبل إلى فارس إلا عقرت به فجعلت أرميهم وأنا أقول :

أنا ابن الاكوع والبوم يوم الرضع

قال : فالحق برجل منهم فارميه وهو على راحلته فيقع سهمى فى الرجل حتى انتظم كتفه فقلت

خذها وانا ابن الاكوع والبوم يوم الرضع

فاذا كنت فى الشجر أحرقتهم بالنبل فاذا تضايقت الثنايا علوت الجبل فرديتهم بالحجارة فما زال ذاك شأنى وشأنهم اتبعهم وارتجز حتى ماخلق الله شيئا من ظهر رسول الله (ص) إلا خلفته وراء ظهرى فاستنقذته من أيديهم ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحا وأكثر من ثلاثين بردة يستخفون منها ولا يلقون من ذلك شيئاً إلا جعلت عليه حجارة وجمعته على طريق رسول الله (ص) حتى اذا امتد الضحى أتاهم عيينة بن بدر الفزارى مدداً لهم وهم فى ثنية ضيقة ثم علوت الجبل فأنا فوقهم فقال عيينة ماهذا الذى أرى ؟ قالوا لقينا من هذا البرح مافارقنا بسحر حتى الآن وأخذ كل شىء بايدينا وجعله وراء ظهره . فقال عيينة لو لا أن هذا يرى أن وراءه طلباً لقد ترككم ، ليقم اليه نفر منكم . فقام اليه نفر منهم أربعة فصعدوا فى الجبل فلما أسمعتهم الصوت قلت أتعرفوننى قالوا ومن أنت قلت أنا ابن الاكوع والذى كرم وجه محمد لايطلبنى رجل منكم فيدركنى ولا أطلبه فيفوتنى . فقال رجل منهم ان أظن . قال فما برحت مقعدى ذلك حتى نظرت الى فوارس رسول الله (ص) يتخللون الشجر واذا أولهم الاخرم الاسدى وعلى أثره ابو قتادة فارس رسول الله (ص) وعلى أثره المقداد بن الاسود الكندى فولى المشركون مدبرين وأنزل من الجبل

فأخذ عنان فرسه ، فقلت : يا أخرم ائذن القوم ـ يعنى احذرهم ـ فانى لا آمن أن يقتطعوك فاتئد حتى يلحق رسول الله (ص) وأصحابه . قال : ياسلمة ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حق والنار حق فلا تحل بينى وبين الشهادة . قال فخليت عنان فرسه فيلحق بعبد الرحمن ابن عيينة ويعطف عليه عبد الرحمن ، فاختلفا طعنتين فعقر الاخرم بعبد الرحمن وطعنه عبد الرحمن فقتله فتحول عبد الرحمن على فرس الاخرم فيلحق أبو قتادة بعبد الرحمن فاختلفا طعنتين فعقر بأبى قتادة وقتله أبو قتادة وتحول أبو قتادة على فرس الاخرم . ثم انى خرجت أعدو فى أثر القوم حتى ما أرى من غبار صحابة النبى (ص) شيئا ويعرضون قبل غيبوبة الشمس الى شعب فيه ماء يقال له ذو قرد فأرادوا أن يشربوا منه فابصرونى أعدو وراءهم فعطفوا عنه وأسندوا فى الثنية ثنية ذى بئر وغربت الشمس وألحق رجلا فارميه فقلت : خذها وأنا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع . قال فقال يا ثكل أم أكوع بكرة . فقلت نعم أى عدو نفسه . وكان الذى رميته بكرة وأتبعته سهما آخر فعلق به سهمان ويخلفون فرسين فجئت بهما أسوقهما الى رسول الله (ص) وهو على الماء الذى أجليتهم عنه ذو قرد واذا بنبى الله (ص) فى خمسمائة واذا بلال قد نحر جزوراً مما خلفتُ فهو يشوى لرسول الله (ص) من كبدها وسنامها فأتيت رسول الله (ص) فقلت يارسول الله خلنى فأنتخب من أصحابك مائة فآخذ على الكفار بالعشوة فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته . فقال أكنت فاعلا ذلك ياسلمة ؟ قال قلت نعم والذى أكرمك . فضحك رسول الله (ص) حتى رأيت نواجذه فى ضوء النار ثم قال : انهم يقرون الآن بأرض غطفان . فجاء رجل من غطفان فقال : مروا على فلان الغطفانى فنحر لهم جزوراً فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة فتركوها وخرجوا هرابا فلما أصبحنا قال رسول الله (ص) خير فرساننا أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة ، فاعطانى رسول الله (ص) سهم الفارس والراجل جميعاً ثم أردفنى وراءه على العضباء راجعين الى المدينة فلما كان بيننا وبينها قريب من ضحوة وفى القوم رجل من الانصار كان لا يُسبق جعل ينادى: هل من مسابق ، ألا رجل يسابق الى المدينه ؟ فأعاد ذلك مراراً وأنا وراء رسول الله (ص) مردفى فقلت له : اما تكرم كريما ولا تهاب شريفاً ؟ قال : لا الا رسول الله (ص) قال قلت : يارسول الله بأبى أنت وأمى خلنى فلاسابق الرجل . قال : ان شئت . قلت أذهبْ اليك فطفر عن راحلته وثنيت رجلى فطفرت عن الناقة ثم انى ربطت عليه شرفا أو شرفين يعنى استبقيت من نفسى ثم انى عدوت حتى ألحقه فاصك بين كتفيه بيدى قلت سبقتك والله أو كلمة نحوها قال فضحك وقال : انْ أظن . حتى قدمنا المدينة . وهكذا رواه مسلم من طرق عن عكرمة بن عمار بنحوه وعنده فسبقته الى المدينة فلم نلبث إلا ثلاثا حتى خرجنا الى خيبر . ولأحمد هذا السياق . ذكر البخارى والبيهقى هذه الغزوة بعد الحديبية وقبل خيبر وهو أشبه مما ذكره ابن اسحاق والله أعلم فينبغى

تأخيرها الى أوائل سنة سبع من الهجرة فان خيبر كانت فى صفر منها

وأما قصة المرأة التى نجت على ناقة النبى (ص) ونذرت نحرها لنجاتها عليها فقد أوردها ابن اسحاق بروايته عن أبى الزبير عن الحسن البصرى مرسلا . وقد جاء متصلا من وجوه أخر

وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن ابى قلابة عن ابى المهلب عن عمران بن حصين قال : كانت العضباء لرجل من بنى عقيل وكانت من سوابق الحاج فأخذت العضباء معه . قال فمر به رسول الله (ص) وهو فى وثاق ورسول الله (ص) على حمار عليه قطيفة فقال يا محمد علام تأخذونى وتأخذون سابقة الحاج ؟ فقال رسول الله (ص) نأخذك بجريرة حلفائك ثقيف قال وكانت ثقيف قد أسروا رجلين من أصحاب النبى (ص) . وقال فيما قال مسلم فقال رسول الله (ص) لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح قال ومضى رسول الله (ص) فقال يا محمد انى جائع فاطعمنى وانى ظمآن فاسقنى فقال رسول الله (ص) هذه حاجتك ثم فدى بالرجلين وحبس رسول الله (ص) العضباء لرحله . قال ثم ان المشركين أغاروا على سرح المدينة فذهبوا به وكانت العضباء فيه وأسروا امرأة من المسلمين . قال وكانوا اذا نزلوا أراحوا ابله بأفنيتهم قال فقامت المرأة ذات ليلة بعد ما نوموا فجعلت كلما أتت على بعير رغا حتى أتت على العضباء فأتت على ناقة ذلول مجرسة فركبتها ثم وجهتها قبل المدينة قال ونذرت ان الله انجاها عليها لتنحرنها فلما قدمت المدينة عرفت الناقة فقيل ناقة رسول الله (ص) قال وأخبر رسول الله (ص) بنذرها أو أتته فأخبرته فقال بئس ماجزيتيها أو بئس ماجزتها ان أنجاها الله عليها لتنحرنها . قال ثم قال رسول الله (ص) لا وفاء لنذر فى معصية الله ولا فيما لايملك ابن آدم . ورواه مسلم عن أبى الربيع الزهرانى عن حماد بن زيد

قال ابن اسحاق وكان مما قيل من الاشعار فى غزوة ذى قرد قول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

لولا الذى لاقتْ ومسّ نسورَها … بجنوبِ سايةَ أمسِ فى التّقواد
للقينكم يحملْنَ كلَّ مدجَّج … حامي الحقيقة ماجدَ الاجداد
ولسرَّ أولادَ اللقيطةِ اننا … سَلَمٌ غداةَ فوارسِ المقداد
كنّا ثمانيةً وكانوا جحفلا … لجباً فشكوا بالرماح بداد
كنّا من القوم الذين يَلُونَهم … ويقدّمونَ عنانَ كلِّ جواد
كلّا وربِّ الراقصاتِ الى مِنَى … يَقطعْن عرضَ مخارِمِ الأطواد
حتى نُبيلَ الخيلَ فى عرَصاتكم … ونثوبَ بالملِكاتِ والأولاد
رَهْواً بكلِّ مُقلّصٍ وطمرَّةٍ … فى كلِّ معترَكٍ عَطفْنَ وَوَاد

أفنى دوابرَها ولاحَ مُتُونَها يومٌ تقادُ به ويومُ طراد
فكذاك إن جيادَنا ملبونةٌ والحربُ مُشْعَلةٌ بريح غواد
وسيوفُنا بِيضٌ الحدائد تجتلى جُنَنَ الحديدِ وهامةَ المرتاد
أخَذَ الاله عليهمُ لحرامه ولعزّةِ الرحمن بالأسداد
كانوا بدارٍ ناعمين فبُدّلوا أيامَ ذي قَرَدٍ وجوهَ عِناد

قال ابن اسحاق فغضب سعد بن زيد أمير سرية الفوارس المتقدمين امام رسول الله (ص) على حسان وحلف لا يكلمه أبداً وقال انطلقَ الى خيلي وفوارسي فجعلها للمقداد. فاعتذر اليه حسان بأنه وافق الروى اسم المقداد، ثم قال أبياتاً يمدح بها سعد بن زيد :

اذا أردتمُ الاشدَّ الجلْدا أو ذا غَناءٍ فعليكم سعدا
سعدَ بنَ زيدٍ لا يهدُّ هدّا

قال فلم تقع منه بموقع. وقال حسان بن ثابت فى يوم ذى قرد :

أظنَّ عيينـةُ اذ زارها بأنْ سوفَ يهدم فيها قصورا
فأكذبتُ ما كنتُ صدّقته وقلتم سنغنم أمراً كبيرا
فعفتُ المدينةَ اذ زرتها وآنستُ للأُسْدِ فيها زئيرا
وولّوا سِراعا كشدِّ النعام ولم يكشِفوا عن مُلطٍّ حصيرا
أميرٌ علينا رسولُ المليك أحببْ بذاك الينا أميرا
رسولٌ يصدِّقُ ماجاءه ويتلو كِتاباً مضيئاً منيرا

وقال كعب بن مالك فى يوم ذى قرد يمدح الفرسان يومئذ من المسلمين :

أيحسبُ أولادُ اللقيطة أننـا على الخيلِ لسنا مثلَهم فى الفوارس
وإنّا أناسٌ لانرى القتلَ سُبَّة ولا ننثنى عندَ الرماح المداعس
وإنا لنَقري الضيفَ من قمع الذرى ونضربُ رأسَ الأبلج المتشاوس
نردّ كماة المُعْلَمين اذا انتحَوا بضربٍ يسلّي نخوةَ المتقاعس
بكل فتى حامي الحقيقة ماجدٍ كريم كسرحان الغَضاة مخالس
يذودون عن أحسابهم وبلادِهم ببيضٍ تقدّ الهامَ تحت القوانس
فسائلْ بنى بدرٍ اذا ما لقيتَهم بما فعـل الإخوانُ يوم التمارس
اذا ماخرجتم فاصدُقوا من لقيتمُ ولا تكتُموا أخبارَكم فى المجالس
وقولوا زَلَلْنا عن مخالب خادرٍ به وَحَرٌ فى الصدر ما لم يمارس

غزوة بني المصطلق من خزاعة

قال البخارى وهى غزوة المريسيع . قال محمد بن اسحاق وذلك فى سنة ست . وقال موسى بن عقبة سنة أربع . وقال النعمان بن راشد عن الزهرى كان حديث الافك فى غزوة المريسيع هكذا رواه البخارى عن مغازى موسى بن عقبة انها كانت فى سنة أربع . والذى حكاه عنه وعن عروة انها كانت فى شعبان سنة خمس . وقال الواقدى كانت لليلتين من شعبان سنة خمس فى سبعمائة من أصحابه . وقال محمد بن اسحاق بن يسار بعد ما أورد قصة ذى قرد فأقام رسول الله (ص) بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجب ثم غزا بنى المصطلق من خزاعة فى شعبان سنة ست . قال ابن هشام واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى ويقال نميلة بن عبد الله الليثى قال ابن اسحاق حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ومحمد بن يحيى بن حبان كل قد حدثنى بعض حديث بنى المصطلق قالوا : بلغ رسول الله (ص) ان بنى المصطلق يجمعون له وقائدهم الحارث بن أبى ضرار أبو جويرية بنت الحارث التى تزوجها رسول الله (ص) بعد ذلك فلما سمع بهم خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله بنى المصطلق وقتل من قتل منهم ونفل رسول الله (ص) أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءهم عليه وقال الواقدى خرج رسول الله (ص) لليلتين مضتا من شعبان سنة خمس من الهجرة فى سبعمائة من أصحابه الى بنى المصطلق وكانوا حلفاء بنى مدلج فلما انتهى اليهم دفع راية المهاجرين الى أبى بكر الصديق ويقال الى عمار بن ياسر وراية الانصار الى سعد بن عبادة ، ثم أمر عمر بن الخطاب فنادى فى الناس أن قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم فأبوا فتراموا بالنبل ، ثم أمر رسول الله (ص) المسلمين فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم رجل واحد وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم ولم يقتل من المسلمين الا رجل واحد . وثبت فى الصحيحين من حديث عبد الله بن عون قال كتبت الى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال فقال : قد أغار رسول الله (ص) على بنى المصطلق وهم غارون فى أنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى سبيهم فأصاب يومئذ - أحسبه قال - جويرية بنت الحارث . وأخبرنى عبد الله بن عمر بذلك وكان بذلك الجيش قال ابن اسحاق وقد أصيب رجل من المسلمين يقال له هشام بن صبابة أصابه رجل من الانصار وهو يرى انه من العدو فقتله خطأ

وذكر ابن اسحاق أن أخاه مقيس بن صبابه قدم من مكة مظهراً للاسلام فطلب دية أخيه هشام من رسول الله (ص) لانه قتل خطأ فاعطاه ديته ثم مكث يسيراً ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ورجع

مرتداً الى مكة وقال فى ذلك :

شفى النفسَ ان قد باتَ بالقاع مسنداً يضرِّجُ ثوبيه دماءُ الاخادع
وكانت همومُ النفس من قبلِ قتله تُلمُّ فتحميني وِطاءَ المضاجع
حللتُ به وِتري وأدركتُ ثُؤرتي وكنتُ الى الاوثان أولَ راجع
ثأرتُ به فِهراً وحمّلتُ عَقلَهُ سراةَ بنى النجّار أربابَ فارع

قلت : ولهذا كان مقيس هذا من الاربعة الذين أهدر رسول الله (ص) يوم الفتح دماءهم وان وجدوا معلقين بأستار الكعبة . قال ابن اسحاق فبينا الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهنى: يامعشر الانصار وصرخ جهجاه :يامعشر المهاجرين فغضب عبد الله بن أبيّ بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد ابن أرقم غلام حدث فقال أوقد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا و الله ما أعدّنا وجلابيب قريش هذه الا كما قال الاول « سمن كلبك يأ كلك » أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل . ثم أقبل على من حضره من قومه فقال : هذا مافعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم ما بايديكم لتحولوا الى غير داركم . فسمع ذلك زيد ابن أرقم فمشى به الى رسول الله (ص) فاخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال مر به عباد ابن بشر فليقتله . فقال رسول الله (ص) : فكيف ياعمر اذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه لا ولكن آذن بالرحيل . وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله (ص) يرتحل فيها فارتحل الناس وقد مشى عبد الله بن أبيّ بن سلول الى رسول الله (ص) حين بلغه أن زيد بن أرقم بلّغه ما سمع منه فحلف بالله ماقلت ما قال ولا تكلمت به وكان فى قومه شريفاً عظيما فقال من حضر رسول الله (ص) من الانصار من أصحابه يارسول الله عسى ان يكون الغلام أوهم فى حديثه ولم يحفظ ماقال الرجل حدباً على ابن أبيّ ودفعا عنه . فلما استقل رسول الله (ص) وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه وقال : يارسول الله والله لقد رحت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فى مثلها . فقال له رسول الله (ص): أوما بلغك ماقال صاحبكم ؟ قال أى صاحب يارسول الله ؟ قال عبد الله بن أبيّ . قال وما قال قال زعم أنه ان رجع الى المدينة اخرج الأعز منها الاذل قال فانت والله يارسول الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال يارسول الله ارفق فوالله لقد جاءنا الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه فانه ليرى انك قد استلبته ملكا . ثم مشى رسول الله (ص) بالناس يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم

يلبثوا ان وجدوا مس الارض فوقعوا نياما . وانما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالامس من حديث عبد الله بن أبىّ ثم راح رسول الله (ص) بالناس وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع يقال له بقعاء فلما راح رسول الله (ص) هبت على الناس ريح شديدة فآذتهم وتخوفوها فقال رسول الله (ص) : لا تخوفوها فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار . فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بنى قينقاع وكان عظيما من عظماء اليهود وكهفاً للمنافقين مات ذلك اليوم . وهكذا ذكر موسى بن عقبة والواقدى . وروى مسلم من طريق الاعمش عن أبى سفيان عن جابر نحو هذه القصة الا أنه لم يسم الذى مات من المنافقين قال هبت ريح شديدة والنبى (ص) فى بعض أسفاره فقال هذه لموت منافق فلما قدمنا المدينة اذا هو قد مات عظيم من عظماء المنافقين . قال ابن اسحاق ونزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين فى ابن أبىّ ومن كان على مثل أمره فأخذ رسول الله (ص) بأذن زيد بن أرقم وقال هذا الذى أوفى لله بأذنه . قلت وقد تكلمنا على تفسيرها بتمامها فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية عن اعادته هاهنا وسردنا طرق هذا الحديث عن زيد بن أرقم ولله الحمد والمنة ، فمن أراد الوقوف عليه أو أحب أن يكتبه هاهنا فليطلبه من هناك وبالله التوفيق . قال ابن اسحاق حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن عبد الله بن أبىّ بن سلول أتى رسول الله (ص) فقال يارسول الله انه بلغنى أنك تريد قتل عبدالله بن أبىّ فيما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمر لى به فأنا أحمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده منى وانى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أن أنظر الى قاتل عبد الله بن أبىّ يمشى فى الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار . فقال رسول الله (ص) بل نترفق به ونحسن صحبته مابقى معنا . وجعل بعد ذلك اذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه فقال رسول الله (ص) لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم كيف ترى ياعمر أما والله لو قتلته يوم قلت لى لارعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته . فقال عمر قد والله علمتُ لأمر رسول الله (ص) أعظم بركة من أمرى. وقد ذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما ان ابنه عبد الله رضى الله عنه وقف لابيه عبد الله بن أبىّ بن سلول عند مضيق المدينة فقال قف فوالله لا تدخلها حتى يأذن رسول الله (ص) فى ذلك فلما جاء رسول الله (ص) استأذنه فى ذلك فأذن له فأرسله حتى دخل المدينة . قال ابن اسحاق وأصيب يومئذ من بنى المصطلق ناس وقتل على بن أبى طالب منهم رجلين مالكا وابنه . قال ابن هشام وكان شعار المسلمين : يامنصور أمت أمت

قال ابن اسحق وكان رسول الله (ص) أصاب منهم سبياً كثيراً فقسمهم فى المسلمين وقال

البخارى حدثنا قتيبة بن سعيد أخبرنى اسماعيل بن جعفر عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن محمد بن يحيى بن حبان عن ابن محيريز أنه قال دخلت المسجد فرأيت أبا سعيد الخدرى فجلست اليه فسألته عن العزل فقال أبو سعيد خرجنا مع رسول الله (ص) فى غزوة بنى المصطلق فأصبنا سبياً من سبى العرب فاشتهينا النساء واشتدت علينا العزوبة وأحببنا العزل وقلنا نعزل ورسول (ص) بين أظهرنا قبل أن نسأله فسألناه عن ذلك فقال : ما عليكم أن لا تفعلوا ما من نسمة كائنة الى يوم القيامة الا كائنة وهكذا رواه . قال ابن اسحاق : وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت : لما قسم رسول الله (ص) سبايا بنى المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث فى السهم لثابت بن قيس ابن شماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله (ص) لتستعينه فى كتابتها قالت : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت . فدخلت عليه فقالت يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومه وقد أصابنى من البلاء ما لم يخف عليك فوقعت فى السهم لثابت ابن قيس بن شماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسى فجئتك أستعينك على كتابتى . قال : فهل لك فى خير من ذلك ؟ قالت وما هو يارسول الله قال أقضى عنك كتابك وأتزوجك . قالت : نعم يارسول الله قد فعلت . قالت : وخرج الخبر الى الناس أن رسول الله (ص) قد تزوج جويرية بنت الحارث فقال الناس أصهار رسول الله (ص) فارسلوا ما بأيديهم قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها . ثم ذكر ابن اسحاق قصة الافك بتمامها فى هذه الغزوة وكذلك البخارى وغير واحد من أهل العلم وقد حررت طرق ذلك كله فى تفسير سورة النور فليلحق بكماله الى ها هنا وبالله المستعان

وقال الواقدى حدثنا حرام عن هشام بن عروة عن أبيه قال : قالت جويرية بنت الحارث رأيت قبل قدوم النبى (ص) بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع فى حجرى فكرهت أن أخبر به أحداً من الناس حتى قدم رسول الله (ص) فلما سبينا رجوت الرؤيا قالت : فأعتقنى رسول الله (ص) وتزوجنى والله ما كلمته فى قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم وما شعرت الا بجارية من بنات عمى تخبرنى الخبر فحمدت الله تعالى . قال الواقدى : ويقال ان رسول الله (ص) جعل صداقها عتق أربعين من بنى المصطلق . وذكر موسى بن عقبة عن بنى المصطلق أن أباها طلبها وافتداها ثم خطبها منه رسول الله (ص) فزوجه إياها

قصة الأفك

وهذا سياق محمد بن اسحاق حديث الافك : قال ابن اسحاق حدثني لزهرى عن علقمة بن وقاص وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعبد الله بن عبيد الله بن عتبة قال الزهرى : وكل قد حدثنى بهذا الحديث وبعض القوم كان أوعى له من بعض وقد جمعت كل الذى حدثنى القوم. قال ابن اسحاق : حدثني يحيي بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة وعبد الله بن أبى بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة عن نفسها حين قال فيها أهل الافك ما قالوا ، فكل قد دخل فى حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه وكل كان عنها ثقة فكلهم حدث عنها بما سمع قالت : كان رسول الله (ص). اذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه فلما كان غزوة بنى المصطلق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمى عليهن معه فخرج بى رسول الله (ص). قالت : وكان النساء إذ ذاك يأكلن العلق لم يهجهن اللحم فيثقلن وكنت اذا رُحل لى بعيرى جلست فى هودجى ثم يأتى القوم الذين كانوا يرحلون لى فيحملونني ويأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسول الله (ص) من سفره ذلك وجه قافلا حتى اذا كان قريباً من المدينة نزل منزلا فبات به بعض الليل ثم أذن مؤذن فى الناس بالرحيل فارتحل الناس وخرجت لبعض حاجتى وفى عنقى عقد لى فيه جزع ظفار فلما فرغت انسلّ من عنقى ولا أدرى فلما رجعتُ الى الرحل ذهبت ألتمسه فى عنقى فلم أجده وقد أخذ الناس فى الرحيل فرجعت الى مكانى الذى ذهبت اليه فالتمسته حتى وجدته وجاء القوم خلافى الذين كانوا يرحلون لى البعير وقد كانوا فرغوا من رحلته فأخذوا الهودج وهم يظنون أنى فيه كما كنت أصنع فاحتملوه فشدوه على البعير ولم يشكوا أنى فيه ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به فرجعت الى العسكر وما فيه داع ولا مجيب قد انطلق الناس . قالت فتلففت بجلبابى ثم اضطجعت فى مكانى وعرفت أن لو افتقدت لرجع الناس الى . قالت فوالله انى لمضطجعة إذ مرَّ بى صفوان بن المعطل السلمى وكان قد تخلف عن العسكر لبعض حاجاته فلم يبت مع الناس فرأى سوادى فأقبل حتى وقف على وقد كان يرانى قبل أن يُضرب علينا الحجاب فلما رآنى قال : إنا لله وإنا اليه راجعون ظعينة رسول الله (ص).. ؟ وأنا متلففة فى ثيابى . قال ماخلفك يرحمك الله ؟ قالت فما كلمته . ثم قرب الىَّ البعير فقال اركبى واستأخر عنى . قالت فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعا يطلب الناس فوالله ما أدركنا الناس وما افتُقدت حتى أصبحت ونزل الناس فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بى فقال أهل الافك ماقالوا وارتج العسكر ووالله ما أعلم بشىء من ذلك ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوى

شديدة لا يبلغنى من ذلك شىء . وقد انتهى الحديث الى رسول الله (ص) والى أبوىّ لا يذكرون لى منه قليلا ولا كثيراً إلا أنى قد أنكرت من رسول الله (ص) بعض لطفه بى كنت اذا اشتكيت رحمنى ولطف بى فلم يفعل ذلك بى فى شكواى ذلك فانكرت ذلك منه، كان اذا دخل علىّ وعندى أمى[1] تمرّضنى قال كيف تيكم ؟ لا يزيد على ذلك قالت حتى وجدت فى نفسى فقلت يارسول الله حين رأيت ما رأيت من جفائه لى : لو أذنت لى فانتقلت الى امى فمرضتنى قال لا عليك قالت فانقلبت الى أمى ولا علم لى بشىء مما كان حتى نقهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة وكنّا قوماً عرباً لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذها الاعاجم نعافها ونكرهها انما كنا نخرج فى فسح المدينة وانما كانت النساء يخرجن فى كل ليلة فى حوائجهن فخرجت ليلة لبعض حاجتى ومعى أم مسطح ابنة ابى رهم بن المطلب قالت فوالله إنها لتمشى معى إذ عثرت فى مرطها فقالت تعس مسطح (ومسطح لقب واسمه عوف) قالت فقلت بئس لعمرو الله ما قلتِ لرجل من المهاجرين وقد شهد بدراً قالت أو ما بلغكِ الخبر يابنت أبى بكر قالت قلت وما الخبر فاخبرتنى بالذى كان من قول أهل الافك قلت أو قد كان هذا قالت نعم والله لقد كان قالت فوالله ماقدرت على أن أقضى حاجتى ورجعت فوالله ما زلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدى قالت وقلت لامى يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لى من ذلك شيئاً قالت أى بنية خفى عليك الشأن فوالله لقلّ ما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها قالت وقد قام رسول الله (ص) فخطبهم ولا أعلم بذلك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس مابال رجال يؤذوننى فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق والله ماعلمت عليهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ماعلمت منه الا خيراً ، ولا يدخل بيتا من بيوتى إلا وهو معى ، قالت وكان كبرُ ذلك عند عبد الله بن أبىّ بن سلول فى رجال من الخزرج مع الذى قال مسطح وحمنة بنت جحش وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله (ص) ولم تكن امرأة من نسائه تناصينى فى المنزلة عنده غيرها فأما زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيراً وأما حمنة فاشاعت من ذلك ما أشاعت تضارنى لاختها فشقيت بذلك فلما قال رسول الله (ص) تلك المقالة قال أسيد بن حضير يارسول الله ان يكونوا من الاوس نكفيكهم وان يكونوا من اخواننا من الخزرج فمرنا أمرك فوالله انهم لأهل أن تضرب أعناقهم قالت فقام سعد بن عبادة وكان قبل ذلك يُرى رجلا صالحاً فقال كذبت لعمر الله ما تضرب أعناقهم أما والله ماقلت هذه المقالة الا انك قد عرفت انهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ماقلت هذا . فقال أسيد بن حضير كذبت لعمر الله ولكنك منافق تجادل عن المنافقين . قالت وتساور الناس حتى كاد

---

(١) فى سيرة ابن هشام : هى أم رومان ، واسمها زينب بنت عبد دهمان احد بنى فراس بن غنم بن مالك بن كنانة

يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر، ونزل رسول الله (ص) فدخل عليَّ فدعا عليَّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد فاستشارهما فأما أسامة فأثنى خيراً وقاله ثم قال يارسول الله أهلك وما نعلم منهم الا خيرا وهذا الكذب والباطل. وأما على فانه قال يارسول الله ان النساء لكثير وانك لقادر على أن تستخلف وسل الجارية فانها ستصدقك. فدعا رسول الله (ص) بريرة يسألها قالت فقام اليها عليّ فضربها ضرباً شديداً ويقول: أصدقى رسول الله (ص). قالت فتقول والله ما أعلم الا خيرا وما كنت أعيب على عائشة شيئاً الا انى كنت أعجن عجينى فآمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله. قالت ثم دخل عليَّ رسول الله (ص) وعندى أبواى وعندى امرأة من الانصار وأنا أبكى وهى تبكى فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ياعائشة انه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتقى الله وان كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبى الى الله فان الله يقبل التوبة عن عباده. قالت فوالله ان هو الا أن قال لى ذلك فقلص دمعى حتى ما أحس منه شيئاً وانتظرت أبوىَّ أن يجيبا عنى رسول الله (ص) فلم يتكلما. قالت وأيم الله لأنا كنت أحقر فى نفسى وأصغر شأناً من أن ينزل الله فىَّ قرآناً يقرأ به ويُصلى به، ولكنى كنت أرجو أن يرى النبى (ص) فى نومه شيئاً يكذّب الله به عنى لما يعلم من براءتى ويخبر خبراً وأماقرآناً ينزل فىَّ فوالله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك قالت فلما لم أر أبوىَّ يتكلمان قلت لهما ألا تجيبان رسول الله (ص)؟ فقالا والله ماندرى بما نجيبه. قالت ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم مادخل على آل أبى بكر فى تلك الايام قالت فلما استعجما عليَّ استعبرت فبكيت ثم قلت والله لا أتوب الى الله مما ذكرت أبدا والله انى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم انى منه بريئة لأقولن مالم يكن ولئن أنا أنكرت مايقولون لا تصدقوننى قالت ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره فقلت ولكن سأقول كما قال أبو يوسف [فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون]؛ قالت فوالله مابرح رسول الله (ص) مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه فسجى بثوبه ووضعت وسادة من أدم تحت رأسه فأما أنا حين رأيت من ذلك مارأيت فوالله ما فزعت وما باليت قد عرفت انى بريئة وان الله غير ظالمى وأما أبواى فوالذى نفس عائشة بيده ماسرى عن رسول الله (ص) حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقاً من أن يأتى من الله تحقيق ماقال الناس. قالت ثم سرّى عن رسول الله (ص) فجلس وانه ليتحدر من وجهه مثل الجمان فى يوم شات فجعل يمسح العرق عن وجهه ويقول: أبشرى ياعائشة قد أنزل الله عز وجل براءتك. قالت قلت الحمد لله. ثم خرج الى الناس فخطبهم وتلا عليهم ماأنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك ثم أمر بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حدهم

وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين عن الزهرى . وهذا السياق فيه فوائد جمة . وذكر حد القذف لحسان ومن معه رواه أبو داود فى سننه . قال ابن اسحاق وقال قائل من المسلمين فى ضرب حسان وأصحابه :

لقد ذاقَ حسّانُ الذي كان أهلَهُ ... وحمنة اذ قالوا هجيراً ومسطح
تعاطوا برجم الغيب زوجَ نبيِّهم ... وسخطةَ ذي العرشِ الكريم فأترحوا
وآذَوا رسولَ الله فيها فجللوا ... مخازيَ تبقى عمّموها وفضّحوا
وصُبَّتْ عليهم محصَداتٌ كأنها ... شآبيبُ قَطرٍ فى ذرا المزْن تسفح

وقد ذكر ابن اسحاق أن حسان بن ثابت قال شعراً يهجو فيه صفوان بن المعطل وجماعة من قريش ممن تخاصم على الماء من أصحاب جهجاه كما تقدم أوله هى :

أمسى الجلابيبُ قد عزّوا وقد كثُروا ... وابنُ الفريعةِ أمسى بَيْضَةَ البلَدَ
قد ثكلتْ أُمه من كنتَ صاحبَه ... أو كان منتَشِبا فى بُرثُن الاسد
ما لقتيلي الذي أعدو فآخذه ... من دِيَةٍ فيه يُعطاها ولا قَوَد
ما البحر حين تهبّ الريح سامِيَةً ... فيغطئلّ ويرمى العَبْرَ بالزبد
يوما بأغلبَ منى حينَ تُبصرنى ... مِلْغَيْظِ أفري كفَرْيِ العارضِ البرد
أما قريش فانى لا أُسالمها ... حتى يُنيبوا من الغيّات للرشَد
ويتركوا اللاتَ والعزى بمعزلةٍ ... ويسجُدوا كلُّهم للواحدِ الصمد
ويشهدوا أن ما قال الرسولُ لهم ... حقٌّ فيُوفوا بحقّ الله والوكَد

قال : فاعترضه صفوان بن المعطل فضربه بالسيف وهو يقول :

تلقَّ ذُبابَ السيف عني فانني ... غلامٌ اذا هُوجيتُ لستُ بشاعر

وذكر أن ثابت بن قيس بن شماس أخذ صفوان حين ضرب حسان فشده وثاقاً فلقيه عبد الله بن رواحة فقال : ماهذا ؟ فقال : ضرب حسان بالسيف . فقال عبد الله هل علم رسول الله (ص) بشيء من ذلك ؟ قال لا . فاطلقه ثم أتوا كلهم رسول الله (ص) فقال ابن المعطل : يا رسول الله آذانى وهجانى فاحتملنى الغضب فضربته . فقال رسول الله (ص) : يا حسان أتشوهت على قومى أن هداهم الله . ثم قال : أحسن ياحسان فيما أصابك . فقال : هى لك يا رسول الله . فعوضه منها بيرحاء التى تصدق بها أبو طلحة وجاريةً قبطية يقال لها سيرين جاءه منها ابنه عبد الرحمن . قال : وكانت عائشة تقول سئل عن ابن المعطل فوجد رجلا حصورا ماياتى النساء . ثم قتل بعد ذلك شهيداً رضى الله عنه . قال ابن اسحاق : ثم قال حسان ابن ثابت يعتذر من الذى كان قال فى شأن عائشة :

حصانٌ رزانٌ ما تُزَنُّ بريبة | وتُصبحُ غرثى من لحُومِ الغوافل
عقيلةُ حيّ من لؤيّ بن غالبٍ | كرامِ المساعي مجدُهم غيرُ زائل
وانّ الذي قد قيلَ ليس بلائطٍ | بكَ الدهرَ بل قيلُ أمرئٍ بيَ ماحل
فان كنتُ قد قلتُ الذي قد زعمتم | فلا رفعت سوطى الىَّ أناملى
فكيف وودّى ماحييتُ ونُصرتى | لآلِ رسول الله زَينِ المحافل
وان لهم عزاً ترى الناسَ دونه | قِصاراً وطالَ العزُّ كل التطاول

ولتكتب هاهنا الآيات من سورة النور وهى من قوله تعالى [ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خيرلكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم ـ الى ـ مغفرة ورزق كريم] وما أوردناه هنالك من الاحاديث والطرق والآثار عن السلف والخلف وبالله التوفيق

غزوة الحديبية

وقد كانت فى ذى القعدة سنة ست بلا خلاف . وممن نص على ذلك الزهرى ونافع مولى ابن عمر وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن اسحاق بن يسار وغيرهم . وهو الذى رواه ابن لهيعة عن أبى الاسود عن عروة انها كانت فى ذى القعدة سنة ست . وقال يعقوب بن سفيان حدثنا اسماعيل ابن الخليل على بن مسهر أخبرنى هشام بن عروة عن أبيه قال خرج رسول الله (ص) الى الحديبية فى رمضان وكانت الحديبية فى شوال . وهذا غريب جدا عن عروة . وقد روى البخارى ومسلم جميعا عن هدبة عن همّام عن قتادة أن أنس بن مالك أخبره ان رسول الله (ص) اعتمر أربع عمر فى ذى القعدة الا العمرة التى مع حجته عمرة من الحديبية فى ذى القعدة وعمرة من العام المقبل فى ذى القعدة ومن الجعرانة فى ذى العقدة حيث قسم غنائم حنين وعمرة مع حجته . وهذا لفظ البخارى . وقال ابن اسحاق ثم أقام رسول الله (ص) بالمدينة رمضان وشوال وخرج فى ذى القعدة معتمرا لا يريد حربا قال ابن هشام واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثى . قال ابن اسحاق واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادى من الاعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأبطأ عليه كثير من الاعراب وخرج رسول الله (ص) بمن معه من المهاجرين والانصار ومن لحق به من العرب وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه وليعلم الناس انه انما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له . قال ابن اسحاق وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم انهما حدثاه قالا خرج رسول الله (ص) عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه الهدى سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر وكان جابر بن عبد الله

فيما بلغني يقول كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة . قال الزهرى وخرج رسول الله (ص.) حتى اذا كان بعسفان لقيه بشر [1] بن سفيان الكعبى فقال يارسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل قد لبسوا جنود النمور وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموا الى كراع الغميم قال فقال رسول الله (ص.) ياويح قريش قد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب فان هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الاسلام وافرين وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فوالله لا أزال أجاهد على هذا الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة ثم قال مَن رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها . قال ابن اسحاق : فحدثنى عبد الله ابن أبى بكر ان رجلا من أسلم قال أنا يارسول الله فسلك بهم طريقاً وعرا أجرل بين شعاب فلما خرجوا منه وقد شق ذلك على المسلمين فأفضوا الى أرض سهلة عند منقطع الوادى قال رسول الله قولوا نستغفر الله ونتوب اليه فقالوا ذلك فقال والله انها لَلْحِطَّة التى عرضت على بنى اسرائيل فلم يقولوها . قال ابن شهاب فأمر رسول الله (ص.) الناس فقال اسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمض فى طريق يخرجه على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة . قال فسلك الجيش ذلك الطريق فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين الى قريش . وخرج رسول الله (ص.) حتى إذا سلك فى ثنية المرار بركت ناقته فقال الناس خلأَتْ فقال ماخلأَت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة لا تدعونى قريش اليوم الى خطة يسألونى فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها . ثم قال للناس انزلوا . قيل له يارسول الله ما بالوادى ماء ينزل عليه . فأخرج سهما من كنانته فأعطاه رجلا من أصحابه فنزل به فى قليب من تلك القلب فغرزه فى جوفه فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بعطن . قال ابن اسحاق : فحدثنى بعض أهل العلم عن رجال من أسلم ان الذى نزل فى القليب بسهم رسول الله (ص.) ناجية بن جندب [2] سائق بدن رسول الله (ص.) . قال ابن اسحاق وقد زعم بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذى نزلت بسهم رسول الله (ص.) فالله أعلم أى ذلك كان . ثم استدل ابن اسحاق للاول ان جارية من الانصار جاءت البئر وناجية أسفله يميح فقالت :

يا أيّها المائحُ دلوي دونَكا إني رأيتُ الناسَ يحمدونكا
يُثنونَ خيراً ويمجّدُونَكا

---

(١) قال ابن هشام : ويقال « بسر » (٢) تمامه عند ابن هشام : ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم بن عمرو بن وائلة بن سهم بن مازن بن سلامان بن أسلم بن أفصى بن أبى حارثة

فأجابها فقال :

قد علمتْ جاريةٌ يمانيه اني أنا المائحُ واسمي ناجيه
وطعنةٍ ذاتِ رشاشٍ واهيه طعنْتُها عندَصُدورِ العاديه

قال الزهرى فى حديثه : فلما اطمأن رسول الله (ص) أتاه بديل بن ورقاء فى رجال من خزاعة فكلموه وسألوه ما الذى جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً وانما جاء زائراً للبيت ومعظما لحرمته . ثم قال لهم نحو ما قال لبشر بن سفيان فرجعوا الى قريش فقالوا : يا معشر قريش انكم تعجلون على محمد ، وان محمداً لم يأت لقتال انما جاء زائراً لهذا البيت . فاتهموهم وجبهوهم وقالوا وإن جاء ولا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة ولا تحدث بذلك عنا العرب . قال الزهرى : وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله (ص) مسلمها ومشركها لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة . قال : ثم بعثوا اليه مكرز بن حفص بن الاخيف أخا بنى عامر بن لؤى فلما رآه رسول الله (ص) مقبلا قال هذا رجل غادر فلما انتهى الى رسول الله (ص) وكلمه قال له رسول الله (ص) نحوا مما قال لبديل وأصحابه فرجع الى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله (ص) ثم بعثوا بحليس بن علقمة أو ابن زبان وكان يومئذ سيد الاحابيش وهو أحد بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة فلما رآه رسول الله (ص) قال : ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه . فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله (ص) اعظاما لما رأى فقال لهم ذلك . قال فقالوا له : اجلس فانما أنت اعرابى لا علم لك . قال ابن اسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن الحليس غضب عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالفنا كم ولا على هذا عاهدنا كم ، أيصد عن بيت الله من جاءه معظما له ؟ والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أولانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد . قالوا : مه كف عنا حتى نأخذ لانفسنا ما نرضى به . قال الزهرى فى حديثه : ثم بعثوا الى رسول الله (ص) عروة بن مسعود الثقفى فقال : يا معشر قريش انى قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه الى محمد اذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرفتم أنكم والد وانى ولد وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس وقد سمعت بالذى نابكم فجمعت من أطاعنى من قومى ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسى . قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم . فخرج حتى أتى رسول الله (ص) فجلس بين يديه ثم قال يا محمد أجمعت أوشاب الناس ثم جئت بهم الى بيضتك لتفضها بهم انها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبدا ، وايم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا . قال وأبو بكر الصديق رضى الله عنه خلف رسول الله (ص) فقال : امصص بظر اللات

أنحن ننكشف عنه؟ قال من هذا يامحمد؟ قال هذا ابن أبي قحافة. قال اما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ولكن هذه بهذه قال: ثم جعل يتناول لحية رسول الله (ص) وهو يكلمه والمغيرة ابن شعبة واقف على رأس رسول الله (ص) في الحديد، قال: فجعل يقرع يده اذ يتناول لحية رسول الله (ص) ويقول اكفف يدك عن وجه رسول الله (ص) قبل أن لا تصل اليك قال فيقول عروة ويحك ما أفظك وأغلظك. قال: فتبسم رسول الله (ص) فقال له عروة من هذا يامحمد؟ قال هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة قال أي غُدَر وهل غسلت سوءتك إلا بالامس. قال الزهري فكلمه رسول الله (ص) الله بنحو مما كلم به أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً فقام من عند رسول الله (ص) وقد رأى مايصنع به أصحابه لايتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ولا يبصق بصاقا إلا ابتدروه ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه فرجع الى قريش فقال: يامعشر قريش اني قد جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رأيت ملكا في قومه قط مثل محمد في أصحابه ولقد رأيت قوماً لايسلمونه لشيء أبداً فروا رأيكم. قال ابن اسحاق وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله (ص) دعا خراش بن أمية الخزاعي فبعثه الى قريش بمكة وحمله على بعير له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ماجاء له فعقروا به جمل رسول الله (ص) وأرادوا قتله فمنعه الاحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله (ص). قال ابن اسحاق وحدثني بعض من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس أن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين أمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله (ص) ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً فأخذوا فأتي بهم رسول الله (ص) فعفا عنهم وخلى سبيلهم وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله (ص) بالحجارة والنبل ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ماجاء له فقال يارسول الله اني أخاف قريشاً على نفسي وليس بمكة من بني عدي أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكني أدلك على رجل أعز بها مني عثمان ابن عفان فدعا رسول الله (ص) عثمان بن عفان فبعثه الى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله (ص) فانطلق عثمان حتى أتى أباسفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله (ص) ما أرسله به فقالوا لعثمان حين بلغ رسالة رسول الله (ص) إن شئت أن تطوف بالبيت فطف. قال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله (ص). واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله (ص) والمسلمين أن عثمان قد قتل. قال ابن اسحاق فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله (ص) قال حين بلغه أن عثمان قد قتل: لانبرح حتى نناجز القوم. ودعا رسول الله (ص) الى البيعة وكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة

وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله (ص) على الموت وكان جابر بن عبد الله يقول ان رسول الله (ص) لم يبايعنا على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر فبايع رسول الله (ص) الناس ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بنى سلمة وكان جابر بن عبد الله يقول والله لكأنى أنظر اليه لاصقاً بأبط ناقته قد ضبأ اليها يستتر من الناس . ثم أتى رسولَ الله (ص) أن الذى ذكر من أمر عثمان باطل . قال ابن هشام وذكر وكيع عن اسماعيل بن أبى خالد عن الشعبى أن أول من بايع رسول الله (ص) بيعة الرضوان أبو سنان الاسدى . قال ابن هشام وحدثنى من أثق به عمن حدثه باسناد له عن ابن أبى مليكة عن ابن عمر أن رسول الله (ص) بايع لعثمان فضرب باحدى يديه على الاخرى . وهذا الحديث الذى ذكره ابن هشام بهذا الاسناد ضعيف لكنه ثابت فى الصحيحين . قال ابن اسحاق : قال الزهرى ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بنى عامر بن لؤى الى رسول الله (ص) وقالوا آت محمداً وصالحه ولا يكن فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تتحدث العرب أنه دخلها عنوة أبداً . فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله (ص) مقبلا قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سهل الى رسول الله (ص) تكلم فأطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر فأتى أبا بكر فقال يا أبا بكر أليس برسول الله ؟ قال بلى . قال أولسنا بالمسلمين ؟ قال بلى قال أوليسوا بالمشركين؟ قال بلى. قال فعلام نعطى الدنية فى ديننا قال ابو بكر يا عمر الزم غَرْزَه فانى اشهد انه رسول الله قال عمر وانا اشهد انه رسول الله . ثم اتى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله ألست برسول الله قال بلى قال اولسنا بالمسلمين قال بلى قال أوليسوا بالمشركين قال بلى قال فعلام نعطى الدنية فى ديننا قال انا عبد الله ورسوله لن اخالف أمره ولن يضيعنى . وكان عمر رضى الله عنه يقول مازلت أصوم واتصدق واصلى واعتق من الذى صنعت يومئذٍ مخافة كلامى الذى تكلمته يومئذٍ حتى رجوت أن يكون خيرا . قال ثم دعا رسول الله (ص) على بن ابى طالب رضى الله عنه فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال فقال سهيل لا اعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم قال فقال رسول الله (ص) اكتب باسمك اللهم فكتبها ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو . قال فقال سهيل : لو شهدتُ أنك رسول الله لم أقاتلك . ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . قال فقال رسول الله (ص) : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض على انه من أتى محمداً من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه وان بيننا عيبة مكفوفة وانه لا اسلال ولا اغلال وانه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه . فتواثبت خزاعة فقالوا نحن فى عقد محمد وعهده

و تواثبت بنو بكر فقالوا : نحن فى عقد قريش وعهدهم ، و انك ترجع عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، و انه اذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب السيوف فى القرب لاتدخلها بغيرها . قال : فبينا رسول الله (ص) يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى الحديد قد انفلت الى رسول الله (ص)، وقد كان أصحاب رسول الله (ص) قد خرجوا وهم لايشكون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله (ص)، فلما رأوا مارأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله (ص) فى نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون ، فلما رأى سهيل أبا جندل قام اليه فضرب وجهه وأخذ بتلبيبه وقال : يا محمد قد لجت القضية بينى و بينك قبل أن يأتيك هذا . قال : صدقت فجعل ينتره بتلبيبه ويجره يعنى يرده الى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أردُّ الى المشركين يفتنوننى فى دينى ! فزاد ذلك الناسَ الى ما بهم . فقال رسول الله (ص) « يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجا . انا قد عقدنا بيننا و بين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله ، وانا لانغدر بهم » قال : فوثب عمر ابن الخطاب مع أبى جندل يمشى الى جنبه و يقول : اصبر أبا جندل ، فانما هم المشركون وانما دم أحدهم دم كلب . قال : و يدنى قائم السيف منه . قال : يقول عمر : رجوتُ أن يأخذ السيف فيضرب أباه . قال : فضنّ الرجل بأبيه ونفذت القضية . فلما فرغ رسول الله (ص) من الكتاب أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو وسعد بن أبى وقاص ومحمود بن مسلمة ومكرز بن حفص وهو يومئذ مشرك وعلى بن أبى طالب ، وكتب وكان هو كاتب الصحيفة

وكان رسول الله (ص) مضطرباً فى الحل[1] وكان يصلى فى الحرم ، فلما فرغ من الصلح قام الى هَدْيه فنحره ، ثم جلس فحلق رأسه ، وكان الذى حلقه فى ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعى ، فلما رأى الناس أن رسول الله (ص) قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون . قال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال : حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون ، فقال رسول الله (ص) « يرحم الله المحلقين » قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : « يرحم الله المحلقين » قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله المحلقين » قالوا والمقصرين يارسول الله ! قال « والمقصرين » قالوا : يا رسول الله فلم ظاهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين ؟ قال : لم يشكوا . وقال عبد الله بن أبى نجيح : حدثني مجاهد عن ابن عباس أن رسول

(١) اى ضاربا خيامه خارج منطقة الحرم

الله (ص) أهدى عام الحديبية فى هداياه جملا لابى جهل فى رأسه برة من فضة ليغيظ بذلك المشركين

هذا سياق محمد بن إسحاق رحمه الله لهذه القصة ، وفى سياق البخارى كما سيأتى مخالفة فى بعض الأماكن لهذا السياق كما ستراها ان شاء الله و به الثقة . ولنوردها بتمامها ونذكر فى الاحاديث الصحاح والحسان ما فيه . . . . . . ان شاء الله تعالى وعليه التكلان وهو المستعان

قال البخارى : حدثنا خالد بن مَخْلد حدثنا سليمان بن بلال حدثنا صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله عن زيد بن خالد قال : خرجنا مع رسول الله (ص) عام الحديبية فأصابنا مطر ذات ليلة فصلى بنا رسول الله (ص) الصبح ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : أتدرون ماذا قال ربكم ؟ فقلنا : الله ورسوله أعلم . فقال : قال الله تعالى : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بى ، فأما من قال مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله فهو مؤمن بى كافر بالكوكب ، وأما من قال مُطرنا بنجم كذا فهو مؤمن بالكوكب كافر بى . وهكذا رواه فى غير موضع من صحيحه ، ومسلم من طرق عن الزهرى ، وقد روى عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن أبى هريرة

وقال البخارى حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبى اسحاق عن البراء قال : تعدُّون الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية ، كنا مع النبى (ص) أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبى (ص) فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا . انفرد به البخارى

وقال ابن اسحاق فى قوله تعالى [فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً] : صلح الحديبية . قال الزهرى : فما فتح فى الاسلام فتح قبله كان أعظم منه ، انما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس كلم بعضهم بعضا والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد فى الاسلام يعقل شيئاً الا دخل فيه ولقد دخل فى تينك السنتين مثل من كان دخل فى الاسلام قبل ذلك أو أكثر . قال ابن هشام : والدليل على ماقاله الزهرى أن رسول الله (ص) خرج الى الحديبية فى ألف وأربع مائة رجل فى قول جابر ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فى عشرة آلاف

وقال البخارى : حدثنا يوسف بن عيسى حدثنا ابن فُضَيل حدثنا حُصين عن سالم عن جابر قال : عطش الناس يوم الحديبية ورسولُ الله (ص) بين يديه رَكوة فتوضأ منها ثم أقبل الناسُ نحوه فقال رسول الله (ص) : مالكم ؟ قالوا : يارسول الله ليس عندنا مانتوضأ به ولانشرب الا مافى ركوتك . فوضع النبى (ص) يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون،

قال : فشربنا وتوضأنا . فقلنا لجابر كم كنتم يومئذ ؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة . وقد رواه البخارى أيضا ومسلم من طرق عن حصين عن سالم بن أبى الجعد عن جابر به

وقال البخارى : حدثنا الصلت بن محمد حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قلت لسعيد بن المسيب بلغنى أن جابر بن عبد الله كان يقول : كانوا أربع عشرة مائة . فقال لى سعيد : حدثنى جابر كانوا خمس عشرة مائة الذين بايعوا النبى (ص) يوم الحديبية . تابعه أبو داود حدثنا قُرّة عن قتادة . تفرد به البخارى

ثم قال البخارى حدّثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان قال عمرو سمعت جابراً قال : قال لنا رسول الله (ص) يوم الحديبية « أنتم خير أهل الأرض » وكنا ألفاً وأربعمائة ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة . وقد روى البخارى أيضاً ومسلم من طرق عن سفيان بن عيينة به . وهكذا رواه الليث بن سعد عن أبى الزبير عن جابر قال : إن عبداً لحاطبٍ جاء يشكوه فقال يارسول الله ليدخلن حاطب النار . فقال رسول الله (ص) « كذبت لايدخلها ، شهد بدرا والحديبية » رواه مسلم . وعند مسلم أيضا من طرق ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابراً يقول أخبرتنى أم ميسر أنها سمعت [illegible] الله (ص) يقول عند حفصة « لايدخل أحد النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها » فقالت حفصة : بلى يارسول الله ، فانتهرها ، فقالت حفصة [وإنْ منكم إلا واردها] فقال رسول الله (ص) قد قال تعالى [ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا]

قال البخارى : وقال عبيد الله بن معاذ حدثنا أبى حدثنا شعبة عن عمرو بن مُرّة حدثنى عبد الله ابن أبى أوفى قال : كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلثمائة وكانت أسلم ثُمن المهاجرين . تابعه محمد بن بشار حدثنا أبو داود حدثنا شعبة . هكذا رواه البخارى معلقا عن عبد الله . وقد رواه مسلم عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة به . وعن محمد بن المثنى عن أبى داود عن اسحق بن ابراهيم عن النضر بن شميل كلاهما عن شعبة به

ثم قال البخارى : حدّثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان عن الزهرى عن عروة عن مروان والمِسْوَر بن مَخْرَمَة قالا : خرج النبى (ص) عام الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه فلما كان بذى الُحلَيفة قلّد الهدْى وأشعر وأحرم منها . تفرد به البخارى وسيأتى هذا السياق بتمامه

والمقصود أن هذه الروايات كلها مخالفة لما ذهب اليه ابن اسحاق من أن أصحاب الحديبية كانوا سبع مائة ، وهو والله أعلم انما قال ذلك تفقهاً من تلقاء نفسه من حيث ان البُدن كنّ سبعين بدنة وكل منها عن عشرة على اختياره فيكون المهلون سبع مائة ، ولا يلزم أن يهدى كلهم ولا أن يحرم كلهم أيضا ، فقد ثبت أن رسول الله (ص) بعث طائفة منهم فيهم أبو قتادة ولم يحرم أبو قتادة

حتى قتل ذلك الحمار الوحشى فأكل منه هو وأصحابه وحملوا منه الى رسول الله (ص) فى أثناء الطريق فقال : هل منكم أحد أمره أن يحمل عليها أو أشار اليها ؟ قالوا : لا . قال : فكلوا ما بقى من الحمار . وقد قال البخارى : حدّثنا شعبة بن الربيع حدثنا على بن المبارك عن يحيى عن عبد الله ابن أبى قتادة أن أباه حدثه قال : انطلقنا مع النبى (ص) عام الحديبية فأحرم أصحابى ولم أحرم

وقال البخارى حدثنا محمد بن رافع حدثنا شَبابة بن سوّار الفَزارى حدثنا شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد فلم أعرفها . حدثنا موسى حدثنا أبو عوانة حدثنا طارق عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه كان فيمن بايع تحت الشجرة فرجعنا اليها العام المقبل فعميت علينا . وقال البخارى أيضاً حدثنا محمود حدثنا عبيد الله عن اسرائيل عن طارق بن عبد الرحمن قال : انطلقت حاجاً فمررت بقوم يصلون ، فقلت ما هذا المسجد ؟ قالوا : هذه الشجرة حيث بايع النبى (ص) بيعة الرضوان ، فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته فقال سعيد : حدثنى أبى انه كان فيمن بايع رسول الله (ص) تحت الشجرة ، قال : فلما كان من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها . ثم قال سعيد : إن أصحاب محمد لم يعلموها ، وعلمتموها أنتم ! فأنتم أعلم ؟ ورواه البخارى ومسلم من حديث الثورى وأبى عوانة وشبابة عن طارق . وقال البخارى حدّثنا سعيد حدثنى أخى عن سليمان عن عمرو بن يحيى عن عبّاد بن تميم قال : لما كان يوم الحرة والناس يبايعون لعبد الله بن حنظلة ، فقال ابن زيد : على ما يبايع ابنَ حنظلة الناسُ قيل له على الموت ، فقال : لا أبايع على ذلك أحداً بعد رسول الله (ص) ، وكان شهد معه الحديبية . وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم من طرق عن عمرو بن يحيى به . وقال البخارى : حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا حاتم عن يزيد بن أبى عبيد قلت لسلمة بن الاكوع : على أى شىء بايعتم رسول الله (ص) يوم الحديبية ؟ قال : على الموت . ورواه مسلم من حديث يزيد بن أبى عبيد . وفى صحيح مسلم عن سلمة أنه بايع ثلاث مرات فى أوائل الناس ووسطهم وأواخرهم . وفى الصحيح عن معقل بن يسار أنه كان آخذاً بأغصان الشجرة عن وجه رسول الله (ص) وهو يبايع الناس ، وكان أول من بايع رسولَ الله (ص) يومئذ أبو سنان وهو وهب بن محصن أخو عكاشة بن محصن وقيل سنان بن أبى سنان

وقال البخارى : حدَّثني شُجاع بن الوليد سمع النَّضْر بن محمد حدثنا صخر بن الربيع عن نافع قال : إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر وليس كذلك ، ولكنْ عمرُ يوم الحديبية أرسل عبد الله الى فرس له عند رجل من الانصار أن يأتى به ليقاتل عليه ، ورسول الله (ص) يبايع عند الشجرة ، وعمر لايدرى بذلك ، فبايعه عبد الله ، فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول

الله (ص)، وهى التى تحدّث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر . وقال هشام بن عمّار حدثنا الوليد ابن مسلم حدثنا عمر بن محمد العمرى أخبرنى نافع عن ابن عمر أن الناس كانوا مع النبى (ص) يوم الحديبية تفرقوا فى ظلال الشجرة فاذا الناس محدقون بالنبى (ص) فقال ياعبد الله أنظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله (ص) فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع الى عمر فخرج فبايع . تفرد به البخاري من هذين الوجهين

سياق البخاري لعمرة الحديبية

قال فى كتاب المغازى : حدّثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان سمعت الزهرى حين حدث هذا الحديث حفظت بعضه وثبتنى معمر عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يزيد أحدهما على صاحبه ، قالا خرج النبى (ص) عام الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عيناً له من خزاعة ، وسار النبى (ص) حتى اذا كان بغدير الاشطاط أتاه عينه قال : إن قريشاً قد جمعوا لك جموعاً وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت ومانعوك ، فقال : أشيروا أيها الناس علىّ أترون أن أميل الى عيالهم وذرارى هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت فان يأتونا كان الله قد قطع عيناً من المشركين وإلا تركنا لهم محروبين . قال أبو بكر : يارسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لانريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه . قال امضوا على اسم الله . هكذا رواه هاهنا ووقف ولم يزد شيئاً على هذا

وقال فى كتاب الشهادات[1] : حدّثني عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر أخبرنى الزهرى أخبرنى عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدّق كل واحد منهما حديث صاحبه ، قالا خرج رسول الله (ص) زمن الحديبية حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبى (ص) : إن خالد بن الوليد بالغَميم فى خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين ، فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيراً لقريش ، وسار النبى (ص) حتى اذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها بركت به راحلته ، فقال الناس : حلْ حل ، فألحت . فقالوا : خلأت القصواء خلأت القصواء ، فقال رسول الله (ص) : ماخلأت القصواء وماذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل ، ثم قال : والذى نفسى بيده لايسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها فوثبت ، فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرّضه تبرضاً فلم يلبثه الناس

(١) هو فى (كتاب الشروط)

حتى نزحوه ، وشُكي الى رسول الله (ص) العطش فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله مازال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه ، فبينما هم كذلك إذ جاء بُديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة ـ وكانوا عيبة نصح رسول الله (ص) من أهل تهامة ـ فقال : إني تركت كعب ابن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا اعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت . فقال النبي (ص) انا لم نجيء لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وان قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فان شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني و بين الناس ، فان أظهر فان شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا ، وان هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن أمر الله . قال بديل : سأبلغهم ماتقول ، فانطلق حتى أتى قريشاً فقال : انا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا . فقال سفهاؤهم لاحاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء . وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول . قال : سمعته يقول كذا وكذا ، فحدثهم بما قال رسول الله (ص) ، فقام عروة بن مسعود فقال : أيْ قومِ ، ألست بالوالد ؟ قالوا : بلى . قال : أولستم بالولد ؟ قالوا بلى قال : فهل تتهموني ؟ قالوا : لا . قال : ألستم تعلمون اني استنفرت أهل عكاظ فلما بلّحوا عليّ جئتكم بأهلي و ولدي ومن أطاعني؟ قالوا : بلى . قال : فان هذا قدعرض لكم خطة رشد اقبلوها ودعوني آتيه ، فقالوا : ائته ، فأتاه ، فجعل يكلم النبي (ص) فقال النبي (ص) نحواً من قوله لبديل، فقال عروة عند ذلك : أي محمد أرأيت ان استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك ؟ وان تكن الاخرى فاني والله لا أرى وجوها واني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفرّوا ويدَعوك . فقال له أبو بكر : أمصص بظر اللات ، أنحن نفرّ عنه وندعه؟ قال من ذا ؟ قالوا أبو بكر. قال أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي (ص) فكلما تكلم أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس رسول الله (ص) ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده الى لحية رسول الله (ص) ضرب يده بنعل السيف وقال له : أخر يدك عن لحية رسول الله (ص) . فرفع عروة رأسه فقال : من هذا قالوا المغيرة بن شعبة . فقال أي غدر ألست أسعى في غدرتك ؟ وكان المغيرة بن شعبة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم و أخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي (ص) : أما الاسلام فأقبل و أما المال فلست منه في شيء . ثم ان عروة جعل يرمق أصحاب رسول الله (ص) بعينيه قال فوالله ماتنخم رسول الله (ص) نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدّون اليه النظر تعظيما له . فرجع عروة الى أصحابه فقال : أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ، وفدت على قيصر

وكسرى و النجاشي ، والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً ، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدالك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ومايحدون النظر اليه تعظيما له ، وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها . فقال رجل من بنى كنانة دعونى آتيه . فقالوا ائته . فلما أشرف على النبي (ص) وأصحابه قال رسول الله (ص) : هذا فلان وهو من قوم يعظمون البُدْن فابعثوها له . فبعثت له واستقبله الناس يلبون . فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ماينبغى لهؤلاء أن يُصدوا عن البيت . فلما رجع الى أصحابه قال : رأيت البُدْن قد قُلدت وأشعرت ، فما أرى أن يُصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مِكرز بن حفص فقال دعونى آتيه . قالوا ائته . فلما أشرف عليهم قال رسول الله (ص) هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي (ص) فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو . قال معمر فأخبرنى أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال رسول الله (ص) : لقد سهل لكم من أمركم . قال معمر قال الزهرى فى حديثه فجاء سهيل فقال هات فاكتب بيننا وبينكم كتاباً . فدعا النبي (ص) الكاتب فقال النبي (ص) : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : أما الرحمن فوالله ما أدرى ماهو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب . فقال المسلمون : والله لانكتبها الا باسم الله الرحمن الرحيم . فقال النبي (ص) اكتب باسمك اللهم ، ثم قال : هذا ماقاضى عليه محمد رسول الله . فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ماصددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله . فقال رسول الله (ص) والله انى لرسول الله وان كذبتمونى . اكتب محمد بن عبد الله . قال الزهرى : وذلك لقوله لايسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله ، الا أعطيتهم اياها ؟ فقال له النبي (ص) : على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به . قال سهيل : والله لا تتحدث العرب انا أخذنا ضُغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب . فقال سهيل وعلى أنه لايأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا . قال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما . فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده الىّ فقال النبي (ص) انا لم نقض الكتاب بعد . قال فوالله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً . قال النبي (ص) : فأجزه لى . قال ما أنا بمجيزه لك . قال : بلى فافعل قال : ما أنا بفاعل . قال مكرز : بلى قد أجزناه لك . قال أبو جندل : أى معشر المسلمين أُردُّ الى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قد لقيت — وكان قد عذب عذاباً شديداً فى الله — فقال عمر رضى الله عنه فأتيت رسول الله (ص) فقلت : ألست نبى الله حقاً ؟ قال : بلى ، قلت : ألسنا على الحق

وعدوّنا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلم نعطى الدنية فى ديننا اذن . قال : انى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى . قلت : أولست كنت تحدثنا انا سنأتى البيت فنطوف به؟ قال : بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام ؟ قال قلت لا . قال : فانك آتيه ومطوف به . قال : فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر أليس هذا نبى الله حقاً . قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل . قال : بلى . قال : قلت : فلم نعطى الدنية فى ديننا اذن . قال أيها الرجل انه لرسول الله وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق. قلت أليس كان يحدّثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال بلى أفأخبرك أنك تأتيه العام . فقلت لا . قال فانك آتيه ومُطوف به . قال الزهرى قال عمر : فعملت لذلك أعمالا . قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله (ص) لأصحابه : قوموا فانحروا ثم احلقوا . قال فوالله ماقام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها مالقى من الناس . فقالت أم سلمة : يانبىّ الله أتحب ذلك اخرج ثم لاتكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَك وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك : نحر بُدْنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً . ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى [يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن - حتى بلغ - بعصم الكوافر] فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له فى الشرك . فتزوج احداهما معاوية بن أبى سفيان والاخرى صفوان بن أمية . ثم رجع النبى (ص) الى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا فى طلبه رجلين فقالوا : العهدَ الذى جعلت لنا. فدفعه الى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحُليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله انى لأرى سيفك هذا يافلان جيدا . فاستلّه الآخر فقال : أجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت . فقال أبو بصير أرنى أنظر اليه . فأمكنه منه فضربه حتى برد وفرّ الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول الله (ص) حين رآه « لقد رأى هذا ذُعرا » فلما انتهى الى النبى (ص) قال : قُتل والله صاحبى وانى لمقتول ، فجاء أبو بصير فقال : يانبى الله قد والله أوفى اللهُ ذمتك ، قد رددتنى اليهم ثم أنجانى الله منهم . فقال النبى (ص) « ويل امه مسعر حرب لو كان له أحد » فلما سمع ذلك عرف أنه سيردّه اليهم ، فخرج حتى أتى سِيف البحر . قال : وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو فلحق بأبى بصير ، فجعل لايخرج من قريش رجل قد أسلم الا لحق بأبى بصير حتى اجتمعت منهم عِصابة ، فوالله مايسمعون بِعير خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم ، فأرسلتْ قريش الى النبى (ص) تناشده بالله والرحم لمّا أرسلِ اليهم فمن أتاه فهو آمن ، فأرسل النبى (ص) اليهم فأنزل الله تعالى [وهو الذى كفّ أيديَهم عنكم

وأيديَكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم - حتى بلغ - الحميَّة حمية الجاهلية] وكانت حميتهم انهم لم يقرّوا أنه نبي الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت . فهذا سياق فيه زيادات وفوائد حسنة ليست فى رواية ابن اسحاق عن الزهرى ، فقد رواه عن الزهرى عن جماعة منهم سفيان بن عيينة ومعمر ومحمد بن اسحاق كلهم عن الزهرى عن عروة عن مروان ومسور ، فذكر القصة

وقد رواه البخارى فى أول كتاب الشروط عن يحيى بن بُكير عن الليث بن سعد عن عُقيل عن الزهرى عن عروة(١) عن مروان بن الحكم والمسْور بن مخرمة عن أصحاب رسول الله (ص) فذكر القصة .وهذا هو الاشبه فان مروان ومسوراً كانا صغيرين يوم الحديبية ، والظاهر أنهما أخذاه عن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين

وقال البخارى : حدّثنا الحسن بن اسحاق حدثنا محمد بن سابق حدثنا مالك بن مِغْوَل سمعت أبا حُصين قال قال أبو وائل : لما قدم سُهيل بن حُنيف من صِفّين أتيناه نستخبره فقال : اتهموا الرأى ، فلقد رأيتُنى يوم أبى جندل ولو أستطيع أن أردّ على رسول الله (ص) أمره لرددت ، والله ورسوله أعلم ، وما وضعنا أسيافنا عن عواتقنا لامر يُقطِعنا الا أسهلن بنا الى أمر نعرفه ، قبل هذا الامر ما نَسُدُّ منها خُصْماً الا انفجر علينا خُصم ماندرى كيف نأتى له(٢)

وقال البخارى : حدّثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله (ص) كان يسير فى بعض أسفاره وكان عمر بن الخطاب يسير معه ليلا فسأله عمر بن الخطاب عن شىء فلم يجبه رسول الله (ص) ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر بن الخطاب ثكلتك أمك ياعمر نزَرْتَ رسول الله (ص) ثلاث مرات كل ذلك لايجيبك . قال عمر : فحركت بعيرى ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن ينزل فىّ قرآن ، فما نَشِبْتُ أن سمعت صارخاً يصرخ بى ، قال فقلت لقد خشيت أن يكون نزل فىّ قرآن ، فجئت رسول الله (ص) فسلمت عليه فقال « لقد أنزلت علىّ الليلةَ سورة لهى أحبُّ الىَّ مما طلعت عليه الشمس » ثم قرأ [انا فتحنا لك فتحاً مبيناً] . قلت : وقد تكلمنا على سورة الفتح بكمالها فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة ، ومن أحب أن يكتب ذلك هنا فليفعل

---

(١) فى صحيح البخارى (دار الطباعة العامرة ١٣١٥ ج ٣ ص ١٧٢) :عقيل عن ابن شهاب عن عروة

(٢) كان جماعة اتهموا سهل بن حنيف بأنه قصر فى القتال يوم صفين فقال لهم اتهموا رأيكم ولا تتهمونى ، فانى لا اقصر وقت الحاجة ، كنا زمن النبى (ص) لا نلبس السلاح لامر يشتد علينا الا افضى بنا سلاحنا الى سهولة ، وأما أمر صفين فنحن لا نسد منه جانبا حتى ينفجر علينا منه جانب آخر فلا يمكننا اصلاحه وتلافيه

فصل في السرايا

التي كانت في سنة ست من الهجرة

وتلخيص ذلك ما أورده الحافظ البيهقي عن الواقدي :

فى ربيع الاول منها أو الآخر بعث رسول الله (ص) عكاشة بن محصن فى أربعين رجلا الى . . . . . فهربوا منه ونزل على مياههم وبعث فى آثارهم وأخذ منهم مائتى بعير فاستاقها الى المدينة

وفيها كان بعث أبى عبيدة بن الجراح الى ذى القصة بأربعين رجلا أيضاً فساروا اليهم مشاة حتى أتوها فى عماية الصبح فهربوا منه فى رءوس الجبال فأسر منهم رجلا فقدم به على رسول الله (ص) وبعثه محمد بن مسلمة فى عشرة نفر وكن القوم لهم حتى باتوا .... أصحاب محمد بن مسلمة كلهم وافلت هو جريحا

وفيها كان بعث زيد بن حارثة بالجموم فأصاب امرأة من مزينة يقال لها حليمة فدلتهم على محلة من محال بنى سليم فأصابوا منها نعما وشاء وأسروا . . . . وكان فيهم زوج حليمة هذه فوهبه رسول الله (ص) لزوجها وأطلقهما

وفيها كان بعث زيد بن حارثة أيضا فى جمادى الاولى الى بنى ثعلبة فى خمسة عشر رجلا فهربت منه الأعراب فأصاب من نعمهم عشرين بعيراً ثم رجع بعد أربع ليال

وفيها خرج زيد بن حارثة فى جمادى الاولى الى العيص

قال وفيها أخذت الاموال التى كانت مع أبى العاص بن الربيع فاستجار بزينب بنت رسول الله (ص) فأجارته . وقد ذكر ابن اسحاق قصته حين أخذت العير التى كانت معه وقتل أصحابه وفر هو من بينهم حتى قدم المدينة ، وكانت امرأته زينب بنت رسول الله (ص) قد هاجرت بعد بدر فلما جاء المدينة استجار بها فأجارته بعد صلاة الصبح فأجاره لها رسول الله (ص) وأمر الناس بردّ ما أخذوا من عيره فردّوا كل شيء كانوا أخذوه منه حتى لم يفقد منه شيئاً ، فلما رجع بها الى مكة وأدّى الى أهلها ما كان لهم معه من الودائع أسلم وخرج من مكة راجعا الى المدينة فردّ عليه رسول الله (ص) زوجته بالنكاح الاول ولم يحدث نكاحا ولا عقداً كما تقدم بيان ذلك . وكان بين اسلامه وهجرتها ست سنين ويروى سنتين . وقد بينا أنه لامنافاة بين الروايتين وان اسلامه تأخر عن وقت تحريم المؤمنات على الكفار بسنتين وكان اسلامه فى سنة ثمان فى سنة الفتح لا كما تقدم فى كلام الواقدى من أنه سنة ست فالله أعلم

وذكر الواقدى فى هذه السنة أن دحية بن خليفة الكلبى أقبل من عند قيصر قد أجازه بأموال

وخلع ، فلما كان بحسمى لقيه ناس من جذام فقطعوا عليه الطريق فلم يتركوا معه شيئا ، فبعث اليهم رسول الله (ص) زيد بن حارثة أيضا رضى الله عنه

قال الواقدى حدثني عبد الله بن جعفر عن يعقوب بن عتبة قال خرج على رضى الله عنه فى مائة رجل الى أن نزل الى حى من بنى أسد بن بكر ، وذلك أنه بلغ رسولَ الله (ص) أن لهم جمعا يريدون أن يمدُّوا يهود خيبر ، فسار اليهم بالليل وكمن بالنهار وأصاب عيناً لهم فأقر له أنه بعث الى خيبر يعرض عليهم على أن يجعلوا لهم تمر خيبر

قال الواقدى رحمه الله تعالى وفى سنة ست فى شعبان كانت سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل ، وقال له رسول الله (ص) ان هم أطاعوا فتزوّج بنت ملكهم ، فأسلم القوم وتزوج عبد الرحمن بنت ملكهم تماضر بنت الاصبغ الكلبية وهى أم أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف

قال الواقدى فى شوال سنة ست كانت سرية كرز بن جابر الفهرى الى العُرَنيين الذين قتلوا راعى رسول الله (ص) واستاقوا النعم ، فبعث رسول الله (ص) فى آثارهم كرز بن جابر فى عشرين فارسا فردّوهم وكان من أمرهم ما أخرجه البخارى ومسلم من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن رهطاً من عُكْل وعُرَينة ـ وفى رواية من عكل أو عرينة ـ أتَوْا رسول الله (ص) فقالوا : يارسول الله انا أناس أهل ضرع ، ولم نكن أهل ريف فاستوخمنا المدينة . فأمرهم رسول الله (ص) بذودٍ وراعٍ وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا بناحية الحَرَّة قتلوا راعى رسول الله (ص) واستاقوا الذود وكفروا بعد اسلامهم ، فبعث النبى (ص) فى طلبهم فأمر بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم وتركهم فى الحرّة حتى ماتوا وهم كذلك . قال قتادة فبلغنا أن رسول الله (ص) كان اذا خطب بعد ذلك حضَّ على الصدقة ونهى عن المُثْلة . وهذا الحديث قد رواه جماعة عن قتادة ورواه جماعة عن أنس بن مالك . وفى رواية مسلم عن معاوية بن قرة عن أنس أن نفراً من عُرينة أتوا رسول الله (ص) فأسلموا وبايعوه ، وقد وقع فى المدينة الموم ـ وهو البرسام ـ فقالوا هذا الموم قد وقع يارسول الله ، لو أذنت لنا فرجعنا الى الابل . قال نعم فاخرجوا فكونوا فيها . فخرجوا فقتلوا الراعيين وذهبوا بالابل . وعنده سار من الانصار قريب عشرين فأرسلهم اليهم وبعث معهم قائفاً يقتصّ أثرهم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم . وفى صحيح البخارى من طريق أيوب عن أبى قلابه عن أنس أنه قال قدم رهط من عكل فأسلموا واجتووا المدينة فأتوا رسول الله (ص) فذكروا ذلك له فقال الحقوا بالابل واشربوا من أبوالها وألبانها . فذهبوا وكانوا فيها ما شاء الله ، فقتلوا الراعى واستاقوا الابل ، فجاء الصريخ الى رسول الله (ص) فلم ترتفع الشمس حتى أتى بهم فأمر بمسامير فأحميت فكواهم بها وقطع

أيديهم وأرجلهم وألقاهم فى الحرة يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا ولم يحمهم . وفى رواية عن أنس قال فلقد رأيت أحدهم يكدم الارض بفيه من العطش . قال أبو قلابة فهؤلاء قتلوا وسرقوا وكفروا بعد ايمانهم وحاربوا الله ورسوله (ص). وقد روى البيهقى من طريق عثمان بن أبى شيبة عن عبد الرحمن بن سليمان عن محمد بن عبيد الله عن أبى الزبير عن جابر أن رسول الله (ص) لما بعث فى آثارهم قال «اللهم عمّ عليهم الطريق، واجعلها عليهم أضيق من مسك جمل قال فعمّى الله عليهم السبيل فأدركوا فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم . وفى صحيح مسلم انما سملهم لانهم سملوا أعين الرعاء

فصل فيما وقع من الحوادث فى هذه السنة

أعنى سنة ست من الهجرة فيها نزل فرض الحج كما قرره الشافعى رحمه الله زمن الحديبية فى قوله تعالى [وأتموا الحج والعمرة لله] ولهذا ذهب الى أن الحج على التراخى لا على الفور، لأنه (ص) لم يحج إلا فى سنة عشر . وخالفه الثلاثة مالك وأبو حنيفة وأحمد فعندهم أن الحج يجب على كل من استطاعه على الفور، ومنعوا أن يكون الوجوب مستفاداً من قوله تعالى [وأتموا الحج والعمرة لله] وإنما فى هذه الآية الأمر بالاتمام بعد الشروع فقط، واستدلوا بأدلة قد أوردنا كثيراً منها عند تفسير هذه الآية من كتابنا التفسير ولله الحمد والمنة بما فيه كفاية

وفى هذه السنة حرّمت المسلمات على المشركين تخصيصاً لعموم ما وقع به الصلح عام الحديبية على أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته علينا، فنزل قوله تعالى [يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن، فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن] الآية

وفى هذه السنة كانت غزوة المريسيع التى كان فيها قصة الافك ونزول براءة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها كما تقدم

وفيها كانت عمرة الحديبية وما كان من صدّ المشركين رسول الله (ص) وكيف وقع الصلح بينهم على وضع الحرب بينهم عشر سنين، فأمن الناس فيهنّ بعضهم بعضاً، وعلى أنه لا إغلال ولا إسلال وقد تقدم كل ذلك مبسوطاً فى أماكنه ولله الحمد والمنة . وولى الحج فى هذه السنة المشركون

قال الواقدى وفيها فى ذى الحجة منها بعث رسول الله (ص) ستة نفر مصطحبين حاطب بن أبى بلتعة الى المقوقس صاحب الاسكندرية وشجاع بن وهب بن أسد بن جذيمة شهد بدراً الى الحارث بن أبى شمر الغسانى يعنى ملك عرب النصارى، ودحية بن خليفة الكلبى الى قيصر وهو هرقل ملك الروم، وعبد الله بن حذافة السهمى الى كسرى ملك الفرس، وسليط بن عمرو العامرى الى هوذة ابن على الحنفى، وعمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى ملك النصارى بالحبشة وهو أصحمه ابن الحر

سنة سبع من الهجرة

غزوة خيبر في اولها

قال شعبة عن الحاكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى فى قوله [وأثابهم فتحاً قريباً] قال خيبر . وقال موسى بن عقبة لما رجع رسول الله (ص) من الحديبية مكث عشرين يوماً أو قريباً من ذلك ثم خرج الى خيبر وهى التى وعده الله إياها . وحكى موسى عن الزهرى أن افتتاح خيبر فى سنة ست ، والصحيح ان ذلك فى أول سنة سبع كما قدمنا : قال ابن اسحاق . ثم أقام رسول الله (ص) بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرّم ، ثم خرج فى بقية المحرم الى خيبر . وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق عن الزهرى عن عروة عن مروان والمسور قالا : انصرف رسول الله (ص) عام الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح بين مكة والمدينة ، فقدم المدينة فى ذى الحجة فأقام بها حتى سار الى خيبر فنزل بالرجيع واد بين ... غطفان فتخوّف أن تمدهم غطفان حتى أصبح فغدا عليهم . قال البيهقى وبمعناه رواه الواقدى عن شيوخه فى خروجه أول سنة سبع من الهجرة . وقال عبد الله بن ادريس عن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر قال : لما كان افتتاح خيبر فى عقيب المحرم وقدم النبي (ص) فى آخر صفر قال ابن هشام واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثى . وقد قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا خثيم يعنى ابن عراك عن أبيه أن أبا هريرة قدم المدينة فى رهط من قومه والنبي (ص) فى خيبر وقد استخلف سباع بن عرفطة يعنى الغفارى على المدينة قال فانتهيت اليه وهو يقرأ فى صلاة الصبح فى الركعة الأولى كهيعص وفى الثانية ويل للمطففين ، فقلت فى نفسى ويل لفلان اذا اكتال بالوافى واذا كال بالناقص قال فلما صلى رددنا شيئاً حتى أتينا خيبر وقد افتتح النبى (ص) خيبر قال فكلم المسلمين فأشركونا فى سهامهم . وقد رواه البيهقى من حديث سليمان بن حرب عن وهيب عن خثيم بن عراك عن أبيه عن نفر من بنى غفار قال ان أبا هريرة قدم المدينة فذكره . قال ابن اسحاق وكان رسول الله (ص) حين خرج من المدينة الى خيبر سلك على عصر وبنى له فيها مسجداً ثم على الصهباء ثم أقبل بجيشه حتى نزل به بواد يقال له الرجيع فنزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين ان يمدّوا أهل خيبر ، كانوا لهم مظاهرين على رسول الله (ص) فبلغنى ان غطفان لما سمعوا بذلك جمعوا ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه حتى اذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم فى أموالهم وأهليهم حساً ظنوا أن القوم قد خالفوا

اليهم فرجعوا على أعقابهم فأقاموا فى أموالهم وأهليهم وخلوا بين رسول الله (ص) و بين خيبر.
وقال البخارى حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن يحيى بن سعيد عن بُشير ان سويد بن النعمان أخبره أنه خرج مع رسول الله (ص) عام خيبر حتى اذا كانوا بالصهباء ـ وهى من أدنى خيبر ـ صلى العصر ثم دعا بالازواد فلم يؤت إلا بالسويق فأمر به فثرّى فأكل وأكلنا ثم قام الى المغرب فمضمض ثم صلى ولم يتوضأ. وقال البخارى: حدّثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا حاتم بن اسماعيل عن يزيد بن أبى عبيد عن سلمة بن الاكوع: قال خرجنا مع رسول الله (ص) الى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر: ياعامر ألا تسمعنا من هنيهاتك ـ وكان عامر رجلا شاعراً ـ فنزل يحدو بالقوم يقول:

لاهُمَّ لولا أنتَ مااهتدَيْنا ... ولا تصدَّقْنا ولا صلَّينا
فاغفرْ فداءٌ لك ما أبقينا ... وألقِيَنْ سَكينةً علينا
وثبّتِ الاقدامَ إنْ لاقينا ... إنا اذا صِيح بنا أبينا
وبالصياح عوّلوا علينا

فقال رسول الله (ص) من هـذا السائق قالوا عامر بن الاكوع قال يرحمه الله. فقال رجل من القوم وجبت يانبى الله لولا امتعتنا به. فاتينا خيبر فناصرناهم حتى أصابتنا مخمصة شديدة. ثم ان الله فتحها عليهم فلما أمسى الناس مساء اليوم الذى فتحت عليهم أوقدوا نيرانا كثيرة فقال رسول الله (ص) ما هذه النيران على أى شيء توقدون قالوا على لحم قال على أى لحم قالوا لحم الحمر الانسية قال النبى (ص) اهريقوها واكسروها فقال رجل يارسول الله أو نهريقها و نغسلها فقال أو ذاك. فلما تصاف الناس كان سيف عامر قصيراً فتناول به ساق يهودى ليضربه فيرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركبة عامر فمات منه فلما قفلوا قال سلمة رآنى رسول الله (ص) وهو آخذ بيدى قال مالك قلت فداك أبى وأمى زعموا أن عامراً حبط عمله قال النبى (ص) كذب من قاله ان له لأجرين ـ وجمع بين اصبعيه ـ انه لجاهد مجاهد قلّ عربى مشى بها مثله. ورواه مسلم من حديث حاتم بن اسماعيل وغيره عن يزيد بن أبى عبيد مثله. ويكون منصوباً على الحالية من نكرة وهو سائغ اذا دلت على تصحيح معنى كما جاء فى الحديث فصلى وراءه رجل قياما. وقد روى ابن اسحاق قصة عامر بن الاكوع من وجه آخر فقال حدثنى: محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمى عن أبى الهيثم بن نصر بن دهر الاسلمى أن أباه حدثه أنه سمع رسول الله (ص) يقول فى مسيره الى خيبر لعامر بن الاكوع وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع: انزل يا ابن الاكوع فخذ لنا من هناتك فقال فنزل يرتجز لرسول الله (ص):

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
انا اذا قوم بغوا علينا وان أرادوا فتنة أبينا
فأنزلن سكينــة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا

فقال رسول الله (ص). يرحمك ربك. فقال عمر بن الخطاب وجبت يارسول الله لو أمتعتنا به. فقتل يوم خيبر شهيداً. ثم ذكر صفة قتله كنحو ما ذكره البخارى. قال ابن اسحاق: وحدثنى من لاأتهم عن عطاء بن أبى مروان الأسلمى عن أبيه عن أبى معتب بن عمرو أن رسول الله (ص) لما أشرف على خيبر قال لاصحابه وأنا فيهم: قفوا، ثم قال: اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير مافيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر مافيها، أقدموا بسم الله. وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه. وقد رواه الحافظ البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن العطاردى عن يونس بن بكير عن ابراهيم بن اسماعيل بن مجمع عن صالح بن كيسان عن أبى مروان الأسلمى عن أبيه عن جده قال خرجنا مع رسول الله (ص) الى خيبر حتى اذا كنا قريباً وأشرفنا عليها قال رسول الله (ص) للناس قفوا فوقف الناس فقال اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير مافيها ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها وشر مافيها، أقدموا بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن اسحاق وحدثنى من لاأتهم عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله (ص) اذا غزا قوماً لم يغر عليهم حتى يصبح فان سمع أذاناً أمسك وان لم يسمع أذاناً أغار، فنزلنا خيبر ليلا فبات رسول الله (ص) حتى أصبح لم يسمع أذانا فركب وركبنا معه وركبت خلف أبى طلحة وان قدمى لتمس قدم رسول الله (ص)، واستقبلنا عمال خيبر غادين قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوا رسول الله (ص) والجيش قالوا: محمد والخميس معه! فأدبروا هرابا، فقال رسول الله (ص): الله أكبر خربت خيبر، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. قال ابن اسحاق حدثنا هرون عن حميد عن أنس بمثله

وقال البخارى حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا مالك عن حميد الطويل عن أنس بن مالك أن رسول الله أتى خيبر ليلا وكان اذا أتى قوماً بليل لم يغر بهم حتى يصبح فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوه قالوا محمد والله، محمد والخميس! فقال رسول الله (ص): خربت خيبر، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. تفرد به دون مسلم

وقال البخارى حدثنا صدقة بن الفضل حدثنا أبو عيينة حدثنا أيوب عن محمد بن سيرين عن

أنس بن مالك قال : صبحنا خيبر بكرة فخرج أهلها بالمساحى فلما بصروا بالنبى (ص) قالوا : محمد والله ، محمد والخميس ! فقال رسول الله (ص) : الله أكبر خربت خيبر ، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . قال فأصبنا من لحوم الحمر فنادى منادى النبى (ص) : ان الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فانها رجس . تفرد به البخارى دون مسلم

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس قال لما أتى النبى (ص) خيبر فوجدهم حين خرجوا الى زرعهم ومساحيهم فلما رأوه ومعه الجيش نكصوا فرجعوا الى حصنهم فقال النبى (ص) الله اكبر خربت خيبر ، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . تفرد به أحمد وهو على شرط الصحيحين

وقال البخاري حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس بن مالك قال (ص) الصبح قريب من خيبر بغلس ، ثم قال الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . فخرجوا يسعون بالسكك فقتل النبي (ص) المقاتلة وسبى الذرية وكان فى السبى صفية فصارت الى دحية الكلبى ثم صارت الى النبى (ص) فجعل عتقها صداقها . قال عبد العزيز ابن صهيب لثابت ياأبا محمد أأنت قلت لأنس ما أصدقها ، فحرك ثابت رأسه تصديقاً له . تفرد به دون مسلم . وقد أورد البخارى ومسلم النهى عن لحوم الحمر الاهلية من طرق تذكر فى كتاب الاحكام

وقد قال الحافظ البيهقى أنبأنا أبو طاهر الفقيه أنبأنا خطاب بن أحمد الطوسى حدثنا محمد بن حميد الابيوردى حدثنا محمد بن الفضل عن مسلم الاعور الملائى عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله (ص) يعود المريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار ، وكان يوم بنى قريظة والنضير على حمار ويوم خيبر على حمار مخطوم برسن ليف وتحته اكاف من ليف . وقد روى هذا الحديث بتمامه الترمذى عن على بن حجر عن على بن مسهر ، وابن ماجه عن محمد بن الصباح عن سفيان وعن عمر بن رافع عن جرير كلهم عن مسلم وهو ابن كيسان الملائى الاعور الكوفى عن أنس به . وقال الترمذى لانعرفه الا من حديثه وهو يضعف . قلت والذى ثبت فى الصحيح عند البخارى عن أنس ان رسول الله (ص) أجرى فى زقاق خيبر حتى انحسر الازار عن فخذه ، فالظاهر انه كان يومئذ على فرس لا على حمار . ولعل هذا الحديث ان كان صحيحا محمول على انه ركبه فى بعض الايام وهو محاصرها والله أعلم

وقال البخارى حدثنا محمد بن سعيد الخزاعى حدثنا زياد بن الربيع عن أبى عمران الجونى قال نظر أنس الى الناس يوم الجمعة فرأى طيالسة فقال كأنهم الساعة يهود خيبر . وقال البخاري : حدثنا

عبد الله بن مسلمة حدثنا حاتم عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الاكوع قال : كان عليّ بن أبي طالب تخلف عن رسول الله (ص.) في خيبر وكان رَمِداً فقال أنا أتخلّف عن النبي (ص.) ؟ فلحق به . فلما بتنا الليلة التي فتحت خيبر قال : لأعطين الراية غداً (أو ليأخذن الراية غداً) رجل يحبه الله ورسوله يُفتح عليه . فنحن نرجوها . فقيل هذا عليّ فأعطاه ففتح عليه . وروى البخاري أيضاً ومسلم عن قتيبة عن حاتم به . ثم قال البخاري : حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال : أخبرني سهل بن سعد أن رسول الله (ص.) قال يوم خيبر : لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، قال فبات الناس يَدوكون ليلتهم أيهم يُعطاها ، فلما أصبح الناس غَدَوْا على النبي (ص.) كلّهم يرجو أن يعطاها فقال : أين عليّ بن أبي طالب ؟ فقالوا هو يارسول يشتكي عينيه ، قال فأرسل اليه فأتى فبصق رسول الله (ص.) في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال عليّ : يارسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال (ص.) أنفذ على رِسْلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم . وقد رواه مسلم والنسائي جميعاً عن قتيبة به . وفي صحيح مسلم والبيهقي من حديث سهيل ابن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص.) : لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله عليه ، قال عمر فما أحببت الامارة إلا يومئذ ، فدعا علياً فبعثه ثم قال : اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت . قال علي : على ما أقاتل الناس ؟ قال قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ه لفظ البخاري

وقال الامام أحمد حدثنا مصعب بن المقدام وجحش بن المثنى قالا حدثنا اسرائيل حدثنا عبد الله بن عصمة العجلي سمعت أبا سعيد الخدري رضى الله عنه يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الراية فهزها ثم قال : من يأخذها بحقها ؟ فجاء فلان فقال أنا ، قال : امض ، ثم جاء رجل آخر فقال امض ، ثم قال النبي (ص.) : والذي كرم وجه محمد لاعطينها رجلا لايفر فقال هاك ياعلي . فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بعجوتها وقديدها . تفرد به أحمد واسناده لابأس به ، وفيه غرابة وعبد الله بن عصمة ويقال ابن أعصم وهكذا يكنى بأبي علوان العجلي وأصله من اليمامة سكن الكوفة وقد وثقه ابن معين ، وقال أبو زرعة لابأس به ، وقال أبو حاتم شيخ ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال يخطئ كثيراً وذكره في الضعفاء ، وقال يحدث عن الاثبات مما لايشبه حديث الثقات حتى يسبق الى القلب أنها موهومة أو موضوعة

وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق : حدثنى بريدة بن سفيان بن فروة الاسلمى عن أبيه عن سلمة بن عمرو بن الاكوع رضى الله عنه قال : بعث النبى (ص.) أبا بكر رضى الله عنه الى بعض حصون خيبر فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد . ثم بعث عمر رضى الله عنه فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح . فقال رسول الله (ص.) : لاعطين الراية غداً رجلا يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله يفتح الله على يديه وليس بفرّار . قال سلمة فدعا رسول الله (ص.) على بن ابى طالب رضى الله عنه وهو يومئذ أرمد فتفل فى عينيه ثم قال : خذ الراية وامض بها حتى يفتح الله عليك ، فخرج بها والله يصول[1] يهرول هرولة وإنا لخلفه نتبع أثره حتى ركز رايته فى رضم من حجارة تحت الحصن فاطلع يهودى من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : أنا على بن أبى طالب فقال اليهودى : غلبتم وما أنزل على موسى ، فما رجع حتى فتح الله على يديه .

وقال البيهقى : أنبأنا الحاكم أنبأنا الاصم أنبأنا العطاردى عن يونس بن بكير عن الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة أخبرنى أبى قال : لما كان يوم خيبر أخذ اللواء أبو بكر فرجع ولم يفتح له وقتل محمود بن مسلمة ورجع الناس ،فقال رسول الله (ص.) : لادفعن لوائى غداً الى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لن يرجع حتى يفتح الله له ، فبتنا طيبة نفوسنا أن الفتح غداً ، فصلى رسول الله (ص.) صلاة الغداة ثم دعا باللواء وقام قائما فما منا من رجل له منزلة من رسول الله (ص.) إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل حتى تطاولتُ أنا لها ورفعت رأسى لمنزلة كانت لى منه ، فدعا على بن أبى طالب وهو يشتكى عينيه قال فمسحها ثم دفع اليه اللواء ففتح له ، فسمعت عبدالله بن بريدة يقول : حدثنى أبى أنه كان صاحب مرحب

قال يونس قال ابن اسحاق : كان أول حصون خيبر فتحاً حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه رحىً منه فقتلته

ثم روى البيهقى عن يونس بن بكير عن المسيب بن مسلمة الازدى حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله (ص.) ربما اخذته الشقيقة [2] فلبث اليوم واليومين لايخرج ، فلما نزل خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس ، وان أبا بكر أخذ راية رسول الله (ص.) ثم نهض فقاتل قتالا شديداً ثم رجع ، فأخذها عمر فقاتل قتالا شديداً هو أشد من القتال الاول ثم رجع ، فأخبر بذلك رسول الله (ص. فقال لاعطينها غداً [3] يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله

---

(١) فى نسخة يساج

(٢) الشقيقة : نوع من صُداع يعرض فى مقدم الرأس والى أحد جانبيه

(٣) يظهر سقوط « رجلا » كما تقدم فى الاحاديث السابقة

يأخذها عنوة . وليس ثمّ عليّ ، فتطاولت لها قريش ورجا كل رجل منهم أن يكون صاحب ذلك فأصبح وجاء علي بن أبي طالب على بعير له حتى أناخ قريباً وهو أرمد قد عصب عينه بشقة برد قطري ، فقال رسول الله (ص) : مالك ؟ قال : رمدتُ بعدك ، قال ادنُ مني فتفل في عينه فما وجعها حتى مضى لسبيله ، ثم أعطاه الراية فنهض بها وعليه جبة أرجوان حمراء قد أخرج خملها فأتى مدينة خيبر وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر يماني وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز ويقول :

قد علمتْ خيبرُ أني مرحبٌ　　شاكٍ سلاحي بطلٌ مجرَّب
اذا الليوثُ أقبلتْ تلهَّب　　وأحجمتْ عن صَولة المغلَّب

فقال عليّ رضي الله عنه :

أنا الذي سمّتني أمّي حَيْدَره　　كليثِ غاباتٍ شديدِ القَسْوَره
أكيلُكُم بالصاع كَيْلَ السندره (١)

قال فاختلفا ضربتين ، فبدره علي بضربة فقدّ الحجر والمغفر ورأسه ووقع في الاضراس ، وأخذ المدينة

وقد روى الحافظ البزّار عن عباد بن يعقوب عن عبد الله بن بكر عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قصة بعث أبي بكر ثم عمر يوم خيبر ثم بعث علي فكان الفتح على يديه . وفي سياقه غرابة ونكارة وفي اسناده من هو متهم بالتشيع والله أعلم

وقد روى مسلم والبيهقي واللفظ له من طريق عكرمة بن عمار عن اياس بن سلمة بن الاكوع عن أبيه فذكر حديثاً طويلا وذكر فيه رجوعهم من غزوة بني فزارة قال : فلم نمكث الا ثلاثاً حتى خرجنا الى خيبر . قال : وخرج عامر فجعل يقول :

والله لولا أنتَ ما اهتدَيْنا　　ولا تَصدَّقنا ولا صلَّينا
ونحنُ من فضلك ما استغنينا　　فأنزلنَ سكينةً علينا
وثبّتِ الأقدامَ إن لاقينا

قال فقال رسول الله (ص) : من هذا القائل ؟ فقالوا عامر . فقال غفر لك ربك . قال وما خصَّ رسول الله (ص) قط أحداً به الا استشهد . فقال عمر وهو على جمل : لولا متعتنا بعامر . قال فقدمنا خيبر فخرج مرحب وهو يخطر بسيفه ويقول :

قد علمتْ خيبرُ اني مرحب　　شاكي السلاحِ بطل مجرَّب

---

(١) السندرة : مكيال واسع . أراد : اقتلكم قتلاً واسعاً ذريعاً

اذا الحروبُ أقبلتْ تلهّبُ

قال فبرز له عامر رضى الله عنه وهو يقول :

قد علمت خيبر انى عامر   شاكى السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب فى ترس عامر فذهب يسفل له فرجع على نفسه فقطع أكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من أصحاب رسول الله (ص.) يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه . قال فأتيت رسول الله (ص.) وأنا أبكى فقال مالك ؟ فقلت قالوا ان عامراً بطل عمله . فقال من قال ذلك ؟ فقلت نفر من أصحابك . فقال كذب أولئك بل له الاجر مرتين . قال وأرسل رسول الله (ص.) الى على رضى الله عنه يدعوه وهو أرمد وقال لأعطين الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله . قال فجئت به أقوده قال فبصق رسول الله (ص.) فى عينه فبرأ فأعطاه الراية فبرز مرحب وهو يقول :

قد علمت خيبر انى مرحب   شاكى السلاح بطل مجرب
اذا الحروب أقبلت تلهب

قال فبرز له علىّ وهو يقول :

أنا الذى سمتنى أمى حيدره   كليث غاباتٍ كريهِ المنظرْه
أوفيهمُ بالصاع كَيْلَ السندره

قال فضرب مرحبا ففلق رأسه فقتله . وكان الفتح . هكذا وقع فى هذا السياق ان علياً هو الذى قتل مرحباً اليهودى لعنه الله

وقال أحمد حدثنا حسين بن حسن الاشقر حدثنى قابوس بن أبى ظبيان عن أبيه عن جده عن على قال : لما قتلت مرحباً جئت برأسه الى رسول الله (ص.)

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهرى ان الذى قتل مرحبا هو محمد بن مسلمة . وكذلك قال محمد بن اسحاق حدثنى عبد الله بن سهل أحد بنى حارثة عن جابر بن عبد الله قال : خرج مرحب اليهودى من حصن خيبر وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر انى مرحب   شاكى السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب   اذا الليوث أقبلت تلهّبُ
إن حماىَ لَلحمى لايقرب

قال فأجابه كعب بن مالك :

قد علمتْ خيبر انى كعبُ   مفرّجِ الغَمّاء جريٌّ صُلْبُ

اذ شبَّتِ الحربُ وثارَ الحربُ   معي حُسامٌ كالعقيق عَضْبُ
يطأكمو حتى يذلَّ الصعبُ   بكفِّ ماضٍ ليسَ فيه عَيْبُ

قال وجعل مرحب يرتجز ويقول : هل من مبارز . فقال رسول الله (ص) من لهذا . فقال محمد بن مسلمة أنا له يارسول الله ، أنا والله الموتور والثائر قتلوا أخي بالامس . فقال قم اليه اللهم أعنه عليه . قال فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عُمْرِية [1] من شجر العُشَر [2] المسد فجعل كل واحد منهما يلوذ من صاحبه بها كلما لاذ بها أحدهما اقتطع بسيفه مادونه حتى برز كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل القائم مافيها فنن ، ثم حمل على محمد بن مسلمة فضربه فاتقاه بالدرقة فوقع سيفه فيها فعضت فاستله وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله

وقد رواه الامام أحمد عن يعقوب بن ابراهيم عن أبيه عن ابن اسحاق بنحوه .

قال ابن اسحاق : وزعم بعض الناس ان محمداً ارتجز حين ضربه وقال :

قد علمت خيبر انى ماضِ   حُلْوٌ اذا شئتُ وسُمٌّ قاضِ

وهكذا رواه الواقدى عن جابر وغيره من السلف ان محمد بن مسلمة هو الذى قتل مرحباً ثم ذكر الواقدى ان محمداً قطع رجلى مرحب فقال له أجهز عليَّ . فقال لا ذق الموت كما ذاقه محمود بن مسلمة . فمر به على وقطع رأسه فاختصما فى سلبه الى رسول الله (ص) فأعطى رسول الله (ص) محمد بن مسلمة سيفه ورمحه ومغفره وبيضته . قال وكان مكتوباً على سيفه :

هذا سيفُ مَرْحَبْ   من يَذُقْهُ يَعْطَبْ

ثم ذكر ابن اسحاق ان أخا مرحب وهو ياسر خرج بعده وهو يقول هل من مبارز . فزعم هشام ابن عروة ان الزبير خرج له فقالت أم صفيّة بنت عبد المطلب يقتل ابنى يارسول الله فقال بل ابنك يقتله ان شاء الله فالتقيا فقتله الزبير . قال فكان الزبير اذا قيل له والله ان كان سيفك يومئذ صارما يقول والله ما كان بصارم ولكنى أكرهته

وقال يونس عن ابن اسحاق عن بعض أهله عن أبى رافع مولى رسول الله (ص) قال : خرجنا مع على الى خيبر بعثه رسول الله (ص) برايته فلما دنا من الحصن خرج اليه أهله فقاتلهم فضربه رجل منهم من يهود فطرح ترسه من يده فتناول على باب الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده فلقد رأيتنى فى نفر معى سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا ان نقلبه . وفى هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر . ولكن

(١) هى الشجرة العظيمة القديمة التى أتى عليها عمر طويل

(٢) هو شجر له صمغ يقال له سُكر العُشَر

روى الحافظ البيهقى والحاكم من طريق مطلب بن زياد عن ليث بن أبى سليم عن أبى جعفر الباقر عن جابر ان علياً حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فافتتحوها وأنه جرّب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلا . وفيه ضعف أيضاً . وفى رواية ضعيفة عن جابر ثم اجتمع عليه سبعون رجلا وكان جهدهم أن أعادوا الباب

وقال البخارى حدّثنامكى بن ابراهيم حدثنا يزيد بن أبى عبيد قال : رأيت أثر ضربة فى ساق سلمة ، فقلت : يا أبا مسلم ماهذه الضربة ؟ قال : هذه ضربة أصابتنى يوم خيبر فقال الناس أصيب سلمة فأتيت النبى (ص.) فنفث فيه ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة

ثم قال البخارى : حدثناعبد الله بن مسلمة حدثنا ابن أبى‌حازم عن أبيه عن سهل قال : التقى النبى (ص.) والمشركون فى بعض مغازيه فاقتتلوا ، فمال كل قوم الى عسكرهم ، وفى المسلمين رجل لايدع من المشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها فضربها بسيفه ، فقيل‌يارسول ما أجزأ منا أحد ما اجزأ فلان . قال انه من أهل النار . فقالوا أينا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار ؟ فقال رجل من القوم : لاتبعنه فاذا أسرع وأبطأ كنت معه ، حتى جرح فاستعجل الموت فوضع نصاب سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه . فجاء الرجل الى النبى (ص.) فقال : أشهد أنك رسول الله . قال وما ذاك ؟ فأخبره فقال : ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وانه من أهل النار ، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وأنه من أهل الجنة . رواه أيضاً عن قتيبة عن يعقوب عن أبى حازم عن سهل فذكره مثله أو نحوه

ثم قال البخارى : حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهرى أخبرنى سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال : شهدنا خيبر فقال رسول الله (ص.) لرجل ممن معه يدّعى الاسلام هذا من أهل النار. فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة حتى كاد بعض الناس يرتاب . فوجد الرجل ألم جراحه فأهوى بيده الى كنانته فاستخرج منها أسهما فنحر بها نفسه فاشتد رجال من المسلمين فقالوا يارسول الله صدّق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه . فقال قم يافلان فاذن أنه لايدخل الجنة إلا مؤمن ، وأن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهرى قصة العبد الأسود الذى رزقه الله الايمان والشهادة فى ساعة واحدة . وكذلك رواها ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة قالا وجاء عبد حبشى أسود من أهل خيبر كان فى غنم لسيده فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح سألهم قال ما تريدون قالوا نقاتل هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى . فوقع فى نفسه ذكر النبى فأقبل بغنمه حتى عمد لرسول الله (ص.) فقال الى ماتدعو ؟ قال أدعوك الى الاسلام الى أن تشهد أن لا إله

إلا الله وأني رسول الله وأن لاتعبدوا إلا الله . قال فقال العبد فماذا يكون لى ان شهدت بذلك وآمنت بالله قال رسول الله (ص) الجنة إن مت على ذلك . فأسلم العبد فقال يانبى الله ان هذه الغنم عندى أمانة . فقال رسول الله (ص) أخرجها من عسكرنا وارمها بالحصا فان الله سيؤدى عنك أمانتك . ففعل فرجعت الغنم الى سيدها فعرف اليهودى أن غلامه قد أسلم . فقام رسول الله (ص) فوعظ الناس فذكر الحديث فى اعطائه الراية علياً ودنوه من حصن اليهود وقتله مرحباً وقتل مع على ذلك العبد الأسود فاحتمله المسلمون الى عسكرهم فادخل فى الفسطاط فزعموا أن رسول الله (ص) اطلع فى الفسطاط ثم اطلع على أصحابه فقال : لقد أكرم الله هذا العبد وساقه الى خير قد كان الاسلام فى قلبه حقاً وقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين

وقد روى الحافظ البيهقى من طريق ابن وهب عن حيوة بن شريح عن ابن الهاد عن شرحبيل بن سعد عن جابر بن عبد الله قال كنا مع رسول الله (ص) فى غزوة خيبر فخرجت سرية فأخذوا إنساناً معه غنم يرعاها فذكر نحو قصة هذا العبد الأسود وقال فيه : قتل شهيداً وما سجد لله سجدة

ثم قال البيهقى حدثنا محمد بن محمد بن محمد الفقيه حدثنا أبو بكر القطان حدثنا أبو الازهر حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس أن رجلا أتى رسول الله (ص) فقال يارسول الله انى رجل أسود اللون قبيح الوجه لامال لى فان قاتلت هؤلاء حتى اقتل أدخل الجنة؟ قال نعم فتقدم فقاتل حتى قتل فأتى عليه رسول الله (ص) وهو مقتول فقال : لقد حسّن الله وجهك وطيب روحك وكثر مالك وقال لقد رأيت زوجتيه من الحور العين يتنازعان جبته عليه يدخلان فيما بين جلده وجبته . ثم روى البيهقى من طريق ابن جريج أخبرنى عكرمة بن خالد عن ابن أبى عمار عن شداد ابن الهاد أن رجلا من الأعراب جاء رسول الله (ص) فآمن به واتبعه فقال أهاجر معك فأوصى به النبى (ص) بعض أصحابه فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله (ص) فقسمه وقسم له فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه اليه فقال ما هذا ؟ قالوا قسم قسمه لك رسول الله (ص) فقال ما على هذا اتبعتك ولكنى اتبعتك على أن أرمى هاهنا وأشار الى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة . فقال ان تصدق الله يصدقك . ثم نهضوا الى قتال العدو فأتى به رسول الله (ص) يحمل وقد أصابه سهم حيث أشار فقال النبى (ص) . هو هو؟ قالوا نعم . قال صدق الله فصدقه . وكفنه النبى (ص) فى جبة النبى (ص) ثم قدمه فصلى عليه وكان مما ظهر من صلاته : اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً فى سبيلك قتل شهيداً وأنا عليه شهيد . وقد رواه النسائى عن سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك عن ابن جريج به نحوه

فصل

قال ابن اسحاق : و تدنَّى رسول الله (ص.) الأموال يأخذها مالامالا و يفتتحها حصناً حصناً و كان أول حصونهم فتح حصن ناعم و عنده قتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه رحىً منه فقتلته ثم القموص حصن بنى أبى الحقيق . و أصاب رسول الله (ص.) منهم سبايا منهن صفيـة بنت حيى بن أخطب و كانت عند كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق و بنتى عم لها فاصطفى رسول الله (ص.) صفية لنفسه و كان دحية بن خليفة قد سأل رسول الله (ص.) صفية فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتى عمها . قال و فشت السبايا من خيبر فى المسلمين و أكل الناس لحوم الحمر فذكر نهى رسول الله (ص.) إياهم عن أكلها . وقد اعتنى البخارى بهذا الفصـل فأورد النهى عنها من طرق جيدة وتحريمها مذهب جمهور العلماء سلفاً و خلفاً وهو مذهب الائمة الأربعة . وقد ذهب بعض السلف منهم ابن عباس الى إباحتها و تنوعت أجوبتهم عن الاحاديث الواردة فى النهى عنها فقيل لأنها كانت ظهراً يستعينون بها فى الحمولة وقيل لأنها لم تكن خمست بعد وقيل لأنها كانت تأكل العذرة يعنى جلالة والصحيح أنه نهى عنها لذاتها فان فى الاثر الصحيح أنه نادى منادى رسول الله (ص.) ان الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فانها رجس فاكفئوها والقدور تفور بها . وموضع تقرير ذلك فى كتاب الاحكام .

قال ابن اسحاق : حدثنى سلام بن كركرة عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله ولم يشهد جابر خيبر أن رسول الله (ص.) حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر أذن لهم فى لحوم الخيل . وهذا الحديث أصله ثابت فى الصحيحين من حديث حمـاد بن زيد عن عمرو بن دينار عن محمد بن على عن جابر رضى الله عنه قال : نهى رسول الله (ص.) يوم خيبر عن لحوم الحمر و رخص فى الخيل . لفظ البخارى

قال ابن اسحاق : وحدثنا عبد الله بن أبى نجيح عن مكحول أن النبى (ص.) نهاهم يومئذ عن أربع : عن إتيان الحبالى من النساء ، وعن أكل الحمار الأهلى ، وعن أكل كل ذى ناب من السباع ، وعن بيع المغانم حتى تقسم . وهذا مرسل . وقال ابن إسحاق وحدثني يزيد بن أبى حبيب عن أبى مرزوق مولى تجيب عن حسن الصنعانى قال : غزونا مع رويفع بن ثابت الأنصارى المغرب فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة ، فقام فينا خطيباً فقال: أيها الناس انى لا أقول فيكم الا ماسمعت من رسول الله (ص.) يقول فينا يوم خيبر قام فينا رسول الله (ص.) فقال : لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماءه زرع غيره يعنى اتيان الحبالى من السبى لايحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبى حتى يستبرئها ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم

الآخر أن يبيع مغنما حتى يقسم ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فىء المسلمين حتى اذا أعجفها ردها فيه ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس يوما من فىء المسلمين حتى اذا أخلقه رده فيه . وهكذا روى هذا الحديث أبو داود من طريق محمد بن اسحاق . ورواه الترمذى عن حفص بن عمر و الشيبانى عن ابن وهب عن يحيى بن أيوب عن ربيعة بن سليم عن بشر بن عبيد الله عن رويفع بن ثابت مختصراً وقال حسن

وفى صحيح البخارى عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وعن أكل الثوم . وقد حكى ابن حزم عن على وشريك بن الحنبل أنهما ذهبا الى تحريم البصل والثوم النيء . والذى نقله الترمذى عنهما الكراهة فالله أعلم . وقد تكلم الناس فى الحديث الوارد فى الصحيحين من طريق الزهرى عن عبد الله والحسن ابنى محمد بن الحنفية عن أبيهما عن أبيه على بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسول الله (ص) نهى عن نكاح المتعة يوم خيبر وعن لحوم الحمر الاهلية . هذا لفظ الصحيحين من طريق مالك وغيره عن الزهرى وهو يقتضى تقييد تحريم نكاح المتعة بيوم خيبر وهو مشكل من وجهين : أحدهما أن يوم خيبر لم يكن ثم نساء يتمتعون بهن اذ قد حصل لهم الاستغناء بالسباء عن نكاح المتعة . الثانى : أنه قد ثبت فى صحيح مسلم عن الربيع بن سبرة عن معبد عن أبيه أن رسول الله (ص) أذن لهم فى المتعة زمن الفتح ثم لم يخرج من مكة حتى نهى عنها وقال : أن الله قد حرمها الى يوم القيامة فعلى هذا يكون قد نهى عنها ثم أذن فيها ثم حرمت فيلزم النسخ مرتين وهو بعيد . ومع هذا فقد نص الشافعى على أنه لا يعلم شيئاً أبيح ثم حرم ثم أبيح ثم حرم غير نكاح المتعة وما حداه على هذا رحمه الله الا اعتماده على هذين الحديثين كما قدمناه (١)

وقد حكى السهيلى وغيره عن بعضهم أنه ادّعى أنها أبيحت ثلاث مرات وحرمت ثلاث مرات وقال آخرون أربع مرات وهذا بعيد جداً والله أعلم . واختلفوا أى وقت أول ما حرمت فقيل فى خيبر وقيل فى عمرة القضاء وقيل فى عام الفتح وهذا يظهر وقيل فى أوطاس وهو قريب من الذى قبله وقيل فى تبوك وقيل فى حجة الوداع رواه أبو داود

وقد حاول بعض العلماء أن يجيب عن حديث على رضى الله عنه بأنه وقع فيه تقديم وتأخير وانما المحفوظ فيه مارواه الامام أحمد : حدّثنا سفيان عن الزهرى عن الحسن وعبد الله ابنى محمد

---

(١) بياض بالاصل بمقدار سطر

عن أبيهما ــ وكان حسن أرضاهما فى أنفسهما ــ أن علياً قال لابن عباس : ان رسول الله (ص.) نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الاهلية زمن خيبر . قالوا فاعتقدنا الراوى ان قوله خيبر ظرف للمنهى عنهما وليس كذلك انما هو ظرف للنهى عن لحوم الحمر ، فأما نكاح المتعة فلم يذكر له ظرفا وانما جمعه معه لأن علياً رضى الله عنه بلغه أن ابن عباس أباح نكاح المتعة ولحوم الحمر الاهلية كما هو المشهور عنه ، فقال له أمير المؤمنين على : انك امرؤ تائه أن رسول الله (ص.) نهى عن نكاح المتعة ولحوم الحمر الاهلية يوم خيبر ، فجمع له النهي ليرجع عما كان يعتقده فى ذلك من الاباحة . والى هذا التقرير كان ميل شيخنا الحافظ أبى الحجاج المزى تغمده الله برحمته آمين . ومع هذا ما رجع ابن عباس عما كان يذهب [اليه] من [اباحة] الحمر والمتعة ، أما النهي عن الحمر فتأوله بأنها كانت حمولتهم وأما المتعة فانما كان يبيحها عند الضرورة فى الاسفار ، وحمل النهى على ذلك فى حال الرفاهية والوجدان وقد تبعه على ذلك طائفة من أصحابه وأتباعهم ولم يزل ذلك مشهوراً عن علماء الحجاز الى زمن ابن جريج وبعده . وقد حكى عن الامام أحمد بن حنبل رواية كمذهب ابن عباس وهى ضعيفة وحاول بعض من صنف فى الحلال نقل رواية عن الامام بمثل ذلك ولا يصح أيضاً والله أعلم . وموضع تحرير ذلك فى كتاب الاحكام وبالله المستعان

قال ابن اسحاق : ثم جعل رسول الله (ص.) يتدنى الحصون والاموال فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدثه بعض من أسلم أن بنى سهم من أسلم أتوا رسول الله (ص.) فقالوا يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا شىء فلم يجدوا عند رسول الله (ص.) شيئاً يعطيهم إياه فقال : اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست لهم قوة وأن ليس بيدى شىء أعطيهم اياه ، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غنى وأكثرها طعاماً وودكاً . فغدا الناس ففتح عليهم حصن الصعب بن معاذ وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً وودكا منه[1]

قال ابن اسحاق : ولما افتتح رسول الله (ص.) من حصونهم ما افتتح وحاز من الاموال ما حاز انتهوا الى حصنهم الوَطيح والسُّلالم وكان آخر حصون خيبر افتتاحاً فحاصرهم رسول الله (ص.) بضع عشر ليلة . قال ابن هشام : وكان شعارهم يوم خيبر يا منصور أمت أمت

قال ابن اسحاق: وحدثنى بريدة بن سفيان الاسدى الاسلمى عن بعض رجال بنى سلمة عن أبى اليسر كعب بن عمرو قال : انى لمع رسول الله (ص.) بخيبر ذات عشية اذ أقبلت غنم لرجل مَن يهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم فقال رسول الله (ص.) مَن رجل يطعمنا من هذه الغنم قال أبو اليسر

---

(١) الودك : دَسَم اللحم ودُهنه الذى يستخرج منه.

فقلت أنا يارسول الله قال فافعل .قال فخرجت أشتد مثل الظليم فلمانظر الى رسول الله (ص.) موليا قال اللهم أمتعنا به قال فأدركت الغنم وقد دخلت أولها الحصن فأخذت شاتين من أخراها فاحتضنتهما تحت يدى ثم جئت بهما أشتد كأنه ليس معى شىء حتى ألقيتهما عند رسول الله (ص.) فذبحوهما فأكلوها فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله (ص.) موتا وكان اذا حدث هذا الحديث بكى ثم قال امتعوا بى لعمرى حتى كنت من آخرهم . وقال الحافظ البيهقى فى الدلائل أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الاصبهانى حدثنا أبو سعيد بن الاعرابى حدثنا سعدان بن نصر حدثنا أبومعاوية عن عاصم الاحول عن أبى عثمان النهدى أو عن أبى قلابة قال لما قدم النبى (ص.) خيبر قدم والثمرة خضرة قال فأسرع الناس اليها فحموا فشكوا ذلك اليه فأمرهم أن يقرسوا الماء فى الشنان[1] ثم يحدرونه عليهم اذا أتى الفجر و يذكرون اسم الله عليه ، ففعلوا ذلك فكأنما نشطوا من عقل . قال البيهقى ورويناه عن عبد الرحمن بن رافع موصولا وعنه بين صلاتى المغرب والعشاء . وقال الامام أحمد حدثنا يحيى و بهز قالا حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال حدثنا عبد الله بن مغفل قال دلى جراب من شحم يوم خيبر فالتزمته فقلت لاأعطى أحدا منه شيئا قال فالتفت فاذا رسول الله (ص.) يتبسم . وقال أحمد حدثنا عفان حدثنا شعبة عن حميد بن هلال عن عبد الله بن مغفل قال كنا نحاصر قصر خيبر فألقى الينا جراب فيه شحم فذهبت فأخذته فرأيت النبى (ص.) فاستحيت وقد أخرجه صاحبا الصحيح من حديث شعبة ورواه مسلم أيضا عن شيبان بن فروخ عن عثمان ابن المغيرة . وقال ابن اسحق وحدثنى من لا اتهم عن عبد الله بن مغفل المزنى قال أصبت من فىء خيبر جراب شحم قال فاحتملته على عنقى الى رحلى وأصحابى قال فلقينى صاحب المغانم الذى جعل عليها فأخذ بناحيته وقال هلم حتى تقسمه بين المسلمين قال وقلت لاوالله لا أعطيكه قال وجعل يجاذبنى الجراب قال فرآنا رسول الله (ص.) ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكا ثم قال لصاحب المغانم خل بينه و بينه قال فأرسله فانطلقت به الى رحلى وأصحابى فأكلناه . وقد استدل الجمهور بهذا الحديث على الامام مالك فى تحريمه شحوم ذبائح اليهود وما كان غلبهم عليه غيرهم من المسلمين لأن الله تعالى قال وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم قال لكم قال وليس هذا من طعامهم فاستدلوا عليه بهذا الحديث وفيه نظر وقد يكون هذا الشحم مما كان حلالا لهم والله أعلم . وقد استدلوا بهذا الحديث على أن الطعام لايخمس و يعضد ذلك مارواه الامام أبو داود حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو معاوية حدثنا اسحاق الشيبانى عن محمد بن أبى مجالد عن عبد الله بن أبى أوفى قال قلت كنتم تخمسون الطعام فى عهد رسول الله (ص.) فقال أصبنا طعاما يوم خيبر وكان الرجل يجىء فيأخذ منه قدر ما يكفيه ثم ينصرف . تفرد به أبو داود وهو حسن .

---

(١) الشنان : الاسقية الخلقة ، وهى اشد تبريداً للماء من الجدد

ذكر قصة صفية بنت حيي النضرية

كان من شأنها أنه لما أجلى رسول الله (ص) يهود بنى النضير من المدينة كما تقدم فذهب عامتهم الى خيبر وفيهم حيي بن أخطب و بنو ابى الحقيق وكانوا ذوى أموال وشرف فى قومهم وكانت صفية اذ ذاك طفلة دون البلوغ ثم لما تأهلت للتزويج تزوجها بعض بنى عمها فلما زفت اليه وادخلت اليه بنى بها ومضى على ذلك ليالى رأت فى منامها كأن قمر السماء قد سقط فى حجرها فقصت رؤياها على ابن عمها فلطم وجهها وقال أتتمنين ملك يثرب أن يصير بعلك. فما كان الا مجىء رسول الله (ص) وحصاره إياهم فكانت صفية فى جملة السبى وكان زوجها فى جملة القتلى. ولما اصطفاها رسول الله (ص) وصارت فى حوزه وملكه كما سيأتى و بنى بها بعد استبرائها وحلها وجد أثر تلك اللطمة فى خدها فسألها ماشأنها فذكرت له ما كانت رأت من تلك الرؤيا الصالحة رضى الله عنها وأرضاها قال البخارى حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس بن مالك قال: صلى النبى (ص) الصبح قريبا من خيبر بغلس ثم قال: الله أكبر خربت خيبر، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين. فخرجوا يسعون فى السكك فقتل النبى (ص) المقاتلة وسبى الذرية، وكان فى السبى صفية فصارت الى دِحْية الكلبى ثم صارت الى النبى (ص) فجعل عتقها صداقها. ورواه مسلم أيضا من حديث حماد بن زيد وله طرق عن أنس. وقال البخارى: حدثنا آدم عن شعبة عن عبد العزيز ابن صهيب قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سبى النبى (ص) صفية فأعتقها وتزوجها. قال ثابت لأنس ما أصدقها قال أصدقها نفسها فاعتقها تفرد به البخارى من هذا الوجه. وقال البخارى حدثنا عبدالغفار بن داود حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ح. وحدثنا أحمد بن عيسى حدثنا ابن وهب أخبرنى يعقوب بن عبد الرحمن الزهرى عن عمرو مولى المطلب عن أنس بن مالك قال: قدمنا خيبر فلما فتح (ص) الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب وقد قتل زوجها وكانت عروسا فاصطفاها النبى (ص) لنفسه فخرج بها حتى بلغ بها سُدَّ الصهباء حلت فبنى بها رسول الله (ص) ثم صنع حيساً فى نِطَع صغير ثم قال لى: آذن مَن حولكَ فكانت تلك وليمته على صفية. ثم خرجنا الى المدينة فرأيت النبى (ص) يحوّى لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب. تفرد به دون مسلم. وقال البخارى حدثنا سعيد بن أبى مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير أخبرنى حُميد أنه سمع أنساً يقول: أقام رسول الله (ص) بين خيبر والمدينة ثلاث ليال يُبنى عليه بصفية فدعوت المسلمين الى وليمته وما كان فيها من خبز ولحم وما كان فيها الا أن أمر بلالا بالانطاع فبسطت فألقى عليها التمر والاقط والسمن فقال المسلمون احدى أمهات المؤمنين أو

ماملكت يمينه ؟ فقالوا ان حجبها فهي احدى أمهات المؤمنين وان لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه . فلما ارتحل وطأ لها خلفه ومد الحجاب . انفرد به البخاري . وقال أبوداود حدثنا مسدد حدثنا حماد بن زيد عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : صارت صفية لدحية الكلبي ثم صارت لرسول الله (ص) . وقال أبو داود حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال: جمع السبي - يعني بخيبر - فجاء دحية فقال: يارسول الله اعطني جارية من السبي قال: اذهب فخذ جارية. فأخذ صفية بنت حيي فجاء رجل الى رسول الله (ص) فقال يانبي الله أعطيت دحية قال يعقوب صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير ماتصلح الا لك قال ادعوا بها فلما نظر اليها النبي (ص) قال خذ جارية من السبي غيرها وان رسول الله (ص) اعتقها وتزوجها . وأخرجاه من حديث ابن علية . وقال أبو داود حدثنا محمد بن خلاد الباهلي حدثنا بهز بن أسد حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت عن أنس قال وقع في سهم دحية جارية جميلة فاشتراها رسول الله (ص) بسبعة أرؤس ثم دفعها الى أم سلمة تصنعها وتهيئها قال حماد وأحسبه قال وتعتد في بيتها صفية بنت حيي . تفرد به أبوداود

قال ابن اسحاق فلما افتتح رسول الله (ص) القموص حصن بني أبي الحقيق أتى بصفية بنت حيي ابن أخطب وأخرى معها فمر بهما بلال - وهو الذي جاء بهما - على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله (ص) قال: أعزبوا عني هذه الشيطانة . وأمر بصفية فحيزت خلفه وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون أن رسول الله (ص) قد اصطفاها لنفسه . وقال رسول الله (ص) لبلال فيما بلغني حين رأى بتلك اليهودية ما رأى : أنزعت منك الرحمة يابلال حتى تمر بامرأتين على قتلى رجالها . وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق أن قمرا وقع في حجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها فقال : ماهذا الا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً . فلطم وجهها لطمة خضر عينها منها . فأتي بها رسول الله (ص) وبها أثر منه ، فسألها ماهذا ، فأخبرته الخبر . قال ابن اسحاق وأتي رسول الله بكنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فسأله عنه فجحد ان يكون يعلم مكانه . فأتى رسول الله (ص) رجل من اليهود فقال لرسول الله (ص) اني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله (ص) لكنانة أرأيت ان وجدناه عندك أقتلك ؟ قال نعم . فأمر رسول الله (ص) بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله عما بقي فأبى أن يؤديه فأمر به رسول الله (ص) الزبير بن العوام فقال عذبه حتى تستأصل ماعنده . وكان الزبير يقدح بزنده في صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه رسول الله الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة

فصل

قال ابن اسحاق وحاصر رسول الله (ص.) أهل خيبر في حصنيهم الوطيح والسلالم حتى اذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم ففعل ، وكان رسول الله (ص.) قد حاز الاموال كلها الشق والنطاة والكتيبة وجميع حصونهم الا ما كان من ذينك الحصنين ، فلما سمع أهل فَدَك قد صنعوا ماصنعوا بعثوا الى رسول الله (ص.) ان يسيرهم ويحقن دماءهم ويخلوا له الاموال ففعل وكان ممن مشى بين رسول الله (ص.) وبينهم في ذلك مُحيّصة بن مسعود أخو بني حارثة. فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله (ص.) أن يعاملهم في الاموال على النصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم وأعمر لها ، فصالحهم رسول الله (ص.) على النصف على أنا اذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم . وعامل أهل فدك بمثل ذلك

فصل فتح حصونها وقسمة أرضها

قال الواقدي لما تحولت اليهود من حصن ناعم وحصن الصعب بن معاذ الى قلعة الزبير حاصرهم رسول الله (ص.) ثلاثة أيام فجاء رجل من اليهود يقال له عزال فقال يا أبا القاسم تؤمنني على أن أدلك على ماتستريح به من أهل النطاة وتخرج الى أهل الشق فان أهل الشق قد هلكوا رعباً منك قال فأمنه رسول الله على أهله وماله فقال له اليهودي انك لو أقمت شهراً تحاصرهم ما بالوا بك ، ان لهم تحت الارض دبولاً يخرجون بالليل فيشربون منها ثم يرجعون الى قلعتهم . فأمر رسول الله (ص.) بقطع دبولهم فخرجوا فقاتلوا أشد القتال وقتل من المسلمين يومئذ نفر وأصيب من اليهود عشرة وافتتحه رسول الله (ص.) وكان آخر حصون النطاة . وتحول الى الشق وكان به حصون ذوات عدد فكان أول حصن بدأ به منها حصن أبي فقام رسول الله (ص.) على قلعة يقال لها سموان فقاتل عليها أشد القتال فخرج منهم رجل يقال له عزول فدعا الى البراز فبرز اليه الحباب بن المنذر فقطع يده اليمنى من نصف ذراعه ووقع السيف من يده وفر اليهودي راجعاً فاتبعه الحباب فقطع عرقوبه وبرز منهم آخر فقام اليه رجل من المسلمين فقتله اليهودي فنهض اليه أبو دجانة فقتله وأخذ سلبه وأحجموا عن البراز فكبر المسلمون ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه وأمامهم أبو دجانة فوجدوا فيه أثاثا ومتاعا وغنما وطعاماً وهرب من كان فيه من المقاتلة وتقحموا الجزر كأنهم الضباب حتى صاروا الى حصن البزاة بالشق وتمنعوا أشد الامتناع فزحف اليهم رسول الله (ص.) وأصحابه فتراموا ورمى معهم رسول الله (ص.) بيده الكريمة حتى أصاب نبلهم بنانه عليه الصلاة والسلام فأخذ عليه السلام كفاً من الحصا فرمى حصنهم بها فرجف بهم حتى ساخ في الارض وأخذهم المسلمون أخذاً باليد . قال الواقدي :

ثم تحول رسول الله (ص) الى أهل الاخبية والوطيح والسلالم حصنى أبى الحقيق وتحصنوا أشد التحصن وجاء اليهم كل من كان انهزم من النطاة الى الشق فتحصنوا معهم فى القموص و فى الكتيبة وكان حصناً منيعاً وفى الوطيح والسلالم وجعلوا لا يطلعون من حصونهم حتى هم رسول الله (ص) أن ينصب المنجنيق عليهم فلما أيقنوا بالهلكة وقد حصرهم رسول الله (ص) أربعة عشر يوما نزل اليه ابن أبى الحقيق فصالحه على حقن دمائهم و يسيرهم و يخلون بين رسول الله (ص) و بين ما كان لهم من الارض والاموال والصفراء والبيضاء والكراع و الحلقة وعلى البز الا ما كان على ظهر انسان يعنى لباسهم فقال رسول الله (ص) وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله ان كتمتم شيئاً فصالحوه على ذلك

قلت ولهذا لما كتموا وكذبوا وأخفوا ذلك المسك الذى كان فيه أموال جزيلة تبين انه لاعهد لهم فقتل ابنى أبى الحقيق وطائفة من أهله بسبب نقض العهود منهم والمواثيق

و قال الحافظ البيهقى حدثني أبو الحسن على بن محمد المقرى الاسفرايني حدثنا الحسن بن محمد ابن اسحاق حدثنا يوسف بن يعقوب حدثنا عبد الواحد بن غياث حدثنا حماد بن سلمة حدثنا عبيد الله بن عمر فيما يحسب أبو سلمة عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم الى قصرهم فغلب على الأرض و الزرع و النخل فصالحوه على أن يجلوا منها ولهم ما حملت ركابهم ولرسول الله (ص) الصفراء و البيضاء و يخرجون منها واشترط عليهم أن لا يكتموا و لا يغيبوا شيئا فان فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد فغيبوا مسكا فيه مال وحلى لحيي بن أخطب وكان احتمله معه الى خيبر حين أجليت النضير فقال رسول الله (ص) حينئذ: ما فعل مسك حيي الذى جاء به من النضير فقال أذهبته النفقات والحروب فقال العهد قريب و المال أكثر من ذلك فدفعه رسول الله (ص) الى الزبير فمسه بعذاب وقد كان حيي قبل ذلك دخل خربة فقال قد رأيت حيياً يطوف فى خربة هاهنا فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك فى الخربة فقتل رسول الله (ص) ابنى أبى الحقيق وأحدهما زوج صفية بنت حيي بن أخطب وسبى رسول الله (ص) نساءهم وذراريهم وقسم أموالهم بالنكث الذى نكثوا وأراد اجلاءهم منها فقالوا يا محمد دعنا نكون فى هذه الارض نصلحها و نقوم عليها ولم يكن لرسول الله (ص) ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها وكانوا لا يفرغون أن يقوموا عليها فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع ونخيل وشيء مابدا لرسول الله (ص) وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام فيخرصها عليهم ثم يضمنهم الشطر فشكوا الى رسول الله (ص) شدة خرصه وأرادوا أن يرشوه فقال يا أعداء الله تطعمونى السحت والله لقد جئتكم من عند أحب الناس الى ولأنتم أبغض إلى من عدتكم من القردة والخنازير ولا يحملنى بغضى إياكم وحبى إياه على أن لا أعدل عليكم فقالوا بهذا قامت السموات والأرض . قال فرأى رسول الله (ص)

بعين صفية خضرة فقال ياصفية ما هـذه الخضرة فقالت : كان رأسى فى حجر ابن أبى الحقيق وأنا نائمة فرأيت كأن قمراً وقع فى حجرى فأخبرته بذلك فلطمنى وقال تتمنين ملك يثرب . قالت وكان رسول الله (ص.) من أبغض الناس الىّ قتل زوجى وأبى فما زال يعتذر إلى ويقول ان أباك ألّب علىّ العرب وفعل ما فعل حتى ذهب ذلك من نفسى . وكان رسول الله (ص.) يعطى كل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً من تمر كل عام وعشرين وسقاً من شعير فلما كان فى زمان عمر غشوا المسلمين وألقوا ابن عمر من فوق بيت ففدعوا يديه فقال عمر : من كان له سهم بخيبر فليحضر حتى نقسمها فقسمها بينهم . فقال رئيسهم لا تخرجنا دعنا نكون فيها كما أقرنا رسول الله (ص.) وأبو بكر فقال عمر : أتراني سقط على قول رسولَ الله (ص.) كيف بك إذا وقصت بك راحلتك نحو الشام يوماً ثم يوماً ثم يوماً . وقسمها عمر بين من كان شهد خيبر من أهل الحديبية . وقد رواه أبو داود مختصراً من حديث حماد بن سلمة . قال البيهقى وعقله البخارى فى كتابه فقال : ورواه حماد بن سلمة . قلت : ولم أره فى الأطراف فالله أعلم . وقال أبو داود وحدّثني سليمان بن داود المهرى حدثنا ابن وهب أخبرنى أسامة بن زيد الليثى عن نافع عن عبد الله بن عمر قال : لما فتحت خيبر سألت يهود رسول الله (ص.) أن نقرهم على أن يعملوا على النصف مما خرج منها فقال رسول الله (ص.) أقركم فيها على ذلك ما شئنا فكانوا على ذلك وكان التمر يقسم على السهمان من نصف خيبر ويأخذ رسول الله (ص.) الخمس وكان أطعم كل امرأة من أزواجه من الخمس مائة وسق من تمر وعشرين وسقا من شعير . فلما أراد عمر إخراج اليهود أرسل الى أزواج النبى (ص.) فقال لهن: من أحب منكن أن أقسم لها مائة وسق فيكون لهـا أصلها وأرضها وماؤها ومن الزرع مزرعة عشرين وسقاً من شعير فعلنا ومن أحب أن نعزل الذى لها فى الخمس كما هو فعلنا . وقد روى أبو داود من حديث محمد بن اسحاق حدّثني نافع عن عبد الله بن عمر أن عمر قال أيها الناس ان رسول الله (ص.) عامل يهود خيبر على أن يخرجهم اذا شاء فمن كان له مال فليلحق به فانى مخرج يهود . فأخرجهم وقال البخارى حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن جبير بن مطعم أخبره قال مشيت أنا وعثمان بن عفان الى رسول الله (ص.) فقلنا أعطيت بنى المطلب من خمس خيبر وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة منك . فقال : انما بنو هاشم وبنو المطلب شىء واحد. قال جبير بن مطعم ولم يقسم النبى (ص.) لبنى عبد شمس وبنى نوفل شيئا. تفرد به دون مسلم . وفى لفظ أن رسول الله (ص.) قال : ان بنى هاشم وبنى عبد المطلب شىء واحد، انهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا إسلام . قال الشافعى دخلوا معهم فى الشعب وناصروهم فى إسلامهم وجاهليتهم . قلت وقد ذم أبو طالب بنى عبد شمس ونوفلا حيث يقول :

جزى اللهُ عنّا عبدَ شمسٍ ونوفلا عقوبة شرٍّ عاجِلاً غيرَ آجلِ

وقال البخارى حدثنا الحسن بن اسحاق ثنا محمد بن ثابت ثنا زائدة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال : قسم رسول الله (ص) يوم خيبر للفرس سهمين وللراجل سهما . قال فسره نافع فقال : اذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم ، وإن لم يكن معه فرس فله سهم . وقال البخارى حدثنا سعيد بن أبى مريم ثنا محمد بن جعفر أخبرنى زيد عن أبيه أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : أما والذى نفسى بيده لولا أن أترك آخر الناس ببّانا (١) ليس لهم شيء ما فتحت على قرية إلا قسمتها كما قسم النبى (ص) خيبر ، ولكنى أتركها خزانة لهم يقتسمونها . وقد رواه البخارى أيضا من حديث مالك وأبو داود عن احمد بن حنبل عن ابن مهدى عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر به . وهذا السياق يقتضى أن خيبر بكما لها قسمت بين الغانمين . وقد قال أبو داود ثنا ابن السرح أنبأنا ابن وهب أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال : بلغنى أن رسول الله (ص) ، افتتح خيبر عنوة بعد القتال وترك من ترك من أهلها [على الجلاء] بعد القتال ، وبهذا قال الزهرى خمس رسول الله (ص) خيبر ثم قسم سائرها على من شهدها . وفيما قاله الزهرى نظر فان الصحيح أن خيبر جميعها لم تقسم وإنما قسم نصفها بين الناس كما سيأتى بيانه وقد احتج بهذا مالك ومن تابعه على أن الامام مخير فى الأراضى المغنومة إن شاء قسمها وإن شاء أرصدها لمصالح المسلمين وإن شاء قسم بعضها وأرصد بعضها لما ينوبه فى الحاجات والمصالح . قال أبو داود : حدثنا الربيع بن سليمان المؤذن ثنا أسد بن موسى حدثنا يحيى بن زكريا حدثنى سفيان عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار عن سهل بن أبى حثمة قال : قسم رسول الله (ص) خيبر نصفين ، نصفا لنوائبه ، ونصفا بين المسلمين ، قسمها بينهم على ثمانية عشر سهما . تفرد به أبو داود ثم رواه أبو داود من حديث بشير بن يسار مرسلا فعين نصف النوائب الوطيح والكتيبة والسلالم وما حيز معها ، ونصف المسلمين الشق والنطاة وما حيز معها وسهم رسول الله (ص) فيما حيز معهما . وقال أيضاً حدثنا حسين بن على ثنا محمد بن فضيل عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار مولى الأنصار عن رجال من أصحاب رسول الله (ص) أن رسول الله (ص) لما ظهر على خيبر فقسمها على ستة وثلاثين سهما ، جمع كل سهم مائة سهم ، فكان لرسول الله (ص) وللمسلمين النصف من ذلك ، وعزل النصف الثانى لمن نزل به من الوفود والأمور ونوائب الناس . تفرد به أبو داود . قال أبو داود حدثنا محمد بن عيسى ثنا مجمع بن يعقوب بن مجمع بن يزيد الأنصارى سمعت أبى

---

(١) بتشديد الباء الثانية كما فى النهاية والمصباح .

يعقوب بن مجمع يقول عن عمه عبد الرحمن بن يزيد الأنصاري عن عمه مجمع بن حارثة الأنصاري ـ وكان أحد القراء الذين قرءوا القرآن ـ قال قسمت خيبر على أهل الحديبية ، فقسمها رسول الله (ص) على ثمانية عشر سهما ، وكان الجيش الفا وخمسمائة فيهم ثلثمائة فارس ، فأعطى الفارس سهمين وأعطى الراجل سهما تفرد به أبو داود . وقال مالك عن الزهرى أن سعيد بن المسيب أخبره أن النبى (ص) افتتح بعض خيبر عنوة . ورواه أبو داود ثم قال أبو داود : قرئ على الحارث بن مسكين وأنا شاهد أخبركم ابن وهب حدثنى مالك بن أنس عن ابن شهاب أن خيبر بعضها كان عنوة و بعضها صلحا والكتيبة أكثرها عنوة وفيها صلح ، قلت لمالك وما الكتيبة ؟ قال أرض خيبر وهى أربعون الف عذق . قال أبو داود والعذق النخلة . والعذق العرجون . ولهذا قال البخارى حدثنا محمد بن بشار ثنا حرمى ثنا شعبة ثنا عمارة عن عكرمة عن عائشة قالت : لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر . حدثنا الحسن ثنا قرة بن حبيب ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر قال ماشبعنا ـ يعنى من التمر ـ حتى فتحنا خيبر . وقال محمد بن اسحاق ! كانت الشق والنطاة فى سهمان المسلمين الشق ثلاثة عشر سهما ونطاة خمسة أسهم قسم الجميع على الف وثمانمائة سهم ودفع ذلك الي من شهد الحديبية من حضر خيبر ومن غاب عنها ، ولم يغب عن خيبر ممن شهد الحديبية إلا جابر بن عبد الله فضرب له بسهمه ، قال وكان أهل الحديبية الفا وأربعمائة وكان معهم مائتا فرس لكل فرس سهمان فصرف الى كل مائة رجل سهم من ثمانية عشر سهما ، و زيد المائتا فارس أربعمائة سهم لخيولهم . وهكذا رواه البيهقى من طريق سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد عن صالح بن كيسان أنهم كانوا الفا وأربعمائة معها مائتا فرس .

قلت : وضرب رسول الله (ص) معهم بسهم وكان أول سهم من سهمان الشق مع عاصم بن عدى.

قال ابن اسحاق : وكانت الكتيبة خمسا لله تعالى وسهم للنبى (ص) وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وطعمة أزواج النبى (ص) وطعمة أقوام مشوا فى صلح أهل فدك ، منهم محيصة بن مسعود أقطعه رسول الله (ص) ثلاثين وسقا من تمر وثلاثين وسقا من شعير ، قال وكان واديها اللذان قسمت عليه يقال لهما وادى السرير ووادى خاص . ثم ذكر ابن اسحاق تفاصيل الاقطاعات منها فأجاد وأفاد رحمه الله . قال وكان الذى ولى قسمتها وحسابها جبار بن صخر بن أمية ابن خنساء أخو بنى سلمة و زيد بن ثابت رضى الله عنهما .

قلت : وكان الأمير على خرص نخيل خيبر عبد الله بن رواحة فخرصها سنتين ، ثم لما قتل رضى الله عنه كما سيأتى فى يوم مؤتة ولى بعده جبار بن صخر رضى الله عنه وقد قال البخارى حدثنا اسماعيل حدثنى مالك عن عبد المجيد بن سهيل عن سعيد بن المسيب عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة

أن رسول الله (ص) استعمل رجلا على خيبر فجاء بتمر جنيب ، فقال رسول الله (ص) « أ كل تمر خيبر هكذا ؟ » قال لا والله يارسول الله إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين والصاعين بالثلاثة . فقال « لا تفعل بع الجمع بالدراهم ثم ابتع بالدراهم جنيبا » . قال البخارى وقال الدراوردى عن عبد المجيد عن سعيد بن المسيب أن أبا سعيد وأبا هريرة حدثاه أن رسول الله (ص) بعث أخا بنى عدى من الأنصار الى خيبر وأمره عليها ، وعن عبد المجيد عن أبى صالح السمان عن أبى سعيد وأبى هريرة مثله .

قلت : كان سهم النبى (ص) الذى أصاب مع المسلمين مما قسم بخيبر وفدك بكمالها وهى طائفة كبيرة من أرض خيبر نزلوا من شدة رعبهم منه صلوات الله وسلامه عليه فصالحوه ، وأموال بنى النضير المتقدم ذكرها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت هذه الأموال لرسول الله (ص) خاصة وكان يعزل منها نفقة أهله لسنة ثم يجعل مابقى مجعل مال الله يصرفه فى الكراع والسلاح ومصالح المسلمين ، فلما مات صلوات الله وسلامه عليه اعتقدت فاطمة وأزواج النبى (ص) - أو أكثرهن - أن هذه الأراضى تكون موروثة عنه ولم يبلغهن ما ثبت عنه من قوله (ص) « نحن معشر الأنبياء لانورث ، ماتركناه فهو صدقة » ولما طلبت فاطمة وأزواج النبى (ص) والعباس نصيبهم من ذلك وسألوا الصديق أن يسلمه اليهم ، وذكر لهم قول رسول الله (ص) « لانورث ماتركنا صدقة » وقال : أنا أعول من كان يعول رسول الله (ص) والله لقرابة رسول الله (ص) أحب الى أن أصل من قرابتى ، وصدق رضى الله عنه وأرضاه فانه البار الراشد فى ذلك التابع للحق ، وطلب العباس وعلى على لسان فاطمة إذ قد فاتهم الميراث أن ينظرا فى هذه الصدقة وأن يصرفا ذلك فى المصارف التى كان النبى (ص) يصرفها فيها ، فأبى عليهم الصديق ذلك ورأى أن حقا عليه أن يقوم فيما كان يقوم فيه رسول الله (ص) وأن لايخرج من مسلكه ولا عن سننه . فتغضبت فاطمة رضى الله عنها عليه فى ذلك ووجدت فى نفسها بعض الموجدة ولم يكن لها ذلك . والصديق من قد عرفت هى والمسلمون محله ومنزلته من رسول الله (ص) وقيامه فى نصرة النبى (ص) فى حياته وبعد وفاته فجزاه الله عن نبيه وعن الاسلام وأهله خيراً ، وتوفيت فاطمة رضى الله عنها بعد ستة أشهر ثم جدد على البيعة بعد ذلك ، فلما كان أيام عمر بن الخطاب سألوه أن يفوض أمر هذه الصدقة الى على والعباس وثقلوا عليه بجماعة من سادات الصحابة ففعل عمر رضى الله عنه ذلك وذلك لكثرة اشغاله واتساع مملكته وامتداد رعيته ، فتغلب على على عمه العباس فيها ثم تساوقا يختصمان الى عمر وقدما بين أيديهما جماعة من الصحابة وسألا منه أن يقسمها بينهما فينظر كل منهما فيما لاينظر فيه الآخر . فامتنع عمر من ذلك أشد الامتناع وخشى أن تكون هذه القسمة تشبه قسمة المواريث وقال انظرا فيها وأنتما جميع فان عجزتما عنها فادفعاها الى ، والذى تقوم السماء والأرض بأمره لا أقضى فيها قضاء غير هذا . فاستمرا فيها ومن

بعدهما الى ولدهما الى أيام بنى العباس تصرف فى المصارف التى كان رسول الله (ص) يصرفها فيها: أموال بنى النضير وفدك وسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر .

فصل

وأما من شهد خيبر من العبيد والنساء فرضخ [1] لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من الغنيمة ولم يسهم لهم . قال أبو داود حدثنا احمد بن حنبل ثنا بشر بن المفضل عن محمد بن زيد حدثنى عمير مولى آبى اللحم قال : شهدت خيبر مع سادتى فكلموا فىّ رسول الله (ص) فأمر بى فقلدت سيفا ، فاذا أنا أجره ، فأخبر أنى مملوك فأمر لى بشئ من طريق المتاع . ورواه الترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة عن بشر بن المفضل به [وقال الترمذى حسن صحيح . ورواه ابن ماجه عن على بن محمد عن وكيع عن هشام بن سعد] عن محمد بن زيد بن المهاجر عن منقذ عن عمير به .

وقال محمد بن اسحاق : وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء فرضخ لهن [من الفئ] ولم يضرب لهن بسهم حدثنى سليمان بن سحيم عن أمية بنت أبى الصلت عن امرأة من بنى غفار قد سماها لى قالت أتيت رسول الله (ص) فى نسوة من بنى غفار ، فقلنا يارسول الله قد أردنا أن نخرج معك الى وجهك هذا - وهو يسير الى خيبر - فنداوى الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال « على بركة الله » قالت فخرجنا معه ، قالت وكنت جارية حدثة السن فأردفنى رسول الله (ص) على حقيبة رحله ، [قالت فوالله لنزل رسول الله (ص) الى الصبح ونزلت عن حقيبة رحله ، قالت] واذا بها دم منى وكانت أول حيضة حضتها ، قالت فتقبضت الى الناقة واستحييت . فلما رأى رسول الله (ص) مابى ورأى الدم قال « مالك ؟ لعلك نفست » قالت قلت نعم ، قال « فاصلحى من نفسك ثم خذى إناء من ماء فاطرحى فيه ملحا ثم اغسلى ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودى لمركبك » قالت فلما فتح الله خيبر رضخ لنا من الفئ ، وأخذ هذه القلادة التى ترين فى عنقى فأعطانيها وعلقها بيده فى عنقى فوالله لاتفارقنى أبداً . وكانت فى عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها ، قالت وكانت لا تطهر من حيضها إلا جعلت فى طهورها ملحا وأوصت به أن يجعل فى غسلها حين ماتت . وهكذا رواه الامام احمد وأبو داود من حديث محمد بن اسحاق به . قال شيخنا أبو الحجاج المزى فى أطرافه ورواه الواقدى عن أبى بكر بن أبى سبرة عن سليمان بن سحيم عن أم على بنت أبى الحكم عن أمية بنت أبى الصلت [2] عن النبى (ص) به . وقال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى ثنا رافع بن سلمة

---

(١) قال السهيلى : أصل الرضخ (بالمعجمة) أن تكسر من الشئ الرطب كسرة فتعطيها وأما الرضح بالحاء المهملة فكسر اليابس (٢) وفى الاصابة : أن اسمها أمة أو أمامة أو أمينة أو أمية وقال فى موضع أميمة بنت قيس بن أبى الصلت .

الأشجعي حدثني حشرج بن زياد عن جدته أم أبيه قالت : خرجنا مع رسول الله (ص) في غزاة خيبر وأنا سادسة ست نسوة ، قالت فبلغ النبي (ص) أن معه نساء ، قالت فأرسل الينا فدعانا . قالت فرأينا في وجهه الغضب فقال « ما أخرجكن وبأمر من خرجتن ؟ » قلنا خرجنا نناول السهام ونسقي السويق ومعنا دواء للجرحى ونغزل الشعر فنعين به في سبيل الله قال قمن فانصرفن ، قالت فلما فتح الله عليه خيبر أخرج لنا سهاما كسهام الرجال ، فقلت لها ياجدة وما الذي أخرج لكن ؟ قالت تمرا .

قلت : إنما أعطاهن من الحاصل ، فأما أنه أسهم لهن في الأرض كسهام الرجال فلا ! والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقي وفي كتابي عن أبي عبدالله الحافظ أن عبدالله الأصبهاني أخبره حدثنا الحسين ابن الجهم ثنا الحسين بن الفرج ثنا الواقدي حدثني عبد السلام بن موسى بن جبير عن أبيه عن جده عن عبد الله بن أنيس قال : خرجت مع رسول الله (ص) الى خيبر ومعي زوجتي وهي حبلى فنفست في الطريق ، فأخبرت رسول الله (ص) فقال لي « انقع لها تمراً فاذا انغمر فأمر به لتشربه » ففعلت فما رأت شيئا تكرهه ، فلما فتحنا خيبر أجدى النساء ولم يسهم لهن ، فأجدى زوجتي وولدي الذي ولد . قال عبد السلام : لست أدري غلام أو جارية .

ذكر قدوم جعفر بن ابي طالب ومسلمو الحبشة المهاجرون

قال البخاري : حدثنا محمد بن العلاء ثنا أبو اسامة ثنا يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبي بردة عن أبي موسى قال : بلغنا مخرج النبي (ص) ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين اليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم أحدهم أبو بردة والآخر أبو رهم ، إما قال في بضع وإما قال في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلا من قومي ، فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا الى النجاشي بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً ، فوافقنا النبي (ص) حين افتتح خيبر ، فكان أناس من الناس يقولون لنا ـ يعني لأهل السفينة ـ سبقناكم بالهجرة ، ودخلت أسماء بنت عميس ـ وهي ممن قدم معنا ـ على حفصة زوج النبي (ص) زائرة ، وقد كانت هاجرت الى النجاشي فيمن هاجر ، فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها فقال حين رأى أسماء : من هذه ؟ قالت أسماء ابنة عميس ، قال عمر الحبشية هذه ؟ البحرية هذه ؟ قالت أسماء نعم ! قال سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله (ص) منكم ، فغضبت وقالت : كلا والله كنتم مع رسول الله (ص) يطعم جائعكم ، ويعظ جاهلكم ، وكنا في دار ـ أوفي أرض ـ البعداء والبغضاء بالحبشة ، وذلك في الله وفي رسول الله (ص) ، وأيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شرابا حتى أذكر ما قلت للنبي (ص) وأسأله ، ووالله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه ، فلما جاء النبي (ص) قالت : يانبي الله إن عمر قال كذا وكذا قالت قال « فما قلت

له ؟ » قالت قلت كذا وكذا ، قال « ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة . ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان » قالت فلقد رأيت أبا موسى وأهل السفينة يأتوني أرسالا يسألوني عن هذا الحديث ، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي (ص) قال أبو بردة قالت أسماء : فلقد رأيت أبا موسى وأنه ليستعيد هذا الحديث مني . وقال أبو بردة عن أبي موسى قال النبي (ص) « إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار ، ومنهم حكيم بن حزام اذا لقي العدو - أو قال الخيل - قال لهم إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم » . وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب وعبد الله بن براد عن أبي أسامة به . ثم قال البخاري قال حدثنا اسحاق بن ابراهيم ثنا حفص بن غياث ثنا يزيد بن [عبد الله بن] أبي بردة عن أبي موسى قال : قدمنا على النبي (ص) بعد أن افتتح خيبر فقسم لنا ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا . تفرد به البخاري دون مسلم . ورواه أبو داود والترمذي وصححه من حديث بريد به . وقد ذكر محمد بن اسحاق أن رسول الله (ص) بعث عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي يطلب منه من بقي من أصحابه بالحبشة ، فقدموا صحبة جعفر وقد فتح النبي (ص) خيبر . قال وقد ذكر سفيان بن عيينة عن الأجلح عن الشعبي أن جعفر بن أبي طالب قدم على رسول الله (ص) يوم فتح خيبر فقبل رسول الله (ص) بين عينيه والتزمه وقال « ما أدري بأيهما أنا أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر » . وهكذا رواه سفيان الثوري عن الأجلح عن الشعبي مرسلا وأسند البيهقي من طريق حسن من حسين العرزمي عن الأجلح عن الشعبي عن جابر قال : لما قدم رسول الله (ص) من خيبر قدم جعفر من الحبشة ، فتلقاه وقبل جبهته وقال « والله ما أدري بأيهما أفرح ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر » ثم قال البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ ثنا الحسين بن أبي اسماعيل العلوي ثنا احمد بن محمد البيروتي ثنا محمد بن احمد بن أبي طيبة حدثني مكي بن ابراهيم الرعيني ثنا سفيان الثوري عن أبي الزبير عن جابر قال : لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة تلقاه رسول الله (ص) ، فلما نظر جعفر اليه حجل - قال مكي يعني مشى على رجل واحدة - إعظاما لرسول الله (ص) ، فقبل رسول الله (ص) بين عينيه . ثم قال البيهقي : في إسناده من لا يعرف الى الثوري .

قال ابن اسحاق : وكان الذين تأخروا مع جعفر من أهل مكة الى أن قدموا معه خيبر ستة عشر رجلا ، وسرد أسماءهم وأسماء نسائهم وهم ؛ جعفر بن أبي طالب الهاشمي ، وامرأته أسماء بنت عميس ، وابنه عبد الله ولد بالحبشة ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وامرأته أمينة (١)

(١) كذا في ابن هشام وفي الاصابة : أميمة بنت خلف بن أسعد الخ وقال يقال أمينة وهمينة .

بنت خلف بن أسعد ، وولداه سعيد ، وأمة بنت خالد ولدا بأرض الحبشة ، وأخوه عمرو بن سعيد ابن العاص ، ومعيقيب بن أبي فاطمة وكان الى آل سعيد بن العاص ، قال وأبو موسى الأشعرى عبدالله ابن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة ، وأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد الأسدى ، وجهم بن قيس ابن عبد شرحبيل العبدرى ، وقد ماتت امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بأرض الحبشة ، وابنا عمرو ، وابنته خزيمة ماتا بها رحمهم الله ، وعامر بن أبي وقاص الزهرى ، وعتبة بن مسعود حليف لهم من هذيل ، والحارث بن خالد بن صخر التيمى ، وقد هلكت بها امرأته ريطة بنت الحارث رحمها الله ، وعثمان بن ربيعة بن أهبان الجمحى ، ومحمية بن جزء الزبيدى حليف بنى سهم ، ومعمر بن عبد الله بن نضلة العدوى ، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس العامريان ، ومع مالك هذا امرأته عمرة بنت السعدى ، والحارث بن عبد شمس بن لقيط الفهرى .

قلت : ولم يذكر ابن اسحاق أسماء الأشعريين الذين كانوا مع أبي موسى الأشعرى وأخويه أبا بردة وأبا رهم وعمه أبا عامر ، بل لم يذكر من الأشعريين غير أبي موسى ولم يتعرض لذكر أخويه وهما أسن منه كما تقدم فى صحيح البخارى . وكأن ابن اسحاق رحمه الله لم يطلع على حديث أبي موسى فى ذلك والله أعلم قال وقد كان معهم فى السفينتين نساء من نساء من هلك من المسلمين هنالك وقد حرر هاهنا شيئا كثيراً حسنا . قال البخارى حدثنا على بن عبد الله ثنا سفيان سمعت الزهرى وسأله اسماعيل بن أمية قال أخبرنى عنبسة بن سعيد أن أبا هريرة أتى رسول الله (ص) وسأله - يعنى أن يقسم له - فقال بعض بنى سعيد بن العاص لا تعطه ، فقال أبو هريرة هذا قاتل ابن قوقل فقال : وا عجبا لوبر تدلّى من قدوم الضأل . تفرد به دون مسلم . قال البخارى ويذكر عن الزبيدى عن الزهرى أخبرنى عنبسة بن سعيد أنه سمع أبا هريرة يخبر سعيدبن العاص قال : بعث رسول الله (ص) أبانا على سرية من المدينة قبل نجد ، قال أبو هريرة فقدم أبان وأصحابه على النبى (ص) بخيبر بعد ما افتتحها ، وأن حزم خيلهم لليف . قال أبو هريرة فقلت يارسول الله لاتقسم لهم ، فقال أبان وأنت بهذا ياوبر تحدر من رأس ضأل . وقال النبى (ص) « يا أبان اجلس » ولم يقسم لهم ، وقد أسند أبو داود هذا الحديث عن سعيد بن منصور عن اسماعيل بن عياش عن محمد بن الوليد الزبيدى به نحو ثم قال البخارى حدثنا موسى بن اسماعيل ثنا عمرو بن يحيى بن سعيد أخبرنى جدى وهو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص أن أبان بن سعيد أقبل الى النبى (ص) فسلم عليه ، فقال أبو هريرة يارسول الله هذا قاتل ابن قوقل ، فقال أبان لأبى هريرة : وا عجبا لك ياوبر تردى من قدوم ضأل تنعى على امرءاً أكرمه الله بيدى ، ومنعه أن يهينني بيده ؟ هكذا رواه منفرداً به هاهنا وقال فى الجهاد بعد

حديث الحميدى عن سفيان عن الزهرى عن عنبسة بن سعيد عن أبى هريرة قال : أتيت رسول الله (ص.) وهو بخيبر بعد ما افتتحها ، فقلت يارسول الله أسهم لى ، فقال بعض آل سعيد بن العاص : لا تقسم له ، فقلت يارسول الله هـذا قاتل ابن قوقل الحديث . قال سفيان حدثنيه السعيدى ـ يعنى عمرو بن يحيى بن سعيد ـ عن جده عن أبى هريرة بهذا . ففى هذا الحديث التصريح من أبى هريرة بأنه لم يشهد خيبر وتقدم فى أول هذه الغزوة . رواه الامام احمد من طريق عراك بن مالك عن أبى هريرة وأنه قدم على رسول الله (ص.) بعد ما افتتح خيبر فكلم المسلمين فأشركونا فى أسهامهم . قال الامام احمد حدثنا روح ثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عمار بن أبى عمار قال : ماشهدت مع رسول الله (ص.) مغنما قط إلا قسم لى ، إلا خيبر فانها كانت لأهل الحديبية خاصة .

قلت : وكان أبو هريرة وأبو موسى جاآبين الحديبية وخيبر . وقد قال البخارى حدثنا عبد الله ابن محمد ثنا معاوية بن عمرو ثنا أبو اسحاق عن مالك بن أنس حدثنى ثور حدثنى سالم مولى [عبد الله] بن مطيع أنه سمع أبا هريرة يقول : افتتحنا خيبر فلم نغنم ذهباً ولا فضة ، إنما غنمنا الابل والبقر والمتاع والحوائط ، ثم انصرفنا مع رسول الله (ص.) الى وادى القرى ومعه عبد له يقال له مدعم أهداه له بعض بنى الضبيب فبينما هو يحط رحل رسول الله (ص.) إذ جاءه سهم عائر حتى أصاب ذلك العبد . فقال الناس هنيئا له الشهادة فقال رسول الله (ص.) « كلا والذى نفسى بيده إن الشملة التى أصابها يوم خيبر لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » فجاء رجل حين سمع ذلك من رسول الله (ص.) بشراك أو شراكين فقال : هذا شئ كنت أصبته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شراك أو شراكين من نار » .

قصة الشاة المسمومة والبرهان الذي ظهر

قال البخارى : رواه عروة عن عائشة عن النبى (ص.). ثم قال حدثنا عبد الله بن يوسف ثنا الليث حدثنى سعيد عن أبى هريرة قال : لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله (ص.) شاة فيها سم هكذا أورده هاهنا مختصراً . وقد قال الامام احمد حدثنا حجاج ثنا ليث عن سعيد بن أبى سعيد عن أبى هريرة قال : لما فتحت خيبر أهديت للنبى (ص.) شاة فيها سم ، فقال رسول الله (ص.) « اجمعوا لى من كان هاهنا من يهود » فجمعوا له فقال النبى (ص.) « إنى سائلكم عن شئ فهل أنتم صادقى عنه ؟ » قالوا نعم يا أبا القاسم ، فقال لهم رسول الله (ص.) « من أبوكم ؟ » قالوا أبونا فلان ، فقال رسول الله (ص.) « كذبتم بل أبوكم فلان » قالوا صدقت وبررت فقال « هل أنتم صادقى عن شئ اذا سألتكم عنه ؟ » قالوا نعم يا أبا القاسم و إن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته فى أبينا ، فقال رسول الله (ص.) « من أهل النار ؟ » فقالوا نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها ، فقال لهم رسول الله (ص.) « والله لا نخلفكم فيها

آبداً » ثم قال لهم « هل أنتم صادق عن شئ إذا سألتكم ؟ » فقالوا نعم يا أبا القاسم ، فقال « هل جعلتم فى هذه الشاة سما » فقالوا نعم ! قال « ماحملكم على ذلك ؟ » قالوا أردنا إن كنت كاذبا أن نستريح منك و إن كنت نبيا لم يضرك . وقد رواه البخارى فى الجزية عن عبد الله بن يوسف ، وفى المغازى أيضاً عن قتيبة كلاهما عن الليث به . وقال البيهقى أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو العباس الأصم حدثنا سعيد بن سليمان ثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الزهرى عن سعيد بن المسيب وأبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة أن امرأة من يهود أهدت لرسول الله (ص) شاة مسمومة فقال لأصحابه « أمسكوا فانها مسمومة » وقال لها « ماحملك على ماصنعت ؟ » قالت أردت أن أعلم إن كنت نبياً فسيطلعك الله عليه ، و إن كنت كاذبا أريح الناس منك . قال فما عرض لها رسول الله (ص) . رواه أبو داود عن هارون بن عبد الله عن سعيد بن سليمان به . ثم روى البيهقى عن طريق عبد الملك بن أبى نضرة عن أبيه عن جابر بن عبد الله نحو ذلك . وقال الامام احمد حدثنا شريح ثنا عباد عن هلال ـ هو ابن خباب ـ عن عكرمة عن ابن عباس أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله (ص) شاة مسمومة، فأرسل اليها فقال « ماحملك على ماصنعت ؟ » قالت أحببت ـ أو أردت ـ إن كنت نبياً فان الله سيطلعك عليه ، وإن لم تكن نبياً أريح الناس منك . قال فكان رسول الله (ص) اذا وجد من ذلك شيئا احتجم ، قال فسافر مرة فلما أحرم وجد من ذلك شيئا فاحتجم . تفرد به احمد واسناده حسن . وفى الصحيحين من حديث شعبة عن هشام ابن زيد عن أنس بن مالك أن امرأة يهودية أتت رسول الله (ص) بشاة مسمومة فأكل منها ، فجئ بها الى رسول الله (ص) فسألها عن ذلك ؟ قالت أردت لأقتلك ، فقال « ما كان الله ليسلطك على » أو قال « على ذلك » قالوا ألا تقتلها قال « لا » قال أنس فما زلت أعرفها فى لهوات رسول الله (ص) . وقال أبو داود حدثنا سليمان بن داود المهرى ثنا ابن وهب أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال : كان جابر بن عبدالله يحدث أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية[1] ثم أهدتها لرسول الله (ص) ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فأكل منها وأكل رهط من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله (ص) « ارفعوا أيديكم » وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المرأة فدعاها فقال لها « أسممت هذه الشاة ؟ » قالت اليهودية من أخبرك ؟ قال « أخبرتنى هذه التى فى يدى » وهى الذراع ، قالت [نعم] قال « فما أردت بذلك ؟ » قالت قلت إن كنت نبيا فلن تضرك ، وإن لم تكن نبيا استرحنا منك . فعفا عنها رسول الله (ص) ولم يعاقبها ، وتوفى بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة واحتجم النبى (ص) على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة حجمه أبو هند بالقرن والشفرة

(١) صلى اللحم يصليه صليا شواه فى النار كأصلاه وصلاه . عن القاموس .

وهو مولى لبنى بياضة من الأنصار . ثم قال أبو داود حدثنا وهب بن بقية ثنا خالد عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة أن رسول الله (ص.) أهدت له يهودية بخيبر شاة مصلية نحو حديث جابر، قال فمات بشر ابن البراء بن معرور، فأرسل الى اليهودية فقال « ماحملك على الذى صنعت ؟ » فذكر نحو حديث جابر، فأمر رسول الله (ص.) فقتلت ولم يذكر أمر الحجامة . قال البيهقى وروينا من حديث حماد ابن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة . قال : ويحتمل أنه لم يقتلها فى الابتداء، ثم لما مات بشر بن البراء أمر بقتلها . وروى البيهقى من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن امرأة يهودية أهدت الى رسول الله (ص.) شاة مصلية بخيبر فقال « ماهذه ؟ » قالت هدية، وحذرت أن تقول صدقة فلا يأكل، قال فأكل وأصحابه ثم قال « امسكوا » ثم قال للمرأة « هل سممت ؟ » قالت من أخبرك هذا ؟ قال « هذا العظم » لساقها وهو فى يده، قالت نعم قال « لم ؟ » قالت أردت إن كنت كاذبا أن نستريح منك، وإن كنت نبيا لم يضرك . قال فاحتجم رسول الله (ص.) على الكاهل وأمر أصحابه فاحتجموا . ومات بعضهم . قال الزهرى فأسلمت فتركها النبى (ص.) . قال البيهقى هذا مرسل ولعله قد يكون عبد الرحمن حمله عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه . وذكر ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة وكذلك موسى بن عقبة عن الزهرى قالوا : لما فتح رسول الله (ص.) خيبر وقتل منهم من قتل، أهدت زينب بنت الحارث اليهودية وهى ابنة أخى مرحب لصفية شاة مصلية وسمتها، وأكثرت فى الكتف والذراع لأنه بلغها أنه أحب أعضاء الشاة الى رسول الله (ص.)، فدخل رسول الله (ص.) على صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور وهو أحد بنى سلمة، فقدمت اليهم الشاة المصلية فتناول رسول الله (ص.) الكتف وانتهش منها، وتناول بشر عظما فانتهش منه، فلما استرط رسول الله (ص.) لقمته استرط بشر بن البراء مافى فيه، فقال رسول الله (ص.) « ارفعوا أيديكم فان كتف هذه الشاة يخبرنى أنى نعيت [1] فيها » فقال بشر بن البراء والذى أكرمك لقد وجدت ذلك فى أكلتى التى أكلت فما منعنى أن ألفظها الا أنى أعظمتك أن أبغضك طعامك، فلما أسغت مافى فيك لم أرغب بنفسى عن نفسك ورجوت أن لاتكون استرطتها وفيها نعى فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطيلسان وماطله وجعه حتى كان لايتحول حتى يحول . قال الزهرى قال جابر واحتجم رسول الله (ص.) يومئذ حجمه مولى بنى بياضة بالقرن والشفرة وبقى رسول الله (ص.) بعده ثلاث سنين حتى كان وجعه الذى توفى فيه فقال « مازلت أجد من الأكلة التى أكلت من الشاة يوم خيبر عداداً حتى كان هذا أوان انقطاع أبهرى » فتوفى رسول الله (ص.) شهيداً .

(١) نعاه له نعيا ونعيّا أخبره بموته والنعى الناعى .

وقال محمد بن اسحاق : فلما اطمأن رسول الله (ص.) أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام ابن مشكم شاة مصلية ، وقد سألت أى عضو أحب الى رسول الله (ص.) ؟ فقيل لها الذراع فأكثرت فيها من السم ، ثم سمت سائر الشاة ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله (ص.) ، فأما بشر فأساغها وأما رسول الله (ص.) فلفظها ثم قال « إن هذا العظم يخبرنى أنه مسموم » ثم دعا بها فاعترفت ، فقال « ماحملك على ذلك ؟ » قالت بلغت من قومى مالم يخف عليك ، فقلت إن كان كذابا استرحت منه ، وإن كان نبياً فسيخبر . قال فتجاوز عنها رسول الله (ص.) ، ومات بشر من أكلته التى أكل .

قال ابن اسحاق وحدثنى مروان بن عثمان بن أبى سعيد بن المعلى قال : كان رسول الله (ص.) قد قال فى مرضه الذى توفى فيه ـ ودخلت عليه أخت بشر بن البراء بن معرور ـ « يا أم بشر إن هذا الأوان وجدت انقطاع أبهرى من الأكلة التى أكلت مع أخيك بخيبر » . قال ابن هشام : الأبهر العرق المعلق بالقلب . قال فان كان المسلمون ليرون أن رسول الله (ص.) مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا هلال بن بشر وسليمان بن يوسف الحرانى قالا ثنا أبو غياث سهل بن حماد ثنا عبد الملك بن أبى نضرة عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى أن يهودية أهدت الى رسول الله (ص.) شاة سميطا ، فلما بسط القوم أيديهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمسكوا فان عضوا من أعضائها يخبرنى أنها مسمومة » فأرسل الى صاحبتها « أسممت طعامك ؟ » قالت نعم قال « ماحملك على ذلك ؟ » قالت إن كنت كذابا أن أريح الناس منك ، وإن كنت صادقا علمت أن الله سيطلعك عليه . فبسط يده وقال « كلوا بسم الله » قال فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر أحداً منا . ثم قال لا يروى عن عبد الملك بن أبى نضرة إلا من هذا الوجه .

قلت : وفيه نكارة وغرابة شديدة والله أعلم . وذكر الواقدى أن عيينة بن حصن قبل أن يسلم رأى فى منامه رؤيا ورسول الله (ص.) محاصر خيبر فطمع من رؤياه أن يقاتل رسول الله (ص.) فيظفر به ، فلما قدم على رسول الله (ص.) خيبر وجده قد افتتحها ، فقال : يا محمد اعطنى ماغنمت من حلفائى ـ يعنى أهل خيبر ـ فقال له رسول الله (ص.) « كذبت رؤياك » وأخبره بما رأى ، فرجع عيينة فلقيه الحارث بن عوف فقال : ألم أقل إنك توضع فى غير شئ ، والله ليظهرن محمد على مابين المشرق والمغرب ، وإن يهود كانوا يخبروننا بهذا ، أشهد لسمعت أبا رافع سلام بن أبى الحقيق يقول : إنا لنحسد محمداً على النبوة حيث خرجت من بنى هارون ، إنه لمرسل ، ويهود لا تطاوعنى على هذا . ولنا

منه ذبحان ؛ واحد بيثرب وآخر بخيبر . قال الحارث : قلت لسلام يملك الأرض ؟ قال نعم والتوراة التي أنزلت على موسى وما أحب أن تعلم يهود بقولي فيه .

فصل

قال ابن اسحاق : فلما فرغ رسول الله (ص) من خيبر انصرف الى وادى القرى فحاصر أهلها ليال ثم انصرف راجعا الى المدينة . ثم ذكر من قصة مدعم وكيف جاءه سهم غارب فقتله ، وقال الناس هنيئا له الشهادة فقال رسول الله (ص) « كلا والذى نفسى بيده إن الشملة التى أخذها يوم خيبر لم يصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » . وقد تقدم فى صحيح البخارى نحو ماذكره ابن اسحاق والله أعلم . وسيأتى ذكر قتاله عليه السلام بوادى القرى . قال الامام احمد : حدثنا يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حبان عن أبى عمرة عن زيد بن خالد الجهنى أن رجلا من أشجع من أصحاب رسول الله (ص) توفى يوم خيبر ، فذكر ذلك للنبى (ص) فقال « صلوا على صاحبكم » فتغير وجوه الناس من ذلك ، فقال « إن صاحبكم غل فى سبيل الله » ففتشنا متاعه فوجدنا خرزاً من خرز يهود مايساوى درهمين وهكذا رواه أبوداود والنسائى من حديث يحيى بن سعيد القطان . ورواه أبوداود ، بشر بن المفضل وابن ماجه من حديث الليث بن سعد ثلاثتهم عن يحيى بن سعيد الأنصارى به وقد ذكر البيهقى أن بنى فزارة أرادوا أن يقاتلوا رسول الله (ص) مرجعه من خيبر وتجمعوا لذلك فبعث اليهم يواعدهم موضعاً معيناً فلما تحققوا ذلك هربوا كل مهرب ؛ وذهبوا من طريقه كل مذهب وتقدم أن رسول الله (ص) لما حلت صفية من استبرائها دخل بها بمكان يقال له سد الصهباء فى أثناء طريقه الى المدينة ، وأولم عليها بحيس ، وأقام ثلاثة أيام يبنى عليه بها ، وأسلمت فأعتقها وتزوجها وجعل عتاقها صداقها ، وكانت إحدى أمهات المؤمنين كما فهمه الصحابة لما مد عليها الحجاب وهو مردفها وراءه رضى الله عنها . وذكر محمد بن اسحاق فى السيرة قال : لما أعرس رسول الله (ص) بصفية بخيبر ـ أو ببعض الطريق ـ وكانت التى جملتها الى رسول الله (ص) ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك ، وبات بها رسول الله (ص) فى قبة له وبات أبو أيوب متوشحاً بسيفه يحرس رسول الله (ص) ويطيف بالقبة حتى أصبح ، فلما رأى رسول الله (ص) مكانه قال « مالك يا أبا أيوب ؟ » قال خفت عليك من هذه المرأة وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر نخفتها عليك ، فزعموا أن رسول الله (ص) قال « اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى » . ثم قال حدثنى الزهرى عن سعيد بن المسيب فذكر نومهم عن صلاة الصبح مرجعهم من خيبر وأن رسول الله (ص) كان أولهم استيقاظا فقال « ماذا صنعت بنا يابلال ؟ » قال

يارسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك ، قال « صدقت » ثم اقتاد ناقته غير كثير ثم نزل فتوضأ وصلى كما كان يصليها قبل ذلك . وهكذا رواه مالك عن الزهري عن سعيد مرسلا وهذا مرسل من هذا الوجه . وقد قال أبو داود حدثنا احمد بن صالح ثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) حين قفل من غزوة خيبر ، فسار ليلة حتى اذا أدركنا الكرى عرس وقال لبلال « اكلأ لنا الليل » قال فغلبت بلالا عيناه وهو مستند الى راحلته فلم يستيقظ النبي (ص) ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس ، فكان رسول الله (ص) أولهم استيقاظا ففزع رسول الله (ص) وقال « يابلال » قال أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك بأبي أنت وأمي يارسول الله ، قال فاقتادوا رواحلهم شيئا ثم توضأ رسول الله (ص) فأمر بلالا فأقام الصلاة وصلى لهم الصبح ، فلما أن قضى الصلاة قال «من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها فان الله تعالى يقول « وأقم الصلاة لذكرى » قال يونس وكان ابن شهاب يقرأها كذلك . وهكذا رواه مسلم عن حرملة بن يحيى عن عبد الله بن وهب به وفيه أن ذلك كان مرجعهم من خيبر . وفي حديث شعبة عن جامع بن شداد عن عبد الرحمن بن أبي علقمة عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من الحديبية ، ففي رواية عنه أن بلالا هو الذي كان يكلؤهم ، وفي رواية عنه أنه هو الذي كان يكلؤهم . قال الحافظ البيهقي : فيحتمل أن ذلك كان مرتين . قال وفي حديث عمران بن حصين وأبي قتادة نومهم عن الصلاة وفيه حديث الميضاة فيحتمل أن ذلك إحدى هاتين المرتين أو مرة ثالثة . قال وذكر الواقدي في حديث أبي قتادة أن ذلك كان مرجعهم من غزوة تبوك . قال وروى زافر بن سليمان عن شعبة عن جامع بن شداد عن عبد الرحمن عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من تبوك فالله أعلم . ثم أورد البيهقي مارواه صاحب الصحيح من قصة عوف الاعرابي عن أبي رجاء عن عمران بن حصين في قصة نومهم عن الصلاة وقصة المرأة صاحبة السطيحتين وكيف أخذوا منهما ماء روى الجيش بكماله ولم ينقص ذلك منهما شيئا . ثم ذكر مارواه مسلم من حديث ثابت البناني عن عبد الله بن رباح عن أبي قتادة وهو حديث طويل وفيه نومهم عن الصلاة وتكثير الماء من تلك الميضاة . وقد رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة . وقال البخاري حدثنا موسى بن اسماعيل ثنا عبد الواحد عن عاصم عن أبي عثمان عن أبي موسى الأشعري قال : لما غزا رسول الله (ص) خيبراً ، وقال لما توجه رسول الله (ص) الى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر لا إله إلا الله ، فقال رسول الله (ص) « أربعوا على أنفسكم إنكم لاتدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم » وأنا خلف دابة رسول الله (ص) فسمعني وأنا أقول لاحول ولا قوة إلا بالله ، فقال « ياعبد الله بن قيس » قلت لبيك يارسول الله قال « ألا ادلك على كلمة من كنز

الجنة » قلت بلى يارسول الله فداك ابى وأمى قال « لاحول ولا قوة إلا بالله » . وقد رواه بقية الجماعة من طرق عن عبد الرحمن بن مل أبى عثمان النهدى عن أبى موسى الأشعرى ، والصواب أنه كان مرجعهم من خيبر فان أبا موسى إنما قدم بعد فتح خيبر كما تقدم .

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله (ص) - فيما بلغنى - قد أعطى ابن لقيم العبسى حين افتتح خيبر مابها من دجاجة أو داجن ، وكان فتح خيبر فى صفر ، فقال ابن لقيم فى فتح خيبر :

رُميتْ نطاةُ من الرسول بفيلقٍ   شهباء ذاتِ مناكب وفقار [1]
واستيقنتْ بالذلّ لمّا شيعت   ورجالُ أسلمَ وسْطَها وغفار
صَبحَتْ بنى عمرو بنِ زرعةَ غدوةً   والشقّ أظلمَ أهلُه بنهار
جرَّت بأبطحها الذيولَ فلم تدعْ   إلا الدجاجَ تصيحُ بالأسحار
ولكلّ حصنٍ شاغلٍ من خيلهم   من عبدِ الأشهل أو بني النجّار
ومهاجرينَ قد اعلموا سيماهُمُ   فوقَ المغافرِ لم ينوا لفرار
ولقد علمتُ ليغلِبَنَّ محمدٌ   وليثوِيَنَّ بها الى أصفار
فرَّتْ يهودٌ عندَ ذلك فى الوغى   تحتَ العَجاجِ غمائمَ الأبصار

فصل

من استشهد بخيبر من الصحابة

على ماذكره ابن اسحاق بن يسار رحمه الله وغيره من أصحاب المغازى .

فمن خير المهاجرين ربيعة بن أكثم بن سخبرة الأسدي مولى بنى أمية ، وثقيف بن عمرو ورفاعة بن سروح حلفاء بنى أمية ، وعبد الله بن الهبيب بن أهيب بن سحيم بن غيرة من بنى سعد ابن ليث حليف بنى أسد وابن أختهم ، ومن الأنصار بشر بن البراء بن معرور من أكلة الشاة المسمومة مع رسول الله (ص) كما تقدم ، وفضيل بن النعمان السلميّان ، ومسعود بن سعد بن قيس بن خالد بن عامر بن زريق الزّرقى ، ومحمود بن مسلمة الأشهلى ، وأبو ضياح حارثة بن ثابت بن النعمان العمرى ، والحارث بن حاطب ، وعروة بن مرة بن سراقة ، وأوس الفائد [2] وأنيف بن حبيب ، وثابت

---

(١) سماه فى الاصابة لقيم الدجاج وأورد له هذا البيت الأول هكذا :

رميت مطاه من الرسول بفتون   شهباء ذات مذاكر وحفار

ونطاة حصن بخيبر وقيل عين ماء بقرية منها وقيل هو اسم لأرض خيبر وقد تقدم ذكره .

(٢) قال فى الاصابة : أوس بن فائد وقيل ابن فاتك وقيل ابن الفاتك وفى الأصل الفارض .

ابن أثلة وطلحة ،وعمارة بن عقبة رمى بسهم فقتله ، وعامر بن الأكوع ثم سلمة بن عمرو بن الأكوع أصابه طرف سيفه فى ركبته فقتله رحمه الله كما تقدم ، والأسود الراعى . وقد أفرد ابن اسحاق هاهنا قصته وقد أسلفناها فى أوائل الغزوة ولله الحمد والمنة .

قال ابن اسحاق : وممن استشهد بخيبر فيما ذكره ابن شهاب من بنى زهرة مسعود بن ربيعة حليف لهم من القارة ، ومن الأنصار ثم من بنى عمرو بن عوف أوس بن قتادة رضى الله عنهم أجمعين .

خبر الحجاج بن علاط البهزي

قال ابن اسحاق : ولما فتحت خيبر كلم رسول الله ص الحجاج بن علاط السلمى ثم البهزى فقال : يارسول الله إن لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبة بنت أبى طلحة ـ وكانت عنده له منها معوض بن الحجاج ـ ومالا متفرقا فى تجار أهل مكة ، فأذن لى يارسول الله فأذن له ، فقال إنه لابد لى يارسول من أن أقول ، قال قل ، قال الحجاج : فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالا من قريش يستمعون الأخبار و يسألون عن أمر رسول الله ص وقد بلغهم أنه قد سار الى خيبر وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ريفا ومنعة ورجالا ، وهم يتحسسون الأخبار من الركبان ، فلما رأونى قالوا الحجاج بن علاط ـ قال ولم يكونوا علموا باسلامى ـ عنده والله الخبر أخبرنا يا أبا محمد فانه قد بلغنا أن القاطع قد سار الى خيبر وهى بلد يهود وريف الحجاز ؟ قال قلت قد بلغنى ذلك وعندى من الخبر مايسركم ، قال فالتبطوا بجنبى ناقتى يقولون إيه ياحجاج ؟ قال قلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وقد قتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط وأسر محمد أسراً وقالوا لانقتله حتى نبعث به الي مكة [فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم قال فقاموا وصاحوا بمكة] وقالوا . قد جاءكم الخبر وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم ، قال قلت أعينونى على جمع مالى بمكة وعلى غرمائى فانى أريد أن أقدم خيبر فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار الى ماهنالك قال فقاموا فجمعوا لى ما كان لى كأحث جمع سمعت به ، قال وجئت صاحبتى فقلت مالى وكان عندها مال موضوع فلعلى ألحق بخيبر فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقنى التجار ، قال فلما سمع العباس ابن عبد المطلب الخبر وماجاءه عنى أقبل حتى وقف الى جنبى وأنا فى خيمة من خيم التجار ، فقال يا حجاج ماهذا الذى جئت به ؟ قال قلت وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟ قال نعم ! قال قلت فاستأخر حتى ألقاك على خلاء فانى فى جمع مالى كما ترى فانصرف حتى أفرغ ، قال حتى اذا فرغت من جمع كل شئ كان لى بمكة وأجمعت الخروج لقيت العباس فقلت احفظ على حديثى يا أبا الفضل فانى أخشى الطلب ثلاثا ثم قل ماشئت قال افعل قلت فانى والله تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم ـ يعنى صفية بنت حيي ـ وقد افتتح خيبر وانتثل مافيها وصارت له ولأصحابه، قال ماتقول

ياحجاج ؟! قال قلت أى والله فا كتم عنى ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالى فرقا عليه من أن أغلب عليه ، فاذا مضت ثلاث فاظهر أمرك فهو والله على ماتحب ، قال حتى اذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وتخلق وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها ، فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة ! قال كلا والله الذى حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر ونزل عروساً على بنت ملكهم وأحرز أموالهم ومافيها وأصبحت له ولأصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر ؟ قال الذى جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلما وأخذ أمواله فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه ، فقالوا ياالعباد الله انفلت عدو الله أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ، قال ولم ينشبوا أن جاءهم الخبر بذلك . هكذا ذكر ابن اسحاق هذه القصة منقطعة ، وقد أسند ذلك الامام احمد بن حنبل فقال حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر سمعت ثابتا يحدث عن أنس قال : لما افتتح رسول الله (ص) خيبر قال الحجاج بن علاط يارسول الله إن لى بمكة مالا و إن لى بها أهلا و إنى أريد أن آتيهم أفأنا فى حل إن انا نلت منك أو قلت شيئا ؟ فأذن له رسول الله (ص) أن يقول ماشاء . فأتى امرأته حين قدم فقال : اجمعى لى ما كان عندك فانى أريد أن أشترى من غنائم محمد وأصحابه فانهم قد استبيحوا وأصيبت أموالهم . قال وفشى ذلك بمكة فانقمع المسلمون وأظهر المشركون فرحا وسروراً ، قال و بلغ الخبر العباس فعقر وجعل لايستطيع أن يقوم . قال معمر : فأخبرنى عثمان الجزرجى عن مقسم قال : فأخذ ابنا يقال له قثم واستلقى ووضعه على صدره وهو يقول .

حبي قثم شبهَ ذي الأنف الأَشم بني ذي النعم برغم من رغم

قال ثابت عن أنس : ثم أرسل غلاماً له الى حجاج بن علاط فقال و يلك ماجئت به وماذا تقول ؟ فما وعد الله خير مماجئت به ، فقال حجاج بن علاط : اقرأ على أبى الفضل السلام وقل له فليخل لى فى بعض بيوته لآتيه فان الخبر على مايسره ، فجاء غلامه فلما بلغ الدار قال أبشر يا أبا الفضل ، قال فوثب العباس فرحا حتى قبل بين عينيه فأخبره ماقال حجاج فأعتقه ، قال ثم جاءه الحجاج فأخبره أن رسول الله (ص) قد افتتح خيبر وغنم أموالهم ، وجرت سهام الله فى أموالهم ، واصطفى رسول الله (ص) صفية بنت حيي واتخذها لنفسه ، وخيرها أن يعتقها وتكون زوجه أو تلحق بأهلها فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته ، قال ولكنى جئت لمال كان هاهنا أردت أن أجمعه فاذهب به فاستأذنت رسول الله (ص) فأذن لى أن أقول ماشئت ، فاخف على ثلاثا ثم اذكر مابدا لك . قال فجمعت امرأته ما كان عندها من حلى أو متاع فجمعته ودفعته اليه ثم انشمر به ، فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج فقال مافعل زوجك ؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا وكذا ، وقالت لايحزنك الله يا أبا الفضل لقد شق علينا الذى بلغك ، قال أجل لايحزننى الله ولم

يكن بحمد الله إلا ما أحببنا ، فتح الله خيبر على رسوله وجرت فيها سهام الله واصطفى رسول الله (ص) صفية لنفسه ، فان كانت لك حاجة فى زوجك فالحق به . قالت : أظنك والله صادقا ؟ قال فانى صادق والأمر على ما أخبرتك ، ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذا مر بهم : لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل ، قال لم يصبنى إلا خير بحمد الله ، أخبرنى الحجاج بن علاط أن خيبر فتحها الله على رسوله وجرت فيها سهام الله واصطفى صفية لنفسه ، وقد سألنى أن أخفى عنه ثلاثا ، وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شئ هاهنا ثم يذهب ، قال فرد الله الكآبة التى كانت بالمسلمين على المشركين ، وخرج المسلمون من كان دخل بيته مكتئباً حتى أتى العباس فأخبرهم الخبر ، فسر المسلمون ورد ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين . وهذا الاسناد على شرط الشيخين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى النسائى عن اسحاق بن ابراهيم عن عبد الرزاق به نحوه . ورواه الحافظ البيهقى من طريق محمود بن غيلان عن عبد الرزاق . ورواه أيضاً من طريق يعقوب بن سفيان عن زيد بن المبارك عن محمد بن ثور عن معمر به نحوه . وكذلك ذكر موسى بن عقبة فى مغازيه أن قريشا كان بينهم تراهن عظيم وتبايع ، منهم من يقول يظهر محمد وأصحابه ، ومنهم من يقول يظهر الحليفان ويهود خيبر ، وكان الحجاج بن علاط السلمى ثم البهزى قد أسلم وشهد مع رسول الله (ص) فتح خيبر ، وكان تحته أم شيبة أخت عبد الدار بن قصى ، وكان الحجاج مكثرا من المال ، وكانت له معادن أرض بنى سليم ، فلما ظهر رسول الله (ص) على خيبر استأذن الحجاج رسول الله (ص) فى الذهاب الى مكة يجمع أمواله فأذن له نحو ما تقدم والله أعلم .

قال ابن اسحاق : ومما قيل من الشعر فى غزوة خيبر قول حسان :

بئسَ ما قاتلتْ خيابرُ عمّا　　جمعوا من مزارع ونخيل
كرهوا الموتَ فاستُبيح حماهم　　وأقرّوا فعل الذميم الذليل
أمن الموت يهربون فانّ المو　　ت موتَ الهزال غير جميل

وقال كعب بن مالك فيما ذكره ابن هشام عن أبى زيد الأنصارى :

ونحنَ وردْنا خيبراً وفروضه　　بكلّ فتى عاري الأشاجعِ مزود
جوادٍ لدى الغايات لا واهنَ القوى　　جرئٌ على الأعداءِ فى كل مشهد
عظيمِ رمادِ القدرِ فى كل شتوة　　ضروب بنصل المشرفيّ المهنّد
يرى القتلَ مدحاً إن أصابَ شهادة　　من الله يرجوها وفوزاً بأحمد
يذود ويحمي عن ذمار محمد　　ويدفع عنه باللسان وباليد
وينصرُه من كل أمرٍ يريبه　　يجود بنفس دون نفس محمد

يصدّق بالأنباء بالغيب مخلصاً يريدُ بذاك العزّ والفوزَ فى غـد

فصـل

مروره (ص) بوادي القرى ومحاصرة اليهود ومصالحتهم

قال الواقدى : حدثنى عبد الرحمن بن عبد العزيز عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال خرجنا مع رسول الله (ص) من خيبر الى وادى القرى وكان رفاعة بن زيد بن وهب الجذامى قد وهب لرسول الله (ص) عبداً أسود يقال له مدعم وكان يرحل لرسول الله (ص)، فلما نزلنا بوادى القرى انتهينا الى يهود وقدم اليها ناس من العرب ، فبينا مدعم يحط رحل رسول الله (ص) وقد استقبلتنا يهود بالرمى حين نزلنا ولم نكن على تعبية ، وهم يصيحون فى آطامهم فيقبل سهم عائر فأصاب مدعما فقتله ، فقال الناس هنيئا له بالجنة . فقال النبى (ص) « كلا والذى نفسى بيده إن الشملة التى أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » فلما سمع بذلك الناس جاء رجل الى رسول الله (ص) بشراك أو شراكين . فقال النبى (ص) : « شراك من نار أو شراكان من نار » . وهذا الحديث فى الصحيحين من حديث مالك عن ثور بن يزيد عن أبى الغيث عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه .

قال الواقدى : فعبى رسول الله أصحابه للقتال وصفهم ودفع لواءه الى سعد بن عبادة ، وراية الى الحباب بن المنذر ، وراية الى سهل بن حنيف ، وراية الى عباد بن بشر ، ثم دعاهم الى الاسلام وأخبرهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءهم وحسابهم على الله ، قال فبرز رجل منهم فبرز اليه الزبير بن العوام فقتله ، ثم برز آخر فبرز اليه علىّ فقتله ، حتى قتل منهم أحد عشر رجلا كل ماقتل منهم رجلا دعى من بقى منهم الى الاسلام ، ولقد كانت الصلاة تحضر ذلك اليوم فيصلى بأصحابه ثم يعود فيدعوهم الى الاسلام والى الله عزوجل ورسوله ، وقاتلهم حتى أمسى وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم ، وفتحها عنوة وغنمهم الله أموالهم وأصابوا أثاثا ومتاعا كثيراً وأقام رسول الله (ص) بوادى القرى أربعة أيام فقسم ما أصاب على أصحابه ، وترك الأرض والنخيل فى أيدى اليهود وعاملهم عليها ، فلما بلغ يهود تيماء ماوطئ به رسول الله (ص) خيبر وفدك ووادى القرى صالحوا رسول الله (ص) على الجزية ، وأقاموا بأيديهم أموالهم ، فلما كان عمر أخرج يهود خيبر وفدك ولم يخرج أهل تيماء ووادى القرى لأنهما داخلتان فى أرض الشام ، ويرى أن مادون وادى القرى الى المدينة حجاز ، ومن وراء ذلك من الشام ، قال ثم انصرف رسول الله (ص) راجعاً الى

المدينة بعد أن فرغ من خيبر ووادى القرى وغنمه الله عز وجل .

قال الواقدى : حدثنى يعقوب بن محمد عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صعصعة عن الحارث ابن عبد الله بن كعب عن أم عمارة قالت سمعت رسول الله (ص) بالجرف وهو يقول : « لا تطرقوا النساء بعد صلاة العشاء » قالت فذهب رجل من الحى فطرق أهله فوجد ما يكره ، فخلى سبيلها ولم يهجر وضن بزوجته أن يفارقها وكان له منها أولاد وكان يحبها ، فعصى رسول الله (ص) فرأى ما يكره .

فصل

ثبت فى الصحيحين أن رسول الله (ص) لما افتتح خيبر عامل يهودها عليها على شطر ما يخرج منها من تمر أو زرع . وقد ورد فى بعض ألفاظ هذا الحديث على أن يعملوها من أموالها ، وفى بعضها وقال لهم النبى (ص) « نقركم ما شئنا » . وفى السنن أنه كان يبعث عليهم عبدالله بن رواحة يخرصها عليهم عند استواء ثمارها ثم يضمنهم إياه ، فلما قتل عبد الله بن رواحة بمؤتة بعث جبار بن صخر كما تقدم . وموضع تحرير ألفاظه و بيان طرقه كتاب المزارعة من كتاب الاحكام إن شاء الله و به الثقة .

وقال محمد بن اسحاق : سألت ابن شهاب كيف أعطى رسول الله (ص) يهود خيبر نخلهم ؟ فأخبرنى أن رسول الله (ص) افتتح خيبر عنوة بعد القتال وكانت خيبر مما أفاء الله عليه ، خمسها وقسمها بين المسلمين ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول الله (ص) فقال : « إن شئتم دفعت اليكم هذه الأموال على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا و بينكم فأقركم ما أقركم الله » فقبلوا وكانوا على ذلك يعملونها ، وكان رسول الله (ص) يبعث عبد الله بن رواحة فيقسم ثمرها و يعدل عليهم فى الخرص ، فلما توفى الله نبيه (ص) أقرها أبو بكر بأيديهم على المعاملة التى عاملهم عليها رسول الله (ص) حتى توفى ، ثم أقرهم عمر بن الخطاب صدراً من إمارته ، ثم بلغ عمر أن رسول الله (ص) قال فى وجعه الذى قبضه الله فيه « لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان » ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبت ، فأرسل الى يهود فقال : إن الله أذن لى فى إجلائكم . وقد بلغنى أن رسول الله « لا يجتمعن فى جزيرة العرب دينان » فمن كان عنده عهد من رسول الله (ص) فليأتنى به أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد فليتجهز للجلاء ، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد رسول الله (ص) .

قلت : قد ادعى يهود خيبر فى أزمان متأخرة بعد الثلثمائة أن بأيديهم كتابا من رسول الله (ص) فيه أنه وضع الجزية عنهم ، وقد اغتر بهذا الكتاب بعض العلماء حتى قال باسقاط الجزية عنهم ، من الشافعية الشيخ أبو على بن خيرون وهو كتاب مزور مكذوب مفتعل لا أصل له ، وقد بينت بطلانه من وجوه عديدة فى كتاب مفرد ، وقد تعرض لذكره و إبطاله جماعة من الأصحاب فى كتبهم كان

الصباغ فى مسائله ، والشيخ أبى حامد فى تعليقته ، وصنف فيه ابن المسلمة جزءاً منفرداً للرد عليه ، وقد تحركوا به بعد السبعمائة وأظهروا كتابا فيه نسخة ماذكره الأصحاب فى كتبهم ، وقد وقفت عليه فاذا هو مكذوب ، فان فيه شهادة سعد بن معاذ وقد كان مات قبل زمن خيبر ، وفيه شهادة معاوية بن أبى سفيان ولم يكن أسلم يومئذ ، وفى آخره وكتبه على بن أبوطالب وهذا لحن وخطأ ، وفيه وضع الجزية ولم تكن شرعت بعد ، فانها إنما شرعت أول ماشرعت وأخذت من أهل نجران . وذكروا أنهم وفدوا فى حدود سنة تسع والله أعلم .

ثم قال ابن اسحاق : وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر عن ابن عمر قال : خرجت أنا والزبير ابن العوام والمقداد بن الاسود الى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلما قدمنا تفرقنا فى أموالنا ، قال فعدى علىَّ تحت الليل وأنا نائم على فراشى ففدعت [1] يداى من مرفقى ، فلما استصرخت على صاحباى فأتيانى فسألانى من صنع هذا بك ؟ فقلت لا أدرى فأصلحا من يدى ثم قدما بى على عمر ، فقال هذا عمل يهود خيبر . ثم قام فى الناس خطيبا فقال : أيها الناس إن رسول الله (ص) كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه كما بلغكم مع عدوتهم على الأنصارى قبله لانشك أنهم كانوا أصحابه ليس لنا هناك عدو غيرهم ، فمن كان له مال من خيبر فليلحق به فانى مخرج يهود فأخرجهم .

قلت : كان لعمر بن الخطاب سهمه الذى بخيبر وقد كان وقفه فى سبيل الله وشرط فى الوقف ما أشار به رسول الله (ص) كما هو ثابت فى الصحيحين ، وشرط أن يكون النظر فيه للأرشد فالأرشد من بناته وبنيه .

قال الحافظ البيهقى فى الدلائل : جماع أبواب السرايا التى تذكر بعد فتح خيبر وقبل عمرة القضية وإن كان تاريخ بعضها ليس بالواضح عند أهل المغازى .

سرية أبي بكر الصديق الى بني فزارة

قال الامام احمد : حدثنا بهز ثنا عكرمة بن عمار ثنا أياس بن سلمة حدثنى أبى قال : خرجنا مع أبى بكر [ابن] أبى قحافة وأمره رسول الله (ص) علينا فغزونا بنى فزارة ، فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر فعرسنا ، فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر فشننا الغارة فقتلنا على الماء من مر قبلنا ، قال سلمة ثم نظرت الى عنق من الناس فيه من الذرية والنساء نحو الجبل وأنا أعدو فى آثارهم فخشيت أن يسبقونى الى الجبل فرميت بسهم فوقع بينهم وبين الجبل ، قال فجئت بهم أسوقهم الى أبى بكر حتى أتيته على الماء وفيهم امرأة من فزارة عليها قشع من أدم ومعها ابنة لها من أحسن العرب ، قال فنفلنى أبو بكر بنتها ،

---

(١) الفدع محركة اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل حتى ينقلب الكف أو القدم الى انسيها .

قال فما كشفت لها ثوبا حتى قدمت المدينة ثم بت فلم أ كشف لها ثوبا ، قال فلقينى رسول الله (ص.) فى السوق فقال لى « ياسلمة هب لى المرأة » قال فقلت والله يارسول الله لقد أعجبتنى وما كشفت لها ثوبا ، قال فسكت رسول الله (ص.)وتركنى حتى اذا كان من الغد لقينى رسول الله (ص.) فى السوق فقال « ياسلمة هب لى المرأة » قال فقلت يارسول الله والله لقد أعجبتنى وما كشفت لها ثوبا ، قال فسكت رسول الله (ص.)وتركنى حتى إذا كان من الغد لقينى رسول الله (ص.) فى السوق فقال « ياسلمة هب لى المرأة لله أبوك » قال قلت يارسول الله والله ما كشفت لها ثوبا وهى لك يارسول الله ، قال بعث بها رسول الله (ص.) الى أهل مكة وفى أيديهم أسارى من المسلمين ففداهم رسول الله (ص.) بتلك المرأة . وقد رواه مسلم والبيهقى من حديث عكرمة بن عمار به .

سرية عمر بن الخطاب الى تربةَ وراء مكة بأربعة اميال

ثم أورد البيهقى من طريق الواقدى بأسانيده أن رسول الله (ص.) بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ثلاثين راكبا ومعه دليل من بنى هلال وكانوا يسيرون الليل و يكمنون النهار ، فلما انتهوا الى بلادهم هربوا منهم وكر عمر راجعاً الى المدينة ، فقيل له هل لك فى قتال خثعم ؟ فقال إن رسول الله (ص.) لم يأمرنى إلا بقتال هوازن فى أرضهم .

سرية عبد الله بن رواحة الى يسير بن رزام اليهودي

ثم أورد من طريق ابراهيم بن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة ومن طريق موسى بن عقبة عن الزهرى أن رسول الله(ص.) بعث عبد الله بن رواحة فى ثلاثين راكباً فيهم عبد الله بن رواحة الى يسير بن رزام اليهودى حتى أتوه بخيبر ، و بلغ رسول الله (ص.) أنه يجمع غطفان ليغزوه بهم ، فأتوه فقالوا أرسلنا اليك رسول الله (ص.) ليستعملك على خيبر فلم يزالوا به حتى تبعهم فى ثلاثين رجلا مع كل رجل منهم رديف من المسلمين ، فلما بلغوا قرقرة نيار وهى من خيبر على ستة أميال ندم يسير ابن رزام فأهوى بيده الى سيف عبد الله بن رواحة ، ففطن له عبد الله بن رواحة فزجر بعيره ثم اقتحم يسوق بالقوم حتى استمكن من يسير ضرب رجله فقطعها ، واقتحم يسير و فى يده مخراش من شوحط فضرب به وجه عبد الله بن رواحة فشجه شجة مأمومة . وانكفأ كل رجل من المسلمين على رديفه فقتله غير رجل واحد من اليهود أعجزهم شداً ولم يصب من المسلمين أحد ، و بصق رسول الله (ص.) فى شجة عبد الله بن رواحة فلم تقيح ولم تؤذه حتى مات .

سرية اخرى مع بشير بن سعد

روى من طريق الواقدى باسناده أن رسول الله (ص.) بعث بشير بن سعد فى ثلاثين راكباً .

الى بنى مرة من أرض فدك فاستاق نعمهم ، فقاتلوه وقتلوا عامة من معه وصبر هو يومئذ صبراً عظيما ، وقاتل قتالا شديداً ، ثم لجأ الى فدك فبات بها عند رجل من اليهود ، ثم كر راجعاً الى المدينة .

قال الواقدى : ثم بعث اليهم رسول الله (ص) غالب بن عبد الله ومعه جماعة من كبار الصحابة فذكر منهم أسامة بن زيد ، وأبا مسعود البدرى ، وكعب بن عجرة . ثم ذكر مقتل أسامة بن زيد لمرداس بن نهيك حليف بنى مرة وقوله حين علاه بالسيف : لا إله إلا الله . وأن الصحابة لاموه على ذلك حتى سقط فى يده وندم على ما فعل . وقد ذكر هذه القصة يونس بن بكير عن ابن اسحاق عن شيخ من بنى سلمة عن رجال من قومه أن رسول الله (ص) بعث غالب بن عبد الله الكلبى الى أرض بنى مرة فأصاب مرداس بن نهيك [حليفا لهم من الحرقة فقتله أسامة . قال ابن اسحاق : فحدثنى محمد بن أسامة بن محمد بن أسامة عن أبيه عن جده أسامة بن زيد قال أدركته أنا ورجل من الأنصار - يعنى مرداس بن نهيك -] فلما شهرنا عليه السيف قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، فلم ننزع عنه حتى قتلناه . فلما قدمنا على رسول الله (ص) أخبرناه فقال : « يا أسامة من لك بلا إله إلا الله » فقلت يارسول الله إنما قالها تعوذاً من القتل . قال « فن لك يا أسامة بلا إله إلا الله » فوالذى بعثه بالحق ما زال يرددها على حتى تمنيت أن ما مضى من اسلامى لم يكن ، وأنى أسلمت يومئذ ولم أقتله . فقلت إنى أعطى الله عهداً أن لا أقتل رجلا يقول لا إله إلا الله أبداً ، فقال : « بعدى يا أسامة » فقلت بعدك . قال الامام احمد : حدثنا هشيم بن بشير أنبأنا حصين عن أبى ظبيان قال سمعت أسامة بن زيد يحدث قال بعثنا رسول الله (ص) الى الحرقة من جهينة ، قال فصبحناهم وكان منهم رجل اذا أقبل القوم كان من أشدهم علينا ، واذا أدبروا كان حاميتهم ، قال فغشيته أنا ورجل من الأنصار ، فلما تغشيناه قال لا إله إلا الله فكف عنه الأنصارى وقتلته ، فبلغ ذلك رسول الله (ص) فقال « يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ » قال قلت يارسول الله إنما كان متعوذاً من القتل ، قال فكررها على حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت إلا يومئذ . وأخرجه البخارى ومسلم من حديث هشيم به نحوه .

وقال ابن اسحاق : حدثنى يعقوب بن عتبة عن مسلم بن عبد الله الجهنى عن جندب بن مكيث الجهنى قال : بعث رسول الله (ص) غالب بن عبد الله الكلبى كلب ليث الى بنى الملوح بالكديد وأمره أن يغير عليهم وكنت فى سريته ، فمضينا حتى اذا كنا بالقديد[1] لقينا الحارث بن مالك بن البرصاء الليثى فأخذناه فقال : إنى إنما جئت لأسلم ، فقال له غالب بن عبد الله إن كنت إنما جئت لتسلم فلا يضيرك رباط يوم وليلة ، وإن كنت على غير ذلك استوثقنا منك ، قال فأوثقه رباطا وخلف عليه رويجلا أسود كان معنا وقال : أمكث معه حتى نمر عليك فان نازعك فاحتز رأسه . ومضينا حتى

(١) مكان قريب من مكة

أتينا بطن الكديد فنزلنا عشية بعد العصر ، فبعثنى أصحابى اليه فعمدت الى تل يطلعنى على الحاضر فانبطحت عليه وذلك قبل غروب الشمس ، فخرج رجل منهم فنظر فرآنى منبطحا على التل فقال لامرأته : إنى لأرى سواداً على هذا التل مارأيته فى أول النهار فانظرى لا تكون الكلاب اجترت بعض أوعيتك ؟ فنظرت فقالت والله ما أفقد منها شيئا ، قال فناولينى قوسى وسهمين من نبلى فناولته فرمانى بسهم فى جنبى أو قال فى جبينى فنزعته فوضعته ولم أتحرك ، ثم رمانى بالآخر فوضعه فى رأس منكبى فنزعته فوضعته ولم أتحرك . فقال لامرأته أما والله لقد خالطه سهماى ولو كان ريبة لتحرك ، فاذا أصبحت فابتغى سهمى فخذيهما لاتمضغهما على الكلاب ، قال فأمهلنا حتى اذا راحت روايحهم وحتى احتلبوا وعطنوا وسكنوا وذهبت عتمة من الليل ، شننا عليهم الغارة فقتلنا واستقنا النعم ووجهنا قافلين به وخرج صريخ القوم الى قومهم بقربنا ، قال وخرجنا سراعا حتى نمر بالحارث بن مالك بن البرصاء وصاحبه ، فانطلقنا به معنا وأتانا صريخ الناس فجاءنا مالا قبل لنا به ، حتى اذا لم يكن بيننا وبينهم الا بطن الوادى من قديد بعث الله من حيث شاء ماء مارأينا قبل ذلك مطراً ولا حالا ، وجاء بما لا يقدر أحد أن يقدم عليه ، فلقد رأيتهم وقوفا ينظرون الينا ما يقدر أحد منهم أن يقدم عليه ، ونحن نجدبها أو نحدوها ــ شك النفيلى ــ فذهبنا سراعا حتى أسندنا بها فى المسلك ، ثم حذرنا عنه حتى أعجزنا القوم بما فى أيدينا . وقد رواه أبو داود من حديث محمد بن اسحاق فى روايته عبد الله بن غالب ، والصواب غالب بن عبد الله كما تقدم . وذكر الواقدى هذه القصة باسناد آخر وقال فيه : وكان معه من الصحابة مائة وثلاثون رجلا . ثم ذكر البيهقى من طريق الواقدى سرية بشير ابن سعد أيضا الى ناحية خيبر فلقوا جمعاً من العرب وغنموا نعما كثيراً ، وكان بعثه فى هذه السرية باشارة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وكان معه من المسلمين ثلاثمائة رجل ودليله حسيل بن نويرة وهو الذى كان دليل النبى (ص) الى خيبر قاله الواقدى .

سرية بني حدرد الى الغابة

قال يونس عن محمد بن اسحاق : كان من حديث قصة أبى حدرد وغزوته الى الغابة ماحدثنى جعفر بن عبد الله بن أسلم عن أبى حدرد قال : تزوجت امرأة من قومى فأصدقتها مائتى درهم ، قال فأتيت رسول الله (ص) أستعينه على نكاحى فقال « كم أصدقت ؟ » فقلت مائتى درهم ، فقال « سبحان الله والله لو كنتم تأخذونها من واد مازدتم ، والله ماعندى ما أعينك به » فلبثت أياما ثم أقبل رجل من جشم بن معاوية يقال له رفاعة بن قيس ــ أو قيس بن رفاعة ــ فى بطن عظيم من جشم حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة يريد أن يجمع قيسا على محاربة رسول الله (ص) ، وكان ذا اسم وشرف فى جشم ، قال فدعانى رسول الله (ص) ورجلين من المسلمين فقال « اخرجوا الى هذا الرجل

حتى تأتوا منه بخبر وعلم » . وقدم لنا شارفا عجفاء فحمل عليه أحدنا فوالله ما قامت به ضعفا حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت ، وقال « تبلغوا على هذه » فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف حتى اذا جئنا قريبا من الحاضر مع غروب الشمس فكمنت فى ناحية وأمرت صاحبى فكمنا فى ناحيـة أخرى من حاضر القوم وقلت لهما : إذا سمعتمانى قـد كبرت وشددت فى العسكر فكبرا وشدا معى ، فوالله إنا كذلك ننتظر أن نرى غرة أو نرى شيئا وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء ، وقد كان لهم راع قد سرح فى ذلك البلد فأبطأ عليهم وتخوفوا عليه، فقام صاحبهم رفاعة بن قيس فأخذ سيفه فجعله فى عنقه فقال : والله لأتبعن أمر راعينا ولقد أصابه شر ، فقال نفر ممن معه والله لا تذهب نحن نكفيك ، فقال لا إلا أنا ، قالوا نحن معك . فقال والله لا يتبعنى منكم أحد ، وخرج حتى مر بى فلما أمكننى نفحته بسهم فوضعته فى فؤاده ، فوالله ما تكلم فوثبت اليه فاحتززت رأسه ثم شددت ناحية العسكر وكبرت وشد صاحباى وكبرا ، فوالله ما كان إلا النجا ممن كان فيه عندك [1] بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم وما خف معهم من أموالهم ؛ واستقنا إبلا عظيمة وغنما كثيرة فجئنا بها الى رسول الله (ص) وجئت برأسه أحمله معى ، فأعطانى من تلك الابل ثلاثة عشر بعيراً فى صداق فجمعت إلى أهلى .

السرية التي قتل فيها محلم بن جثامة عامر بن الاضبط

قال ابن اسحاق : حدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابن عبد الله بن أبى حدرد عن أبيه قال : بعثنا رسول الله (ص) الى أضم فى نفر من المسلمين منهم ؛ أبو قتادة الحارث بن ربعى ومحلم ابن جثامة بن قيس فخرجنا حتى اذا كنا ببطن أضم مر بنا عامر بن الأضبط الاشجعى على قعود له معه متيع له و وطب من لبن فسلم علينا بتحية الاسلام فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله لشىء كان بينه و بينه وأخذ بعيره ومتيعه ، فلما قدمنا على رسول الله (ص) أخبرناه الخبر فنزل فينا القرآن [يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيراً] هكذا رواه الامام احمد عن يعقوب عن أبيه عن محمد بن اسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن القعقاع بن عبد الله بن أبى حدرد عن أبيه فذكره .

قال ابن اسحاق : حدثنى محمد بن جعفر سمعت زياد بن ضميرة بن سعد الضمرى يحدث عن عروة بن الزبير عن أبيه وعن جده قالا ـ وكانا شهدا حنينا ـ قالا : فصلى رسول الله (ص) صلاة الظهر فقام الى ظل شجرة فقعد فيه فقام اليه عيينة بن بدر فطلب بدم عامر بن الأضبط الاشجعى وهو سيد

(١) كذا فى الأصول والذى فى ابن هشام : فوالله ما كان الا النجاء ممن فيه عندك عندك الخ .

عامر هل لكم أن تأخذوا منا الآن خمسين بعيراً وخمسين اذا رجعنا الى المدينة ؟ » فقال عيينة بن بدر : والله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحزن مثل ما أذاق نسائى ، فقال رجل من بنى ليث يقال له ابن مكيتل وهو قصير من الرجال فقال : يارسول الله ما أجد لهذا القتيل شبها فى غرة الاسلام إلا كغنم وردت فشربت [(١)] اولاها فنفرت أخراها استن اليوم وغير غدا ، فقال رسول الله (ص.) « هل لكم أن تأخذوا خمسين بعيرا الآن وخمسين اذا رجعنا إلى المدينة ؟ » فلم يزل بهم حتى رضوا بالدية ، فقال قوم محلم بن جثامة إيتوا به حتى يستغفر له رسول الله (ص.) قال فجاء رجل طوال ضرب اللحم فى حلة قد تهيأ فيها للقتل فقام بين يدى النبى (ص.) فقال النبى (ص.) « اللهم لاتغفر لمحلم » قالها ثلاثا ، فقام و إنه ليتلقى دموعه بطرف ثوبه .

قال محمد بن اسحاق : زعم قومه أنه استغفر له بعد ذلك . وهكذا رواه أبو داود من طريق حماد ابن سلمة عن ابن اسحاق ، ورواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن أبى خالد الاحمر عن ابن اسحاق عن محمد بن جعفر عن زيد بن ضميرة عن أبيه وعمه فذكر بعضه ، والصواب كما رواه ابن اسحاق عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة [(٢)] عن أبيه وعن جده وهكذا رواه أبو داود من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن أبى الزناد وعن عبد الرحمن بن الحارث عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة عن أبيه وجده بنحوه كما تقدم .

وقال ابن اسحاق : حدثنى سالم أبو النضر أنه قال لم يقبلوا الدية حتى قام الاقرع بن حابس فخلا بهم وقال يامعشر قيس سألكم رسول الله (ص.) قتيلا تتركونه ليصلح به بين الناس فمنعتموه إياه أفأمنتم أن يغضب عليكم رسول الله (ص.) فيغضب الله لغضبه و يلعنكم رسول الله (ص.) فيلعنكم الله بلعنته لكم ، لتسلمنه إلى رسول الله (ص.) أو لآتين بخمسين من بنى تميم كلهم يشهدون أن القتيل كافر ماصلى قط فلايطلبن دمه ، فلما قال ذلك لهم أخذوا الدية . وهذا منقطع معضل وقد روى ابن اسحاق عمن لايتهم عن الحسن البصرى أن محلما لما جلس بين يديه عليه الصلاة والسلام قال له « أمنته ثم قتلته ؟ » ثم دعا عليه ، قال الحسن فوالله ما مكث محلم الا سبعاً حتى مات فلفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته الأرض ، فرضموا عليه من الحجارة حتى واروه فبلغ رسول الله (ص.) فقال ان الأرض لتطابق على من هو شر منه ولكن الله أراد أن يعظكم فى حرم مابينكم لما أراكم منه » وقال ابن جرير ثنا وكيع ثنا جرير عن ابن اسحاق عن نافع عن ابن عمر قال : بعث رسول الله (ص.) محلم بن جثامة مبعثاً فلقيهم عامر بن الأضبط فحيام بتحية الاسلام - وكانت بينهم هنة فى الجاهلية - فرماه محلم بسهم فقتله فجاء الخبر إلى رسول الله (ص.) فتكلم فيه عيينة والاقرع فقال الاقرع : يارسول

(١) فى ابن هشام : فرميت (٢) كذا فى الاصل والخلاصة وفى ابن هشام : زياد بن ضميرة بن سعد .

الله سن اليوم وغير غدا ، فقال عيينة : لا والله حتى تذوق نساؤه من الثكل ما ذاق نسائى فجاء محلم فى بردين فجلس بين يدى رسول الله (ص) ليستغفر له فقال رسول الله (ص) « لا غفر الله لك » فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه ، فما مضت له سابعة حتى مات فدفنوه فلفظته الأرض فجاءوا النبى (ص) فذكروا ذلك له فقال « إن الأرض لتقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله أراد أن يعظكم من حرمتكم » ثم طرحوه فى جبل فالقوا عليه من الحجارة ونزلت [يأيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا] الآية . وقد ذكره موسى بن عقبة عن الزهرى ورواه شعيب عن الزهرى عن عبد الله ابن وهب عن قبيصة بن ذؤيب نحو هذه القصة إلا انه لم يسم محلم بن جثامة ولا عامر بن الاضبط وكذلك رواه البيهقى عن الحسن البصرى بنحو هذه القصة وقال وفيه نزل قوله تعالى [يأيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا] الآية .

قلت : وقد تكلمنا فى سبب نزول هذه الآية ومعناها فى التفسير بما فيه الكفاية ولله الحمد والمنة .

سرية عبد الله بن حزافة السهمي

ثبت فى الصحيحين من طريق الاعمش عن سعد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن على بن أبى طالب قال : استعمل النبى (ص) رجلا من الانصار على سرية بعثهم وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا ، قال فاغضبوه فى شئ فقال اجمعوا لى حطباً فجمعوا فقال أوقدوا ناراً فاوقدوا ثم قال ألم يأمركم رسول الله (ص) أن تسمعوا لى وتطيعوا ؟ قالوا بلى قال فادخلوها قال فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا إنما فررنا إلى رسول الله (ص) من النار ، قال فسكن غضبه وطفئت النار ، فلما قدموا على النبى (ص) ذكروا ذلك له فقال « لودخلوها ما خرجوا منها إنما الطاعة فى المعروف » وهذه القصة ثابتة أيضاً فى الصحيحين من طريق يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقد تكلمنا على هذه بما فيه كفاية فى التفسير ولله الحمد والمنة

بسم الله الرحمن الرحيم

عمرة القضاء

ويقال القصاص ورجحه السهيلى ويقال عمرة القضية فالاولى قضاء عما كان أحصر عام الحديبية والثانى من قوله تعالى (والحرمات قصاص) والثالث من المقاضاة التى كان قاضاهم عليها على أن يرجع عنهم عامه هذا ثم يأتى فى العام القابل ولا يدخل مكة الا فى جلبان (١) السلاح وأن لا يقيم أكثر من ثلاثة أيام وهذه العمرة هى المذكورة فى قوله تعالى فى سورة الفتح المباركة [لقد صدق الله رسوله

(١) الجلبان بضم الجيم وسكون اللام شبه الجراب من الادم يوضع فيه السيف وقيل القوس والسيف ونحوه .

الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون] الآية .
وقد تكلمنا عليها مستقصى فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية وهى الموعود بها فى قوله عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب حين قال له ألم تكن تحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : بلى أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا ؟ » قال لا قال « فانك آتيه ومطوف به » وهى المشار اليها فى قول عبد الله بن رواحة حين دخل بين يدى رسول الله (ص) الى مكة يوم عمرة القضاء وهو يقول :

خلُّوا بنى الكفّارِ عن سبيله   اليومَ نَضربُكم على تأويله
كما ضربنا كم على تنزيله

أى هذا تأويل الرؤيا التى كان رآها رسول الله (ص) جاءت مثل فلق الصبح .

قال ابن اسحاق : فلما رجع رسول الله (ص) من خيبر الى المدينة أقام بها شهرى ربيع وجماديين ورجباً وشعبان وشهر رمضان وشوالا يبعث فيما بين ذلك سراياه ثم خرج من ذى القعدة فى الشهر الذى صده فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء مكان عمرته التى صدوه عنها . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عويف بن الأضبط الدئلى ويقال لها عمرة القصاص لأنهم صدوا رسول الله (ص) فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ست فاقتص رسول الله (ص) منهم فدخل مكة فى ذى القعدة فى الشهر الحرام الذى صدوه فيه من سنة سبع ، بلغنا عن ابن عباس أنه قال فأنزل الله تعالى فى ذلك [والحرمات قصاص] وقال معتمر بن سليمان عن أبيه فى مغازيه لما رجع رسول الله (ص) من خيبر أقام بالمدينة وبعث سراياه حتى استهل ذى القعدة فنادى فى الناس أن تجهزوا للعمرة فتجهزوا وخرجوا الى مكة .

وقال ابن اسحاق : وخرج معه المسلمون ممن كان صد معه فى عمرته تلك وهى سنة سبع فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه وتحدثت قريش بينها أن محمداً فى عسرة وجهد وشدة . قال ابن اسحاق : فحدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن عباس قال : صفوا له عند دار الندوة لينظروا اليه والى أصحابه فلما دخل رسول الله (ص) المسجد اضطبع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال « رحم الله امرءا أراهم اليوم من نفسه قوة » ثم استلم الركن ثم خرج يهرول ويهرول أصحابه معه حتى إذا واراه البيت منهم واستلم الركن اليمانى مشى حتى يستلم الركن الأسود ثم هرول كذلك ثلاثة اطواف ومشى سائرها فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم وذلك أن رسول الله (ص) إنما صنعها لهذا الحى من قريش للذى بلغه عنهم حتى حج حجة الوداع فلزمها فمضت السنة بها . وقال البخارى ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد ـ هو ابن زيد ـ عن أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قدم رسول الله (ص) وأصحابه فقال المشركون إنه يقدم عليكم وقد وهنهم حمى يثرب فأمرهم النبى (ص)

أن يرملوا الاشواط الثلاث وأن يمشوا ما بين الركنين ، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الابقاء عليهم . قال أبو عبدالله و رواه أبو سلمة ـ يعنى حماد بن سلمة ـ عن أيوب عن سعيد عن ابن عباس قال : لما قدم النبى (ص) لعامهم الذى استأمن قال « ارملوا ليرى [المشركون قوتكم » و] المشركين من قبل قعيقعان . و رواه مسلم عن أبى الربيع الزهرانى عن حماد بن زيد وأسند البيهقى طريق حماد بن سلمة . وقال البخارى ثنا على بن عبد الله ثنا سفيان ثنا اسماعيل بن أبى خالد سمع بن أبى أوفى يقول : لما اعتمر رسول الله (ص) سترناه من غلمان المشركين ومنهم أن يؤذوا رسول الله (ص) وسيأتى بقية الكلام على هذا المقام

قال ابن اسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله (ص) حين دخل مكة فى تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام ناقته يقول :

خلوا بنى الكفّار عن سبيله   خلّوا فكلُّ الخيرِ فى رسوله
يارِبّ إنى مؤمنٌ بقيله   أعرِفُ حقَّ الله فى قبوله
نحنُ قتلناكم على تأويله   كما قتلناكم على تنزيله
ضَرْباً يزيلَ الهامَ عن مقيلهِ   ويُذهِلُ الخليلَ عن خليله

قال ابن هشام : نحن قتلناكم على تأويله الى آخر الأبيات لعمار بن ياسر فى غير هذا اليوم ـ يعنى يوم صفين ـ قاله السهيلى قال ابن هشام : والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين والمشركون لم يقروا بالتنزيل و إنما يقاتل على التأويل من أقر بالتنزيل ، وفيما قاله ابن هشام نظر فان الحافظ البيهقى روى من غير وجه عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن أنس قال : لما دخل النبى (ص) مكة فى عمرة القضاء مشى عبد الله بن رواحة بين يديه وفى رواية وهو آخذ بغرزه وهو يقول

خلوا بنى الكفار عن سبيله   قد نزّلَ الرحمنُ فى تنزيله
بأن خيرَ القتل فى سبيله   نحنُ قتلناكم على تأويله

وفى رواية بهذا الاسناد بعينه :

خلوا بنى الكفّار عن سبيله   اليومَ نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهامَ عن مَقيله   ويذهل الخليلَ عن خليله
يارب إنى مؤمنٌ بقيله

وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم ان رسول الله (ص) دخل عام القضية مكة فطاف بالبيت على ناقته واستلم الركن بمحجنه . قال ابن هشام من غير علة ، والمسلمون

يشتدون حوله وعبد الله بن رواحة يقول :

بسمِ الذي لادينَ إلادينه　　　بسم الذي محمدٌ رسوله

خلّوا بنى الكفّار عن سبيله

قال موسى بن عقبة عن الزهرى : ثم خرج رسول الله (ص.) من العام القابل من عام الحديبية معتمراً فى ذى القعدة سنة سبع وهو الشهر الذى صده المشركون عن المسجد الحرام حتى إذا بلغ يأجج وضع الاداة كلها الحجف والمجان والرماح والنبل ودخلوا بسلاح الراكب السيوف و بعث رسول الله (ص.) بين يديه جعفر بن أبى طالب الى ميمونة بنت الحارث العامرية فخطبها عليه فجعلت أمرها إلى العباس وكان تحته أختها أم الفضل بنت الحارث فزوجها العباس رسول الله (ص.) فلما قدم رسول الله (ص.) أمر أصحابه قال « اكشفوا عن المناكب و اسعوا فى الطواف » ليرى المشركون جلدهم وقوتهم وكان يكايدهم بكل ما استطاع فاستكف أهل مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون إلى رسول الله (ص.) وأصحابه وهم يطوفون بالبيت وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يدى رسول الله (ص.) متوشحا بالسيف وهو يقول :

خلوا بنى الكفار عن سبيله　　　أنا الشهيدُ أنه رسوله

قد أنزلَ الرحمنُ فى تنزيله　　　فى صُحُفٍ تُتلى على رسوله

فاليوم نضربكم على تأويله　　　كما ضربْنا كم على تنزيله

ضرباً يزيلُ الهامَ عن مَقيله　　　ويُذهِلُ الخليلَ عن خليله

قال : وتغيب رجال من أشراف المشركين أن ينظروا إلى رسول الله (ص.) غيظاً وحنقاً ، ونفاسة وحسداً . وخرجوا الى الخندمة فقام رسول الله (ص.) بمكة وأقام ثلاث ليال ، وكان ذلك آخر القضية يوم الحديبية ، فلما أتى الصبح من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى و رسول الله (ص.) فى مجلس الانصار يتحدث مع سعد بن عبادة فصاح حويطب بن عبد العزى : ننا شدك الله والعقد لما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث ، فقال سعد بن عبادة : كذبت لا أم لك ليس بأرضك ولا بأرض آبائك والله لايخرج . ثم نادى رسول الله (ص.) سهيلا وحويطباً فقال : « إنى قد انكحت فيكم امرأة . يضركم أن أمكث حتى أدخل بها ونصنع الطعام فنأكل وتأكلون معنا » فقالوا نناشدك الله والعقد إلا خرجت عنا . فأمر رسول الله (ص.) أبا رافع فأذن بالرحيل ، و ركب رسول الله (ص.) حتى نزل ببطن سرف وأقام المسلمون وخلف رسول الله (ص.) أبا رافع ليحمل ميمونة ، وأقام بسرف حتى قدمت عليه ميمونة وقد لقيت ميمونة ومن معها عناء

وأذى من سفهاء المشركين ومن صبيانهم ، فقدمت على رسول الله (ص.) بسرف فبنى بها ثم أدلج فسار حتى أتى المدينة ، وقدر الله أن يكون موت ميمونة بسرف بعد ذلك بحين ، فماتت حيث بنى بها رسول الله (ص.) . ثم ذكر قصة ابنة حمزة إلى أن قال : وأنزل الله عز وجل فى تلك العمرة [الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص] فاعتمر رسول الله (ص.) فى الشهر الحرام الذى صدّ فيه . وقد روى ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة بن الزبير نحواً من هذا السياق ؛ ولهذا السياق شواهد كثيرة من أحاديث متعددة ففى صحيح البخارى من طريق فليح بن سليمان عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص.) خرج معتمرا ، فحال كفار قريش بينه و بين البيت ، فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ولا يحمل سلاحا إلا سيوفا ، ولا يقيم بها إلا ما أحبوا ، فاعتمر من العام المقبل فدخلها كما كان صالحهم ، فلما أن أقام بها ثلاثا أمروه أن يخرج فخرج . وقال الواقدى : حدثنى عبد الله بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال : لم تكن هذه عمرة قضاء و إنما كانت شرطاً على المسلمين أن يعتمروا من قابل فى الشهر الذى صدهم فيه المشركون وقال أبو داود ثنا النفيلى ثنا محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق عن عمرو بن ميمون سمعت أبا حاضر الحميرى يحدث أن ميمون بن مهران قال : خرجت معتمرا عام حاصر أهل الشام ابن الزبير بمكة و بعث معى رجال من قومى بهدى ، قال فلما انتهينا إلى أهل الشام منعونا أن ندخل الحرم ، قال فنحرت الهدى مكانى ثم أحللت ثم رجعت ، فلما كان من العام المقبل خرجت لاقضى عمرتى فأتيت ابن عباس فسألته فقال : أبدل الهدى فان رسول الله (ص.) أمر أصحابه أن يبدلوا الهدى الذى نحروا عام الحديبية فى عمرة القضاء . تفرد به أبو داود من حديث أبى حاضر عثمان بن حاضر الحميرى عن ابن عباس فذكره . وقال الحافظ البيهقى أنبأنا الحاكم أنبأنا الاصم ثنا احمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثنى عمرو بن ميمون قال : كان أبى يسأل كثيراً أهل كان رسول الله (ص.) أبدل هديه الذى نحر حين صده المشركون عن البيت ؟ ولا يجد فى ذلك شيئاً ، حتى سمعته يسأل أبا حاضر الحميرى عن ذلك فقال له : على الخبير سقطت ، حججت عام ابن الزبير فى الحصر الأول فاهديت هديا فحالوا بيننا و بين البيت ، فنحرت فى الحرم و رجعت الى اليمن وقلت لى برسول الله (ص.) أسوة ، فلما كان العام المقبل حججت فلقيت ابن عباس فسألته عما نحرت علىّ بدله أم لا ؟ قال نعم فابدل ، فان رسول الله (ص.) وأصحابه قد أبدلوا الهدى الذى نحروا عام صدهم المشركون فأبدلوا ذلك فى عمرة القضاء ، فعزت الابل عليهم فرخص لهم رسول الله (ص.) فى البقر .

وقال الواقدى : حدثنى غانم بن أبى غانم عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال : جعل رسول الله (ص.) ناجية بن جندب الأسلمى على هديه يسير بالهدى أمامه يطلب الرعى فى الشجر معه أربعة

فتيان من أسلم ، وقد ساق رسول الله (ص) فى عمرة القضية ستين بدنة . فحدثنى محمد بن نعيم المجمر عن أبيه عن أبى هريرة قال : كنت مع صاحب البدن أسوقها . قال الواقدى وسار رسول الله (ص) يلبى والمسلمون معه يلبون ، ومضى محمد بن مسلمة بالخيل الى مر الظهران فيجد بها نفراً من قريش ، فسألوا محمد بن مسلمة ؟ فقال هذا رسول الله (ص) يصبح هذا المنزل غدا إن شاء الله ، ورأوا سلاحا كثيراً مع بشير بن سعد ، فخرجوا سراعا حتى أتوا قريشا فاخبروهم بالذى رأوا من السلاح والخيل ، ففزعت قريش وقالوا والله ما أحدثنا حدثا وإنا على كتابنا وهدنتنا ففيم يغزونا محمد فى أصحابه ؟ ونزل رسول الله (ص) مر الظهران ، وقدم رسول الله (ص) السلاح الى بطن يأجج حيث ينظر الى أنصاب الحرم ، وبعثت قريش مكرز بن حفص بن الاحنف فى نفر من قريش حتى لقوه ببطن يأجج ورسول الله (ص) فى أصحابه والهدى والسلاح قد تلاحقوا ، فقالوا يامحمد ماعرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر ، تدخل بالسلاح فى الحرم على قومك وقد شرطت لهم أن لاتدخل إلا بسلاح المسافر السيوف فى القرب ، فقال النبى (ص) « إنى لا أدخل عليهم السلاح » فقال مكرز بن حفص : هذا الذى تعرف به البر والوفاء ، ثم رجع سريعاً بأصحابه إلى مكة . فلما أن جاء مكرز بن حفص بخبر النبى (ص) خرجت قريش من مكة الى رؤس الجبال وخلوا مكة وقالوا لاننظر اليه ولا إلى أصحابه ، فامر رسول الله (ص) بالهدى أمامه حتى حبس بذى طوى ، وخرج رسول الله (ص) وأصحابه وهو على ناقته القصواء وهم محدقون به يلبون وهم متوشحون السيوف ، فلما انتهى إلى ذى طوى وقف على ناقته القصواء وابن رواحة آخذ بزمامها وهو يرتجز بشعره ويقول :

خلوا بنى الكفار عن سبيله   إلى آخره

وفى الصحيحين من حديث ابن عباس قال : قدم رسول الله (ص) وأصحابه صبيحة رابعة ـ يعنى من ذى القعدة سنة سبع ـ فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وفدٌ قد وهنتهم حمى يثرب ، فامر رسول الله (ص) أن يرملوا الاشواط الثلاثة ، وأن يمشوا بين الركنين ، ولم يمنعه أن يرملوا الاشواط كلها إلا الابقاء عليهم . قال الأمام احمد : حدثنا محمد بن الصباح ثنا اسماعيل بن زكريا عن عبد الله ابن عثمان عن أبى الطفيل عن ابن عباس أن رسول الله (ص) لما نزل مر الظهران من عمرته بلغ أصحاب رسول الله (ص) أن قريشا تقول : مايتباعثون من العجف ، فقال أصحابه : لو انتحرنا من ظهرنا فأكلنا من لحومه وحسونا من مرقه أصبحنا غدا حين ندخل على القوم وبنا جمامة ، فقال « لاتفعلوا ولكن اجمعوا لى من أزوادكم فجمعوا له وبسطوا الانطاع فأكلوا حتى تركوا ، وحشى كل واحد منهم فى جرابه ، ثم أقبل رسول الله (ص) حتى دخل المسجد وقعدت قريش نحو الحجر ، فاضطبع بردائه ثم قال « لايرى القوم فيكم غميزة » فاستلم الركن ثم رمل حتى اذا تغيب بالركن اليمانى مشى الى الركن

الأسود ، فقالت قريش : مايرضون بالمشى أما أنهم لينفرون نفر الظباء ، ففعل ذلك ثلاثة أطواف فكانت سنة . قال أبو الطفيل : وأخبرنى ابن عباس أن رسول الله (ص) فعل ذلك فى حجة الوداع . تفرد به أحمد من هذا الوجه .

قال أبو داود ثنا أبو سلمة موسى ثنا حماد — يعنى ابن سلمة — أنبأنا أبو عاصم الغنوى عن أبى الطفيل قال قلت لابن عباس يزعم قومك أن رسول الله (ص) قد رمل بالبيت وأن ذلك سنة ؟ فقال : صدقوا وكذبوا ، قلت ماصدقوا وما كذبوا ؟ قال صدقوا رمل رسول الله (ص) ، وكذبوا ليس بسنة ، إن قريشاً زمن الحديبية قالت دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت النغف ، فلما صالحوه على أن يجيئوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام فقدم رسول الله (ص) والمشركون من قبل قعيقعان ، فقال رسول الله (ص) لأصحابه « ارملوا بالبيت ثلاثا » قال وليس بسنة . وقد رواه مسلم من حديث سعيد الجريرى وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسين وعبد الملك بن سعيد بن أبجر ثلاثتهم عن أبى الطفيل عامر بن واثلة عن ابن عباس به نحوه . وكون الرمل فى الطواف سنة مذهب الجمهور ، فان رسول الله (ص) رمل فى عمرة القضاء وفى عمرة الجعرانة أيضاً كما رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبى الطفيل عن ابن عباس فذكره . وثبت فى حديث جابر عند مسلم وغيره أنه عليه السلام رمل فى حجة الوداع فى الطواف ، ولهذا قال عمر بن الخطاب فيم الرملان وقد أطال الله الأسلام ؟ ومع هذا لا نترك شيئاً فعله رسول الله (ص) ، وموضع تقرير هذا كتاب الاحكام . وكان ابن عباس فى المشهور عنه لايرى ذلك سنة كما ثبت فى الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس قال : إنما سعى النبى صلى الله عليه وسلم بالبيت و بالصفا والمروة ليرى المشركين قوته . لفظ البخارى . وقال الواقدى : لما قضى رسول الله (ص) نسكه فى القضاء دخل البيت فلم يزل فيه حتى أذن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة ، وكان رسول (ص) أمره بذلك ، فقال عكرمة بن أبى جهل : لقد أكرم الله أبا الحكم حين لم يسمع هذا العبد يقول مايقول ! ! وقال صفوان بن أمية : الحمد لله الذى أذهب أبى قبل أن يرى هذا . وقال خالد بن اسيد : الحمد لله الذى أمات أبى ولم يشهد هذا اليوم حتى يقوم بلال ينهق فوق البيت . وأما سهيل بن عمرو ورجال معه لما سمعوا بذلك غطوا وجوههم . قال الحافظ البيهقى : قد أكرم الله أكثرهم بالاسلام .

قلت : كذا ذكره البيهقى من طريق الواقدى أن هذا كان فى عمرة القضاء ، والمشهور أن ذلك كان فى عام الفتح والله أعلم .

قصة تزويجه عليه السلام بميمونة

فقال ابن اسحاق : حدثنى أبان بن صالح وعبد الله بن أبى نجيح عن عطاء ومجاهد عن ابن عباس أن رسول الله (ص.) تزوج ميمونة بنت الحارث فى سفره ذلك وهو حرام ، وكان الذى زوجه إياها العباس بن عبد المطلب . قال ابن هشام : كانت جعلت أمرها الى أختها أم الفضل ، فجعلت أم الفضل أمرها إلى زوجها العباس ، فزوجها رسول الله (ص.) وأصدقها عنه أربعمائة درهم . وذكر السهيلى أنه لما إنتهت اليها خطبة رسول الله (ص.) لها وهى راكبة بعيراً قالت : الجمل وما عليه لرسول الله (ص.) . قال وفيها نزلت الآية [وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين] . وقد روى البخارى من طريق أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ص.) تزوج ميمونة وهو محرم ، وبنى بها وهو حلال ، وماتت بسرف . قال البيهقى : وروى الدار قطنى من طريق أبى الأسود يتيم عروة ومن طريق مطر الورّاق عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ص.) تزوج ميمونة وهو حلال . قال وتأولوا رواية ابن عباس الأولى أنه كان محرما أى فى شهر حرام كما قال الشاعر :

قتلوا ابنَ عفانَ الخليفةَ مُحْرِماً ... فدعا فلم أرَ مثلَه مخذولا

أى فى شهر حرام .

قلت : وفى هذا التأويل نظر ، لأن الرواية متظافرة عن ابن عباس بخلاف ذلك ولا سيما قوله تزوجها وهو محرم وبنى بها وهو حلال ، وقد كان فى شهر ذى القعدة أيضا وهو شهر حرام . وقال محمد بن يحيى الذهلى : ثنا عبد الرزاق قال قال لى الثورى : لا يلتفت إلى قول أهل المدينة . أخبرنى عمرو عن أبى الشعثاء عن ابن عباس أن رسول الله (ص.) تزوج وهو محرم ، قال أبو عبد الله قلت لعبد الرزاق روى سفيان الحديثين جميعاً عن عمرو عن أبى الشعثاء عن ابن عباس وابن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ؟ قال نعم أما حديث ابن خثيم فحدثنا هاهنا - يعنى باليمن - وأما حديث عمرو فحدثنا ثم — يعنى بمكة — وأخرجاه فى الصحيحين من حديث عمرو بن دينار به . وفى صحيح البخارى من طريق الأوزاعى أنبأنا عطاء عن ابن عباس أن رسول الله (ص.) تزوج ميمونة وهو محرم . فقال سعيد بن المسيب : وهم ابن عباس وإن كانت خالته ، ما تزوجها إلا بعد ما أحل . وقال يونس عن ابن اسحاق حدثنى بقية عن سعيد بن المسيب أنه قال : هذا عبد الله بن عباس يزعم أن رسول الله (ص.) نكح ميمونة وهو محرم فذكر كلمته ، إنما قدم رسول الله (ص.) مكة فكان الحل والنكاح جميعا فشبه ذلك على ابن عباس . وروى مسلم وأهل السنن من طرق عن

يزيد بن الأصم العامرى عن خالتـه ميمونة بنت الحارث قالت : تزوجنى رسول الله (ص) ونحن حلال بسرف . لـكن قال الترمذى : روى غير واحد هذا الحديث عن يزيد بن الأصم مرسلا أن رسول الله (ص) تزوج ميمونة . وقال الحافظ البيهقى أنبأنا أبو عبـد الله الحافظ أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الاصفهانى الزاهد ثنا اسماعيل بن اسحاق القاضى ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد ثنا مطر الوراق عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن سليمان بن يسار عن أبى رافع قال : تزوج رسول الله (ص) ميمونة وهو حلال و بنى بها وهو حلال وكنت الرسول بينهما . وهكذا رواه الترمذى والنسائى جميعاً عن قتيبة عن حماد بن زيد به ، ثم قال الترمذى حسن ولا نعلم أحداً أسنده عن حماد عن مطر و رواه مالك عن ربيعة عن سليمان مرسلا ، و رواه سليمان بن بلال عن ربيعة مرسلا

قلت : وكانت وفاتها بسرف سنة ثلاث وستين و يقال سنة ستين رضى الله عنها

ذكر خروجه (ص) من مكة بعد قضاء عمرته

قد تقدم ما ذكره موسى بن عقبة أن قريشاً بعثوا اليه حويطب بن عبد العزى بعد مضى أربعة ايام [1] ليرحل عنهم كما وقع به الشرط ،فعرض عليهم أن يعمل وليمة عرسه بميمونة عندهم و إنما أراد تأليفهم بذلك فابوا عليه وقالوا بل اخرج عنا ، فخرج وكذلك ذكره ابن اسحاق [1] وقال البخارى حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبى اسحاق عن البراء قال : اعتمر النبى صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام ، فلما كتبوا الـكتاب كتبوا هذا ما قاضى عليه محمـد رسول الله ، قالوا لا نقر بهذا لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئا ولـكن أنت محمد بن عبد الله قال « أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله » ثم قال لعلى ابن أبى طالب « أمح رسول الله » قال لا والله لا أمحوك أبداً ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الـكتاب وليس يحسن يكتب فـكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله لا يدخل مكة إلا السيف فى القراب وأن لا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه ، وأن لا يمنع من أصحابه أحداً أراد ان يقيم بها ، فلما دخل ومضى الاجل أتوا علياً فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقـد مضى الاجل ، فخرج النبى صلى الله عليه وسـلم فتبعته ابنة حمزة تنادى يا عم يا عم فتناولها على فأخذ بيدها وقال لفاطمة دونك ابنة عمك ، فحملتها فاختصم فيها على و زيد وجعفر فقال على : أنا أخذتها وهى ابنة عمى وقال جعفر : ابنـة عمى وخالتها تحتى ، وقال زيد : ابنة أخى فقضى بها النبى (ص) لخالتها وقال « الخالة بمنزلة الأم » وقال لعـلى « أنت منى وأنا منك » وقال لجعفر « اشبهت خَلقى وخُلقى » وقال لزيد « أنت أخونا ومولانا » قال على ألا تتزوج ابنة حمزة ، قال « إنها ابنة أخى من الرضاعة » .

(١—١) كذا فى الاصل وفى سيرة ابن هشام : ثلاثة أيام وأتاه حويطب فى اليوم الثالث .

تفرد به البخارى من هذا الوجه وقد روى الواقدى قصة أبنة حمزة فقال حدثنى ابن أبى حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن عمارة ابنة حمزة بن عبد المطلب وأمها سلمى بنت عميس كانت بمكة ، فلما قدم رسول الله (ص) كلم على بن أبى طالب رسول الله (ص) فقال : علام نترك ابنة عمنا يتيمة بين ظهرانى المشركين ؟ فلم ينه النبى (ص) عن إخراجها ، فخرج بها فتكلم زيد بن حارثة وكان وصى حمزة ، وكان النبى (ص) قد آخى بينهما حين آخى بين المهاجرين ، فقال أنا أحق بها ابنة أخى ، فلما سمع بذلك جعفر قال الخالة والدة وأنا أحق بها لمكان خالتها عندى أسماء بنت عميس وقال على : ألا أراكم تختصمون هى ابنة عمى وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين . وليس لكم اليها سبب دونى وأنا أحق بها منكم فقال النبى (ص) « أنا أحكم بينكم ، أما أنت يازيد فمولى الله ومولى رسول الله ، وأما أنت ياجعفر فتشبه خَلْقى وخُلُقى ، وأنت ياجعفر أولى بها تحتك خالتها ولا تنكح المرأة على خالتها ولا على عمتها » فقضى بها لجعفر . قال الواقدى : فلما قضى بها لجعفر قام جعفر فحجل حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال « ما هذا ياجعفر ؟ » فقال يارسول الله كان النجاشى إذا أرضى احداً قام فحجل حوله ، فقال للنبى (ص) تزوجها فقال « ابنة أخى من الرضاعة » فزوجها رسول الله (ص) سلمة بن أبى سلمة ، فكان النبى (ص) يقول « هل جزيت أبا سلمة » .

قلت : لانه ذكر الواقدى وغيره أنه هو الذى زوج رسول الله (ص) بامه أم سلمة ، لانه كان أكبر من أخيه عمر بن أبى سلمة والله أعلم .

قال ابن اسحاق : ورجع رسول الله (ص) إلى المدينة فى ذى الحجة ، وتولى المشركون تلك الحجة . قال ابن هشام : وأنزل الله فى هذه العمرة فيما حدثنى أبو عبيدة قوله تعالى [لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا] [يعنى خيبر] .

فصل

ذكر البيهقى هاهنا سرية ابن أبى العوجاء السلمى الى بنى سليم ، ثم ساق بسنده عن الواقدى حدثنى محمد بن عبد الله بن مسلم عن الزهرى قال : لما رجع رسول الله (ص) من عمرة القضية رجع فى ذى الحجة من سنة سبع ، فبعث ابن أبى العوجاء السلمى فى خمسين فارسا فخرج العين إلى قومه فحذرهم وأخبرهم فجمعوا جمعا كثيراً وجاءهم ابن أبى العوجاء والقوم معدون ، فلما أن رأوهم أصحاب رسول الله (ص) ورأوا جمعهم دعوهم إلى الاسلام ، فرشقوهم بالنبل ولم يسمعوا قولهم وقالوا لا حاجة لنا إلى ما دعوتم اليه فرموهم ساعة وجعلت الامداد تأتى حتى أحدقوا بهم من كل جانب ، فقاتل

القوم قتالا شديداً حتى قتل عامتهم ، وأصيب ابن أبى العوجاء بجراحات كثيرة فتحامل حتى رجع الى المدينة بمن بقى معه من أصحابه فى أول يوم من شهر صفر سنة ثمان .

فصل : قال الواقدى فى الحجة من هـذه السنة ـ يعنى سنة سبع ـ رد رسول الله (ص) ابنته زينب على زوجها أبى العاص بن الربيع وقد قدمنا الكلام على ذلك ، وفيها قدم حاطب بن أبى بلتعة من عند المقوقس ومعه مارية وسيرين وقد اسلمتا فى الطريق ، وغلام خصى . قال الواقدى : وفيها اتخذ رسول الله (ص) منبره درجتين ومقعده ، قال والثبت عندنا أنه عمل فى سنة ثمان .

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسّر وأعن بحولك وقوتك

سنة ثمان من الهجرة النبوية

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة

قد تقدم طرف من ذلك فيما ذكره ابن اسحاق بعد مقتل أبى رافع اليهودى (١) وذلك فى سنة خمس من الهجرة ، وانما ذكره الحافظ البيهقى ها هنا بعد عمرة القضاء فروى من طريق الواقدى أنبأنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال عمرو بن العاص : كنت للاسلام مجانبا معاندا ، حضرت بدراً مع المشركين فنجوت ، ثم حضرت أحداً فنجوت ، ثم حضرت الخندق فنجوت ، قال فقلت فى نفسى كم أوضع والله ليظهرن محمـدا على قريش فلحقت بمالى بالرهط وأقللت من الناس ـ أى من لقائهم ـ فلما حضر الحديبية وانصرف رسول الله (ص) فى الصلح ، ورجعت قريش إلى مكة ، جعلت أقول يدخل محمد قابلا مكة بأصحابه ما مكة بمنزل ولا الطائف ، ولا شئ خير من الخروج ، وأنا بعد نائى عن الاسـلام ، وأرى لو اسلمت قريش كلها لم أسلم ، فقدمت مكة وجمعت رجالا من قومى وكانوا يرون رأيى ويسمعون منى ويقدموننى فيما نابهم ، فقلت لهم كيف أنا فيكم ؟ قالوا ذو رأينا ومدرهنا فى يمن نفسه وبركة أمر ، قال قلت تعلمون أنى والله لارى أمر محمـد أمراً يعلو الامور علواً منكراً ، وإنى قد رأيت رأيا قالوا وما هو؟ قلت نلحق بالنجاشى فنكون معه ، فان يظهر محمد كنا عند النجاشى

(١) واسمه سلام بن أبى الحقيق أبو رافع الاعور قتله خمسة من أصحاب رسول الله بخيبر .

نكون تحت يد النجاشى أحب الينا من أن نكون تحت يد محمد ، و إن تظهر قريش فنحن من قد عرفوا ، قالوا هذا الرأى . قال قلت فاجمعوا ما نهديه له ـ وكان أحب ما يهدى اليه من أرضنا الأدم ـ فحملنا أدما كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا على النجاشى ، فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمرى وكان رسول الله (ص) قد بعثه بكتاب كتبه بزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان ، (١) فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لاصحابى : هذا عمرو بن أمية ولو قد دخلت على النجاشى فسألته إياه فاعطانيه فضربت عنقه ، فاذا فعلت ذلك سرت قريش وكنت قد أجزأت عنها حتى قتلت رسول محمد ، فدخلت على النجاشى فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال مرحبا بصديقى أهديت لى من بلادك شيئا ؟ قال قلت نعم أيها الملك أهديت لك أدما كثيراً ثم قدمته فاعجبه وفرق منه شيئا بين بطارقته وأمر بسائره فادخل فى موضع وأمر أن يكتب ويحتفظ به ، فلما رأيت طيب نفسه قلت أيها الملك إنى قد رأيت رجلا خرج من عندك وهو رسول عدو لنا قد وترنا وقتل أشرافنا وخيارنا فاعطنيه فاقتله ، فغضب من ذلك و رفع يده فضرب بها أنفى ضربة ظننت أنه كسره ، فابتدر منخراى فجعلت أتلقى الدم بثيابى فاصابنى من الذل ما لو انشقت بى الارض دخلت فيها فرقا منه ، ثم قلت أيها الملك لو ظننت أنك تكره ما قلت ما سألتك ، قال فاستحيا وقال : ياعمرو تسألنى أن أعطيك رسول من يأتيه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى والذى كان يأتى عيسى لتقتله ؟ قال عمرو فغير الله قلبي عما كنت عليه ، وقلت فى نفسى عرف هذا الحق والعرب والعجم وتخالف أنت ثم قلت أتشهد أيها الملك بهذا ؟ قال نعم أشهد به عند الله يا عمرو فأطعنى واتبعه فوالله إنه لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، قلت أتبايعنى له على الاسلام ؟ قال نعم فبسط يده فبايعنى على الاسلام ، ثم دعا بطست فغسل عنى الدم وكسانى ثيابا ـ وكانت ثيابى قد امتلأت بالدم فالقيتها ـ ثم خرجت على أصحابى فلما رأوا كسوة النجاشى سروا بذلك وقالوا هل أدركت من صاحبك ما أردت ؟ فقلت لهم كرهت أن أكلمه فى أول مرة وقلت أعود اليه ، فقالوا الرأى ما رأيت . قال ففارقتهم وكأنى أعمد الى حاجة فعمدت الى موضع السفن فاجد سفينة قد شحنت تدفع ، قال فركبت معهم ودفعوها حتى انتهوا الى الشعبة وخرجت من السفينة ومعى نفقة ، فابتعت بعيراً وخرجت أريد المدنية حتى مررت على مر الظهران ، ثم مضيت حتى اذا كنت بالهدة فاذا رجلان قد سبقانى بغير كثير يريدان منزلا وأحدهما داخل فى الخيمة والآخر يمسك الراحلتين ، قال فنظرت فاذا خالد بن الوليد ، قال قلت أين تريد ؟ قال محمداً ، دخل الناس فى الاسلام فلم يبق أحد به طعم ، والله لو أقمت

---

(١) هكذا فى الاصل ، وفى ابن هشام كان قد جاء فى شأن جعفر وأصحابه ، وفى السهيلى أنه جاء بكتاب النبي (ص) وكان فيه دعوته الى الاسلام .

لاخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضبع فى مغارتها، قلت وأنا الله قد أردت محمداً وأردت الاسلام، فخرج عثمان بن طلحة فرحب بى فنزلنا جميعاً فى المنزل، ثم اتفقنا حتى أتينا المدينة فما أنس قول رجل لقيناه ببئر أبى عتبة يصيح: يارباح يارباح يارباح، فتفاءلنا بقوله وسرنا، ثم نظر الينا فأسمعه يقول: قد أعطت مكة المقادة بعد هذين، وظننت أنه يعنيني ويعني خالد بن الوليد وولى مدبراً الى المسجد سريعاً فظننت أنه بشر رسول الله (ص) بقدومنا فكان كما ظننت، وأنخنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابنا، ثم نودى بالعصر فانطلقنا حتى أطلعنا عليه، وإن لوجهه تهللا والمسلمون حوله قد سروا باسلامنا فتقدم خالد بن الوليد فبايع، ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع، ثم تقدمت فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه فما استطعت أن أرفع طرفى حياء منه. قال فبايعته على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى ولم يحضرنى ما تأخر، فقال «إن الاسلام يجب ما كان قبله، والهجرة تجب ما كان قبلها» قال فوالله ما عدل بى رسول الله (ص) وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه فى أمر حزبه منذ أسلمنا، ولقد كنا عند أبى بكر بتلك المنزلة، ولقد كنت عند عمر بتلك الحالة وكان عمر على خالد كالعاتب. قال عبد الحميد بن جعفر شيخ الواقدى: فذكرت هذا الحديث ليزيد بن حبيب فقال: أخبرنى راشد مولى حبيب بن أبى أوس الثقفى عن مولاه حبيب عن عمرو بن العاص نحو ذلك.

قلت: كذلك رواه محمد بن اسحاق عن يزيد بن أبى حبيب عن راشد عن مولاه حبيب [قال] حدثنى عمرو بن العاص من فيه، فذكر ما تقدم فى سنة خمس بعد مقتل أبى رافع، وسياق الواقدى أبسط وأحسن. قال الواقدى عن شيخه عبد الحميد: فقلت ليزيد بن أبى حبيب وقت لك متى قدم عمرو وخالد؟ قال لا إلا أنه قال قبل الفتح، قلت فان أبى أخبرنى ان عمرا وخالداً وعثمان بن طلحة قدموا لهلال صفر سنة ثمان، وسيأتى عند وفاة عمرو من صحيح مسلم ما يشهد لسياق اسلامه وكيفية حسن صحبته لرسول الله (ص) مدة حياته، وكيف مات وهو يتأسف على ما كان منه فى مدة مباشرته الامارة بعده عليه الصلاة والسلام، وصفة موته رضى الله عنه.

طريق اسلام خالد بن الوليد

قال الواقدى: حدثنى يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال سمعت أبى يحدث عن خالد بن الوليد قال: لما أراد الله بى ما أراد من الخير قذف فى قلبى الاسلام وحضرنى رشدى، فقلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد (ص)، فليس فى موطن أشهده الا انصرف وأنا أرى فى نفسى أنى موضع فى غير شئ، وأن محمداً سيظهر، فلما خرج رسول الله (ص) الى الحديبية خرجت فى خيل من المشركين فلقيت رسول الله (ص) فى اصحابه بعسفان، فقمت بازائه

وتعرضت له فصلى بأصحابه الظهر أمامنا فهممنا أن نغير عليهم ثم لم يعزم لنا ـ وكانت فيه خيرة ـ فاطلع على ما فى أنفسنا من الهم به فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف ، فوقع ذلك منا موقعا وقلت الرجل ممنوع فاعتزلنا ، وعدل عن سير خيلنا وأخذ ذات اليمين ، فلما صالح قريشاً بالحديبية ودافعته قريش بالرواح قلت فى نفسى أى شئ بقى ؟ أين أذهب الى النجاشى ! فقد اتبع محمد وأصحابه عنده آمنون ، فاخرج الى هرقل فأخرج من دينى الى نصرانية أو يهودية ، فاقيم فى عجم ، فاقيم فى دارى بمن بقى فانا فى ذلك إذ دخل رسول الله (ص) مكة فى عمرة القضيه فتغيبت ولم أشهد دخوله ، وكان أخى الوليد بن الوليد قد دخل مع النبى (ص) فى عمرة القضيه ، فطلبنى فلم يجدنى فكتب الى كتاباً فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ، فانى لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام وعقلك عقلك ! ومثل الاسلام جهله أحد ؟ وقد سألنى رسول الله (ص) عنك وقال أين خالد ؟ فقلت يأتى الله به ، فقال « مثله جهل الاسلام ؟ ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين كان خيرا له ، ولقدمناه على غيره » فاستدرك يا أخى ما قد فاتك [من] مواطن صالحة . قال فلما جاءنى كتابه نشطت للخروج وزادنى رغبة فى الاسلام وسرنى سؤال رسول الله (ص) عنى ، وأرى فى النوم كأنى فى بلاد ضيقة مجدبة فخرجت فى بلاد خضراء واسعة فقلت إن هذه لرؤيا ، فلما أن قدمت المدينة قلت لاذكرنها لابى بكر ، فقال مخرجك الذى هداك الله للاسلام . والضيق الذى كنت فيه من الشرك ، قال فلما أجمعت الخروج الى رسول الله (ص) قلت من أصاحب الى رسول الله (ص) ؟ فلقيت صفوان بن أمية فقلت يا أبا وهب أما ترى ما نحن فيه إنما نحن كاضراس وقد ظهر محمد على العرب والعجم ، فلو قدمنا على محمد واتبعناه فان شرف محمد لنا شرف ؟ فأبى أشد الاباء فقال : لو لم يبق غيرى ما اتبعته أبدا . فافترقنا وقلت هذا رجل قتل أخوه وأبوه ببدر ، فلقيت عكرمة بن أبى جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أمية فقال لى مثل ما قال صفوان بن أمية ، قلت فاكتم على قال لا أذكره . فخرجت الى منزلى فأمرت براحلتى فخرجت بها الى أن لقيت عثمان بن طلحة فقلت إن هذا لى صديق فلو ذكرت له ما أرجو ، ثم ذكرت من قتل من آبائه فكرهت أن أذكره ، ثم قلت وما على وأنا راحل من ساعتى فذكرت له ما صار الأمر اليه فقلت إنما نحن بمنزلة ثعلب فى جحر لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج ، وقلت له نحوا مما قلت لصاحبى فاسرع الاجابة ، وقلت له انى غدوت اليوم وأنا أريد ان اغدو وهذه راحلتى بفج مناخة ، قال فاتعدت أنا وهو يأجج إن سبقنى أقام وإن سبقته أقمت عليه ، قال فادلجنا سحراً فلم يطلع الفجر حتى التقينا بيأجج ، فغدونا حتى انتهينا الى الهدة فنجد عمرو بن العاص بها ، قال مرحباً بالقوم فقلنا وبك ، فقال إلى أين مسيركم ؟ فقلنا وما أخرجك ؟ فقال وما أخرجكم ؟ قلنا الدخول فى الاسلام واتباع محمد (ص) ، قال وذاك الذى أقدمنى ، فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة فأنخنا بظهر الحرة

ركابنا فاخبر بنا رسول الله (ص) فسر بنا ، فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت الى رسول الله (ص) فلقيني أخي : فقال اسرع فان رسول الله (ص) قد أخبر بك فسر بقدومك وهو ينتظركم ، فأسرعنا المشي فاطلعت عليه فما زال يتبسم الي حتى وقفت عليه ، فسلمت عليه بالنبوة فرد علي السلام بوجه طلق ، فقلت إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، فقال « تعال » ثم قال رسول الله (ص) « الحمد لله الذي هداك قد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لا يسلمك الا الى خير » قلت يارسول الله اني قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك معانداً للحق فادعو الله أن يغفرها لي ، فقال رسول الله (ص) « الاسلام يجب ما كان قبله » قلت يارسول الله على ذلك ، قال « اللهم إغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيل الله » قال خالد : وتقدم عثمان وعمر و فبايعا رسول الله (ص) ، قال وكان قدومنا في صفر سنة ثمان ، قال والله ما كان رسول الله (ص) يعدل بي أحداً من أصحابه فيما حز به .

سرية شجاع بن وهب الأسدي الى هوازن

قال الواقدي : حدثني ابن أبي سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن عمر بن الحكم قال بعث رسول الله (ص) شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلا الى جمع من هوازن وأمره أن يغير عليهم ، فخرج وكان يسير الليل و يكمن النهار حتى جاءهم وهم غارين ، وقد أوعز الى أصحابه أن لا يمعنوا في الطلب ، فاصابوا نعماً كثيراً وشاء فاستاقوا ذلك حتى إذا قدموا المدينة فكانت سهامهم خمسة عشر بعيرا لكل رجل [وزعم غيره أنهم أصابوا سبيا أيضا وأن الامير اصطفى عنهم جارية وضيئة] ثم قدم أهلوهم مسلمين فشاور النبي (ص) أميرهم في ردهن اليهم ، فقال نعم فردوهن وخير التي عنده الجارية فاختارت المقام عنده ، وقد تكون هذه السرية هي المذكورة فيما رواه الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) بعث سرية قبل نجد فكان فيهم عبد الله بن عمر ، قال فاصبنا إبلا كثيرا فبلغت سهامنا إثنا عشر بعيراً ونفلنا رسول الله (ص) بعيراً بعيراً أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك ، ورواه مسلم أيضا من حديث الليث ومن حديث عبد الله كلهم عن نافع عن ابن عمر بنحوه [وقال أبو داود حدثنا هناد حدثنا عبدة عن محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر] قال بعث رسول الله (ص) سرية الى نجد فخرجت فيها فأصبنا نعماً كثيرا فنفلنا أميرنا بعيراً بعيراً لكل إنسان ، ثم قدمنا على رسول الله (ص) فقسم بيننا غنيمتنا فاصاب كل رجل منا اثنا عشر بعيراً بعد الخمس وما حاسبنا رسول الله (ص) بالذي أعطانا صاحبنا ولا عاب عليه ما صنع فكان لكل منا ثلاثة عشر بعيراً بنفله .

سرية كعب بن عمير الى بني قضاعة

قال الواقدى : حدثنا محمد بن عبدالله الزهرى قال بعث رسول الله (ص) كعب بن عمير الغفارى فى خمسة عشر رجلا حتى انتهوا الى ذات اطلاح من الشام ، فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً فدعوهم إلى الاسلام فلم يستجيبوا لهم و رشقوهم بالنبل ، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله (ص) قاتلوهم أشد القتال حتى قتلوا ، فارتث منهم رجل جريح فى القتلى ، فلما أن برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله (ص) ، فهم بالبعثة اليهم فبلغه انهم ساروا إلى موضع آخر .

غزوة مؤتة

وهى سرية زيد بن حارثة فى نحو من ثلاثة آلاف الى ارض البلقاء من أرض الشام .

قال محمد بن اسحاق بعد قصة عمرة القضية . فأقام رسول الله (ص) بالمدينة بقية ذى الحجة ، ـ وولى تلك الحجة المشركون ـ والمحرم وصفراً وشهرى ربيع و بعث فى جمادى الاولى بعثه إلى الشام الذين اصيبوا بمؤتة . فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال بعث رسول الله (ص) بعثه إلى مؤتة فى جمادى الاولى من سنة ثمان واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال « إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس ، فان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس » فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج وهم ثلاثة آلاف .

وقال الواقدى : حدثنى ربيعة بن عثمان عن عمرو بن الحكم عن ابيه قال : جاء النعمان ابن فنحص اليهودى فوقف على رسول الله (ص) مع الناس ، فقال رسول الله (ص) « زيد بن حارثة أمير الناس ، فان قتل زيد فجعفر بن أبى طالب ، فان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة ، فان قتل عبد الله بن رواحة فليرتض المسلمون بينهم رجلا فليجعلوه عليهم » . فقال النعمان : أبا القاسم إن كنت نبياً فلو سمّيت من سميت قليلا أو كثيراً أصيبوا جميعاً ؛ ان الانبياء فى بنى اسرائيل كانوا اذا سموا الرجل على القوم فقالوا ان أصيب فلان ففلان ، فلو سموا مائة اصيبوا جميعاً ، ثم جعل يقول لزيد اعهد فانك لا ترجع أبدا إن كان محمد نبياً . فقال زيد : أشهد أنه نبى صادق بار . رواه البيهقى .

قال ابن اسحق : فلما حضر خروجهم ودع الناس امراء رسول الله (ص) وسلموا عليهم ، فلما ودع عبد الله بن رواحة مع من ودع بكى ، فقالوا ما يبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال أما والله ما بى حبّ الدنيا ولا صبابة بكم . ولكنى سمعت رسول الله (ص) يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار [وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضياً] فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود ؟ فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم وردّكم الينا صالحين ، فقال عبد الله بن رواحة :

لكنني أسألُ الرحمنَ مغفرةً وضربةً ذاتَ فرعٍ تقذفُ الزبدا
أو طعنةً بيديْ حرّانَ مجهزةٍ بحربةٍ تنفذُ الأحشاءَ والكبدا
حتى يُقالَ اذا مرُّوا على جَدَثي أرشدَهُ اللهُ من غازٍ وقدْ رشدا

قال ابن اسحٰق : ثم أن القوم تهيئوا للخروج فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعه ثم قال :

فثبّتَ اللهُ ما آتاكَ من حَسَنٍ تثبيتَ موسى ونصراً كالذي نصروا
إنى تفرَّستُ فيكَ الخيرَ نافلةً اللهُ يعلم أني ثابتُ البصَر
أنتَ الرسولُ فمن يُحرَمْ نوافلَه والوجهَ منهُ فقدْ أزرى به القَدَرُ

قال ابن اسحٰق : ثم خرج القوم وخرج رسول الله (ص) يشيعهم حتى اذا ودعهم وانصرف ؛ قال عبد الله بن رواحة :

خلْفَ السلام على امرئٍ ودّعتُه فى النّخل خيرُ مشيّعٍ وخَليل

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد ثنا أبو خالد الاحمر عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن رسول الله (ص) بعث الى مؤتة فاستعمل زيداً ، فان قتل زيد فجعفر فان قتل جعفر فابن رواحة ؛ فتخلف ابن رواحة فجمع مع النبي (ص) فرآه فقال « ما خلفك ؟ » فقال اجمع معك « قال لغدوة أو روحة خير من الدنيا وما فيها » . وقال أحمد ثنا أبو معاوية ثنا الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : بعث رسول الله (ص) عبد الله بن رواحة فى سرية فوافق ذلك يوم الجمعة ، قال فقدّم أصحابه وقال أتخلف فاصلى مع رسول الله (ص) الجمعة ثم الحقهم ، قال فلما صلى رسول الله (ص) رآه فقال « ما منعك أن تغدو مع أصحابك ؟ » فقال أردت ان أصلى معك الجمعة ثم الحقهم ، فقال رسول الله (ص) « لو أنفقت ما فى الارض جميعاً ما أدركت غدوتهم » .
وهذا الحديث قد رواه الترمذى من حديث أبى معاوية عن الحجاج ـ وهو ابن ارطاة ـ ثم علله الترمذى بما حكاه عن شعبة انه قال لم يسمع الحكم عن مقسم الا خمسة احاديث وليس هذا منها .

قلت والحجاج بن أرطاة فى روايته نظر والله اعلم ، والمقصود من ايراد هذا الحديث انه يقتضى أن خروج الامراء الى مؤتة كان فى يوم جمعة والله أعلم .

قال ابن اسحاق : ثم مضوا حتى نزلوا معاناً من ارض الشام فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء فى مائة الف من الروم ، وانضم اليه من لخم وجذام والقين وبهراء و بلى مائة الف منهم عليهم رجل من بلى ، ثم لحد اراشة يقال له مالك بن رافلة ؛ وفى رواية يونس عن ابن اسحاق فبلغهم ان هرقل نزل بمآب فى مائة الف من الروم ومائة الف من المستعربة ، فلما بلغ ذلك المسلمين اقاموا

على معان ليلتين ينظرون فى أمرهم ، وقالوا نكتب الى رسول الله (ص) نخبره بعدد عدونا ، فاما أن يمدنا بالرجال ، و إما ان يأمرنا بأمره فنمضى له ، قال فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال : ياقوم والله إن التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فانما هى احدى الحسنيين ، إما ظهور و إما شهادة ، قال فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة ، فمضى الناس فقال عبد الله بن رواحة فى محبسهم ذلك :

جَلبْنا الخيلَ من اجأٍ وفرعٍ ... تُغَرُّ من الحشيشِ الى العكوم
حذوْناها من الصَّوّانِ سِبتاً ... أزلَّ كأنَّ صفْحتَه أديم
أقامتْ ليلتين على معانٍ ... فأُعقبَ بعدَ فترتِها جُموم
فَرُحْنا والجيادُ مسوَّماتٌ ... تنفَّسُ فى مَناخِرِها سَموم
فلا وأبى مآبَ لنأتِيَنْها ... و إنْ كانتْ بها عربٌ ورُوم
فعبَّأْنا أعنَّتَها فجاءتْ ... عوابسَ والغبارُ لها بريم
بذي لجبٍ كأنَّ البيضَ فيه ... اذا برزت قوانسُها النجوم
فراضيةُ المعيشة طلَّقتها ... اسنَّتُنا (١) فتنكِحُ أوتئيم

قال ابن اسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم قال : كنت يتيما لعبدالله بن رواحة فى حجره ، فخرج بى فى سفره ذلك مردفى على حقيبة رحله فوالله انه ليسير ليلتئذٍ سمعته وهو ينشد أبياته هذه :

اذا أدنيتَنى وحملْتَ رحلي ... مسيرةَ أربعٍ بعد الحساء
فشأنُك أنعمٌ وخلاكَ ذمٌ ... ولا أرجعُ الى أهلي ورائى
وجاءَ المسلمونَ وغادروني ... بأرضِ الشامِ مستنهى (٢) الثواء
وردَّكَ كلُّ ذى نسبٍ قريبٍ ... الى الرحمن مُنقطعَ الأخاء
هنالكَ لا أبالي طَلْعُ بَعْلٍ ... ولا نخلٍ أسافلُها رُواء

قال فلما سمعتهن منه بكيت ، فخفقنى بالدرة وقال : ما عليك يالكع أن يرزقنى الله الشهادة وترجع بين شعبتى الرحل ؟ ثم قال عبد الله بن رواحة فى بعض سفره ذلك وهو يرتجز :

يازيدُ زيدَ اليَعْمَلاتِ الذُّبَّلِ ... تطاولَ الليلُ هُديتَ فانزلِ

---

(١) فى ابن هشام : أسنتها . (٢) قال السهيلى : مستنهى الثواء مستفعل من النهاية والانتهاء أى حيث انتهى مثواه ، ومن رواه مشتهى الثواء (كما فى الاصل) أى لا أريد رجوعا .

قال ابن اسحاق : ثم مضي النـاس حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ، ثم دنا العدو وانحاز المسلمون الى قرية يقال لها مؤتة فالتقى الناس عندها فتعبى لهـم المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجـلا من بنى عذرة يقال له قطبة بن قتادة وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عباية بن مالك . وقال الواقدى : حـدثنى ربيعة بن عثمان عن المقبرى عن أبي هريرة قال : شهدت مؤتة فلما دنا منا المشركون رأينا مالا قبل لاحـد به من العدة والسـلاح والكراع والديباج والحرير والذهب ، فبرق بصرى ، فقال لى ثابت بن أرقم : يا أبا هريرة كأنك ترى جموعاً كثيرة ؟ قلت نعم ! قال إنك لم تشهد بدراً معنا ، إنا لم ننصر بالـكثرة رواه البيهقى . قال ابن اسحاق ثم التقى الناس فاقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله (ص) حتى شاط فى رماح القوم ، ثم أخـذها جعفر فقاتل القوم حتى قتل ، فـكان جعفر أول المسلمين عقر فى الاسلام . وقال ابن اسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبـد الله بن الزبير عن أبيه عباد حـدثنى أبي الذى ارضعنى وكان احـد بنى مرة بن عوف وكان فى تلك الغزوة غزوة مؤتة قال : والله لـكأنى أنظر الى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول :

يا حَبَّذَا الجنَّـةَ واقترابُهـا طيِّبَةٌ وبارداً شرابُها

والرومُ رومٌ قد دَنا عذابُها كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها علىّ إن لاقيتُها ضِرَابُها

وهذا الحديث قد رواه أبو داود من حديث أبى اسحاق ولم يذكر الشعر ، وقد استدل من جواز قتل الحيوان خشية أن ينتفع به العدو كما يقول أبو حنيفة فى الاغنام اذا لم تتبع فى السير ويخشى من لحوق العدو وانتفاعهم بها أنها تذبح وتحرق ليحال بينهم و بين ذلك والله أعلم . قال السهيلى ولم ينكر أحد على جعفر ، فدل على جوازه إلا اذا أمن أخذ العدو له ولا يدخل ذلك فى النهى عن قتل الحيوان عبثا. قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم أن جعفر أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث يشاء ، ويقال : إن رجلا من الروم ضربه يومئـذ ضربة فقطعه بنصفين . قال ابن اسحاق وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال حـدثنى أبى الذى ارضعنى وكان أحد بنى مرة بن عوف قال : فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد و يقول :

أقسمتُ يا نفسُ لتنزلِنَّه لتنزلِنَّ أو لتـكْرَهِنَّه

إن أجلبَ الناسُ وشدوا الرنّه مالي أراكِ تـكرهين الجنه

قد طالَما قد كنتِ مطمئنّه   هل أنتِ إلا نطفةٌ فى شِنّه

وقال أيضاً :

يا نفسُ إن لا تُقتَلي تموتي   هذا حِمامُ الموتِ قد صَليتِ
وما تمنَّيتِ فقد أُعطيتِ   إن تفعلي فِعْلَهما هُديتِ

يريد صاحبيه زيداً وجعفراً ، ثم نزل فلما نزل اتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال شد بهذا صلبك فانك قد لقيت فى أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه من يده فانتهس منه نهسة . ثم سمع الحطمة فى ناحية الناس فقال وانت فى الدنيا ثم ؟ القاه من يده ثم أخذ سيفه ثم تقدم فقاتل حتى قتل رضى الله عنه . قال ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم اخو بنى العجلان . فقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا أنت قال ما أنا بفاعل ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم وخاشى [1] بهم ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس . قال ابن اسحق : ولما أصيب القوم قال رسول الله (ص) ـ فيما بلغنى ـ أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، قال ثم صمت رسول الله (ص) حتى تغيرت وجوه الانصار وظنوا أنه قد كان فى عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ، ثم قال أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم قال لقد رفعوا الى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت فى سرير عبدالله ابن رواحة ازوراراً عن سريرى صاحبيه ، فقلت عم هذا ؟ فقيل لى مضيا وتردّد عبد الله بن رواحة بعض التردد ثم مضى . هكذا ذكر ابن اسحق هذا منقطعاً ، وقد قال البخارى ثنا أحمد بن واقد ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن حميد بن هلال عن انس بن مالك ان رسول الله (ص) نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبر ، فقال أخذ الراية زيد فاصيب ، ثم أخذها جعفر فاصيب ، ثم أخذها ابن رواحة فاصيب ، وعيناه تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم . تفرد به البخارى و رواه فى موضع آخر وقال فيه وهو على المنبر : وما يسرهم أنهم عندنا . وقال البخارى ثنا أحمد بن أبى بكير ثنا مغيرة بن عبدالرحمن المخزومى وليس بالحرامى عن عبد الله بن سعيد عن نافع عن عبد الله بن عمر . قال أمّر رسول الله (ص) فى غزوة مؤتة زيد ابن حارثة ، فقال رسول الله (ص) ان قتل زيد فجعفر ، وان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة ، قال عبد الله كنت فيهم فى تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبى طالب فوجدناه فى القتلى ووجدنا فى جسده بضعاً وتسعين من ضربة ورمية تفرد به البخارى أيضاً . وقال البخارى أيضاً حدثنا احمد ثنا ابن

(١) فى السهيلى : المحاشاة المحاجزة وهى مفاعلة من الحشية لانه خشى على المسلمين لقلة عددهم . ثم قال : ومن رواه حاشى بالحاء المهملة فهو من الحشى وهى الناحية . وقيل حاشى بهم انحاز بهم .

وهب عن ابن عمرو عن أبى هلال ـ هو سعيد بن أبى هلال الليثى ـ قالا : وأخبرنى نافع أن ابن عمر أخبره أنه وقف على جعفر بن أبى طالب يومئذ وهو قتيل فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شئ فى دبره . وهذا أيضاً من أفراد البخارى . ووجه الجميع بين هـذه الرواية والتى قبلها ان ابن عمر اطلع على هذا العدد ، وغيره اطلع على أكثر من ذلك ، وان هـذه فى قبله أصيبها قبل أن يقتل ، فلما صرع الى الارض ضربوه أيضاً ضربات فى ظهره ، فعد ابن عمر ما كان فى قبله وهو فى فى وجوه الاعداء قبل أن يقتل رضى الله عنه . ومما يشهد لما ذكره ابن هشام من قطع يمينه وهى ممسكة اللواء ثم شماله ما رواه البخارى ثنا محمد بن ابى بكر ثنا عمر بن على عن اسمعيل بن أبى خلاد عن عامر قال كان ابن عمر اذا حيّ ابن جعفر قال السلام عليك يا ابن ذى الجناحين . ورواه أيضا فى المناقب والنسائى من حديث يزيد بن هرون عن اسمعيل بن أبى خالد ، وقال البخارى ثنا أبو نعيم ثنا سفيان بن اسمعيل عن قيس بن أبى حازم قال سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد دق فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف فما بقى فى يدى الا صفحة يمانية . ثم رواه عن محمد بن المثنى عن يحيى بن اسمعيل حدثنى قيس سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد دق فى يدى يوم مؤتة تسعة اسياف وصبرت فى يدى صفحة يمانية انفرد به البخارى . قال الحافظ أبو بكر البيهقى ثنا ابو نصر بن قتادة ثنا أبو عمرو مطر ثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى ثنا سليمان بن حرب ثنا الاسود بن شيبان عن خالد بن سمير قال : قدم علينا عبدالله بن رباح الانصارى وكانت الانصار تفقهه ، فغشيه الناس فغشيته فيمن غشيه فقال ابو قتادة فارس رسول الله (ص) قال بعث رسول الله (ص) جيش الامراء وقال عليكم زيد بن حارثة ، وقال ان أصيب زيد فجعفر ، فان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ، قال فوثب جعفر وقال يارسول الله ما كنت أرهب أن تستعمل زيداً علىّ قال امض فانك لا تدرى أى ذلك خير ، فانطلقوا فلبثوا ما شاء الله فصعد رسول الله (ص) المنبر فأمر فنودى الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس على رسول الله (ص) فقال اخبركم عن جيشكم هذا ، انهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيداً فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدا شهد له بالشهادة واستغفر له ، ثم أخذ اللواء عبد الله ابن رواحة فاثبت قدميه حتى قتل شهيدا فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الامراء هو امّر نفسه ثم قال رسول الله (ص) « اللهم انه سيف من سيوفك أنت تنصره » فمن يومئذ سمى خالد سيف الله . ورواه النسائى من حديث عبدالله بن المبارك عن الاسود بن شيبان به نحوه ، وفيه زيادة حسنة وهو انه عليه الصلاة والسلام لما اجتمع اليه الناس قال باب خير باب خير وذكر الحديث .

وقال الواقد حدثنى عبد الجبار بن عمارة بن غزية عن عبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن حزم . قال : لما التقى الناس بمؤتة جلس رسول الله (ص) على المنبر وكشف الله له ما بينه و بين الشام فهو ينظر

الى معتركهم ، فقال أخذ الراية زيدبن حارثة فجاء الشيطان فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت ، وحبب اليه الدنيا فقال الآن استحكم الايمان فى قلوب المؤمنين تحبب الى الدنيا ، فمضى قدما حتى استشهد فصلى عليه رسول الله (ص) وقال استغفروا له فقد دخل الجنة وهو شهيد . قال الواقدى وحدثنى محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله (ص) قال لما قتل زيد أخذ الراية جعفر بن أبى طالب فجاءه الشيطان فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت ومناه الدنيا فقال الآن حين استحكم الايمان فى قلوب المؤمنين يمنينى الدنيا ، ثم مضى قدما حتى استشهد فصلى عليه رسول الله (ص) وقال استغفروا لاخيكم فانه شهيد دخل الجنة وهو يطير فى الجنة بجناحين من ياقوت حيث يشاء فى الجنة ، قال ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد ثم دخل الجنة معترضا فشق ذلك على الأنصار فقيل يا رسول الله ما أعتراضُهُ ؟ قال لما اصابته الجراح نكل فعاتب نفسه فتشجع واستشهد ودخل الجنة فسرى عن قومه . قال الواقدى وحدثنى عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه قال : لما أخذ خالد بن الوليد الراية قال رسول الله (ص) الآن حمى الوطيس . قال الواقدى فحدثنى العطاف بن خالد قال لما قتل ابن رواحة مساءبات خالد بن الوليد فلما أصبح غدا وقد جعل مقدمته ساقته وساقته مقدمته وميمنته ميسرته ، قال فانكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم وقالوا قد جاءهم مدد ، فرعبوا وانكشفوا منهزمين ، قال فقتلوا مقتلة لم يقتلها قوم . وهذا يوافق ما ذكره موسى بن عقبة رحمه الله فى مغازيه فانه قال بعد عمرة الحديبية ثم صدر رسول الله (ص) الى المدينة فمكث بها ستة أشهر ثم إنه بعث جيشاً الى مؤتة وامّر عليهم زيد بن حارثة وقال إن أصيب فجعفر بن أبى طالب أميرهم ، فان أصيب جعفر فعبدالله بن رواحة أميرهم ، فانطلقوا حتى اذا لقوا ابن أبى سبرة الغسانى بمؤتة وبها جموع من نصارى العرب والروم بها تنوخ وبهراء فاغلق ابن أبى سبرة دون المسلمين الحصن ثلاثة أيام ، ثم التقوا على زرع أحمر فاقتتلوا قتالا شديدا ، فاخذ اللواء زيد بن حارثة فقتل ، ثم اخذه جعفر فقتل ، ثم أخذه عبدالله بن رواحة فقتل ثم اصطلح المسلمون بعد امراء رسول الله (ص) على خالد بن الوليد المخزومى فهزم الله العدو واظهر المسلمين قال وبعثهم رسول الله (ص) فى جمادى الاولى ـ يعنى سنة ثمان ـ قال موسى بن عقبة : وزعموا ان رسول الله (ص) قال مرّ علىّ جعفر فى الملائكة يطير كما يطيرون وله جناحان . قال وزعموا ـ والله أعلم ـ أن يعلى بن أمية قدم على رسول الله (ص) بخبر أهل مؤتة فقال له رسول الله (ص) ان شئت فاخبرنى وان شئت أخبرك ، قال اخبرنى يارسول الله قال فاخبرهم رسول الله (ص) خبرهم كله ووصفه لهم ، فقال والذى بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره ، وإن أمرهم لكما ذكرت . فقال رسول الله (ص) « ان الله رفع لى الارض حتى رأيت معتركهم » فهذا السياق فيه فوائد كثيرة ليست عند ابن اسحاق وفيه مخالفة لما ذكره ابن اسحاق من أن خالد انما

حاش بالقوم حتى تخلصوا من الروم وعرب النصارى فقط . وموسى بن عقبة والواقدى مصرحان بانهم هزموا جموع الروم والعرب الذين معهم وهو ظاهر الحديث المتقدم عن أنس مرفوعا ، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه . ورواه البخارى وهذا هو الذى رجحه ومال اليه الحافظ البيهقى بعد حكاية القولين لما ذكر من الحديث .

قلت : ويمكن الجمع بين قول ابن اسحاق وبين قول الباقين وهو أن خالد لما أخذ الراية حاش بالقوم المسلمين حتى خلصهم من أيدى الكافرين من الروم والمستعربة . فلما أصبح وحول الجيش ميمنة وميسرة ومقدمة وساقة كما ذكره الواقدى توهم الروم أن ذلك عن مدد جاء الى المسلمين ، فلما حمل عليهم خالد هزموهم بأذن الله والله أعلم . وقد قال ابن اسحاق حدثنى محمد بن جعفر عن عروة قال لما أقبل أصحاب مؤتة تلقاهم رسول الله (ص) والمسلمون معه [قال ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله (ص) مقبل مع القوم على دابة فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم واعطونى ابن جعفر فأتى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه] فجعلوا يحثون عليهم بالتراب ويقولون يافرار فررتم فى سبيل الله ، فقال رسول الله (ص) « ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله عز وجل » وهذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة ، وعندى أن ابن اسحاق قد وهم فى هذا السياق فظن أن هذا الجمهور الجيش ، وإنما كان للذين فروا حين التقى الجمعان ، وأما بقيتهم فلم يفروا بل نصروا كما أخبر بذلك رسول الله (ص) للمسلمين وهو على المنبر فى قوله ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه ، فما كان المسلمون ليسموهم فراراً بعد ذلك وإنما تلقوهم إكراماً واعظاماً ، وإنما كان التأنيب وحثى التراب للذين فروا وتركوهم هنالك ، وقد كان فيهم عبد الله بن عمر رضى الله عنهما . قال الامام احمد حدثنا حسن ثنا زهير ثنا يزيد بن أبى زياد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن عبد الله بن عمر قال : كنت فى سرية من سرايا رسول الله (ص) فحاص الناس حيصة وكنت فيمن حاص ، فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب ؟ ثم قلنا لو دخلنا المدينة قتلنا ، ثم قلنا لو عرضنا انفسنا على رسول الله (ص) فان كانت لنا توبة والا ذهبنا ، فأتيناه قبل صلاة الغداة ، فخرج فقال من القوم ؟ قال قلنا نحن فرارون ، فقال لا بل انتم الكرارون انا فئتكم وانا فئة المسلمين ، قال فاتيناه حتى قبلنا يده . ثم رواه غندر عن شعبة عن يزيد بن أبى زياد عن ابن أبى ليلى عن ابن عمر قال : كنا فى سرية ففررنا فاردنا أن نركب البحر . فاتينا رسول الله (ص) فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون ، فقال لا بل انتم العكارون رواه الترمذى وابن ماجه من حديث يزيد بن أبى زياد وقال الترمذى حسن لا نعرفه الا من حديثه . وقال احمد حدثنا اسحاق بن عيسى وأسود بن عامر قالا : حدثنا شريك عن يزيد بن أبى زياد عن عبدالرحمن بن ابى ليلى عن ابن عمر قال : بعثنا رسول

الله (ص) فى سرية ، فلما لقينا العدو انهزمنا فى أول عادية ، فقدمنا المدينة فى نفر ليلا فاختفينا ثم قلنا لو خرجنا الى رسول الله (ص) واعتذرنا اليه ، فخرجنا اليه ثم التقيناه قلنا نحن الفرارون يا رسول الله قال « بل أنتم العكارون وانا فئتكم » قال الاسود « وانا فئة كل مسلم » وقال ابن اسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن حزم عن عامر بن عبد الله بن الزبير أن أم سلمة زوج النبى (ص) قالت لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة : مالى لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله (ص) ومع المسلمين ؟ قالت ما يستطيع أن يخرج كلما خرج صاح به الناس يافرار فررتم فى سبيل الله ، حتى قعد فى بيته ما يخرج وكان فى غزاة مؤتة .

قلت : لعل طائفة منهم فروا لما عاينوا كثرة جموع العدو على ما ذكروه مائتى الف ، ومثل هذا يسوغ الفرار على ما قد تقرر ، فلما فر هؤلاء ثبت باقيهم وفتح الله عليهم وتخلصوا من أيدى اولئك وقتلوا منهم مقتلة عظيمة كما ذكره الواقدى وموسى بن عقبة من قبله ، ويؤيد ذلك ويشا كله بالصحة ما رواه الامام احمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنى صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك الاشجعى قال : خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة من المسلمين فى غزوة مؤتة ، ومدوى من اليمن ليس معه غير سيفه فنحر رجل من المسلمين جزوراً فسأله المدوى طابقة من جلده فاعطاه اياه فاتخذه كهيئة الدرقة ، ومضينا فلقينا جموع الروم وفيهم رجل على فرس له اشقر عليه سرج مذهب وسلاح مذهب ، فجعل الرومى يغرى بالمسلمين ، وقعد له المدوى خلف صخرة فمر به الرومى فعرقبه فخر وعلاه فقتله ، وحاز فرسه وسلاحه ، فلما فتح الله للمسلمين بعث اليه خالد بن الوليد يأخذ من السلب ، قال عوف فاتيته فقلت ياخالد اما علمت ان رسول الله (ص) قضى بالسلب للقاتل ؟ قال بلى ولكنى استكثر به ، فقلت به ؟ فقلت لتردنه اليه اولا عرفنكها عند رسول الله (ص) ، فابى أن يرد عليه . قال عوف فاجتمعنا عند رسول الله (ص) فقصصت عليه قصة المدوى وما فعل خالد فقال رسول الله (ص) « يا خالد رد عليه ما أخذت منه » قال عوف فقلت دونك ياخالد ألم أف لك ؟ فقال رسول الله (ص) وما ذاك فاخبرته فغضب رسول الله (ص) وقال « ياخالد لا ترد عليه هل أنتم تاركوا أمرائى لكم صفوة أمرهم وعليهم كدره » قال الوليد سألت ثورا عن هذا الحديث فحدثنى عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن عوف بنحوه . ورواه مسلم وأبو داود من حديث جبير بن نفير عن عوف بن مالك به نحوه وهذا يقتضى انهم غنموا منهم وسلبوا من أشرافهم وقتلوا من أمرائهم ، وقد تقدم فيما رواه البخارى أن خالدا رضى الله عنه قال اندقت فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف وما ثبت فى يدى الا صفحة يمانية ، وهذا يقتضى انهم أثخنوا فيهم قتلا ولو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلص منهم ، وهذا وحده دليل مستقل والله أعلم . وهذا هو

اختيار موسى بن عقبة والواقدى والبيهقى وحكاه ابن هشام عن الزهرى . قال البيهقى رحمه الله : إذ اختلف أهل المغازى فى فرارهم وانحيازهم ، فمنهم من ذهب الى ذلك ومنهم من زعم أن المسلمين ظهروا على المشركين وأن المشركين انهزموا . قال وحديث أنس بن مالك عن النبى (ص) « ثم أخذها خالد ففتح الله عليه » يدل على ظهورهم عليهم والله أعلم .

قلت : وقد ذكر ابن اسحاق أن قطبة بن قتادة العذرى ـ وكان رأس ميمنة المسلمين ـ حمل على مالك بن زافلة ويقال رافلة . وهو أمير أعراب النصارى فقتله وقال يفتخر بذلك :

طعنتُ ابنَ رافلةَ بنَ الاراشِ　　برمحٍ مضى فيه ثم انحطم
ضربتُ على جيدهِ ضربةً　　فمالَ كما مال غُصن السَّلَمْ
وسُقنا نساءَ بنى عمِّهِ　　غداةَ رقوقين سَوْقَ النَّعَم

وهذا يؤيد ما نحن فيه لأن من عادة أمير الجيش اذا قتل أن يفر أصحابه ، ثم إنه صرح فى شعره بانهم سبوا من نسائهم وهذا واضح فيما ذكرناه والله اعلم . واما ابن اسحاق فانه ذهب الى أنه لم يكن الا المحاشاة والتخلص من أيدى الروم وسمى هـذا نصراً وفتحاً أى باعتبار ما كانوا فيه من إحاطة العدو بهم وتراكمهم وتكاثرهم وتكاثفهم عليهم ، فكان مقتضى العادات أن يصطلحوا بالكلية ، فلما تخلصوا منهم وانحازوا عنهم كان هذا غاية المرام فى هذا المقام وهذا متحمل لكنه خلاف الظاهر من قوله عليه الصلاة والسلام « ففتح الله عليهم » والمقصود أن ابن اسحاق يستدل على ما ذهب اليه فقال : وقد قال فيما كان أمر الناس وأمر خالد بن الوليد ومخاشاته بالناس وانصرافه بهم قيس بن المحسر اليعمرى يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس يقول :

فوالله لا تَنْفكُّ نفسي تلومني　　على موقفي والخيلُ قابعةٌ قبل
وقفتُ بها لا مستجيزاً فنافذاً　　ولا مانعاً من كان حُمَّ له القتل
على أنني آسيتُ نفسي بخالدٍ　　ألا خالدٌ فى القوم ليس له مِثْل
وجاشتْ اليّ النفسُ من نحو جعفرٍ　　بمؤتةَ إذْ لا ينفعُ النابلُ النُّبل
وضمَّ إلينا حجزتيهم كليهما　　مهاجِرةٌ لا مشركون ولا عُزْل

قال ابن اسحاق : فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك فى شعره أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت ، وحقق انحياز خالد بمن معه . قال ابن هشام : واما الزهرى فقال ـ فيما بلغنا عنه ـ أمّر المسلمون عليهم خالد بن الوليد ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى رجع الى المدينة .

فصل

قال ابن أسحاق : حدثنى عبدالله بن أبى بكر عن أم عيسى الخزاعية عن أم جعفر بنت محمد بن

جعفر بن أبي طالب عن جدتها اسماء بنت عميس قالت : لما اصيب جعفر وأصحابه دخل عليّ رسول الله (ص) وقد دبغت أربعين مناء وعجنت عجيني وغسلت بنى ودهنتهم ونظفتهم ، فقال رسول الله (ص) « إئتني ببني جعفر » فأتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه ، فقلت يارسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك أبلغك عن جعفر وأصحابه شئ ؟ قال « نعم أصيبوا هذا اليوم » قالت فقمت أصيح واجتمع الى النساء وخرج رسول الله (ص) إلى أهله فقال « لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً فانهم قد شغلوا بأمر صاحبهم » . وهكذا رواه الامام أحمد من حديث ابن اسحاق ورواه ابن اسحاق من طريق عبد الله بن أبي بكر عن أم عيسى عن أم عون بنت محمد بن جعفر عن أسماء فذكر الأمر بعمل الطعام ، والصواب أنها أم جعفر وأم عون . وقال الامام أحمد حدثنا سفيان ثنا جعفر بن خالد عن أبيه عن عبدالله بن جعفر قال : لما جاء نعي جعفر حين قتل قال النبي (ص) « اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد أتاهم أمر يشغلهم . أو أتاهم ما يشغلهم » وهكذا رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن جعفر بن خالد بن سارة المخزومي المكي عن أبيه عن عبدالله بن جعفر وقال الترمذى حسن . ثم قال محمد بن اسحاق حدثني عبد الرحمن بن القاسم عن ابيه عن عائشة زوج النبي (ص) قالت : لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله (ص) الحزن . قالت فدخل عليه رجل فقال يارسول الله [إن النساء] عيينا وفتننا ، قال « أرجع اليهن فاسكتهن » قالت فذهب ثم رجع فقال له مثل ذلك ، قالت [يقول] وربما ضر التكلف - يعني أهله - [قالت قال فاذهب] فأسكتهن فان أبين فاحثوا في أفواههن التراب » قالت [وقلت في نفسي أبعدك الله فوالله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله (ص) ، قالت وعرفت أنه لا يقدر يحثى في أفواههن التراب . إنفرد به ابن اسحاق من هذا الوجه وليس في شئ من الكتب وقال البخارى ثنا قتيبة ثنا عبد الوهاب سمعت يحيى بن سعيد قال أخبرتني عمرة قالت سمعت عائشة تقول : لما قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة جلس رسول الله (ص) يعرف في وجهه الحزن ، قالت عائشة وأنا اطلع من صاير الباب - شق - فأتاه رجل فقال : أى رسول الله إن نساء جعفر وذكر بكاءهن ، فامره أن ينهاهن قالت فذهب الرجل ثم أتى فقال والله لقد غلبننا ، فزعمت أن رسول الله (ص) قال « فاحث في أفواههن من التراب » قالت عائشة رضى الله عنها فقلت أرغم الله أنفك ، فوالله ما أنت تفعل ذلك وما تركت رسول الله (ص) من العناء . وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائى من طرق عن يحيى بن سعيد الانصارى عن عمرة عنها . وقال الامام أحمد حدثنا وهب بن جرير ثنا أبي سمعت محمد بن أبي يعقوب يحدث عن الحسن بن سعد عن عبد الله بن جعفر قال : بعث رسول الله (ص) جيشاً استعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال « إن قتل زيد أو استشهد فأميركم جعفر ، فان قتل أو استشهد

فأميركم عبد الله بن رواحة » فلقوا العدو فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليه وأتى خبرهم النبي (ص) فخرج الى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: « إن إخوانكم لقوا العدو، وإن زيدا أخذ الراية فقاتل حتى قتل أو استشهد ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل أو استشهد، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل أو استشهد، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه » قال ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم، ثم أتاهم فقال « لا تبكوا على أخي بعد اليوم، أدعوا لي بني أخي » قال فجيء بنا كأننا أفرخ، فقال « ادعوا لي الحلاق » فجيء بالحلاق فحلق رؤسنا، ثم قال « أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب، وأما عبد الله فشبيه خلقي وخلقي » ثم أخذ بيدي فأشالها وقال « اللهم اخلف جعفرا في أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه » قالها ثلاث مرات. قال فجاءت أمنا فذكرت له يتمنا وجعلت تفرح [1] له فقال « العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟ » ورواه أبو داود ببعضه، والنسائي في السير بتمامه من حديث وهب بن جرير به، وهذا يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام أرخص لهم في البكاء ثلاثة أيام ثم نهاهم عنه بعدها. ولعله معنى الحديث الذي رواه الأمام أحمد من حديث الحكم بن عبد الله بن شداد عن اسماء أن رسول الله (ص) قال لها لما اصيب جعفر « تسلبي ثلاثا ثم اصنعي ما شئت » تفرد به أحمد فيحتمل أنه أذن لها في التسلب وهو المبالغة في البكاء وشق الثياب، ويكون هذا من باب التخصيص لها بهذا لشدة حزنها على جعفر أبي أولادها وقد يحتمل أن يكون أمراً لها بالتسلب وهو المبالغة في الاحداد ثلاثة أيام. ثم تصنع بعد ذلك ما شاءت مما يفعله المعتدات على أزواجهن من الاحداد المعتاد والله أعلم. ويروى تسلي ثلاثاً ـ أي تصبري ثلاثاً ـ وهذا بخلاف الرواية الأخرى والله أعلم. فاما الحديث الذي قال الامام أحمد حدثنا يزيد ثنا محمد بن طلحة ثنا الحكم بن عيينة عن عبد الله بن شداد عن أسماء بنت عميس قالت دخل رسول الله (ص) اليوم الثالث من قتل جعفر فقال لا تحدي بعد يومك هذا. فانه من أفراد احمد أيضاً وإسناده لا بأس به ولكنه مشكل إن حمل على ظاهره لانه قد ثبت في الصحيحين أن رسول الله (ص) قال « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميتها أكثر من ثلاثة أيام الا على زوج أربعة أشهر وعشراً » فان كان ما رواه الأمام احمد محفوظا فتكون مخصوصة بذلك أو هو أمر بالمبالغة في الاحداد هذه الثلاثة أيام كما تقدم والله أعلم.

---

(١) في النهاية تفسيرا لهذا الخبر: فهو من افرحه اذا غمه وازال عنه الفرح (ثم قال) وان كان بالجيم فهو من المفرج الذي لا عشيرة له حتى قال لها النبي (ص) أتخافين العيلة وأنا وليهم.

قلت : ورثت أسماء بنت عميس زوجها بقصيدة تقول فيها :

فآليتُ لا تنفكُّ نفسي حزينة عليك ولا ينفكُّ جلدي أغبرا

فلله عيناً من رأى مثله فتى أكرَّ وأحمى في الهياج وأصبرا

ثم لم تنشب أن انقضت عدتها فخطبها أبو بكر الصديق رضى الله عنه فتزوجها فأولم وجاء الناس للوليمة فكان فيهم على بن أبى طالب ، فلما ذهب الناس استأذن على أبا بكر رضى الله عنهما فى أن يكلم أسماء من وراء الستر فأذن له ، فلما اقترب من الستر نفحه ريح طيبها فقال لها على : — على وجه البسط — من القائلة فى شعرها :

فآليت لا تنفك نفسى حزينة عليك ولا ينفك جلدى أغبرا ؟

قالت دعنا منك يا أبا الحسن فانك امرؤ فيك دعابة . فولدت للصديق محمد بن أبى بكر ، ولدته بالشجرة بين مكة والمدينة ورسول الله (ص) ذاهب الى حجة الوداع ، فأمرها أن تغتسل وتهل وسيأتى فى موضعه ، ثم لما توفى الصديق تزوجها بعده على بن أبى طالب وولدت له أولاداً رضى الله عنه وعنها وعنهم أجمعين .

فصل

قال ابن اسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال : فلما دنوا من المدينة تلقاهم رسول الله (ص) والمسلمون ، قال ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله (ص) مقبل مع القوم على دابة ، فقال « خذوا الصبيان فاحملوهم واعطونى ابن جعفر » فأتى بعبد الله بن جعفر فحمله بين يديه ، قال وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون يافرار فررتم فى سبيل الله ! قال فيقول رسول الله (ص) « ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله » وهذا مرسل . وقد قال الامام أحمد ثنا أبو معاوية ثنا عاصم عن مؤرق العجلى عن عبد الله بن جعفر قال كان رسول الله (ص) اذا قدم من سفر تلقى الصبيان من أهل بيته ، وأنه قدم من سفر فسبق بى اليه ، قال فحملنى بين يديه ثم قال « جئ بأحد بنى فاطمة » إما حسن وإما حسين ، فاردفه خلفه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة . وقد رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث عاصم الاحول عن مؤرق به . وقال الامام أحمد ثنا روح حدثنا ابن جريج ثنا خالد بن سارة أن أباه أخبره أن عبد الله بن جعفر قال : لو رأيتنى وقثما وعبيد الله ابنى العباس ونحن صبيان نلعب اذ مر النبى (ص) على دابة فقال « ارفعوا هذا الى » فحملنى أمامه وقال لقثم « ارفعوا هذا الى » فجعله وراءه ، وكان عبيد الله أحب الى عباس من قثم فما استحى من عمه أن حمل قثما وتركه قال ، ثم مسح على رأسه ثلاثا وقال كلما مسح « اللهم اخلف جعفراً فى ولده » قال

قلت لعبدالله ما فعل قثم ؟ قال استشهد ؟ قال قلت الله ورسوله أعلم بالخير ؟ قال أجل . ورواه النسائى فى اليوم والليلة من حديث ابن جريج به . [وهذا كان بعد الفتح فان العباس إنما قدم المدينة بعد الفتح فاما الحديث رواه الامام أحمد ثنا اسماعيل ثنا حبيب بن الشهيد عن عبد الله بن أبى مليكة قال قال عبد الله بن جعفر لابن الزبير : أتذكر اذ تلقينا رسول الله (ص) أنا وأنت وابن عباس ؟ قال نعم فحملنا وتركك . وبهذا اللفظ أخرجه البخارى ومسلم من حديث حبيب بن الشهيد وهذا يعد من الاجوبة المسكتة ، ويروى أن عبد الله بن عباس أجاب به ابن الزبير أيضا ، وهذه القصة قصة أخرى كانت بعد الفتح كما قدمنا بيانه والله أعلم]

فصل

فى فضل هؤلاء الامراء الثلاثة زيد وجعفر وعبد الله رضى الله عنهم

اما زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة الكلبى القضاعى مولى رسول الله (ص) ، وذلك أن أمه ذهبت تزور أهلها فاغارت عليهم خيل فأخذوه فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد ، وقيل اشتراه رسول الله (ص) لها فوهبته من رسول الله (ص) قبل النبوة فوجده أبوه فاختار المقام عند رسول الله (ص) فاعتقه وتبناه ، فكان يقال له زيد بن محمد ، وكان رسول الله (ص) يحبه حباً شديداً ، وكان أول من أسلم من الموالى ، ونزل فيه آيات من القرآن منها قوله تعالى [وما جعل أدعياءكم أبناءكم] وقوله تعالى [ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله] وقوله تعالى [ما كان محمد أبا أحد من رجالكم] وقوله [وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها] الآية أجمعوا أن هذه الآيات أنزلت فيه ، ومعنى أنعم الله عليه أى بالاسلام ، وأنعمت عليه أى بالعتق ، وقد تكلمنا عليها فى التفسير . والمقصود أن الله تعالى لم يسم أحداً من الصحابة فى القرآن غيره ، وهداه الى الاسلام وأعتقه رسول الله (ص) وزوجه مولاته أم أيمن واسمها بركة فولدت له أسامة بن زيد ، فكان يقال له الحب بن الحب ، ثم زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش وآخى بينه وبين عمه حمزة بن عبد المطلب وقدمه فى الامرة على ابن عمه جعفر بن أبى طالب يوم مؤتة كما ذكرناه . وقد قال الامام أحمد والامام الحافظ أبو بكر بن أبى شيبة ـ وهذا لفظه ـ ثنا محمد بن

عبيد عن وائل بن داود سمعت البهى يحدث أن عائشة كانت تقول : ما بعث رسول الله (ص) زيد ابن حارثة فى سرية الا أمره عليهم ، ولو بقى بعد لاستخلفه . ورواه النسائى عن أحمد بن سلمان عن محمد بن عبيد الطنافسى به . وهذا اسناد جيد قوى على شرط الصحيح وهو غريب جدا والله أعلم . وقال الامام أحمد ثنا سليمان ثنا اسمعيل أخبرنى ابن دينار عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله (ص) بعث بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد ، فطعن بعض الناس فى أمرته ، فقام رسول الله (ص) فقال « ان تطعنوا فى إمرته فقد كنتم تطعنون فى إمرة أبيه من قبل ، وايم الله ان كان لخليقاً للامارة وإن كان لمن أحب الناس الىّ وان هذا لمن أحب الناس الى بعده » واخرجاه فى الصحيحين عن قتيبة عن اسمعيل - هو ابن جعفر بن أبى كثير المدنى - عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر فذكره ورواه البخارى من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه . ورواه البزار من حديث عاصم بن عمر عن عبيد الله بن عمر العمرى عن نافع عن ابن عمر ثم استغربه من هذا الوجه ، وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا عمر بن اسمعيل عن مجالد عن الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت : لما أصيب زيد ابن حارثة وجئ باسامة بن زيد وأوقف بين يدى رسول الله (ص) فدمعت عينا رسول الله (ص) فأخر ثم عاد من الغد فوقف بين يديه فقال « ألاقى منك اليوم ما لقيت منك أمس » وهذا الحديث فيه غرابة والله أعلم . وقد تقدم فى الصحيحين أنه لما ذكر مصابهم وهو عليه السلام فوق المنبر جعل يقول « أخذ الراية زيد فاصيب ، ثم أخذها جعفر فاصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فاصيب ، ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله عليه » قال وإن عينيه لتذرفان ، وقال وما يسرهم أنهم عندنا . وفى الحديث الآخر أنه شهد لهم بالشهادة فهم ممن يقطع لهم بالجنة . وقد قال حسان بن ثابت يرثى زيد بن حارثة وابن رواحة :

عينُ جُودي بدمعِك المنزورِ ... واذكُري فى الرَّخاء أهلَ القبور
واذكري مُؤتةً وما كانَ فيها ... يومَ راحوا فى وقعة التَّغْوير
حينَ راحوا وغادروا ثَمَّ زيداً ... نعْمَ مأوى الضَّريكِ والمأسور
حبَّ خيرِ الأنامِ طُرّاً جميعاً ... سيِّدَ الناسِ حُبُّه فى الصُّدور
اذا كم أحمدُ الذي لاسواه ... ذاكَ حُزني لهُ معاً وسروري
إن زيداً قد كانَ منّا بأمرٍ ... ليسَ أمرَ المكذِّبِ المغرور
ثم جُودي للخزرجيِّ بدمعٍ ... سيِّداً كانَ ثم غيرَ نزور
قد أتانا مِنْ قتْلِهم ما كفانا ... فبِحُزنٍ نُبيتُ غير سرور

واما جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم فهو ابن عم رسول الله (ص) وكان أكبر

من أخيه على بعشر سنين ، وكان عقيل أسن من جعفر بعشر سنين ، وكان طالب أسن من عقيل بعشر سنين ، أسلم جعفر قديماً وهاجر الى الحبشة وكانت له هناك مواقف مشهورة ، ومقامات محمودة ، وأجوبة سديدة ، وأحوال رشيدة ، وقد قدمنا ذلك فى هجرة الحبشة ولله الحمد . وقد قدم على رسول الله (ص) يوم خيبر فقال عليه الصلاة السلام « ما أدرى أنا بأيهما أسر ، أبقدوم جعفر أم بفتح خيبر » وقام اليه واعتنقه وقبل بين عينيه ، وقال له يوم خرجوا من عمرة القضية « أشبهت خَلقى وخُلقى » فيقال إنه حجل عند ذلك فرحاً كما تقدم فى موضعه ولله الحمد والمنة . ولما بعثه الى مؤتة جعل فى الامرة مصلياً ـ أى نائباً ـ لزيد بن حارثة ، ولما قتل وجدوا فيه بضعاً وتسعين ما بين ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، ورمية بسهم ، وهو فى ذلك كله مقبل غير مدبر ، وكانت قد طعنت يده اليمنى ثم اليسرى وهو ممسك اللواء فلما فقدهما احتضنه حتى قتل وهو كذلك . فيقال إن رجلا من الروم ضربه بسيف فقطعه باثنتين رضي الله عن جعفر ولعن قاتله ، وقد أخبر عنه رسول الله (ص) بانه شهيد ، فهو ممن يقطع له بالجنة . وجاء بالاحاديث تسميته بذى الجناحين . وروى البخارى عن ابن عمر أنه كان اذا سلم على أبنه عبد الله بن جعفر يقول : السلام عليك يا ابن ذى الجناحين ، وبعضهم يرويه عن عمر بن الخطاب نفسه ، والصحيح ما فى الصحيح عن ابن عمر . قالوا لأن الله تعالى عوضه عن يديه بجناحين فى الجنة وقد تقدم بعض ما روى فى ذلك . قال الحافظ أبو عيسى الترمذى : حدثنا على بن حجر ثنا عبد الله بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة قال قال (ص) « رأيت جعفراً يطير فى الجنة مع الملائكة » وتقدم فى حديث أنه رضى الله عنه قتل وعمره ثلاث وثلاثين سنة . وقال ابن الاثير فى الغابة كان عمره يوم قتل إحدى وأربعين ، قال وقيل غير ذلك .

قلت : وعلى ما قيل إنه كان أسن من على بعشر سنين يقتضى أن عمره يوم قتل تسع وثلاثون سنة لأن علياً أسلم وهو ابن ثمان سنين على المشهور فاقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وهاجر وعمره احدى وعشرين سنة ، ويوم مؤتة كان فى سنة ثمان من الهجرة والله أعلم . وقد كان يقال لجعفر بعد قتله الطيار لما ذكرنا ، وكان كريما جواداً ممدحاً ، وكان لكرمه يقال له أبا المساكين لاحسانه اليهم . قال الامام احمد وحدثنا عفان بن وهيب ثنا خالد عن عكرمة عن أبى هريرة قال : ما احتذى النعال ولا انتعل ، ولا ركب المطايا ولا لبس الثياب من رجل بعد رسول الله (ص) أفضل من جعفر بن أبى طالب وهذا إسناد جيد الى أبى هريرة وكأنه إنما يفضله فى الكرم ، فاما فى الفضيلة الدينية فمعلوم أن الصديق والفاروق بل وعثمان بن عفان أفضل منه ، واما أخوه على رضى الله عنهما فالظاهر أنهما متكافئان أو على أفضل منه ، وانما أراد أبو هريرة تفضيله فى الكرم بدليل ما رواه البخارى ثنا

أحمد بن أبى بكر ثنا محمد بن ابراهيم بن دينار أبو عبد الله الجهنى عن ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة ، أن الناس كانوا يقولون أكثر أبو هريرة وأنى كنت ألزم رسول الله (ص) بشبع بطنى خبز لا آكل الخمير ولا ألبس الحرير ولا يخدمنى فلان وفلانة ، وكنت ألصق بطنى بالحصباء من الجوع ، وإن كنت لاستقرئ الرجل الآية هى معى كى ينقلب بى فيطعمنى ، وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبى طالب ، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان فى بيته حتى إن كان ليخرج الينا العكة التى ليس فيها شئ فنشقها فنلعق ما فيها . تفرد به البخاري . وقال حسان ابن ثابت يرثى جعفراً :

ولقدْ بَكيتُ وعزَّ مَهْلِكُ جعفرٍ حِبِّ النبي على البرية كلها
ولقد جزعتُ وقلتُ حين نُعيتَ لى مَن للجِلادِ لدَى العُقاب وظلها
بالبيضِ حين تُسَلُّ من أغمادِها ضرباً وإنهالِ الرماح وعَلِّها
بعد ابن فاطمةَ المباركِ جعفرٍ خيرِ البرِيّة كلّها وأجلّها
رُزءاً وأكرمها جميعاً محْتِدا وأعزّها متظلّما وأذلها
للحقّ حين ينوبُ غيرَ تنحُّلٍ كذِباً وأنداها يدا وأقلّها
فُحشاً وأكثرها اذا ما يُجتَدى فَضلاً وأنداها يداً وأبَلّها
بالعُرفِ غيرُ محمدٍ لامثلُه حيٌّ من أحياءِ البرية كلّها

واما ابن رواحة فهو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس لا كبر بن مالك بن الاغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج أبو محمد ويقال أبو رواحة ، ويقال أبو عمرو الانصارى الخزرجى وهو خال النعمان بن بشير ، اخته عمرة بنت رواحة أسلم قديما وشهد العقبة وكان أحد النقباء ليلتئذ لبنى الحارث بن الخزرج وشهد بدرا وأحدا والخندق والحديبية وخيبر وكان يبعثه على خرصها كما قدمنا وشهد عمرة القضاء ودخل يومئذ وهو ممسك بزمام ناقة رسول الله (ص) وقيل بغرزها - يعنى الركاب - وهو يقول * خلوا بنى الكفار عن سبيله * الأبيات كما تقدم . وكان أحد الامراء الشهداء يوم مؤتة كما تقدم وقد شجع المسلمين للقاء الروم حين اشتوروا فى ذلك وشجع نفسه أيضاً حتى نزل بعد ما قتل صاحباه ، وقد شهد له رسول الله (ص) بالشهادة فهو ممن يقطع له بدخول الجنة . ويروى أنه لما أنشد النبى (ص) شعره حين ودعه الذى يقول فيه :

فثبتَ اللهُ ما آتاكَ من حسنٍ تثبيتَ موسى ونصراً كالذي نُصروا

قال له رسول الله (ص) « وأنت فثبتك الله » قال هشام بن عروة : فثبته الله حتى قتل شهيدا ودخل الجنة . وروى حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أن عبد الله بن رواحة أتى

رسول الله (ص) وهو يخطب فسمعه يقول « اجلسوا » فجلس مكانه خارجا من المسجد حتى فرغ الناس من خطبته ، فبلغ ذلك النبي (ص) فقال « زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله » وقال البخاري في صحيحه وقال ابن معاذ اجلس بنا نؤمن ساعة . وقد ورد الحديث المرفوع في ذلك عن عبد الله بن رواحة بنحو ذلك فقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد عن عمارة عن زياد النحوي عن أنس قال : كان عبد الله بن رواحة اذا لقي الرجل من أصحابه يقول : تعال نؤمن بربنا ساعة ، فقال ذات يوم لرجل فغضب الرجل فجاء فقال يا رسول الله ألا ترى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة ! فقال النبي (ص) « رحم الله ابن رواحة إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة » وهذا حديث غريب جدا . وقال البيهقي ثنا الحاكم ثنا أبو بكر ثنا محمد بن أيوب ثنا أحمد بن يونس ثنا شيخ من أهل المدينة عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار أن عبدالله بن رواحة قال لصاحب له : تعال حتى نؤمن ساعة ، قال أو لسنا بمؤمنين ؟ قال بلى ولكنا نذكر الله فنزداد إيمانا . وقد روى الحافظ أبو القاسم اللاكائي[1] من حديث أبي اليمان عن صفوان بن سليم عن شريح بن عبيد أن عبد الله بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه فيقول : قم بنا نؤمن ساعة فنجلس في مجلس ذكر . وهذا مرسل من هذين الوجهين وقد استقصينا الكلام على ذلك في أول شرح البخاري ولله الحمد والمنة . وفي صحيح البخاري عن أبي الدرداء قال : كنا مع رسول الله (ص) في سفر في حر شديد وما فينا صائم إلا رسول الله (ص) وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه ، وقد كان من شعراء الصحابة المشهورين ، ومما نقله البخاري من شعره في رسول الله (ص) :

وفينا رسولُ الله نتلوا كتابه ... إذا انشقَّ معروفٌ من الفجر ساطع
يبيتُ يجافي جنبه عن فراشِه ... إذا استُثقِلتْ بالمشركين المضاجعُ
أتى بالهدى بعد العَمى فقلوبنا ... به موقناتٌ أنّ ما قالَ واقعُ

وقال البخاري حدثنا عمران بن ميسرة ثنا محمد بن فضيل عن حصين عن عامر عن النعمان بن بشير قال : أغمي على عبدالله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكي : واجبلاه وا كذا وا كذا تعدد عليه فقال حين أفاق ما قلت شيئا الا قيل لي أنت كذلك ؟ حدثنا قتيبة ثنا خيثمة عن حصين عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال : أغمي على عبد الله بن رواحة ، بهذا . فلما مات لم تبك عليه وقد قدمنا ما رثاه به حسان بن ثابت مع غيره . وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من مؤتة مع من رجع رضي الله عنهم :

كفى حزنا أني رجعتَ وجعفرٌ ... وزيدٌ وعبدُ الله في رمسِ أقبرِ

---

(١) كذا في الاصل وفي الحلبية : اللاكائي والمحفوظ : اللالكائي .

قضوا نَحْبَهم لمّا مضَوا لسبيلهم وخُلِّفْتُ للبلوى مَعَ المتغبِّرِ

وسيأتى إن شاء الله تعالى بقية مارثى به هؤلاء الامراء الثلاث من شعر حسان بن ثابت وكعب بن مالك رضى الله عنهما وأرضاهما .

فصل في من استشهد يوم مؤتة

فمن المهاجرين جعفر بن أبى طالب ، ومولاهم زيد بن حارثة الكلبى ، ومسعود بن الاسود بن حارثة بن نضلة العدوى ، و وهب بن سعد بن أبى سرح ، فهؤلاء أربعة نفر . ومن الانصار عبد الله ابن رواحة ، وعباد بن قيس الخزرجيان ، والحارث بن النعمان بن اساف بن نضلة النجارى ، وسراقة ابن عمرو بن عطية بن خنساء المازنى ، أربعة نفر . فمجموع من قتل من المسلمين يومئذ هؤلاء الثمانية على ما ذكره ابن اسحاق لكن قال ابن هشام : وممن استشهد يوم مؤتة فيما ذكره ابن شهاب الزهرى أبو كليب وجابر ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول المازنيان وهما شقيقان لأب وأم ، وعمرو وعامر ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى فهؤلاء أربعة من الانصار أيضاً فالمجموع على القولين اثنا عشر رجلا وهذا عظيم جدا أن يتقاتل جيشان متعاديان فى الدين أحدهما وهو الفئة التى تقاتل فى سبيل الله عدتها ثلاثة آلاف ، وأخرى كافرة وعدتها مائتا الف مقاتل ، من الروم مائة الف ، ومن نصارى العرب مائة الف ، يتبارزون و يتصاولون ثم مع هذا كله لا يقتل من المسلمين الا اثنا عشر رجلا وقد قتل من المشركين خلق كثير . هذا خالد وحده يقول لقد اندقت فى يدى يومئذ تسعة أسياف وماصبرت فى يدى الا صفحة يمانية فماذا ترى قد قتل بهذه الاسياف كلها ؟ ! دع غيره من الابطال والشجعان من حملة القرآن ، وقد تحكموا فى عبدة الصلبان عليهم لعائن الرحمن ، فى ذلك الزمان وفى كل أوان . وهذا مما يدخل فى قوله تعالى [وقد كان لكم فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة ترونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة لأولى الابصار] .

حديث فيه فضيلة عظيمة لامراء هذه السرية

وهم زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم . قال الامام العالم الحافظ أبو زرعة عبد الله بن عبد الكريم الرازى نضر الله وجهه فى كتابه دلائل النبوة ــ وهو كتاب جليل ــ حدثنا صفوان بن صالح الدمشقى ثنا الوليد ثنا ابن جابر . وحدثنا عبد الرحمن بن

إبراهيم الدمشقي ثنا الوليد وعمرو ـ يعني ابن عبد الواحد ـ قالا : ثنا ابن جابر سمعت سليم بن عامر الخبائري يقول أخبرني أبو أمامة الباهلي سمعت رسول الله (ص.) يقول « بينا أنا نائم إذا أتاني رجلان فأخذا بضبعي فأتيا بي جبلا وعراً فقالا اصعد ، فقلت لا أطيقه فقالا إنا سنسهله لك قال فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا أنا بأصوات شديدة فقلت ما هؤلاء الاصوات ؟ فقالا عواء أهل النار ثم انطلقا بي فاذا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل أشداقهم دما فقلت ما هؤلاء ؟ فقالا هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم فقال خابت اليهود والنصارى » قال سليم سمعه من رسول الله (ص.) ام من رأيه ؟ « ثم انطلقا بي فاذا قوم أشد شيء انتفاخاً وأنتن شيء ريحاً كأن ريحهم المراحيض قلت من هؤلاء ؟ قالا هؤلاء قتلى الكفار ثم انطلقا بي فاذا بقوم أشد انتفاخاً وأنتن شيء ريحاً كان ريحهم المراحيض قلت من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الزانون والزواني ثم انطلقا بي فاذا بنساء ينهش ثديهن الحيات فقلت ما بال هؤلاء ؟ قالا هؤلاء اللاتي يمنعن أولادهن البانهن ثم انطلقا بي فاذا بغلمان يلعبون بين بحرين قلت من هؤلاء قالا هؤلاء ذراري المؤمنين ثم أشرفا بي شرفاً فاذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم فقلت من هؤلاء ؟ قالا هذا جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله ابن رواحة ثم أشرفا بي شرفا آخر فاذا أنا بنفر ثلاثة فقلت من هؤلاء قالا هذا ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وهم ينتظرونك .

ما قيل من الاشعار في غزوة مؤتة

قال ابن أسحاق : وكان مما بكى به أصحاب مؤتة قول حسان :

تأوبني ليل بيثرب أعسرُ ... وَهمٌ اذا ما نوّم الناس مسهرُ
لذكرى حبيبٍ هيّجت ليَ عَبرة ... سَفوحاً وأسبابُ البكاءِ التذكّر
بلى إن فقدانَ الحبيبِ بليّةٌ ... وكم من كريم يبتلا ثم يصبر
رأيت خيار المسلمين تواردوا ... شعوباً وخلفاً بعدهم يتأخر
فلا يبعدنّ الله قتلى تتابعوا (١) ... بمؤتةَ منهم ذو الجناحين جعفر
وزيدٌ وعبد الله حين تتابعوا (١) ... جميعاً وأسبابُ المنية تخطر
غداةَ مضوا بالمؤمنين يقودهم ... الى الموت ميمونُ النقيبة أزهر
أغرّ كضوء البدر من آل هاشم ... أبيٌّ إذا سِيمَ الظلامةَ مجسر
فطاعنَ حتى مال غيرَ مؤسد ... بمعترك فيه القنا متكسّر

(١-١) في الاصول في الموضعين : تبايعوا والتصحيح من ابن هشام .

فصار مع المستشهَدين ثوابُهُ — جِنانٌ وملتفُّ الحدائق أخضر
وكنا نرى فى جعفرٍ من محمد — وفاءً وأمراً حازماً حين يأمر
ومازالَ فى الاسلامِ من آل هاشمٍ — دعائمُ عزٍ لا يُزَلْن ومفخَر
هُموا جبلُ الاسلام والناس حولهم — رُضامٌ الى طَوْدٍ يَرُوقُ وَيُبْهِر
بهاليلُ منهم جعفرٌ وابنُ أمّه — عليٌ ومنهم أحمدُ المتخيَّر
وحمزةُ والعبّاسُ منهم ومنهموا — عَقيلٌ وماء العُودِ من حيثُ يعصر
بهم تُفرَج اللأْواءُ فى كل مأزقٍ — عَماس[1] اذاماضاق بالناس مَصدَر
هم أولياءُ الله أنزلَ حُكمُهُ — عليهم، وفيهم ذا الكتابُ المطهر

وقال كعب بن مالك رضى الله عنه :

نامَ العيونُ ودمعُ عينِك يهمِلُ — سحًا كما وَكَفَ الطباب المخضل[2]
فى ليلة وردتْ عليَّ همومُها — طَوراً أخنُّ وتارة أتململ[3]
واعتادني حزنٌ فبتُّ كأنني — ببنات نعشٍ والسِّماكِ موكل
وكأنما بينَ الجوانحِ والحشا — مما تأوَّبني شهابٌ مدخل
وجداً على النفرَ الّذين تتابعوا — يوماً بمؤتةَ أسنَدوا لم ينقلوا
صلى الأله عليهمُ من فتيةٍ — وسقى عظامَهُمُ الغمامُ المسبِل
صبروا بمؤتةَ للأله نفوسَهم — حذر الردى ومخافةً أن ينكلوا
فمضَوا أمام المسلمين كأنهم — فُنقٌ عليهنّ الحديدُ المرفَل
إذ يهتدون بجعفرٍ ولوائه — قُدام أوّلهم فنعمَ الأول
حتى تفرّجتِ الصفوفُ وجعفرٌ — حيثُ التقى وعثُ الصفوف مجَدَّل
فتغير القمرُ المنير لفقده — والشمسُ قد كُسفت وكادت تأفل
قِرمٌ على بنيانه من هاشمٍ — فرعاً أشمّ وسؤدداً ما ينقل
قومٌ بهم عَصَمَ الالهُ عبادَه — وعليهمُ نزلَ الكتابُ المنزل
فضَلوا المعاشرَ عزّةً وتكرُّما — وتغمّدت أحلامُهم من يجهل
لا يطلقون الى السفاه حُباهموا — ويَرى خطيبُهمُ بحقٍّ يفصِل

---

(١) العماس المظلم والأعمس الضعيف البصر . (٢) فى الأصل الظباء المخضل وهو تصحيف . والطباب كما فى السهيلى جمع طبابة وهى سير بين خرزتين فى المزادة فاذا كان غير محكم وكف منه الماء . وأيضا جمع طبة وهى شقة مستطيلة . (٣) كذا فى الاصل وفى ابن هشام : أتململ .

بيضُ الوجوه ترى بطونَ أكفّهم تَنْدى اذا اعتذرَ الزمانُ الممحل
وبهَدْيهم رضيَ الالهُ لخلقه وبجدِّهم [١] نُصر النبيّ المرسل

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب بعث رسول الله (ص) الى ملوك الآفاق وكتبه اليهم

ذكر الواقدى أن ذلك كان فى آخر سنة ست فى ذى الحجة بعد عمرة الحديبية ، وذكر البيهقى هذا الفصل فى هذا الموضع بعد غزوة مؤتة والله أعلم . ولا خلاف بينهم أن بدء ذلك كان قبل فتح مكة و بعد الحديبية لقول أبى سفيان لهرقل حين سأله هل يغدر فقال لا ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو صانع فيها . وفى لفظ البخارى وذلك فى المدة التى ماد فيها أبو سفيان رسول الله (ص) . وقال محمد بن اسحاق : كان ذلك ما بين الحديبية و وفاته عليه السلام . ونحن نذكر ذلك هاهنا و إن كان قول الواقدى محتملا والله أعلم. وقد روى مسلم عن يوسف بن حماد المعنى عن عبد الاعلى عن سعيد ابن أبى عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك ان رسول الله (ص) كتب قبل مؤتة الى كسرى وقيصر و إلى النجاشى و إلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل وليس بالنجاشى الذى صلى عليه . وقال يونس ابن بكير عن محمد بن اسحاق حدثنى الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن عباس حدثنى أبو سفيان من فيه إلى فىّ قال: كنا قوماً تجارا وكانت الحرب قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا ، فلما كانت الهدنة ـ هدنة الحديبية ـ بيننا و بين رسول الله (ص) لا نأمن إن وجدنا أمناً ، فخرجت تاجراً إلى الشام مع رهط من قريش فوالله ما علمت بمكة امرأة ولا رجلا الا وقد حملنى بضاعة ، وكان وجه متجرنا من الشام غزة من أرض فلسطين فخرجنا حتى قدمناها وذلك حين ظهر قيصر صاحب الروم على من كان فى بلاده من الفرس فاخرجهم منها و رد عليه صليبه الاعظم وقد كان استلبوه إياه ، فلما أن بلغه ذلك وقد كان منزله بحمص من الشام فخرج منها يمشى متشكرا إلى بيت المقدس ليصلى فيه تبسط له البسط و يطرح عليها الرياحين ، حتى انتهى إلى ايلياء فصلى بها فاصبح ذات غداة وهو مهموم يقلب طرفه إلى السماء ، فقالت له بطارقته أيها الملك لقد أصبحت مهموماً ؟ فقال أجل ، فقالوا وما ذاك ؟ فقال أريت فى هذه الليلة أن ملك الختان ظاهر ، فقالوا والله ما نعلم أمة من الأمم تختتن الا اليهود وهم تحت يديك وفى سلطانك فان كان قد وقع ذلك فى نفسك

(١) كذا فى الاصول وفى ابن هشام : بجدهم بالحاء المهملة .

منهم فابعث فى مملكتك كلها فلا يبقى يهودى الا ضربت عنقه، فتستريح من هذا الهم. فانهم فى ذلك من رأيهم يديرونه بينهم إذ أتاهم رسول صاحب بصرى برجل من العرب قد وقع اليهم، فقال: أيها الملك إن هذا الرجل من العرب من أهل الشاء والابل يحدثك عن حدث كان ببلاده فاسأله عنه، فلما انتهى اليه قال لترجمانه: سله ما هذا الخبر الذى كان فى بلاده؟ فسأله فقال: هو رجل من العرب من قريش خرج يزعم أنه نبى وقد اتبعه أقوام وخالفه آخرون، وقد كانت بينهم ملاحم فى مواطن فخرجت من بلادى وهم على ذلك. فلما أخبره الخبر قال جردوه فاذا هو مختتن فقال هذا والله الذى قد أريت لا ما تقولون، أعطه ثوبه. انطلق لشأنك. ثم إنه دعا صاحب شرطته فقال له قلب لى الشام ظهراً لبطن حتى تأتى برجل من قوم هـذا أسأله عن شأنه، قال أبو سفيان فوالله إنى وأصحابى لبغزة اذ هجم علينا فسألنا ممن أنتم؟ فاخبرناه فساقنا اليـه جميعاً فلما انتهينا اليه قال أبو سفيان: فوالله ما رأيت من رجل قط أزعم أنه كان أدهى من ذلك الا غلف ـ يريد هرقل ـ قال فلما انتهينا اليه قال أيكم أمس به رحماً؟ فقلت أنا، قال ادنوه منى، قال فاجلسنى بين يديه ثم أمر أصحابى فاجلسهم خلفى وقال: إن كذب فردوا عليه، قال أبو سفيان فلقد عرفت أنى لو كذبت ما ردوا على ولكنى كنت امرءاً سيداً أتكرم وأستحى من الكذب وعرفت أن أدنى ما يكون فى ذلك أن يرووه عنى ثم يتحدثونه عنى بمكة فلم أكذبه، فقال أخبرنى عن هـذا الرجل الذى خرج فيكم، فزهدت له شأنه وصغرت له أمره، فقلت سلنى عما بدا لك؟ قال كيف نسبه فيكم؟ فقلت محضاً من أوسطنا نسباً، قال فاخبرنى هل كان من اهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به؟ فقلت لا قال فاخبرنى هل له ملك فاسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوه عليه؟ فقلت لا قال فاخبرنى عن اتباعه من هم؟ فقلت الأحداث والضعفاء والمساكين فاما أشرافهم وذووا الانساب منهـم فلا. قال فاخبرنى عمن صحبه أيحبه ويكرمه أم يقليه ويفارقه؟ قلت ما صحبه رجل ففارقه قال فأخبرنى عن الحرب بينكم وبينه؟ فقلت سجال يدال علينا وندال عليه. قال فاخبرنى هل يغدر فلم أجد شيئاً أغره به إلا هى قلت لا ونحن منه فى مدة ولا نأمن غدره فيها. فوالله ما التفت اليها منى قال فاعاد على الحديث، قال: زعمت أنه من أمحضكم نسباً وكذلك يأخذ الله النبى لا يأخذه الا من أوسط قومه، وسألتك هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به فقلت لا، وسألتك هل كان له ملك فاسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه فقلت لا، وسألتك عن اتباعه فزعمت أنهم الاحداث والمساكين والضعفاء وكذلك أتباع الأنبياء فى كل زمان، وسألتك عمن يتبعه أيحبه ويكرمه أم يقليه ويفارقه فزعمت أنه قل من يصحبه فيفارقه وكذلك حلاوة الايمان لا تدخـل قلبا فتخرج منه، وسألتك كيف الحرب بينكم وبينه فزعمت أنها سجال يدال عليكم وتدالون عليه وكذلك يكون حرب الانبياء

ولهم تكون العاقبة، وسألتك هل يغدر فزعمت أنه لا يغدر فلئن كنت صدقتني ليغلبن على ما تحت قدمي هاتين ولوددت أني عنده فأغسل عن قدميه، ثم قال الحق بشأنك قال فقمت وأنا أضرب إحدى يدي على الاخرى وأقول: يا عباد الله لقد أمر [أمر ابن أبي كبشة، وأصبح ملوك بني الأصفر يخافونه في سلطانهم. قال ابن اسحاق: وحدثني] الزهري قال حدثني أسقف من النصارى قد أدرك ذلك الزمان قال: قدم دحية بن خليفة على هرقل بكتاب رسول الله (ص) فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فان أبيت فان إثم الاكاريين عليك. قال فلما انتهى اليه كتابه وقرأه أخذه فجعله بين فخذه وخاصرته ثم كتب الى رجل من اهل رومية كان يقرأ من العبرانية ما يقرأ يخبره عما جاء من رسول الله (ص) فكتب اليه إنه النبي الذي ينتظر لا شك فيه فاتبعه، فأمر بعظماء الروم فجمعوا له في دسكرة ملكه ثم امر بها فاشرحت(١) عليهم واطلع عليهم من علية له وهو منهم خائف فقال: يامعشر الروم إنه قد جاءني كتاب احمد وإنه والله النبي الذي كنا ننتظر ونجد ذكره في كتابنا نعرفه بعلاماته وزمانه فاسلموا واتبعوه تسلم لكم دنياكم وآخرتكم فنخروا نخرة رجل واحد وابتدروا أبواب الدسكرة فوجدوها مغلقة دونهم، فخافهم وقال ردوهم على فردوهم عليه فقال لهم يامعشر الروم إني إنما قلت لكم هذه المقاله أختبركم بها لأنظر كيف صلابتكم في دينكم؟ فلقد رأيت منكم ما سرني فوقعوا له سجدا ثم فتحت لهم أبواب الدسكرة فخرجوا. وقد روى البخاري قصة أبي سفيان مع هرقل بزيادات أخرأ حببنا أن نوردها بسندها وحروفها من الصحيح ليعلم ما بين السياقين من التباين ومافيهما من الفوائد. قال البخاري قبل الايمان من صحيحه حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ثنا شعيب عن الزهري اخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس اخبره أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل اليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله (ص) ماد فيها أباسفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بايلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بالترجمان فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان فقلت أنا أقربهم نسباً، قال ادنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره. ثم قال لترجمانه قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل فان كذبني فكذبوه، فوالله لولا أن يؤثروا عني كذباً لكذبت عنه، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال كيف نسبه فيكم؟ قلت هو فينا ذونسب قال فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت لا قال فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت لا قال فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ قلت بل ضعفاؤهم قال أيزيدون أم ينقصون؟ قلت بل يزيدون قال فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه

---

(١) كذا بالأصل ولعلها: فأسرجت عليهم.

بعد أن يدخل فيــه ؟ قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بالـكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت لا قال فهل يغدر ، قلت لا ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها . قال ولم يمكنى كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الـكلمة ، قال فهل قاتلتموه ؟ قلت نعم قال فـكيف كان قتالـكم إياه ؟ قلت الحرب بيننا و بينه سجال ينال منا وننال منه ، قال ماذا يأمركم ؟ قلت يقول اعبدوا الله وحــده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم و يأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة ، فقال للترجمان : قل له سألتك عن نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها . وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله فذكرت أن لا فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله ، وسألتك هل كان من آبائه [من ملك] فذكرت أن لا فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالـكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الـكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل ، وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الايمان حتى يتم ، وسألتك أيرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب ، وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر ، وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبــدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الاوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فان كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمىّ هاتين . وقــد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منــكم فلو أعلم أنى أخلص اليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه . ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذى بعث به مع دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى أما بعــد : فإنى أدعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فان عليك إثم الاريسيّين و (يا أهل الـكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينــكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) قال أبو سفيان : فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الـكتاب كثر عنده الصَخَب وارتفعت الاصوات وأخرجنا ، فقلت لاصحابى حين خرجنا لقد امِرَ أمر ابن أبى كبشة أنه يخافه ملك بنى الاصفر ، فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله علىّ الاسلام قال وكان ابن الناطور صاحب إيلياء وهرقل أسقف على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس ، فقال بعض بطارقته قد استنكرنا هيئتك ؟ قال ابن الناطور : وكان هرقل حزّاء ينظر فى النجوم ، فقال لهم حين سألوه إنى رأيت حين نظرت فى النجوم ملك الختان

قد ظهر فمن يختتن من هذه الأمم ؟ قالوا ليس يختتن الا اليهود ولا يهمنك شأنهم وا كتب الى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود ، فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان نخبرهم عن خبر رسول الله ص ، فلما استخبره هرقل قال اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا اليه فحدثوه أنه مختتن ، وسأله عن العرب فقال هم يختتنون ، فقال هرقل : هذا ملك هذه الامة قد ظهر . ثم كتب إلى صاحب له برومية ـ وكان نظيره فى العلم ـ وسار هرقل إلى حمص فلم يرم بحمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأى هرقل على خروج النبى ص ،وهو نبى ، فأذن هرقل لعظماء الروم فى دسكرة له بحمص ثم أمر بابوابها فغلقت . ثم اطلع فقال : يامعشر الروم هل لكم فى الفلاح والرشد وأن يثبت لكم ملككم ؟ فتتابعوا لهذا النبى ، فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب فوجدوها قد غلقت ، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الايمان قال ردوهم على . وقال إنى إنما قلت مقالتى آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت ، فسجدوا له ورضوا عنه . فكان ذلك آخر شأن هرقل . قال البخارى : ورواه صالح بن كيسان ويونس ومعمر عن الزهرى . وقد رواه البخارى فى مواضع كثيرة فى صحيحه بالفاظ يطول استقصاؤها . وأخرجه بقية الجماعة الا ابن ماجه من طرق عن الزهرى . وقد تكلمنا على هذا الحديث مطولا فى أول شرحنا لصحيح البخارى بما فيه كفاية وذكرنا فيه من الفوائد والنكت المعنوية واللفظية ولله الحمد والمنة . وقال ابن لهيعة عن الاسود عن عروة قال : خرج أبو سفيان بن حرب إلى الشام تاجراً فى نفر من قريش وبلغ هرقل شأن رسول الله ص فأراد أن يعلم ما يعلم من شأن رسول الله ص ،فارسل إلى صاحب العرب الذى بالشام فى ملكه يأمره أن يبعث اليه برجال من العرب يسألهم عنه ، فأرسل اليه ثلاثين رجلا منهم أبو سفيان ابن حرب ، فدخلوا عليه فى كنيسة إيلياء التى فى جوفها ، فقال هرقل : أرسلت اليكم لتخبرونى عن هذا الذى بمكة ما أمره ؟ قالوا ساحر كذاب وليس بنبى ، قال فاخبرونى من أعلمكم به وأقربكم منه رحماً ؟ قالوا هذا أبو سفيان ابن عمه وقد قاتله ، فلما أخبروه ذلك أمر بهم فاخرجوا عنه ثم أجلس أبا سفيان فاستخبره ، قال اخبرنى يا أبا سفيان ؟ فقال هو ساحر كذاب ، فقال هرقل إنى لا أريد شتمه ولكن كيف نسبه فيكم ؟ قال هو والله من بيت قريش ، قال كيف عقله ورأيه ؟ قال لم يغب له رأى قط . قال هرقل هل كان حلافاً كذاباً مخادعاً فى أمره ؟ قال لا والله ما كان كذلك ، قال لعله يطلب ملكا أو شرفاً كان لاحد من اهل بيته قبله ؟ قال ابو سفيان لا ، ثم قال من يتبعه منكم هل يرجع اليكم منهم أحد ؟ قال لا ، قال هرقل هل يغدر اذا عاهد ؟ قال لا إلا أن يغدر مدته هذه . فقال هرقل وما تخاف من مدته هذه ؟ قال إن قومى أمدوا حلفاءهم على حلفائه وهو بالمدينة ، قال هرقل إن كنتم أنتم بدأتم فانتم أغدر ، فغضب ابو سفيان وقال لم يغلبنا الامرة واحدة وأنا يومئذ غائب وهو يوم

بدر ، ثم غزوته مرتين فى بيوتهم نبقر البطون ونجدع الآذان والفروج ، فقال هرقل كذاباً تراه أم صادقا فقال بل هو كاذب ، فقال إن كان فيكم نبي فلا تقتلوه فان أفعل الناس لذلك اليهود . ثم رجع أبو سفيان ففى هذا السياق غرابة وفيه فوائد ليست عند ابن اسحاق ولا البخارى . وقد اورد موسى ابن عقبة فى مغازيه قريبا مما ذكره عروة بن الزبير والله اعلم . وقال ابن جرير فى تاريخه : حدثنا ابن حميد ثنا سلمة ثنا محمد بن اسحاق عن بعض اهل العلم قال : إن هرقل قال لدحية بن خليفة الكلبى حين قدم عليه بكتاب رسول الله (ص) والله إنى لأعلم أن صاحبك نبى مرسل ، وأنه الذى كنا ننتظر ونجده فى كتابنا ولكنى أخاف الروم على نفسى ، ولولا ذلك لاتبعته ، فاذهب الى صغاطر الاسقف فاذكر له أمر صاحبكم فهو والله فى الروم أعظم منى وأجود قولا عندهم منى ؛ فانظر ماذا يقول لك ؟ قال فجاء دحية فاخبره بما جاء به من رسول الله (ص) الى هرقل وبما يدعو اليه ، فقال صغاطر والله صاحبك نبى مرسل نعرفه بصفته ونجده فى كتابنا باسمه ، ثم دخل وألقى ثياباً كانت عليه سوداً وليس ثياباً بياضاً ثم أخذ عصاه فخرج على الروم فى الكنيسة فقال : يا معشر الروم إنه قد جاءنا كتاب من احمد يدعونا فيه الى الله وانى أشهد أن لا اله الا الله وأن احمد عبده و رسوله . قال فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فضربوه حتى قتلوه قال فلما رجع دحية الى هرقل فاخبره الخبر قال قد قلت لك إنا نخافهم على أنفسنا ، فصغاطر والله كان أعظم عندهم واجوز قولا منى [وقد روى الطبرانى من طريق يحيى بن سلمة بن كهيل عن ابيه عن عبد الله بن شداد عن دحية الكلبى قال : بعثنى رسول الله (ص) الى قيصر صاحب الروم بكتاب فقلت استأذنوا لرسول رسول الله (ص) ، فأتى قيصر فقيل له إن على الباب رجلا يزعم أنه رسول رسول الله ففزعوا لذلك وقال أدخله فادخلنى عليه وعنده بطارقته فاعطيته الكتاب فاذا فيه ، بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى قيصر صاحب الروم ، فنخر ابن أخ له احمر ازرق سبط فقال لا تقرأ الكتاب اليوم فانه بدأ بنفسه وكتب صاحب الروم ولم يكتب ملك الروم ، قال فقرئ الكتاب حتى فرغ منه ثم أمرهم فخرجوا من عنده ثم بعث الى فدخلت عليه فسألنى فاخبرته ، فبعث الى الاسقف فدخل عليه — وكان صاحب أمرهم يصدرون عن رأيه وعن قوله — فلما قرأ الكتاب قال الاسقف : هو والله الذى بشرنا به موسى وعيسى الذى كنا ننتظر . قال قيصر فما تأمرنى ؟ قال الاسقف أما أنا فانى مصدقه ومتبعه ، فقال قيصر : أعرف أنه كذلك ولكن لا أستطيع أن أفعل إن فعلت ذهب ملكى وقتلنى الروم] و به قال محمد بن اسحاق عن خالد بن يسار عن رجل من قدماء اهل الشام قال : لما أراد هرقل الخروج من ارض الشام الى القسطنطينية لما بلغه من أمر النبى (ص) جمع الروم فقال : يامعشر الروم إنى عارض

عليكم أموراً فانظروا فيما أردت بها ؟ قالوا ما هى ؟ قال تعلمون والله ان هذا الرجل لنبى مرسل نجده نعرفه بصفته التى وصف لنا فهلم فلنتبعه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا فقالوا نحن نكون تحت ايدى العرب ونحن أعظم الناس ملكا ، وأكثره رجالا . وأقصاه بلداً ؟ ! قال فهلم أعطيه الجزية كل سنة أكسر شوكته وأستريح من حربه بما أعطيه إياه . قالوا نحن نعطى العرب الذل والصغار بخرج يأخذونه منا ونحن أكثر الناس عدداً ، وأعظمه ملكا ، وأمنعه بلدا ، لا والله لا نفعل هذا أبدا ، قال فهلم فلأصالحه على أن أعطيه أرض سورية ويدعنى وأرض الشام ، قال وكانت أرض سورية ؛ فلسطين والأردن ودمشق وحمص وما دون الدرب سورية ، وما كان وراء الدرب عندهم فهو الشام . فقالوا نحن نعطيه أرض سورية وقد عرفت أنها أرض سورية الشام لا نفعل هذا أبدا ، فلما أبوا عليه قال أما والله لتودن أنكم قد ظفرتم اذا امتنعتم منه فى مدينتكم . قال ثم جلس على بغل له فانطلق حتى اذا أشرف على الدرب استقبل أرض الشام ثم قال : السلام عليك يا أرض سوريه تسليم الوداع ، ثم ركض حتى دخل قسطنطينية والله أعلم .

ارساله (ص) الى ملك العرب من النصارى بالشام

قال ابن اسحاق : ثم بعث رسول الله ص شجاع بن وهب أخا بنى أسد بن خزيمة الى المنذر ابن الحارث بن أبى شمر الغسانى صاحب دمشق (١) . قال الواقدى : وكتب معه ؛ سلام على من اتبع الهدى وآمن به ، وادعوك الى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك . فقدم شجاع بن وهب فقرأه عليه فقال : ومن ينتزع ملكى ؟ إنى سأسير اليه .

بعثه الى كسرى ملك الفرس

وروى البخارى من حديث الليث عن يونس عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أن رسول الله ص بعث بكتابه مع رجل الى كسرى وأمره أن يدفعه الى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين الى كسرى ، فلما قرأه كسرى مزقه قال فحسبت أن ابن المسيب قال فدعا عليهم رسول الله ص أن يمزقوا كل ممزق . وقال عبد الله بن وهب عن يونس عن الزهرى حدثنى عبد الرحمن بن عبد القارى أن رسول الله ص قام ذات يوم على المنبر خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثم قال : « أما بعد فانى أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الاعاجم فلا تختلفوا على كما اختلفت بنو اسرائيل على عيسى بن مريم » فقال المهاجرون : يا رسول الله إنا لا نختلف عليك فى شئ أبداً فمرنا وابعثنا ، فبعث شجاع بن وهب إلى كسرى فأمر كسرى بايوانه أن يزين

(١) كذا بالاصل ، وفى ابن هشام : بعث شجاع بن وهب الاسدى الى الحارث بن شمر الغسانى ملك تخوم الشام . ثم جاء برواية أخرى أنه بعثه الى جبلة بن الأيهم الغسانى .

ثم اذن لعظماء فارس ، ثم أذن لشجاع بن وهب ، فلما أن دخل عليه أمر كسرى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبض منه ، فقال شجاع بن وهب : لا حتى أدفعه أنا اليك كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال كسرى ادنه فدنا فناوله الكتاب ثم دعا كاتباً له من أهل الحيرة فقرأه فاذا فيه : من محمد بن عبد الله ورسوله إلى كسرى عظيم فارس . قال فاغضبه حين بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصاح وغضب ومزق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه ، وأمر بشجاع ابن وهب فاخرج ، فلما رأى ذلك قعد على راحلته ثم سار ثم قال : والله ما أبالى على أى الطريقين أكون إذ أديت كتاب رسول الله (ص) . قال ولما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث الى شجاع ليدخل عليه فالتمس فلم يوجد ، فطلب إلى الحيرة فسبق ، فلما قدم شجاع على النبى (ص) أخبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه لكتاب رسول الله (ص) ، فقال رسول الله (ص) « مزق كسرى ملكه » وروى محمد بن اسحاق عن عبد الله بن أبى بكر عن أبى سلمة أن رسول الله (ص) بعث عبد الله بن حذافة بكتابه إلى كسرى ؟ فلما قرأه مزقه ، فلما بلغ رسول الله (ص) قال « مزق ملكه » وقال ابن جرير[1] حدثنا أحمد بن حميد ثنا سلمة ثنا ابن اسحاق عن زيد بن أبى حبيب قال : وبعث عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم إلى كسرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله فانى أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . فان تسلم تسلم وإن أبيت فان إثم المجوس عليك . قال فلما قرأه شقه وقال : يكتب إلى بهذا وهو عبدى ؟ ! قال ثم كتب كسرى الى باذام وهو نائبه على اليمن أن ابعث الى هذا الرجل بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتيانى به ، فبعث باذام قهرمانه ـ وكان كاتبا حاسباً ـ بكتاب فارس وبعث معه رجلا من الفرس يقال له خرخرة ، وكتب معهما الى رسول الله (ص) يأمره أن ينصرف معهما الى كسرى وقال : لأباذويه إيت بلاد هذا الرجل وكلمه وائتنى بخبره ، فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجلا من قريش فى أرض الطائف فسألوه عنه فقال هو بالمدينة ، واستبشر أهل الطائف ـ يعنى وقريش بهما ـ وفرحوا . وقال بعضهم لبعض أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك كفيتم الرجل ، فخرجا حتى قدما على رسول الله (ص) فكلمه أباذويه فقال : شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب الى الملك باذام يأمره أن يبعث اليك من يأتيه بك وقد بعثنى اليك لتنطلق معى ، فان

(١) فى ابن جرير اختلاف فى الأسماء فانه سمى باذام باذان واباذويه بابويه وخرخرة خرخسرة الى غير ذلك فراجعه فى السنة السادسة .

فعلت كتب لك الى ملك الملوك ينفعك ويكفه عنك ، وإن أبيت فهو من قد علمت فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك . ودخلا على رسول الله (ص) وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فكره النظر اليهما وقال « ويلكما من أمركما بهذا ؟ » قالا أمرنا ربنا - يعنيان كسرى - فقال رسول الله (ص) « ولكن ربى أمرنى باعفاء لحيتى وقص شاربى » ثم قال « ارجعا حتى تأتيانى غداً » قال وأتى رسول الله (ص) الخبر من السماء بان الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله فى شهر كذا وكذا فى ليلة كذا وكذا من الليل سلط عليه ابنه شيرويه فقتله . قال فدعاهما فاخبرهما فقالا هل تدرى ما تقول ؟ إنا قد نقمنا عليك ماهو أيسر من هذا فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك باذام ؟ قال « نعم اخبراه ذاك عنى وقولا له إن دينى وسلطانى سيبلغ ما بلغ كسرى وينتهى الى الخف والحافر ، وقولا له إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك من الابناء » ثم أعطى خرخرة منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك فخرجا من عنده حتى قدما على باذام فاخبراه الخبر فقال والله ما هذا بكلام ملك وإنى لأرى الرجل نبياً كما يقول وليكونن ما قد قال ، فلئن كان هذا حقاً فهو نبى مرسل ، وإن لم يكن فسنرى فيه رأياً . فلم ينشب باذام أن قدم عليه كتاب شيرويه أما بعد ؛ فانى قد قتلت كسرى ولم أقتله الا غضباً لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم ونحرهم فى ثغورهم ، فاذا جاءك كتابى هذا فخذ لى الطاعة ممن قبلك ، وانطلق الى الرجل الذى كان كسرى قد كتب فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمرى فيه . فلما انتهى كتاب شيرويه الى باذام قال : إن هذا الرجل لرسول فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن . قال وقد قال باذويه لباذام : ما كلمت أحداً أهيب عندى منه فقال له باذام هل معه شرط ؟ قال لا قال الواقدى رحمه الله : وكان قتل كسرى على يدى ابنه شيرويه ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الآخرة من سنة سبع من الهجرة لست ساعات مضت منها :

قلت : وفى شعر بعضهم ما يرشد أن قتله كان فى شهر الحرام وهو قول بعض الشعراء :

قتلوا كسرى بليل محرما   فتولى لم يمتع بكفن

وقال بعض شعراء العرب :

وكسرى إذ تقاسمه بنوه   بأسياف كما اقتسم اللحام

تمخضت المنون له بيوم   أنى ولكل حاملة تمام

وروى الحافظ البيهقى من حديث حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن أبى بكرة أن رجلا من أهل فارس أتى رسول الله (ص) فقال رسول الله (ص) « إن ربى قد قتل الليلة ربك » قال وقيل له - يعنى النبى (ص) - إنه قد استخلف ابنته فقال « لا يفلح قوم تملكهم امرأة » . قال

البيهقى : وروى فى حديث دحية بن خليفة أنه لما رجع من عند قيصر وجد عند رسول الله (ص) رسل كسرى ، وذلك أن كسرى بعث يتوعد صاحب صنعاء ويقول له : ألا تكفينى أمر رجل قد ظهر بأرضك يدعونى الى دينه ، لتكفينه أو لأفعلن بك ، فبعث اليه فقال لرسله « أخبروه أن ربى قد قتل ربه الليلة » فوجدوه كما قال . قال وروى داود بن أبى هند عن عامر الشعبى نحو هذا . ثم روى البيهقى من طريق أبى بكر بن عياش عن داود بن أبى هند عن أبيه عن أبى هريرة قال : أقبل سعد الى رسول الله (ص) فقال : « إن فى وجه سعد خبراً » فقال يا رسول الله هلك كسرى » فقال « لعن الله كسرى أول الناس هلا كا فارس ثم العرب » .

قلت : الظاهر أنه لما أخبر رسول الله (ص) بهلاك كسرى لذينك الرجلين يعنى الاميرين اللذين قدما من نائب اليمن باذام ، فلما جاء الخبر بوفق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام وشاع فى البلاد وكان سعد بن أبى وقاص أول من سمع جاء الى رسول الله (ص) فاخبره بوفق إخباره عليه السلام وهكذا بنحو هذا التقدير ذكره البيهقى رحمه الله . ثم روى البيهقى من غير وجه عن الزهرى أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه بلغه أن كسرى بينما هو فى دسكرة ملكه بعث له ـ أو قيض له ـ عارض يعرض عليه الحق فلم يفجأ كسرى الا برجل يمشى وفى يده عصاً فقال : يا كسرى هل لك فى الاسلام قبل أن أكسر هذه العصا ؟ فقال كسرى نعم لا تكسرها ، فولى الرجل فلما ذهب أرسل كسرى الى حجابه فقال من أذن لهذا الرجل على ؟ فقالوا ما دخل عليك أحد ، فقال كذبتم ، قال فغضب عليهم وتهددهم ثم تركهم . قال فلما كان رأس الحول أتى ذلك الرجل ومعه العصا قال يا كسرى هل لك فى الاسلام قبل أن أكسر هذه العصا ؟ قال نعم لا تكسرها ، فلما انصرف عنه دعا حجابه قال لهم كالمرة الأولى ، فلما كان العام المستقبل أتاه ذلك الرجل معه العصا فقال له هل لك يا كسرى فى الاسلام قبل أن أكسر العصا فقال لا تكسرها لا تكسرها فكسرها ، فأهلك الله كسرى عند ذلك . وقال الامام الشافعى : انبأ ابن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، فوالذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله » أخرجه مسلم من حديث ابن عيينة واخرجاه من حديث الزهرى به . قال الشافعى ولما أتى كسرى بكتاب رسول الله (ص) مزقه فقال رسول الله (ص) « يمزق ملكه » وحفظنا أن قيصر أكرم كتاب رسول الله (ص) ووضعه فى مسك ، فقال رسول الله (ص) « ثبت ملكه » قال الشافعى وغيره من العلماء ولما كانت العرب تأتى الشام والعراق للتجارة فأسلم من أسلم منهم شكوا خوفهم من ملكى العراق والشام الى رسول الله (ص) فقال « اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده » قال فباد ملك

الا كاسرة بالكلية و زال ملك قيصر عن الشام بالكلية ، و إن ثبت لهم ملك فى الجملة ببركة دعاء رسول الله (ص) لهم حين عظموا كتابه والله أعلم .

قلت : وفى هذا بشارة عظيمة بان ملك الروم لا يعود أبداً الى أرض الشام . وكانت العرب تسمى قيصر لمن ملك الشام مع الجزيرة من الروم ، وكسرى لمن ملك الفرس ، والنجاشى لمن ملك الحبشة ، والمقوقس لمن ملك الاسكندرية ، وفرعون لمن ملك مصر كافراً ، و بطليموس لمن ملك الهند ولهم أعلام أجناس غير ذلك وقد ذكرناها فى غير هذا الموضع والله اعلم . وروى مسلم عن قتيبة وغيره عن أبى عوانة عن سماك عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله (ص) « لتفتحن عصابة من المسلمين كنوز كسرى فى القصر الابيض » وروى اسباط عن سماك عن جابر بن سمرة مثل ذلك و زاد : وكنت أنا وأبى فيهم فأصبنا من ذلك الف درهم .

بعثه (ص) الى المقوقس

صاحب مدينة الاسكندرية واسمه جريج بن مينا القبطي

قال يونس بن بكير عن ابن اسحاق : حدثنى الزهرى عن عبد الله بن عبد القارى ان رسول الله (ص) بعث حاطب بن أبى بلتعة الى المقوقس صاحب الاسكندريه فمضى بكتاب رسول الله (ص) اليه ، فقبل الكتاب وأكرم حاطباً وأحسن نزله وسرحه الي النبى (ص) ، وأهدى له مع حاطب كسوة و بغلة بسرجها وجاريتين احداهما أم ابراهيم واما الاخرى فوهبها رسول الله (ص) لمحمد بن قيس العبدى . رواه البيهقى ثم روى من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه عن جده حاطب بن أبى بلتعة قال : بعثنى رسول الله (ص) الى المقوقس ملك الاسكندرية ، قال فجئته بكتاب رسول الله (ص) فانزلنى فى منزله وأقمت عنده ، ثم بعث الى وقد جمع بطارقته وقال : إنى سائلك عن كلام فأحب أن تفهم عنى قال قلت هلم قال أخبرنى عن صاحبك أليس هو نبى ؟ قلت بل هو رسول الله ، قال فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده الى غيرها ؟ قال فقلت عيسى ابن مريم أليس تشهد أنه رسول الله ؟ قال بلى قلت فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ألا يكون دعا عليهم بان يهلكهم الله حيث رفعه الله الى السماء الدنيا ؟ فقال لى : أنت حكيم قد جاء من عند حكيم هذه هدايا أبعث بها معك الى محمد وارسل معك ببذرقة يبذرقونك الى مأمنك ، قال فاهدى الى رسول الله (ص) ثلاث جوار منهن أم ابراهيم ابن رسول الله (ص) ، وواحدة وهبها رسول الله (ص) لحسان بن ثابت الانصارى ، وأرسل اليه بطرف من طرفهم . وذكر ابن اسحاق أنه أهدى الى رسول الله (ص) أربع جوار احداهن مارية أم ابراهيم والاخرى سيرين التى وهبها لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن بن حسان .

قلت : وكان فى جملة الهدية غلام أسود خصى اسمه مابور وخفين ساذجين أسودين و بغلة بيضاء اسمها الدلدل ، وكان مابور هذا خصياً ولم يعلموا بأمره بادى الأمر فصار يدخل على مارية كما كان من عاداتهم ببلاد مصر ، فجعل بعض الناس يتكلم فيهما بسبب ذلك ولا يعلمون بحقيقة الحال وأنه خصى حتى قال بعضهم إنه الذى أمر رسول الله (ص) على بن أبى طالب بقتله فوجده خصيا فتركه والحديث فى صحيح مسلم من طريق . . . (١) .

قال ابن اسحاق : و بعث سليط بن عمرو بن عبدود أخا بنى عامر بن لؤى إلى هوذة بن على صاحب اليمامة و بعث العلاء بن الحضرمى إلى جيفر بن الجلندى وعمار بن الجلندى الازديين صاحبى عمان (٢) .

غزوة ذات السلاسل

ذكرها الحافظ البيهقى هاهنا قبل غزوة الفتح ، فساق من طريق موسى بن عقبة وعروة بن الزبير قالا : بعث رسول الله (ص) عمرو بن العاص الى ذات السلاسل من مشارف الشام فى بلىّ وعبد الله ومن يليهم من قضاعة . قال عروة بن الزبير و بنو بلى أخوال العاص بن وائل ، فلما صار الى هناك خاف من كثرة عدوه فبعث الى رسول الله (ص) يستمده ، فندب رسول الله (ص) المهاجرين الأولين فانتدب أبو بكر وعمر فى جماعة من سراة المهاجرين رضى الله عنهم اجمعين ، وأمّر عليهم رسول الله (ص) أبا عبيدة بن الجراح . قال موسى بن عقبة فلما قدموا على عمرو قال أنا أميركم وأنا أرسلت إلى رسول الله (ص) أستمده بكم ، فقال المهاجرون بل أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أمير المهاجرين ، فقال عمرو إنما أنتم مدد أمددته ، فلما رأى ذلك ابو عبيدة ـ وكان رجل حسن الخلق لين الشيمة ـ قال : تعلم ياعمرو أن آخر ماعهد الى رسول الله (ص) أن قال : « إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا » وإنك إن عصيتنى لأطيعنك . فسلم أبو عبيدة الامارة لعمرو بن العاص . وقال محمد بن اسحاق حدثنى محمد ابن عبد الرحمن بن عبدالله بن الحصين التميمى قال : بعث رسول الله (ص) عمرو بن العاص يستنفر العرب الى الاسلام (٣) وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بنى بلى فبعثه رسول الله (ص) اليهم يتألفهم بذلك ، حتى إذا كان على ماء بارض جذام يقال له السلاسل ـ و به سميت تلك الغزوة ذات السلاسل ـ قال فلما كان عليه وخاف بعث الى رسول الله (ص) يستمده فبعث اليه أباعبيدة بن الجراح

---

(١) بياض فى الاصل الحلبى والمصرية وفى التيمورية : اقتصر على قوله فى صحيح مسلم .

(٢) ليست هذه الجملة فى التيمورية وفى ابن هشام أنه بعث العلاء بن الحضرمى الى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين ، وعمرو بن العاص الى جيفر وعبد ابنى الجلندى وسليط الى ثمامة بن أثال وهوذة بن على . (٣) فى ابن هشام : الى الشام وأحسبه خطأ .

فى المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر وعمر ، وقال لأبى عبيدة حين وجهه « لا تختلفا » فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له عمرو : إنما جئت مددا لى ؛ فقال له أبو عبيدة لا ولكنى على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه . وكان أبو عبيدة رجلا ليناً سهلا ، هيناً عليه أمر الدنيا . فقال له عمرو أنت مددى فقال له أبو عبيدة ياعمرو إن رسول الله ﷺ قد قال لى « لا تختلفا » و إنك إن عصيتنى أطعتك ، فقال له عمرو فانى أمير عليك وإنما أنت مدد لى ، قال فدونك فصلى عمرو بن العاص بالناس . وقال الواقدى : حدثنى ربيعة بن عثمان عن يزيد بن رومان أن أبا عبيدة لما آب الى عمرو ابن العاص فصاروا خمسمائة فساروا الليل والنهار حتى وطئ بلاد بلى ودوخها ، وكلما انتهى الى موضع بلغه أنه قد كان بهذا الموضع جمع فلما سمعوا بك تفرقوا حتى انتهى الى أقصى بلاد بلى وعذرة و بلقين ولاقى فى آخر ذلك جمعاً ليس بالكثير فاقتتلوا ساعة ، وتراموا بالنبل ساعة ، ورمى يومئذ عامر بن ربيعة وأصيب ذراعه ، وحمل المسلمون عليهم فهزموا وأعجزوا هرباً فى البلاد وتفرقوا ودوخ عمرو ما هناك أو قام أياماً لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه . وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاء والنعم فكانوا ينحرون ويذبحون ولم يكن فى ذلك أكثر من ذلك ، ولم تكن غنائم تقسم . وقال ابو داود ثنا ابن المثنى ثنا وهب بن جرير ثنا أبى سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبى حبيب عن عمران بن أبى أنس عن عبد الرحمن بن جبير عن عمرو بن العاص . قال : احتلمت فى ليلة باردة فى غزوة ذات السلاسل فاشفقت إن اغتسلت أن أهلك ، قال فتيممت ثم صليت بأصحابى الصبح فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال « ياعمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟ » قال فاخبرته بالذى منعنى من الاغتسال وقلت إنى سمعت الله يقول [ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما] فضحك نبى الله ﷺ ولم يقل شيئاً . حدثنا محمد بن سلمة ثنا ابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن يزيد ابن أبى حبيب عن عمران بن أبى انس عن عبد الرحمن بن جبير عن أبى قيس مولى عمرو بن العاص - وكان على سرية - فذكر الحديث بنحوه قال فغسل مغابنه وتوضأ وضوءه للصلاة ثم صلى بهم فذكر نحوه ولم يذكر التيمم . قال ابو داود : وروى هذه القصة عن الأوزاعى عن حسان بن عطية وقال فيه فتيمم . وقال الواقدى حدثنى أفلح بن سعيد عن ابن عبدالرحمن بن رقيش عن أبى بكر بن حزم قال : كان عمرو بن العاص حين قفلوا احتلم فى ليلة باردة كأشد ما يكون من البرد ، فقال لاصحابه ما ترون والله احتلمت فان اغتسلت مت ، فدعا بماء فتوضأ وغسل فرجه وتيمم ثم قام فصلى بهم ، فكان أول من بعث عوف بن مالك بريداً ، قال عوف فقدمت على رسول الله ﷺ فى السحر وهو يصلى فى بيته فسلمت عليه فقال رسول الله ﷺ « عوف بن مالك ؟ » فقلت عوف بن مالك يارسول الله ، قال « صاحب الجزور ؟ » قلت نعم ولم يزد على هذا بعد ذلك شيئاً ثم قال « أخبرنى »

فأخبرته بما كان من مسيرنا وما كان من أبي عبيدة وعمرو ومطاوعة أبي عبيدة ، فقال رسول الله (ص) « يرحم الله أبا عبيدة بن الجراح » قال ثم أخبرته أن عمراً صلى بالناس وهو جنب ومعه ماء لم يزد على أن غسل فرجه وتوضأ ، فسكت رسول الله (ص) فلما قدم عمرو على رسول الله (ص) سأله عن صلاته فأخبره فقال : والذي بعثك بالحق إني لو اغتسلت لمت لم أجد برداً قط مثله . وقد قال تعالى [ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما] قال فضحك رسول الله (ص) ولم يبلغنا أنه قال شيئاً .

وقال ابن اسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب عن عوف بن مالك الاشجعي قال كنت في الغزوة التي بعث فيها رسول الله (ص) عمرو بن العاص وهي غزوة ذات السلاسل فصحبت أبا بكر وعمر فمررت بقوم وهم على جزور قد نحروها وهم لا يقدرون على أن يبعضوها وكنت امرءاً جازراً ، فقلت لهم تعطوني منها عشراً على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا نعم فأخذت الشفرة فجزأتها مكاني وأخذت منها جزءاً فحملته إلى أصحابي فاطبخناه وأكلناه ، فقال أبو بكر وعمر : أنى لك هذا اللحم يا عوف ؟ فأخبرتهما فقالا لا والله ماأحسنت حين أطعمتنا هذا ، ثم قاما يتقيآن مافي بطونهما منه ، فلما أن قفل الناس من ذلك السفر كنت أول قادم على رسول الله (ص) فجئته وهو يصلي في بيته فقلت السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ، فقال « أعوف بن مالك ؟ » فقلت نعم بأبي أنت وأمي فقال « صاحب الجزور ؟ » ولم يزدني على ذلك شيئاً . هكذا رواه محمد بن اسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن عوف بن مالك وهو منقطع بل معضل . قال الحافظ البيهقي : وقد رواه ابن لهيعة وسعيد بن أبي أيوب عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط عن مالك بن زهدم أظنه عن عوف بن مالك فذكر نحوه إلا أنه قال : فعرضته على عمر فسألني عنه فأخبرته فقال قد تعجلت أجرك ولم يأكله. ثم حكى عن أبي عبيدة مثله ولم يذكر فيه أبا بكر وتمامه كنحو ما تقدم . وقال الحافظ البيهقي انبا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم ثنا يحيي ابن أبي طالب ثنا علي بن عاصم ثنا خالد الحذاء عن أبي عثمان النهدي سمعت عمرو بن العاص يقول بعثني رسول الله (ص) على جيش ذات السلاسل وفي القوم أبو بكر وعمر ، فحدثت نفسي أنه لم يبعثني على أبي بكر وعمر الا لمنزلة لي عنده ، قال فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت يا رسول الله من أحب الناس اليك قال « عائشة » ؟ قلت إني لست أسألك عن أهلك قال « فأبوها » قلت ثم من ؟ قال « عمر » قلت ثم من ؟ حتى عدد رهطاً قال قلت في نفسي لا أعود أسأل عن هذا ، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طريق خالد بن مهران الحذاء عن أبي عثمان النهدي واسمه عبد الرحمن بن مل حدثني عمرو بن العاص أن رسول الله (ص) بعثه على جيش ذات السلاسل ، فأتيته فقلت أي الناس أحب اليك ؟ قال « عائشة » قلت فمن الرجال ؟ قال « أبوها » قلت ثم من ؟ قال « ثم عمر بن الخطاب »

فعدد رجالا . وهذا لفظ البخاري وفي رواية قال عمرو. فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم .

سرية ابي عبيدة الى سيف البحر

قال الامام مالك عن وهب بن كيسان عن جابر قال : بعث رسول الله (ص) بعثاً قبل الساحل وأمّر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلثمائة قال جابر وأنا فيهم ، فخرجنا حتى اذا كنا ببعض الطريق فني الزاد فأتوا أبا عبيدة بأزواد ذلك الجيش فجمع كله فكان مزودي تمر ، فكان يقوتنا كل يوم قليلا قليلا حتى فني ولم يكن يصيبنا الا تمرة تمرة ، قال فقلت وما تغني تمرة ؟ فقال لقد وجدنا فقدها حين فنيت . قال ثم انتهينا الى البحر فاذا حوت مثل الظرب ، قال فأكل منه ذلك الجيش ثماني عشرة ليلة ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبا ثم أمر براحلته فرحلت ثم مر تحتهما فلم يصبهما .

أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك بنحوه وهو في الصحيحين أيضاً من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن جابر قال : بعثنا رسول الله (ص) في ثلثمائة راكب وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح نرصد عيراً لقريش ،فاصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط ، فسمى ذلك الجيش جيش الخبط قال ونحر رجل ثلاث جزائر ثم نحر ثلاث جزائر ثم ثلاثاً فنهاه أبو عبيدة ، قال وألقى البحر دابة يقال لها العنبر فأكلنا منها نصف شهر وادّهنا حتى ثابت الينا أجسامنا وصلحت ثم ذكر قصة الضلع .

فقوله في الحديث نرصد عيراً لقريش دليل على أن هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية والله أعلم والرجل الذي نحر لهم الجزائر هو قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما . وقال الحافظ البيهقي أنبأنا أبو بكر بن اسحاق ثنا اسمعيل بن قتيبة ثنا يحيى بن يحيى ثنا أبو خيثمة وهو زهير بن معاوية عن أبي الزبير عن جابر قال : بعثنا رسول الله (ص) وأمّر علينا أبا عبيدة نتلقى عيراً لقريش وزودنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة . قال فقلت كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال كنا نمصها كما يمص الصبي ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا الى الليل وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله ، قال فانطلقنا الى ساحل البحر فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم ، فأتيناه فاذا به دابة تدعى العنبر ، فقال أبو عبيدة : ميتة ، ثم قال لا بل نحن رسل رسول الله (ص) وفي سبيل الله وقد اضطررتم فكلوا ، قال فأقمنا عليه شهرا ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد كنا نغرف من وقب عينه بالقلال الدهن ، ونقتطع منه القدر كالثور أو كقدر الثور ، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فاقعدهم في عينه ، وأخذ ضلعاً من أضلاعه فاقامها ثم رحّل أعظم بعير منها فمر تحتها وتزودنا من لحمها وشايق فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله (ص) فذكرنا ذلك له فقال « هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شيء من لحمه تطعمونا ؟ » قال فأرسلنا الى رسول الله (ص) فأكل منه . ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى وأحمد بن يونس وأبو داود عن النفيلي ثلاثتهم عن أبي

خيثمة زهير بن معاوية الجعفي الكوفي عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكي عن جابر بن عبد الله الانصاري به .

قلت : ومقتضى أكثر هذه السياقات أن هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية ولكن أوردناها هاهنا تبعا للحافظ البيهقي رحمه الله فانه أوردها بعد مؤتة وقبل غزوة الفتح ،الله أعلم . وقد ذكر البخاري بعد غزوة مؤتة سرية أسامة بن زيد الى الحرقات من جهينة فقال حدثنا عمرو بن محمد ثنا هشيم انبأنا حصين بن جندب ثنا أبو ظبيان قال سمعت أسامة بن زيد يقول : بعثنا رسول الله ص الى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا اله الا الله ،فكف الانصاري وطعنته برمحي حتى قتلته ، فلما قدمنا بلغ النبي ص فقال « يا أسامة أقتلته بعد ماقال لا اله الا الله ؟ » قلت كان متعوذاً ، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم . وقد تقدم هذا الحديث والكلام عليه فيما سلف . ثم روى البخاري من حديث يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الاكوع قال : غزوت مع رسول الله ص سبع غزوات وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات علينا مرة أبو بكر ومرة أسامة بن زيد رضي الله عنهما . ثم ذكر الحافظ البيهقي هاهنا موت النجاشي صاحب الحبشة على الاسلام ونعي رسول الله ص له الى المسلمين وصلاته عليه . فروى من طريق مالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ص نعى الى الناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم الى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات أخرجاه من حديث مالك وأخرجاه أيضاً من حديث الليث عن عقيل عن الزهري عن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة بنحوه . وأخرجاه من حديث ابن جريج عن عطاء عن جابر قال قال رسول الله ص « مات اليوم رجل صالح فصلوا على أصحمة » وقد تقدمت هذه الاحاديث أيضاً والكلام عليها ولله الحمد .

قلت : والظاهر أن موت النجاشي كان قبل الفتح بكثير فان في صحيح مسلم أنه لما كتب إلى ملوك الآفاق كتب إلى النجاشي وليس هو بالمسلم ، وزعم آخرون كالواقدي أنه هو والله أعلم . وروى الحافظ البيهقي من طريق مسلم بن خالد الزنجي عن موسى بن عقبة عن أبيه عن أم كلثوم قالت : لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة قال « قد أهديت الى النجاشي أواق من مسك وحلة وإني لأراه قد مات ، ولأرى الهدية الا سترد على فان ردت علي — أظنه قال — قسمتها بينكن أو فهي لك » قال فكان كما قال رسول الله ص ، مات النجاشي وردت الهدية فلما ردت عليه أعطى امرأة من نسائه أوقية ، من ذلك المسك ، وأعطى سائره أم سلمة ، وأعطاها الحلة والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. غزوة الفتح الاعظم وكانت فى رمضان سنة ثمان وقد ذكرها الله تعالى فى القرآن فى غير موضع فقال تعالى [لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى] الآية. وقال تعالى [إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا].

وكان سبب الفتح بعد هدنة الحديبية ما ذكره محمد بن اسحاق حدثنى الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم انهما حدثاه جميعاً قالا : كان فى صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل ، ومن شاء أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم [فتواثبت خزاعة وقالوا نحن ندخل فى عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنو بكر وقالوا نحن ندخل فى عقد قريش وعهدهم] فمكثوا فى تلك الهدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهرا ثم إن بنى بكر وثبوا على خزاعة ليلا بماء يقال له الوتير وهو قريب من مكة ،وقالت قريش ما يعلم بنا محمد وهذا الليل وما يرانا من أحد ، فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح وقاتلوهم معهم للضغن على رسول الله (ص) ، وأن عمرو بن سالم ركب عند ما كان من أمر خزاعة و بنى بكر بالوتير حتى قدم على رسول الله (ص) يخبر الخبر وقد قال أبيات شعر ، فلما قدم على رسول الله (ص) أنشدها إياه :

يارب إنى ناشدٌ محمداً ... حِلْفَ أبيه وأبينا الأتلدا
قد كنتُمو وُلداً وكنا والدا ... ثُمتَ أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصرْ رسولَ الله نصراً أبدا ... وادعُ عبادَ الله يأتوا مددا
فيهم رسولُ الله قد تجردا ... إن سِيمِ خسفاً وجهُه تربدا
فى فيلقٍ كالبحر يجري مُزبدا ... إنّ قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضُوا ميثاقَكَ المؤكَّدا ... وجعلوا لي فى كِداءٍ رَصَدا
وزعموا أن لستُ أدعو أحدا ... فهم أذلُّ وأقلُّ عددا
هم بيَّتونا بالوتير هُجَّدا ... وقتلونا رُكَّعاً وسُجَّدا

فقال رسول الله (ص) « نصرت يا عمرو بن سالم » فما برح حتى مرت بنا عنانة فى السماء فقال

رسول الله (ص.) « إن هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب » وأمر رسول الله (ص.) الناس بالجهاز وكتمهم مخرجه وسأل الله أن يعمى على قريش خبره حتى يبغتهم فى بلادهم .

قال ابن اسحاق : وكان السبب الذى هاجهم أن رجلا من بنى الحضرمى اسمه مالك بن عباد من حلفاء الاسود بن رزن خرج تاجراً فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من بنى خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة قبيل الاسلام على بنى الاسود بن رزن الدئلى وهم مفخر بنى كنانة وأشرافهم : سلمى وكلثوم وذؤيب فقتلوهم بعرفة عند انصاب الحرم . قال ابن اسحاق : وحدثنى رجل من الدئل قال كان بنوالاسود بن رزن يودون فى الجاهلية ديتين ديتين . قال ابن اسحاق : فبينا بنو بكر وخزاعة على ذلك إذ حجز بينهم الاسلام ، فلما كان يوم الحديبية ودخل بنو بكر فى عقد قريش ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله (ص.) وكانت الهدنة اغتنمها بنو الدئل من بنى بكر وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة ثأراً من أولئك النفر ، فخرج نوفل بن معاوية الدئلى فى قومه وهو يومئذ سيدهم وقائدهم وليس كل بنى بكر تابعه ، فبيت خزاعة وهم على الوتير ماء لهم فأصابوا رجلا منهم وتحاوزوا واقتتلوا ورفدت قريش بنى بكر بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً حتى حاوزوا خزاعة الى الحرم ، فلما انتهوا اليه قالت بنو بكر إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك فقال كلمة عظيمة لا إله اليوم يا بنى بكر أصيبوا ثأركم فلعمرى إنكم لتسرقون فى الحرم أفلا تصيبون ثأركم ؟ ولجأت خزاعة الى دار بديل بن ورقاء بمكة والى دار مولى لهم يقال له رافع ، وقد قال الاخزر ابن لعط الدئلى فى ذلك :

ألا هل أتى قُصوى الأحابيشِ أننا ... رَدَدْنا بنى كعبٍ بأفوقَ ناصل

حبسناهمُ فى دارةِ العبدِ رافعٍ ... وعندَ بديلٍ مَحْبساً غيرَ طائل

بدارِ الذليل الآخذِ الضيْمَ بعد ما ... شفَينا النفوسَ منهمُ بالمناصل

حبسناهمُ حتى اذا طال يومُهم ... نفخْنا لهم من كلّ شِعب بوابل

نُذبِّحهم ذَبْحَ التيوس كأننا ... أسودٌ نبارَى فيهمُ بالقواصل

همُ ظلمونا واعتدَوا فى مسيرهم ... وكانوا لدى الانصابِ أول قاتل

كأنهمُ بالجِزْع إذ يطردونهم ... قفا ثورٍ حفّان النعام الجوافل

قال فأجابه بديل بن عبد مناة بن سلمة بن عمرو بن الأجب وكان يقال له بديل بن أم أصرم فقال :

تفاقدَ قومٌ يفخَرون ولم ندعْ ... لهم سيدا يندوهمُ غير نافل

أمِنْ خيفةِ القوم الاولى تزدريهمُ ... تُجيزُ الوتيرَ خائفاً غير آيل

وفى كل يوم نحنُ نحبوا حَباءنا ... لعقلٍ ولا يُحبى لنا فى المعاقل

ونحن صَبَحْنا بالتلاعة [1] دارَكم ... بأسيافنا يسبِقْن لَوْمَ العواذل
ونحن منعنا بين بيضٍ وعتودٍ ... الى خيفِ رضوى من مجرّ القبائل
ويوم الغميم قد تكفتّ ساعياً ... عبيسَ فجعناه بجِلْدٍ حلاحل
أإن أجرت فى بيتها أمُّ بعضِكم ... بجعموسها تنزُون إن لم نقاتل
كذبتم وبيتِ اللهِ ما إن قتلتموا ... ولكن تركنا أمركم فى بلابل

قال ابن اسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى سلمة أن رسول الله (ص) قال « كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم يشد فى العقد ويزيد فى المدة » قال ابن اسحاق : ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله (ص) فأخبروه بما أصيب منهم ومظاهرة قريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين حتى لقوا أبا سفيان بعسفان قد بعثته قريش الى رسول الله (ص) يشد العقد ويزيد فى المدة وقد رهبوا للذى صنعوا ، فلما لقى أبوسفيان بديلاً قال من أين أقبلت يابديل؟ وظن أنه قد أتى رسول الله (ص) فقال : سرت فى خزاعة فى هذا الساحل فى بطن هذا الوادى . قال فعمد أبوسفيان الى مبرك ناقته فأخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً ، ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله (ص) المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله (ص) طوته ، فقال يابنية ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أو رغبت به عنى ؟ فقالت هو فراش رسول الله (ص) وأنت مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراشه ، فقال يابنية والله لقد أصابك بعدى شر ، ثم ذهب إلى أبى بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله (ص) فقال ما أنا بفاعل ، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال عمر أأنا أشفع لكم إلى رسول الله (ص) ؟ فوالله لو لم أجد لكم الا الذر لجاهدتكم به ، ثم خرج فدخل على علىّ بن أبى طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله (ص) وعندها حسن غلام يدب بين يديهما ، فقال ياعلى إنك أمس القوم بى رحماً وأقربهم منى قرابة ، وقد جئت فى حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا فاشفع لى الى رسول الله (ص) ؟ فقال ويحك أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله (ص) على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه ، فالتفت إلى فاطمة فقال يابنت محمد هل لك أن تأمرى بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ فقالت : والله ما بلغ بنىّ ذلك أن يجير بين الناس وما يجير أحد على النبى (ص) ، فقال ياأبا الحسن إنى أرى الامور قد اشتدت على فانصحنى ؟ قال والله ما أعلم شيئاً يغنى عنك ، ولكنك سيد بنى كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك ، فقال أو ترى ذلك مغنياً عنى شيئاً ؟ قال لا والله ما أظن ولكن لا أجد لك غير ذلك . فقام أبو سفيان فى المسجد فقال : أيها الناس إنى قد أجرت بين الناس ، ثم ركب

(١) فى الاصول : بالبلاغة دارهم . والتصحيح عن ابن هشام .

بغيره فانطلق فلما أن قدم على قريش قالوا ما وراءك ؟ قال جئت محمداً فكلمته فوالله ما رد على شيئا ثم جئت ابن أبى قحافة فوالله ما وجدت فيه خيراً ، ثم جئت عمر فوجدته أعدى عدو ، ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم وقد أشار على بأمر صنعته فوالله ما أدرى هل يغنى عنا شيئاً أم لا ؟ قالوا بماذا أمرك ؟ قال أمرنى أن أجير بين الناس ففعلت ، قالوا هل أجاز ذلك محمد ؟ قال لا ، قالوا ويحك مازادك الرجل على أن لعب بك فما يغنى عنا ما قلت ، فقال لا والله ما وجدت غير ذلك [(فائدة) ذكرها السهيلى فتكلم على قول فاطمة فى هذا الحديث : وما يجير أحد على رسول الله (ص) على ما جاء فى الحديث « ويجير على المسلمين أدناهم » قال : وجه الجمع بينهما بأن المراد بالحديث من يجير واحدا ونفرا يسيرا ، وقول فاطمة فمن يجير عددا من غزو الامام إياهم فليس له ذلك . قال كان سحنون وابن الماجشون يقولان : إن أمان المرأة موقوف على إجازة الامام لقوله لام هانئ « قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ » قال وروى هذا عن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد . وقال أبو حنيفة : لا يجوز أمان العبد وفى قوله عليه السلام « ويجير عليهم أدناهم » ما يقتضى دخول العبد والمرأة والله أعلم][1] وقد روى البيهقى من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قالت بنو كعب :

اللهم إنى ناشدٌ محمدا حِلْفَ أبينا وأبيه الأتلدا
فانصر هداك الله نصراً عتدا وادعُ عبادَ الله يأتوا مدداً

وقال موسى بن عقبة فى فتح مكة : ثم إن بنى نفاثة من بنى الدئل أغاروا على بنى كعب وهم فى المدة التى بين رسول الله (ص) وبين قريش ، وكانت بنو كعب فى صلح رسول الله (ص) ، وكانت بنو نفاثة فى صلح قريش ، فأعانت بنو بكر بنى نفاثة وأعانتهم قريش بالسلاح والرقيق واعتزلتهم بنو مدلج ووفوا بالعهد الذى كانوا عاهدوا عليه رسول الله (ص) وفى بنى الدئل رجلان هما سيداهم ؛ سلمى ابن الاسود وكلثوم بن الاسود ، ويذكرون أن ممن أعانهم صفوان بن أمية وشيبة بن عثمان وسهيل ابن عمرو ، فأغارت بنو الدئل على بنى عمرو وعامتهم زعموا نساء وصبيان وضعفاء الرجال فألجؤهم وقتلوهم حتى أدخلوهم إلى دار بديل بن ورقاء بمكة ، فخرج ركب من بنى كعب حتى أتوا رسول الله (ص) فذكروا له الذى أصابهم وما كان من أمر قريش عليهم فى ذلك ، فقال لهم رسول الله (ص) « ارجعوا فتفرقوا فى البلدان » وخرج أبو سفيان من مكة الى رسول الله (ص) وتخوف الذى كان ، فقال : يا محمد اشدد العقد وزدنا فى المدة ، فقال رسول الله (ص) « ولذلك قدمت ، هل كان من حدث قبلكم ؟ » فقال معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحديبية لا نغير ولا نبدل ، فخرج من عند رسول الله (ص) وأتى أبا بكر فقال : جدد العقد وزدنا فى المدة ؟ فقال أبو بكر : جوارى فى جوار رسول

(١) ما بين المربعين لم يرد فى النسخة الحلبية .

الله (ص)، والله لو وجدت الذر تقاتلكم لأعنتها عليكم، ثم خرج فأتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال عمر بن الخطاب: ما كان من حلفنا جديد فأخلقه الله. وما كان منه مثبتاً فقطعه الله، وما كان منه مقطوعا فلا وصله الله. فقال له أبو سفيان جزيت من ذى رحم شراً، ثم دخل على عثمان فكلمه فقال عثمان: جوارى فى جوار رسول الله (ص) ثم اتبع أشراف قريش يكلمهم فكلهم يقول عقدنا فى عقد رسول الله (ص)، فلما يئس مما عندهم دخل على فاطمة بنت رسول الله (ص) فكلمها فقالت إنما أنا امرأة وإنما ذلك إلى رسول الله (ص)، فقال لها فأمرى أحد ابنيك، فقالت إنهما صبيان ليس مثلهما يجير، قال فكلمى علياً، فقالت أنت فكلمه، فكلم علياً فقال له يأبا سفيان إنه ليس أحد من أصحاب رسول الله (ص) يفتات على رسول الله (ص) بجوار، وأنت سيد قريش وأكبرها وأمنعها فأجر بين عشيرتك، قال صدقت وأنا كذلك، فخرج فصاح ألا إنى قد أجرت بين الناس ولا والله ما أظن أن يخفرنى أحد، ثم دخل على النبى (ص) فقال: يامحمد إنى قد أجرت بين الناس ولا والله ما أظن أن يخفرنى أحد ولا يرد جوارى؟ فقال «أنت تقول يا أبا حنظلة» فخرج أبو سفيان على ذلك فزعموا ـ والله أعلم ـ أن رسول الله (ص) قال حين أدبر أبو سفيان «اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا الا بغتة ولا يسمعوا بنا الا فجأة» وقدم ابو سفيان مكة فقالت له قريش ما وراءك هل جئت بكتاب من محمد أو عهد؟ قال لا والله لقد أبى علىّ وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قوما لملك عليهم أطوع منهم له، غير أن على بن أبى طالب قد قال لى التمس جوار الناس عليك ولا تجير أنت عليه وعلى قومك وأنت سيد قريش وأكبرها وأحقها أن لا تخفر جواره فقمت بالجوار ثم دخلت على محمد فذكرت له أنى قد أجرت بين الناس وقلت ما أظن أن تخفرنى؟ فقال أنت تقول ذلك يأبا حنظلة؛ فقالوا ـ مجيبين له ـ رضيت بغير رضى، وجئتنا بما لا يغنى عنا ولا عنك شيئاً وإنما لعب بك على لعمر الله ما جوارك بجائز وإن إخفارك عليهم لهين، ثم دخل على امرأته فحدثها الحديث فقالت: قبحك الله من وافد قوم فما جئت بخير، قال ورأى رسول الله (ص) سحابا فقال «إن هذه السحاب لتبض بنصر بني كعب» فمكث رسول الله (ص) ما شاء الله أن يمكث بعد ما خرج أبو سفيان، ثم أخذ فى الجهاز وأمر عائشة أن تجهزه وتخفى ذلك، ثم خرج رسول الله (ص) إلى المسجد أو الى بعض حاجاته، فدخل أبو بكر على عائشة فوجد عندها حنطة تنسف وتنقى، فقال لها يابنية لم تصنعين هذا الطعام؟ فسكتت فقال أيريد رسول الله (ص) أن يغزو؟ فصمتت فقال يريد بنى الاصفر ـ وهم الروم ـ؟ فصمتت. قال فلعله يريد أهل نجد؟ فصمتت قال فلعله يريد قريشا؟ فصمتت قال فدخل رسول الله (ص) فقال له: يارسول الله أتريد أن تخرج مخرجاً؟ قال نعم قال فلعلك تريد بنى الاصفر؟ قال لا: قال أتريد أهل نجد؟ قال لا، قال فلعلك تريد قريشاً؟ قال نعم، قال أبو

بكر يارسول الله أليس بينك و بينهم مدة ؟ قال « ألم يبلغك ما صنعوا ببنى كعب » ؛ قال وأذن رسول الله (ص.) فى الناس بالغزو ، وكتب حاطب بن أبي بلتعة الى قريش وأطلع الله رسوله (ص.) على الكتاب وذكر القصة كما سيأتى . وقال محمد بن اسحاق : حدثنى محمد بن جعفر عن عروة عن عائشة أن أبا بكر دخل على عائشة وهى تغربل حنطة فقال ما هذا ؟ أمركم رسول الله (ص.) بالجهاز ؟ قالت نعم فتجهز ، قال والى أين ؟ قالت ما سمى لنا شيئاً غير أنه قد أمرنا بالجهاز قال ابن اسحاق : ثم إن رسول الله (ص.) أعلم الناس أنه سائر الى مكة وأمر بالجد والتهيؤ وقال « اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها » فتجهز الناس فقال حسان يحرض الناس و يذكر مصاب خزاعة :

عنانى ولم أشهدْ ببطحاء مكةٍ رجالُ بنى كعبٍ تُحَزُّ رقابها
بأيدى رجال لم يَسُلّوا سيوفَهم وقتلى كثيرٍ لم تُجَنَّ ثيابها
الاليتَ شعرى هل تنالنَّ نُصْرتي سهيل بن عمرو حرَّها وعقابها
وصفوان عوداً حزَّمن شفرُ استه فهذا أوانُ الحربِ شدَّ عصابها
فلا تأمنَنّا يا ابنَ أمِّ مُجالد اذا احتلبتْ صِرْفاً وأعصَل نابها
ولا تجزعوا منها فإن سيوفَنا لها وقعةٌ بالموت يفتح بابها

قصة حاطب بن أبي بلتعة

قال محمد بن اسحاق : حدثنى محمد بن جعفر عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قالوا : لما أجمع رسول الله (ص.) المسير الى مكة كتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله (ص.) من الأمر فى السير اليهم ، ثم أعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة ، و زعم لى غيره أنها سارة مولاة لبعض بنى عبدالمطلب وجعل لها جعلا على أن تبلغه قريشاً ، فجعلته فى رأسها ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به ، وأتى رسول الله (ص.) الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام فقال « أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبى بلتعة بكتاب الى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له من أمرهم » فخرجا حتى أدركاها بالخليقة خليقة بنى أبى احمد فاستنزلاها فالتمساه فى رحلها فلم يجدا فيه شيئاً ، فقال لها على : إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله (ص.) ولا كذبنا ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك ، فلما رأت الجد منه قالت أعرض فأعرض ، فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته اليه ، فأتى به رسول الله (ص.) فدعا رسول الله (ص.) حاطباً فقال « ياحاطب ما حملك على هذا ؟ » فقال : يارسول الله أما والله إنى لمؤمن بالله وبرسوله ما غيرت ولا بدلت ولكننى كنت امرءا ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب يارسول الله دعنى فلأضرب عنقه

فان الرجل قد نافق ؟ فقال رسول الله (ص): « وما يدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » وأنزل الله فى حاطب [يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة] الى آخر القصة . هكذا أورد ابن اسحاق هذه القصة مرسلة وقد ذكر السهيلى أنه كان فى كتاب حاطب أن رسول الله قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو سار اليكم وحده لنصره الله عليكم فانه منجز له ما وعده . قال وفى تفسير ابن سلام أن حاطبا كتب : إن محمداً قد نفر فاما اليكم وإما الى غيركم فعليكم الحذر . وقد قال البخارى ثنا قتيبة ثنا سفيان عن عمرو بن دينار أخبرنى الحسن بن محمد أنه سمع عبيد الله بن أبى رافع سمعت علياً يقول : بعثنى رسول الله (ص) أنا والزبير والمقداد فقال « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها » فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة ، فقلنا أخرجى الكتاب ، فقالت ما معى ، فقلنا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب . قال فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله (ص) فاذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة الى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله (ص) فقال « يا حاطب ما هذا ؟ » فقال : يا رسول الله لا تعجل على إنى كنت امرءاً ملصقا [1] فى قريش يقول كنت حليفا ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم ، فأحببت اذا فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتى ، ولم أفعله ارتداداً عن دينى ولا رضا بالكفر بعد الاسلام ، فقال رسول الله (ص) « أما إنه قد صدقكم » فقال عمر : يارسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق ؟ فقال « إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدراً فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » فانزل الله سورة [يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء] الى قوله [فقد ضل سواء السبيل] وأخرجه بقية الجماعة الا ابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة وقال الترمذى حسن صحيح . وقال الامام احمد ثنا حجين ويونس قالا : حدثنا ليث بن سعد عن أبى الزبير عن جابر ابن عبد الله أن حاطب بن أبى بلتعة كتب الى أهل مكة يذكر أن رسول الله (ص) أراد غزوهم ، فدل رسول الله (ص) على المرأة التى معها الكتاب فأرسل اليها فاخذ كتابها من رأسها وقال « ياحاطب أفعلت ؟ » قال نعم ، قال أما إنى لم أفعله غشاً لرسول الله (ص) ولا نفاقاً . قد علمت أن الله مظهر رسوله ومتم له أمره غير أنى كنت غريبا بين ظهرانيهم وكانت والدتى معهم فأردت أن أتخذ يدا عندهم ، فقال له عمر : ألا أضرب رأس هذا ؟ فقال « أتقتل رجلا من أهل بدر وما يدريك

(١) كذا فى الاصل . وقال السهيلى : كنت عزيزا وفسر العزيز بالغريب .

لعل الله قد اطلع الى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم » . تفرد بهذا الحديث من هذا الوجه الامام احمد و إسناده على شرط مسلم ولله الحمد .

فصل

قال ابن اسحاق : فحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : ثم مضى رسول الله (ص) لسفره واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفارى ، وخرج لعشر مضين من شهر رمضان فصام وصام الناس معه ،حتى اذا كان بالكديد بين عسفان وأمج أفطر ، ثم مضى حتى نزل مر الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين ، وقال عروة بن الزبير : كان معه اثنا عشر الفا . وكذا قال الزهرى وموسى بن عقبة ، فسبعت سليم و بعضهم يقول ألفت سليم وألفت مزينة وفى كل القبائل عدد و إسلام ، وأوعب مع رسول الله (ص) المهاجرون والانصار فلم يتخلف عنه منهم أحد . و روى البخارى عن محمود عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى نحوه . وقد روى البيهقى من حديث عاصم بن على عن الليث بن سعد عن عقيل عن الزهرى اخبرنى عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أن رسول الله (ص) غزا غزوة الفتح فى رمضان . قال وسمعت سعيد بن المسيب يقول مثل ذلك لا أدرى أخرج فى ليال من شعبان فاستقبل رمضان ، أو خرج فى رمضان بعد ما دخل ؟ غير أن عبيد الله بن عبد الله أخبرنى أن ابن عباس قال صام رسول الله (ص) حتى بلغ الكديد ـ الماء الذى بين قديد وعسفان ـ أفطر ، فلم يزل يفطر حتى انصرم الشهر . ورواه البخارى عن عبد الله بن يوسف عن الليث غير أنه لم يذكر الترديد بين شعبان و رمضان . وقال البخارى ثنا على بن عبد الله ثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس قال : سافر رسول الله (ص) فى رمضان ، فصام حتى بلغ عسفان ثم دعا بأناء فشرب نهاراً ليراه الناس ، فأفطر حتى قدم مكة . قال وكان ابن عباس يقول : صام رسول الله (ص) فى السفر وأفطر ، فن شاء صام ، ومن شاء أفطر . وقال يونس عن ابن اسحاق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : مضى رسول الله (ص) لسفرة الفتح واستعمل على المدينة أبارهم كلثوم ابن الحصين الغفارى وخرج لعشر مضين من رمضان ، فصام وصام الناس معه حتى أتى الكديد بين عسفان وأمج فافطر ، ودخل مكة مفطرا فكان الناس يرون آخر الأمرين من رسول الله (ص) الفطر ، وأنه نسخ ما كان قبله . قال البيهقى : فقوله خرج لعشر من رمضان مدرج فى الحديث ، وكذلك ذكره عبدالله بن ادريس عن ابن اسحاق ، ثم روى من طريق يعقوب بن سفيان عن جابر عن يحيى عن صدقة عن ابن اسحاق أنه قال : خرج رسول الله (ص) لعشر مضين من رمضان سنة ثمان ثم روى

البيهقى من حديث أبى اسحاق الفزارى عن محمد بن أبى حفصة عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : كان الفتح لثلاث عشر خلت من شهر رمضان قال البيهقى : وهذا الادراج وهم إنما هو من كلام الزهرى ، ثم روى من طريق ابن وهب عن يونس عن الزهرى قال قال : غزا رسول الله (ص.) غزوة الفتح ـ فتح ـ مكة فخرج من المدينة فى رمضان ومعه من المسلمين عشرة آلاف ، وذلك على رأس ثمانى سنين ونصف سنة من مقدمه المدينة . وافتتح مكة لثلاث عشرة بقين من رمضان . وروى البيهقى من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أن رسول الله (ص.) خرج فى رمضان ومعه عشرة آلاف من المسلمين ، فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر . فقال الزهرى وإنما يؤخذ بالأحدث فالأحدث . قال الزهرى فصبح رسول الله (ص.) مكة لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان ، ثم عزاه فى الصحيحين من طريق عبد الرزاق والله اعلم . وروى البيهقى من طريق سعيد بن عبد العزيز التنوخى عن عطية بن قيس عن أبى سعيد الخدرى قال : آذننا رسول الله (ص.) بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان فخرجنا صواماً حتى بلغنا الكديد فأمرنا رسول الله (ص.) بالفطر فاصبح الناس مرحى منهم الصائم ومنهم المفطر ، حتى اذا بلغنا المنزل الذى نلقى العدو أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعين . وقد رواه الامام احمد عن أبى المغيرة عن سعيد بن عبد العزيز حدثنى عطية بن قيس عمن حدثه عن أبى سعيد الخدرى قال : آذننا رسول الله بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان فخرجنا صواما حتى بلغنا الكديد فأمرنا رسول الله بالفطر فأصبح الناس منهم الصائم ومنهم المفطر حتى اذا بلغ أدنى منزل يلقى العدو أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعون .

قلت : فعلى ماذكره الزهرى من أن الفتح كان يوم الثالث عشر من رمضان ، وما ذكره أبو سعيد من أنهم خرجوا من المدينة فى ثانى شهر رمضان يقتضى أن مسيرهم كان بين مكة والمدينة فى إحدى عشرة ليلة . ولكن روى البيهقى عن أبى الحسين بن الفضل عن عبد الله بن جعفر عن يعقوب ابن سفيان عن الحسن بن الربيع عن ابن إدريس عن محمد بن اسحاق عن الزهرى ومحمد بن على ابن الحسين وعاصم بن عمر بن قتادة وعمرو بن شعيب وعبد الله بن أبى بكر وغيرهم قالوا : كان فتح مكة فى عشر بقيت من شهر رمضان سنة ثمان . قال أبو داود الطيالسى : ثنا وهيب عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر عن عبد الله قال : خرج رسول الله (ص.) عام الفتح صائما حتى أتى كراع الغميم والناس معه مشاة وركبانا وذلك فى شهر رمضان ، فقيل يارسول الله إن الناس قد اشتد عليهم الصوم وإنما ينظرون كيف فعلت ؟ فدعا رسول الله (ص.) بقدح فيه ماء فرفعه فشرب والناس ينظرون ، فصام بعض الناس وأفطر البعض حتى أخبر النبى (ص.) أن بعضهم صائم فقال رسول الله (ص.)

« أولئك العصاة » وقد رواه مسلم من حديث الثقفي والدراوردي عن جعفر بن محمد. وروى الامام أحمد من حديث محمد بن اسحاق حدثني بشير بن يسار عن ابن عباس قال: خرج رسول الله (ص.) عام الفتح في رمضان فصام وصام المسلمون معه، حتى اذا كان بالكديد دعا بماء في قعب وهو على راحلته فشرب والناس ينظرون يعلمهم أنه قد أفطر، فافطر المسلمون، تفرد به احمد.

فصل

في اسلام العباس بن عبد المطلب عم النبي (ص.) وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله (ص.) وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي أخي أم سلمة أم المؤمنين وهجرتهم الى رسول الله (ص.) فوجدوه في أثناء الطريق وهو ذاهب الى فتح مكة.

قال ابن اسحاق: وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله (ص.) ببعض الطريق، قال ابن هشام: لقيه بالجحفة مهاجراً بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله (ص.) عنه راض فيما ذكره ابن شهاب الزهري. قال ابن اسحاق: وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبدالله بن أبي أمية قد لقيا رسول الله (ص.) ايضاً بنيق العُقاب فيما بين مكة والمدينة والتمسا الدخول عليه، فكلمته أم سلمة فيهما فقالت: يارسول الله إن ابن عمك وابن عمتك وصهرك قال « لا حاجة لي بهما أما ابن عمي فهتك عرضي. وأما ابن عمتي فهو الذي قال لي بمكة ما قال »[1] قال فلما خرج اليهما الخبر بذلك ومع أبي سفيان بني له فقال: والله ليأذنن لي أو لآخذن بيد بني هذا ثم لنذهبن في الارض ثم نموت عطشاً وجوعاً. فلما بلغ ذلك النبي (ص.) رق لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه فأسلما، وأنشد أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذر اليه مما كان مضى منه:

لعمرُك أني يوم أحملُ رايةً ... لِتَغْلِبَ خيلُ اللات خيلَ محمد
لكا لمُدلجِ الحيرانِ أظلم ليلُه ... فهذا أواني حين أُهدى وأهتدي
هدا بي هادٍ غير نفسي ونالني ... مع الله من طَرَّدتُ كل مطرد
أصدُّ وأنأى جاهداً عن محمد ... وأُدعى وإن لم أنتسبْ من محمد
هموا ما هموا من لم يقلْ بهواهم ... وإن كان ذا رأيٍ يُلَم ويفنَّد
أريد لأرضيهم ولستُ بلائطٍ ... مع القوم ما لم أُهدَ في كل مقعد
فقل لثقيفٍ لا أريدُ قتالَها ... وقل لثقيفٍ تلك غيري أوعدي

(١) قال السهيلي: يعني حين قال له: والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلما الى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله قد أرسلك.

فما كنتُ في الجيش الذي نال عامرٌ وما كان عن جري لساني ولا يدي

قبائلُ جاءتْ من بلادٍ بعيدة نزائعُ جاءت من سِهام وسُردُد

قال ابن اسحاق : فزعموا أنه حين أنشد رسول الله (ص.) ونالني مع الله من طردت كل مطرد ، ضرب رسول الله (ص.) بيده في صدره وقال « أنت طردتني كل مطرد » .

فصل

ولما انتهى رسول الله (ص.) الى مر الظهران نزل فيه فاقام كما روى البخاري عن يحيى بن بكير عن الليث ومسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب كلاهما عن يونس عن الزهري عن أبي سلمة عن جابر قال : كنا مع رسول الله (ص.) بمر الظهران نجتني الكباث ، وإن رسول الله (ص.) قال « عليكم بالاسود منه فانه أطيب » قالوا يا رسول الله أكنت ترعى الغنم ؟ قال « نعم وهل من نبي الا وقد رعاها » وقال البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبدالجبار عن يونس بن بكير عن سنان بن اسمعيل عن أبي الوليد سعيد بن مينا قال : لما فرغ أهل مكة و رجعوا أمرهم رسول الله (ص.) بالمسير الى مكة ، فلما انتهى الى مر الظهران نزل بالعقبة فارسل الجُناة يجتنون الكباث ، فقلت لسعيد وماهو ؟ قال ثمر الأراك قال فانطلق ابن مسعود فيمن يجتني ، قال فجعل أحدهم اذا أصاب حبة طيبة قذفها في فيه ، وكانوا ينظرون إلى دقة ساقي ابن مسعود وهو يرقى في الشجرة فيضحكون فقال رسول الله (ص.) « تعجبون من دقة ساقيه فوالذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد » وكان ابن مسعود ما اجتنى من شيء جاء به وخياره الى رسول الله (ص.) فقال في ذلك :

هذا جَنايَ وخِيارُه فيه إذ كل جانٍ يدُهُ الى فِيهِ

و في الصحيحين عن أنس قال : أنفجنا أرنباً ونحن بمر الظهران فسعى القوم فلغبوا فادركتها فأخذتها فأتيت بها أبا طلحة فذبحها ، و بعث إلى رسول الله (ص.) بوركها ونخذيها فقبله . وقال ابن اسحاق : ونزل رسول الله (ص.) مر الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله (ص.) ولا يدرون ما رسول الله (ص.) فاعل ، وخرج في تلك الليالي ابو سفيان بن حرب وحكيم ابن حزام و بديل بن ورقاء يتجسسون الاخبار و ينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به . وذكره ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة أن رسول الله (ص.) بعث بين يديه عيوناً خيلا يقتصون العيون وخزاعة لا تدع أحداً يمضي وراءها ، فلما جاء أبو سفيان واصحابه أخذتهم خيل المسلمين وقام اليه عمر يجأ في عنقه حتى أجاره العباس بن عبد المطلب وكان صاحباً لابي سفيان . قال ابن اسحاق : وقال العباس حين نزل رسول الله (ص.) مر الظهران قلت واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله (ص.)

مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش الى آخر الدهر ، قال فجلست على بغلة رسول الله (ص) البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأراك فقلت لعلى أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله (ص) يخرجوا اليه فيستأمنوه قبل أن يدخل عليهم عنوة ، قال فوالله إنى لأسير عليها وألتمس ماخرجت له إذ سمعت كلام أبى سفيان و بديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً . قال يقول بديل : هـذه والله خزاعة حمشتها الحرب ، قال يقول أبو سفيان : خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها . قال فعرفت صوته فقلت يأبا حنظلة ؟ فعرف صوتى فقال أبو الفضل ؟ قال قلت نعم ، قال مالك فدى لك أبى وأمى ؟ قال قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله (ص) فى الناس فقال واصباح قريش والله ، فما الحيلة فداك أبى وأمى ؟ قال قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله (ص) فأستأمنه لك ، قال فركب خلفى ورجع صاحباه [1] وقال عروة : بل ذهبا الى النبى (ص) فأسلما وجعل يستخبرهما عن أهل مكة . وقال الزهرى وموسى بن عقبة : بل دخلوا مع العباس على رسول الله (ص). [قال ابن اسحاق : قال فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا ؟ فاذا رأوا بغلة رسول الله (ص) وأنا عليها قالوا عم رسول الله (ص) على بغلة رسول الله (ص)، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا ؟ وقام الىّ ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال أبو سفيان عدو الله [الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد ؟ وزعم عروة بن الزبير أن عمر وجأ فى رقبة أبى سفيان وأراد قتله فمنعه منه العباس . وهكذا ذكر موسى بن عقبة عن الزهرى أن عيون رسول الله (ص) أخـذوهم بأزمة جمالهم فقالوا من أنتم ؟ قالوا وفد رسول الله (ص) فلقيهم العباس فدخل بهم على رسول الله فحادثهم عامة الليل ثم دعاهم الى شهادة أن لا اله الا الله فشهدوا وأن محمدا رسول الله فشهد حكيم و بديل وقال أبو سفيان : ما أعلم ذلك ثم أسلم بعد الصبح ثم سألوه أن يؤمن قريشا فقال : « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ـ وكانت بأعلا مكة ـ ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ـ وكانت بأسفل مكة ـ ومن أغلق بابه فهو آمن » قال العباس :] [2] ثم خرج عمر يشتد نحو رسول الله (ص) وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطىء ، قال فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله (ص) ودخل عليـه عمر ، فقال : يارسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منـه بغير عقد ولا عهد فدعنى فلأضرب عنقه ؟ قال قلت يا رسول إنى قد أجرته ، ثم جلست الى رسول الله (ص) فأخذت برأسه فقلت والله لا يناجيه الليلة دونى رجل ، فلما أكثر عمر فى شأنه قال قلت : مهلا ياعمر فوالله أن لو كان من رجال بنى عدى بن كعب ما قلت هذا ، ولكنك قد عرفت

(١) صاحباه بديل بن ورقاء وحكيم بن حزام . (٢) ما بين المربعين عن المصرية فقط .

أنه من رجال بنى عبدمناف ، فقال مهلا ياعباس فوالله لاسلامك يوم أسلمت كان أحب الى من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بى الا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحب الى رسول الله ص من إسلام الخطاب [لوأسلم] ، فقال رسول الله « اذهب به ياعباس الى رحلك فاذا أصبحت فأتنى به » قال فذهبت به الى رحلى فبات عندى فلما أصبح غدوت به الى رسول الله ص ، فلما [رآه قال] « ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا اله الا الله ؟ » فقال بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنى شيئا بعد ، قال « ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ » قال بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه والله فان فى النفس منها حتى الآن شيئا ، فقال له العباس : ويحك أسلم واشهد أن لااله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك ؟ قال فشهد شهادة الحق فأسلم ، قال العباس فقلت يارسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئا ؟ قال : « نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن » [زاد عروة ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن » وهكذا قال موسى بن عقبة عن الزهرى][(1)] « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ص « ياعباس احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها » [وذكر موسى بن عقبة عن الزهرى أن أبا سفيان وبديلا وحكيم بن حزام كانوا وقوفا مع العباس عند خطم الجبل ، وذكر أن سعدا لما قال لابى سفيان : اليوم يوم الملحمة . اليوم تستحل الحرمة ، فشكى أبوسفيان الى رسول الله ص فعزله عن راية الانصار وأعطاها الزبير بن العوام فدخل بها من أعلا مكة وغرزها بالحجون ، ودخل خالد من أسفل مكة فلقيه بنو بكر وهذيل فقتل من بنى بكر عشرين ومن هذيل ثلاثة أو أربعة وانهزموا فقتلوا بالحزورة حتى بلغ قتلهم باب المسجد][(1)] قال العباس : فخرجت بأبى سفيان حتى حبسته بمضيق الوادى حيث أمرنى رسول الله ص أن أحبسه ، قال ومرت القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال يا عباس من هؤلاء ؟ فأقول سليم فيقول مالى ولسليم ، ثم تمر به القبيلة فيقول يا عباس من هؤلاء ؟ فأقول مزينة فيقول مالى ولمزينة ، حتى نفذت القبائل ما تمر به قبيلة إلا سألنى عنها فاذا أخبرته قال مالى ولبنى فلان حتى مر رسول الله ص فى كتيبته الخضراء وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد فقال سبحان الله ياعباس من هؤلاء ؟ قال قلت هذا رسول الله ص فى المهاجرين والانصار ، قال ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن اخيك الغداة عظيما ! قال قلت يأبا سفيان إنها النبوة ، قال فنعم إذن ، قال قلت النجاء إلى قومك حتى إذا جاءهم صرخ باعلاصوته يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل

(١ ـ ١) ما بين المربعين لم يرد فى النسخة الحلبية .

لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، فقامت اليه هند بنت عتبة فاخذت بشاربه فقالت اقتلوا الحميت الدسم الأحمس قبح من طليعة قوم ، فقال أبو سفيان : ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فانه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، قالوا قاتلك الله وما تغنى عنا دارك ؟ قال ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد [وذكر عروة بن الزبير أن رسول الله (ص) لما مر بأبى سفيان قال له : إنى لأرى وجوها كثيرة لا أعرفها لقد كثرت هذه الوجوه على ؟ فقال له رسول الله : « أنت فعلت هذا وقومك إن هؤلاء صدقونى إذ كذبتمونى ونصرونى إذ أخرجتمونى » ثم شكى اليه قول سعد بن عبادة حين مر عليه فقال : يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة . فقال رسول الله : « كذب سعد بل هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة » وذكر عروة أن أبا سفيان لما أصبح صبيحة تلك الليلة التى كان عند العباس ورأى الناس يجنحون للصلاة وينتشرون فى استعمال الطهارة خاف وقال للعباس ما بالهم ؟ قال إنهم سمعوا النداء فهم ينتشرون للصلاة ، فلما حضرت الصلاة ورآهم يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده قال : يا عباس ما يأمرهم بشئ الا فعلوه ؟ قال نعم والله لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه . وذكر موسى بن عقبة عن الزهرى أنه لما توضأ رسول الله (ص) جعلوا يتكففون ، فقال يا عباس ما رأيت كالليلة ولا ملك كسرى وقيصر][1] . وقد روى الحافظ البيهقى عن الحاكم وغيره عن الاصم عن أحمد بن الجبار عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثنى الحسين ابن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس فذكر هذه القصة بتمامها كما أوردها زياد البكائى عن ابن اسحاق منقطعة فالله اعلم . على أنه قد روى البيهقى من طريق أبى بلال الاشعرى عن زياد البكائى عن محمد بن اسحاق عن الزهرى عن عبيد الله عن ابن عباس قال : جاء العباس بابى سفيان الى رسول الله (ص) قال فذكر القصة الا أنه ذكر أنه أسلم ليلته قبل أن يصبح بين يدى رسول الله (ص) ، وأنه لما قال له رسول الله (ص) « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن » قال أبو سفيان وما تسع دارى ؟ فقال « ومن دخل الكعبة فهو آمن » قال وما تسع الكعبة ؟ فقال « ومن دخل المسجد فهو آمن » قال وما يسع المسجد فقال « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن » فقال أبو سفيان هذه واسعة . وقال البخارى حدثنا عبيد بن اسمعيل ثنا أبو أسامة عن هشام عن ابيه قال : لما سار رسول الله (ص) عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله (ص) فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مر الظهران فاذا هم بنيران كأنها نيران عرفة ، فقال أبو سفيان ما هذه كأنها نيران عرفة ؟ فقال بديل بن ورقاء نيران بنى

(١) ما بين المربعين لم يرد فى النسخة الحلبية .

عمرو ، فقال أبو سفيان عمرو أقل من ذلك ، فرآهم ناس من حرس رسول الله (ص) فأدركوهم فأخذوهم فأتوابهم رسول الله (ص)فأسلم أبو سفيان فلما سار قال للعباس « احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين » فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع رسول الله (ص) تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان ، فمرت كتيبة فقال ياعباس من هذه ؟ قال هذه غفار قال مالى ولغفار ، ثم مرت جهينة فقال مثل ذلك ، ثم مرت سعد بن هذيم فقال مثل ذلك ، ومرت سليم فقال مثل ذلك ، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها فقال من هذه ؟ قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية ، فقال سعد بن عبادة : يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة . فقال أبو سفيان : يا عباس حبذا يوم الذمار ثم جاءت كتيبة وهى أقل الكتائب فيهم رسول الله (ص) وأصحابه وراية رسول الله (ص) مع الزبير بن العوام ، فلما مر رسول الله (ص) بأبي سفيان قال : ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ فقال ما قال ؟ قال كذا وكذا فقال « كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة » وأمر رسول الله (ص) أن تركز رايته بالحجون . قال عروة أخبرنى نافع بن جبير بن مطعم قال سمعت العباس يقول للزبير بن العوام : هاهنا أمر رسول الله (ص) أن تركز الراية ؟ قال نعم قال وأمر رسول الله (ص) خالد بن الوليد أن يدخل من أعلا مكة من كَدَاء ودخل رسول الله (ص) من كُدَى فقُتِلَ من خيل خالد بن الوليد يومئذ رجلان حبيش بن الأشعر وكرز بن جابر الفهرى .

وقال ابو داود ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا يحيى بن آدم ثنا ادريس عن محمد بن اسحاق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أن رسول الله (ص)عام الفتح جاءه العباس بن عبد المطلب بأبي سفيان بن حرب فأسلم بمر الظهران ، فقال له العباس يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فلو جعلت له شيئا ؟ قال « نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » .

صفة دخوله (ص) مكة

ثبت فى الصحيحين من حديث مالك عن الزهرى عن أنس أن رسول الله (ص) دخل مكة وعلى رأسه المغفر فلما نزعه جاءه رجل فقال: إن ابن خطل متعلق باستار الكعبة فقال « اقتلوه » قال مالك ولم يكن رسول الله (ص) فيما نرى والله أعلم محرما . وقال أحمد ثنا عفان ثنا حماد انبأ أبو الزبير عن جابر أن رسول الله (ص) دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء . ورواه أهل السنن الاربعة من حديث حماد بن سلمة وقال الترمذى حسن صحيح . ورواه مسلم عن قتيبة ويحيى بن يحيى عن معاوية بن عمار الدهنى عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله (ص) دخل مكة وعليه عمامة سوداء من غير إحرام وروى مسلم من حديث أبي أسامة عن مساور الوراق عن جعفر بن عمرو بن

حريث عن أبيه قال : كأنى أنظر الى رسول الله (ص) يوم فتح مكة وعليه عمامة حرقانية سوداء قد أرخى طرفها بين كتفيه . وروى مسلم فى صحيحه والترمذى والنسائى من حديث عمار الدهنى عن أبى الزبير عن جابر أن رسول الله (ص) دخل مكة وعليه عمامة سوداء . وروى أهل السنن الاربعة من حديث يحيى بن آدم عن شريك القاضى عن عمار الدهنى عن أبى الزبير عن جابر قال : كان لواء رسول الله (ص) يوم دخل مكة ابيض . وقال ابن اسحاق عن عبد الله بن أبى بكر عن عائشة : كان لواء رسول الله (ص) يوم الفتح أبيض ورايته سوداء تسمى العقاب ، وكانت قطعة من مرط مرجل . وقال البخارى ثنا ابو الوليد ثنا شعبة عن عبد الله بن قرة قال سمعت عبد الله بن مغفل يقول : رأيت رسول الله (ص) يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يرجع وقال لولا أن يجتمع الناس حولى لرجعت كما رجع . وقال محمد بن اسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله (ص) لما انتهى إلى ذى طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة برد حبرة حمراء ، وأن رسول الله (ص) ليضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى أن عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل . وقال الحافظ البيهقى أنبا أبو عبد الله الحافظ أنبا دعلج بن احمد ثنا احمد بن على الابار ثنا عبد الله بن أبى بكر المقدسى ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال : دخل رسول الله (ص) مكة يوم الفتح وذقنه على راحلته متخشعاً . وقال انبا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو بكر بن بالويه ثنا أحمد بن صاعد ثنا اسماعيل بن أبى الحارث ثنا جعفر بن عون ثنا اسماعيل بن أبى خالد عن قيس عن ابن مسعود أن رجلا كلم رسول الله (ص) يوم الفتح فأخذته الرعدة ، فقال « هون عليك فانما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد » قال وهكذا رواه محمد بن سليمان بن فارس وأحمد بن يحيى ابن زهير عن اسماعيل بن أبى الحارث موصولا . ثم رواه عن أبى زكريا المزكى عن أبى عبد الله محمد ابن يعقوب عن محمد بن عبد الوهاب عن جعفر بن عون عن اسماعيل بن قيس مرسلا وهو المحفوظ وهذا التواضع فى هذا الموطن عند دخوله (ص) مكة فى مثل هذا الجيش الكثيف العرمرم بخلاف ما اعتمده سفهاء بنى اسرائيل حين أمروا أن يدخلوا باب بيت المقدس وهم سجود ـ أى ركع ـ يقولون حطة فدخلوا يزحفون على استاههم وهم يقولون حنطة فى شعرة . وقال البخارى ثنا القاسم بن خارجة ثنا حفص بن ميسرة عن هشام بن عروة عن أبيه أن عائشة أخبرته أن رسول الله (ص) دخل عام الفتح من كداء التى باعلا مكة ، تابعه أبو أسامة ووهب فى كداء . حدثنا عبيد بن اسماعيل ثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه دخل رسول الله (ص) عام الفتح من أعلا مكة من كداء وهو أصح إن أراد أن المرسل أصح من المسند المتقدم انتظم الكلام والا فكداء بالمد هى المذكورة فى الروايتين وهى فى أعلا مكة وكُدَى مقصور فى أسفل مكة وهذا هو المشهور والأنسب وقد تقدم أنه عليه السلام

بعث خالد بن الوليد من أعلا مكة ودخل هو عليه السلام من أسفلها من كُدَى وهو فى صحيح البخارى والله أعلم . وقد قال البيهقى أنبا أبو الحسين بن عبدان أنبا أحمد بن عبيد الصفار ثنا عبد الله بن ابراهيم بن المنذر الحزامى ثنا معن ثنا عبد الله بن عمر بن حفص عن نافع عن ابن عمر قال : لما دخل رسول الله (ص) عام الفتح وأتى النساء يلطمن وجوه الخيل فتبسم إلى أبى بكر وقال : « يا أبا بكر كيف قال حسان ؟ » فأنشده أبو بكر رضى الله عنه :

عَدِمْتُ بنيَّتى إن لم تَرَوْها   تُثيرُ النَّقعَ من كَنَفَي كداء
ينازِعْنَ الأَعِنَّةَ مسرجاتٍ   يلطِّمُهُنَّ بالخُمُرِ النساء

فقال رسول الله (ص) « ادخلوها من حيث قال حسان » . وقال محمد بن اسحاق : حدثنى يحيى ابن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبى بكر قالت : لما وقف رسول الله (ص) بذى طوى قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده أى بنية اظهرى بى على أبى قبيس ، قالت وقد كف بصره ،قالت فأشرفت به عليه فقال أى بنية ماذا ترين ؟ قالت أرى سواداً مجتمعاً قال تلك الخيل ، قالت وأرى رجلا يسعى بين يدى ذلك السواد مقبلا ومدبراً ، قال أى بنية ذلك الوازع ـ يعنى الذى يأمر الخيل ويتقدم اليها ـ ثم قالت قد والله انتشر السواد ، فقال قد والله إذن دفعت الخيل فاسرعى بى الى بيتى فانحطت به وتلقاه الخيل قبل أن يصل الى بيته ، قالت وفى عنق الجارية طوق من ورق فيلقاها رجل فيقتطعه من عنقها قالت فلما دخل رسول الله (ص) مكة ودخل المسجد أتى أبو بكر بابيه يقوده فلما رآه رسول الله (ص) قال « هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟ » قال أبو بكر يارسول الله هو أحق أن يمشى اليك من أن تمشى أنت اليه . فاجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال اسلم فاسلم ، قالت ودخل به أبو بكر وكان رأسه كالثغامة بياضاً فقال رسول الله (ص) « غيروا هذا من شعره » ثم قام أبو بكر فاخذ بيد اخته وقال : أنشد الله والاسلام طوق أختى ؟ فلم يجبه أحد قال فقال أى أخية احتسبى طوقك فوالله إن الأمانة فى الناس اليوم القليل . يعنى به الصديق ذلك اليوم على التعيين لان الجيش فيه كثرة ولا يكاد أحد يلوى على أحد مع انتشار الناس ولعل الذى أخذه تأول أنه من حربى والله اعلم . وقال الحافظ البيهقى انبا عبد الله الحافظ انبا أبو العباس الاصم انبا بحر بن نصر انبا ابن وهب اخبرنى ابن جريج عن أبى الزبير عن جابر أن عمر بن الخطاب أخذ بيد أبى قحافة فاتى به النبى (ص)، فلما وقف به على رسول الله (ص) قال « غيروه ولا تقربوه سواداً » قال ابن وهب وأخبرنى عمر بن محمد عن زيد بن أسلم أن رسول الله (ص) هنأ أبا بكر باسلام أبيه قال ابن اسحاق : فحدثنى عبدالله بن أبى نجيح أن رسول الله (ص) حين فرق جيشه من ذى طوى أمر الزبير بن العوام أن يدخل فى بعض الناس من كداء ، وكان الزبير على المجنبة اليسرى ، وأمر

سعد بن عبادة أن يدخل فى بعض الناس من كدى ، قال ابن اسحاق [من المهاجرين] : فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجه داخلا قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل . قال ابن هشام يقال إنه عمر بن الخطاب ، فقال يارسول الله أتسمع ما يقول سعد بن عبادة ؟ ما نأمن أن يكون له فى قريش صولة فقال رسول الله (ص) لعلىّ « أدركه فخذ الراية منه فكن أنت تدخل بها » .

قلت : وذكر غير محمد بن اسحاق أن رسول الله (ص) لما شكى اليه أبو سفيان قول سعد بن عبادة حين مر به ، وقال يأبا سفيان اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ـ يعنى الكعبة ـ فقال النبى (ص) « بل هذا يوم تعظم فيه الكعبة » وأمر بالراية ـ راية الانصار ـ أن تؤخذ من سعد بن عبادة كالتأديب له ، ويقال إنها دفعت الى ابنه قيس بن سعد . وقال موسى بن عقبة عن الزهرى دفعها الى الزبير بن العوام فالله اعلم .

[وذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة يعقوب بن اسحاق بن دينار ثنا عبد الله بن السرى الانطاكى ثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد . وحدثنى موسى بن عقبة عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله قال : دفع رسول الله (ص) الراية يوم فتح مكة الى سعد بن عبادة فجعل يهزها ويقول : اليوم يوم الملحمة يوم تستحل الحرمة . قال فشق ذلك على قريش وكبر فى نفوسهم ، قال فعارضت امرأة رسول الله (ص) فى مسيره وأنشأت تقول :

يا نبىّ الهدى اليكَ لجاحَـــيٌّ قريشٍ ولاتَ حينَ لجاءِ
حين ضاقتْ عليهمُ سعةُ الأر ... ض وعاداهمُ آلهُ السماء
[والتقت حلقتا البِطان على القو ... م ونُودوا بالصَّيْلم الصلماء [(1)]]
إن سعداً يريدُ قاصمةَ الظهـ ... ـر بأهل الحَجُون والبطحاء
خزرجيٌّ لو يستطيعُ من الغيـ ... ـظِ رَمانا بالنَّسْرِ والعوّاء
[فانهيَنْهُ فانه الاسدُ الاسـ ... ـودُ والليثُ والغُ فى الدماء]
فلئن أقحمَ اللواءَ ونادى ... ياحماةَ اللواءِ أهلَ اللواء
لتكونَنَّ بالبطاح قريش ... بُقعةَ القاعِ فى أكفِّ الاماء
[إنه مصلَتٌ يريد لها الرأ ... يَ صموتٌ كالحيَّةِ الصماء]

قال فلما سمع رسول الله (ص) هذا الشعر دخله رحمة لهم ورأفة بهم ، وأمر بالراية فأخذت من سعد بن عبادة ودفعت إلى ابنه قيس بن سعد ، قال فيروى أنه عليه الصلاة والسلام أحب أن لا

---

(١) هذا البيت لم يرد فى الاصل وإنما أورده السهيلى فى الروض الانف ونسب الشعر الى ضرار بن الخطاب . ولم يورد البيتين المشار اليهما بعد هذا بمربعين . مع تحوير بعض الفاظ منها .

يحييها إذ رغبت اليه واستغاثت به ، وأحب أن لا يغضب سعد فأخذ الراية منه فدفعها الى ابنه قال ابن اسحاق] [١] وذكر ابن أبي نجيح في حديثه أن رسول الله (ص) أمر خالد بن الوليد فدخل من الليط أسفل مكة في بعض الناس ، وكان خالد على المجنبة اليمنى وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب ، وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله (ص) ودخل رسول الله (ص) من أذاخر حتى نزل باعلا مكة فضربت له هنالك قبته .

وروى البخاري من حديث الزهري عن علي بن الحسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد أنه قال زمن الفتح : يارسول الله أين تنزل غداً ؟ فقال « وهل ترك لنا عقيل من رباع » ثم قال « لا يرث الكافر المؤمن ولا المؤمن الكافر » . ثم قال البخاري ثنا أبو اليمان ثنا شعيب ثنا أبو الزبير عن عبدالرحمن عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال « منزلنا إن شاء الله اذا فتح الله ، الخيف حيث تقاسموا على الكفر » وقال الامام أحمد ثنا يونس ثنا ابراهيم ـ يعني ابن سعد ـ عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) « منزلنا غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر » ورواه البخاري من حديث ابراهيم بن سعد به نحوه . وقال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله ابن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناساً بالخندمة ليقاتلوا ، وكان حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر يعد سلاحاً قبل قدوم رسول الله (ص) ويصلح منه ، فقالت له امرأته لماذا تعد ما أرى ؟ قال لمحمد وأصحابه ، فقالت والله ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شيء ، قال والله إني لأرجو أن أخدمك بعضهم . ثم قال :

إن يُقبِلوا اليومَ فما لِي عِلَّهْ هذا سلاحٌ كاملٌ وألَّهْ
وذو غِرارَيْنِ سريعُ السَّلَّهْ

قال ثم شهد الخندمة مع صفوان وعكرمة وسهيل فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد ناوشوهم شيئاً من قتال فقتل كرز بن جابر أحد بني محارب بن فهر وحنيش [٢] بن خالد بن ربيعة بن أصرم حليف بني منقذ وكانا في جيش خالد ، فشذا عنه فسلكا غير طريقه فقتلا جميعاً ، وكان قتل كرز قبل حنيش [٣] قالا : وقتل من خيل خالد أيضاً سلمة بن الميلاء الجهني وأصيب من المشركين قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر ثم انهزموا فخرج حماس منهزما حتى دخل بيته ثم قال لامرأته اغلقي علي بابي ، قالت فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

---

(١) ما بين المربعين المروي عن ابن عساكر لم يرد في نسخة دار الكتب المصرية .

(٢) في الاصل حنيش وفي ابن هشام والتيمورية خنيس وقال السهيلي إن الصواب حبيش .

(٣) وفي ابن هشام : أن خنيس بن خالد قتل فأخذه كرز فجعله بين رجليه ثم قاتل عنه حتى قتل .

إنك لو شهدتَ يوم الخندمه   إذ فرّ صفوانُ وفرّ عِكرِمه

وأبو يزيد قائم كالمؤتمه   واستقبلتْهُم بالسيوفِ المسلمه

يقطعنَ كلَّ ساعد وجمجمه   ضَرباً فلا يُسمع إلا غمغمه

لهم نهيتٌ خلفنا وهمهمه   لم تنطقي فى اللوْمِ أدنى كلمه

قال ابن هشام: وتروى هذه الابيات للرعاش الهذلى، قال وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحنين والطائف يابنى عبد الرحمن، وشعار الخزرج يابنى عبد الله، وشعار الأوس يابنى عبيد الله. وقال الطبرانى ثنا على بن سعيد الرازى ثنا أبو حسان الزيادى ثنا شعيب بن صفوان عن عطاء بن السائب عن طاوس عن ابن عباس عن رسول الله (ص) قال: «إن الله حرم هذا البلد يوم خلق السموات والارض وصاغه يوم صاغ الشمس والقمر وما حياله من السماء حرام وأنه لا يحل لاحد قبلى وإنما حل لى ساعة من نهار ثم عاد كما كان» فقيل له هذا خالد بن الوليد يقتل؟ فقال «قم يافلان فأت خالد بن الوليد فقل له فليرفع يديه من القتل» فأتاه الرجل فقال إن النبى (ص) يقول أقتل من قدرت عليه، فقتل سبعين إنسانا فأتى النبى (ص) فذكر ذلك له، فأرسل الى خالد فقال «ألم أنهك عن القتل؟» فقال جاءنى فلان فأمرنى أن أقتل من قدرت عليه، فأرسل اليه «ألم آمرك؟» قال أردت أمراً وأراد الله أمراً فكان أمر الله فوق أمرك، وما استطعت إلا الذى كان. فسكت عنه النبى (ص) فما رد عليه شيئاً. قال ابن اسحاق: وقد كان رسول الله (ص) عهد الى أمرائه أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم غير أنه أهدر دم نفر سماهم و إن وجدوا تحت أستار الكعبة وهم: عبدالله بن سعد بن أبى سرح كان قد أسلم وكتب الوحى ثم ارتد، فلما دخل رسول الله (ص) مكة وقد أهدر دمه فر الى عثمان وكان أخاه من الرضاعة، فلما جاء به ليستأمن له صمت عنه رسول الله (ص) طويلا ثم قال «نعم» فلما انصرف مع عثمان قال رسول الله (ص) لمن حوله «أما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين رآنى قد صمت فيقتله» فقالوا يا رسول الله هلا أومأت الينا؟ فقال «إن النبى لا يقتل بالاشارة» وفى رواية «إنه لا ينبغى لنبى أن تكون له خائنة الأعين» قال ابن هشام: وقد حسن إسلامه بعد ذلك وولاه عمر بعض أعماله ثم ولاه عثمان.

قلت: ومات وهو ساجد فى صلاة الصبح أو بعد انقضاء صلاتها فى بيته كما سيأتى بيانه. قال ابن اسحاق: وعبد الله بن خطل رجل من بنى تيم بن غالب.

قلت: ويقال إن اسمه عبدالعزى بن خطل ويحتمل أنه كان كذلك ثم لما أسلم سمى عبدالله [1] ولما أسلم بعثه رسول الله (ص) مصدقاً وبعث معه رجلا من الانصار، وكان معه مولى له فغضب

---

(١) وقال السهيلى: وقد قيل فى اسمه هلال وقيل إن هلالا كان أخاه وكان يقال لهما الخطلان.

عليه غضبة فقتله ، ثم ارتد مشركا ، وكان له قينتان فرتنى وصاحبتها فكانتا تغنيان بهجاء رسول الله (ص) والمسلمين ، فلهذا أهدر دمه ودم قينتيه فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة ، اشترك فى قتله أبو برزة الاسلمى وسعيد بن حريث المخزومى وقتلت إحدى قينتيه واستؤمن للاخرى . قال والحويرث ابن نقيذ بن وهب بن عبد قصى وكان ممن يؤذى رسول الله (ص) بمكة ، ولما تحمل العباس بفاطمة وأم كلثوم ليذهب بهما الى المدينة يلحقهما برسول الله (ص) أول الهجرة نخس بهما الحويرث هذا الجمل الذى هما عليه فسقطتا الى الارض ، فلما أهدر دمه قتله على بن أبى طالب ، قال ومقيس بن صبابة لأنه قتل قاتل أخيه خطأ بعد ما أخذ الدية ثم ارتد مشركا ، قتله رجل من قومه يقال له نميلة بن عبدالله قال وسارة مولاة لبنى عبدالمطلب ولعكرمة بن أبى جهل لانها كانت تؤذى رسول الله (ص) وهى بمكة .

قلت : وقد تقدم عن بعضهم أنها التى تحملت الكتاب من حاطب بن أبى بلتعة وكأنها عفى عنها أو هربت ثم أهدر دمها والله أعلم . فهربت حتى استؤمن لها من رسول الله (ص) فأمنها فعاشت الى زمن عمر فأوطأها رجل فرساً فماتت . وذكر السهيلى أن فرتنى أسلمت أيضاً . قال ابن اسحاق : وأما عكرمة بن أبى جهل فهرب الى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام واستأمنت له من رسول الله (ص) فأمنه فذهبت فى طلبه حتى أتت به رسول الله (ص) فأسلم . وقال البيهقى انبا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمس الفقيه انبا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنبا احمد بن يوسف السلمى ثنا احمد بن المفضل ثنا اسباط بن نصر الهمدانى قال زعم السدى عن مصعب بن سعد عن ابيه قال : لما كان يوم مكة أمن رسول الله (ص) الناس الا أربعة نفر وامرأتين . وقال « اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة » وهم عكرمة بن أبى جهل ، وعبدالله بن خطل ، ومقيس بن صبابة ، وعبدالله ابن سعد بن أبى سرح . فاما عبدالله بن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق اليه سعيد ابن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عماراً وكان أشب الرجلين فقتله . وأما مقيس فأدركه الناس فى السوق فقتلوه ، وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم قاصف فقال أهل السفينة لاهل السفينة : أخلصوا فان آلهتكم لا تغنى عنكم شيئاً هاهنا ، فقال عكرمة : والله لئن لم ينج فى البحر الا الاخلاص فانه لا ينجى فى البر غيره ، اللهم إن لك على عهداً إن أنت عافيتنى مما أنا فيه أن آتى محمداً حتى أضع يدى فى يده فلأجدنه عفواً كريماً ، فجاء فأسلم ، وأما عبد الله بن سعد بن أبى سرح فانه اختبأ عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله (ص) الناس الى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبى (ص) فقال : يارسول الله بايع عبد الله ، فرفع رأسه فنظر اليه ثلاثا كل ذلك يأبى ، فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه فقال « أما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين رآنى كففت يدى عن بيعته فيقتله ؟ » فقالوا ما يدرينا يارسول الله ما فى نفسك هلا أومأت إلينا بعينك ؟ فقال « إنه لا ينبغى لنبى أن

تـكون له خائنة الأعين » . ورواه أبو داود والنسائى من حديث أحمـد بن المفضل به نحوه . وقال البيهقى انبا أبو عبـد الله الحافظ انبا أبو العباس الاصم انبا أبو زرعة الدمشقى ثنا الحسن بن بشر الـكوفى ثنا الحـكم بن عبد الملك عن قتادة عن أنس بن مالك قال : أمن رسول الله (ص) الناس يوم فتح مكة الا أربعة ؛ عبد العزى بن خطل ، ومقيس بن صبابة . وعبد الله بن سـعد بن أبى سرح ، وأم سارة ، فاما عبد العزى بن خطل فانه قتل وهو متعلق باستار الـكعبة ، قال ونذر رجل أن يقتل عبد الله بن سعد بن أبى سرح اذا رآه وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة فأتى به رسول الله (ص) ليشفع له ، فلما أبصر به الانصارى اشتمل على السيف ثم أتاه فوجده فى حلقة رسول الله (ص) فجعل يتردد ويكره أن يقدم عليه ، فبسط النبى (ص) فبايعه، ثم قال للانصارى « قد انتظرتك أن توفى بنذرك ؟ » قال يارسول الله هبتك أفلا أومضت الىّ ؟ قال « إنه ليس للنبى أن يومض » . وأما مقيس بن صُبَابَة فذكر قصته فى قتله رجلا مسلماً بعد إسلامه ثم ارتداده بعـد ذلك ، قال وأما أم سارة فـكانت مولاة لقريش فأتت النبى (ص) فشكت اليه الحاجة فأعطاها شيئا ، ثم بعث معها رجل بكتاب الى أهل مكة فذكر قصة حاطب بن أبى بلتعة . وروى محمد بن اسحاق عن عبد الله ابن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن مقيس بن صبابه قتل أخوه هشام يوم بنى المصطلق قتله رجل من المسلمين وهو يظنه مشركا فقدم مقيس مظهراً للاسـلام ليطلب دية أخيه ، فلما أخذها عدا على قاتل أخيه فقتله ورجع الى مكة مشركا ، فلما أهدر رسول الله (ص) دمه قتل وهو بين الصفا والمروة وقد ذكر ابن اسحاق والبيهقى شعره حين قتل قاتل أخيه وهو قوله :

شفى النفسَ مَن قد باتَ بالقاع مسنَدا ... يضرّجُ ثوبَيْه دماءُ الاخادع
وكانت همومُ النفس من قبلِ قتله ... تُلمُّ وتُنسِيني وطاءَ المضاجع
قتلتُ به فهرا وغرّمتُ عَقله ... سَراةَ بني النجّار أربابَ فارع
حللتُ به نذرى وأدركت ثورتى ... وكنتَ الى الأوثان أولَ راجع

قلت : وقيل إن القينتين اللتين أهدر دمهما كانتا لمقيس بن صبابة هـذا وأن ابن عمه قتله بين الصفا والمروة . وقال بعضهم : قتل ابن خطل الزبير بن العوام رضى الله عنه . قال ابن اسحاق : حدثنى سعيد بن أبى هند عن أبى مرة مولى عقيل بن أبى طالب أن أم هانئ ابنة أبى طالب قالت : لما نزل رسول الله (ص) باعلا مكة فر إلىّ رجلان من أحمائى من بنى مخزوم ـ قال ابن هشام : هما الحارث بن هشام وزهير بن أبى أمية بن المغيرة ـ قال ابن اسحاق : وكانت عنـد هبيرة بن أبى وهب المخزومى ، قالت فدخل على أخى على بن أبى طالب فقال والله لأقتلنهما فاغلقت عليهما باب بيتى ثم جئت رسول الله (ص) وهو باعلا مكة فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين ، وفاطمة

ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثماني ركعات من الضحى ثم انصرف الى فقال « مرحباً وأهلا بأم هانئ ما جاء بك ؟ » فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي، فقال « قد أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت فلا يقتلهما » وقال البخاري ثنا أبو الوليد ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن ابن أبي ليلى قال : ما أخبرنا أحد أنه رأى النبي ﷺ يصلي الضحى غير أم هانئ فانها ذكرت يوم فتح مكة [أن النبي ﷺ] اغتسل في بيتها ثم صلى ثمان ركعات، قالت ولم أره صلى صلاة أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود . وفي صحيح مسلم من حديث الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن سعد بن أبي هند أن أبا مرة مولى عقيل حدثه أن أم هانئ بنت أبي طالب حدثته أنه لما كان عام الفتح فرّ اليها رجلان من بني مخزوم فأجارتهما، قالت فدخل علي عليّ فقال أقتلهما، فلما سمعته أتيت رسول الله ﷺ وهو بأعلا مكة فلما رآني رحّب وقال « ما جاء بك ؟ » قلت يا نبي الله كنت أمنت رجلين من أحمائي فأراد علي قتلهما، فقال رسول الله ﷺ « قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ » ثم قام رسول الله ﷺ الى غسله فسترت عليه فاطمة ثم أخذ ثوبا فالتحف به ثم صلى ثماني ركعات سبحة الضحى . وفي رواية أنها دخلت عليه وهو يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب، فقال « من هذه ؟ » قالت أم هانئ قال « مرحباً بام هانئ » قالت يا رسول الله زعم ابن أم علي بن أبي طالب أنه قاتل رجلين قد أجرتهما ؟ فقال « قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ » قالت ثم صلى ثماني ركعات وذلك ضحى فظن كثير من العلماء أن هذه كانت صلاة الضحى . وقال آخرون بل كانت هذه صلاة الفتح وجاء التصريح بانه كان يسلم من كل ركعتين وهو يرد على السهيلي وغيره ممن يزعم أن صلاة الفتح تكون ثمانيا بتسليمة واحدة، وقد صلى سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن في إيوان كسرى ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين ولله الحمد .

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن صفية بنت شيبة أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكة واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده، [فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس في المسجد] وقال موسى بن عقبة ثم سجد سجدتين ثم انصرف الى زمزم فاطلع فيها ودعا بماء فشرب منها وتوضأ والناس يبتدرون وضوءه والمشركون يتعجبون من ذلك ويقولون ما رأينا ملكا قط ولا سمعنا به - يعني مثل هذا - وأخر المقام الى مقامه اليوم وكان ملصقاً بالبيت . قال محمد بن اسحاق : فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ

قام على باب الكعبة فقال: « لا إله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو موضوع تحت قدمى هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الابل، أربعون منها فى بطونها أولادها، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب » ثم تلا هذه الآية [يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى] الآية كلها ثم قال « يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل فيكم ؟ » قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، قال « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ثم جلس رسول الله (ص) فى المسجد، فقام اليه على بن أبى طالب ومفتاح الكعبة فى يده فقال: يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ؟ فقال رسول الله (ص) « أين عثمان بن طلحة ؟ » فدعى له فقال « هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء »

وقال الامام أحمد حدثنا سفيان عن ابن جدعان عن القاسم بن ربيعة عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وهو على درج الكعبة: « الحمد لله الذى صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده، ألا إن قتيل العمد الخطأ بالسوط أو العصا فيه مائة من الابل » وقال مرة أخرى « مغلظة فيها أربعون خلفة فى بطونها أولادها، ألا إن كل مأثرة كانت فى الجاهلية ودم ودعوى » وقال مرة « ومال تحت قدمى هاتين إلا ما كان من سقاية الحاج وسدانة البيت فانهما أمضيتهما لأهلهما على ما كانت » . وهكذا رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث على بن زيد بن جدعان عن القاسم بن ربيعه بن جوشن الغطفانى عن ابن عمر به . قال ابن هشام: وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله (ص) دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم، ورأى ابراهيم مصورا فى يده الأزلام يستقسم بها فقال « قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ما شأن ابراهيم والأزلام ؟ [ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين] ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست . وقال الامام أحمد حدثنا سليمان انبأ عبدالرحمن عن موسى بن عقبة عن أبى الزبير عن جابر قال: كان فى الكعبة صور فأمر رسول الله (ص) أن يمحوها فبل عمر ثوبا ومحاها به . فدخلها رسول الله (ص) وما فيها منها شئ . وقال البخارى حدثنا صدقة بن الفضل ثنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن أبى معمر عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال: دخل رسول الله (ص) مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول « جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد » . وقد رواه مسلم من حديث ابن عيينة . وروى البيهقى عن ابن اسحاق عن عبدالله بن أبى بكر عن على بن عبدالله ابن عباس عن أبيه قال: دخل رسول الله (ص) يوم الفتح مكة وعلى الكعبة ثلثمائة صنم فأخذ

قضيبه فجعل يهوى الى الصنم وهو يهوى حتى مر عليها كلها ، ثم يروى من طريق سويد بن [1] عن القاسم بن عبد الله عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله (ص) لما دخل مكة وجد بها ثلثمائة وستين صنما فاشار الى كل صنم بعصا وقال « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » .فكان لا يشير الى صنم الا و يسقط من غير أن يمسه بعصاه ، ثم قال وهذا و إن كان ضعيفاً فالذى قبله يؤكده . وقال حنبل بن اسحاق انبا أبو الربيع عن يعقوب القمى ثنا جعفر بن أبى المغيرة عن ابن أبزى قال : لما افتتح رسول الله (ص) مكة جاءت عجوز شمطاء حبشية تخمش وجهها وتدعو بالويل ، فقال رسول الله (ص) تلك نائلة أيست أن تعبد ببلدكم هذا أبدا » . وقال ابن هشام : حدثنى من أثق به من أهل الرواية فى اسناد له عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة [عن ابن عباس] أنه قال : دخل رسول الله (ص) مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول الكعبة أصنام مشدودة بالرصاص ، فجعل النبى (ص) يشير بقضيب فى يده الى الاصنام و يقول « جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » فما أشار الى صنم منها فى وجهه الا وقع لقفاه ، ولا أشار الى قفاه الا وقع لوجهه ، حتى ما بقى منها صنم الا وقع ، فقال تميم بن أسد الخزاعى :

وفى الأصنام مُعتَبَرٌ وعلم ... لمن يرجو الثوابَ أو العقابا

وفى صحيح مسلم عن سنان بن فروخ عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن عبدالله بن رباح عن أبى هريرة فى حديث فتح مكة قال : وأقبل رسول الله (ص) حتى أقبل على الحجر فاستلمه وطاف بالبيت وأتى الى صنم الى جنب البيت كانوا يعبدونه وفى يد رسول الله (ص) قوس وهو آخذ بسيتها فلما أتى على الصنم فجعل يطعن فى عينه و يقول « جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر الى البيت فرفع يديه وجعل يحمد الله و يدعو ماشاء أن يدعوا . وقال البخارى ثنا اسحاق بن منصور ثنا عبد الصمد ثنا أبى ثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ص) لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة ، فأمر بها فأخرجت فأخرج صورة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وفى أيديهما الأزلام ، فقال « قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط » ثم دخل البيت فكبر فى نواحى البيت وخرج ولم يصل . تفرد به البخارى دون مسلم . وقال الامام احمد ثنا عبد الصمد ثنا همام ثنا عطاء عن ابن عباس أن رسول الله (ص) دخل الكعبة وفيها ست سوارى ، فقام الى كل سارية ودعا ولم يصل فيه . و رواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن همام بن يحيى العوذى عن عطاء به . وقال الامام احمد حدثنا هارون بن معروف ثنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث أن بكيراً حدثه عن كريب عن ابن عباس أن رسول الله (ص)

---

(١) كذا فى الأصل بياض .

حين دخل البيت وجد فيه صورة ابراهيم وصورة مريم فقال « أما هم فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة هذا ابراهيم مصوراً فما باله يستقسم ؟ » . وقد رواه البخارى والنسائى من حديث ابن وهب به . وقال الامام احمد ثنا عبد الرزاق أنبا معمر أخبرنى عثمان الجزرجى أنه سمع مقسما يحدث عن ابن عباس قال : دخل رسول الله (ص) البيت فدعا فى نواحيه ثم خرج فصلى ركعتين . تفرد به احمد . وقال الامام احمد : ثنا اسماعيل انبا ليث عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله (ص) صلى فى البيت ركعتين . قال البخارى وقال الليث ثنا يونس أخبرنى نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله (ص) أقبل يوم الفتح من أعلا مكة على راحلته مردفاً أسامة بن زيد ، ومعه عثمان بن طلحة من الحجبة حتى أناخ فى المسجد فأمر أن يؤتى بمفتاح الكعبة ، فدخل ومعه أسامة بن زيد و بلال وعثمان ابن طلحة فمكث فيه نهاراً طويلا ثم خرج فاستبق الناس ، فكان عبد الله بن عمر أول من دخل فوجد بلالا وراء الباب قائما ، فسأله أين صلى رسول الله (ص) ؟ فأشار له الى المكان الذى صلى فيه قال عبد الله : ونسيت أن أسأله كم صلى من سجدة . ورواه الامام احمد عن هشيم ثنا غير واحد وابن عون عن نافع عن ابن عمر قال : دخل رسول الله (ص) ومعه الفضل بن عباس وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة و بلال فأمر بلالا فأجاف عليهم الباب فمكث فيه ماشاء الله ثم خرج . قال ابن عمر فكان أول من لقيت منهم بلالا فقلت أين صلى رسول الله (ص) ؟ قال هاهنا بين الاسطوانتين .

قلت : وقد ثبت فى صحيح البخارى وغيره أنه عليه السلام صلى فى الكعبة تلقاء وجهة بابها من وراء ظهره فجعل عمودين عن يمينه وعموداً عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه ، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ، وكان بينه و بين الحائط الغربى مقدار ثلاثة أذرع ! وقال الامام أحمد حدثنا اسماعيل انبا ليث عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله (ص) صلى فى البيت ركعتين] قال ابن هشام وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله (ص) دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال فأمره أن يؤذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتاب لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا ، فسمع منه ما يغيظه ، فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته ، فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصا ، فخرج عليهم رسول الله (ص) فقال : « قد علمت الذى قلتم » ثم ذكر ذلك لهم فقال الحارث وعتاب نشهد أنك رسول الله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك . وقال يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثنى والدى حدثنى بعض آل جبير بن مطعم أن رسول الله (ص) لما دخل مكة أمر بلالا فعلا على الكعبة على ظهرها فأذن عليها بالصلاة ، فقال بعض بنى سعيد بن العاص : لقد أكرم الله سعيداً إذ قبضه

قبل أن يسمع هذا الأسود على ظهر الكعبة . وقال عبد الرزاق عن معمر عن أيوب قال قال ابن أبي مليكة : أمر رسول الله (ص) بلالا فأذن يوم الفتح فوق الكعبة ، فقال رجل من قريش للحارث بن هشام : ألا ترى الى هذا العبد أين صعد ؟ فقال : دعه فان يكن الله يكرهه فسيغيره . وقال يونس بن بكير وغيره عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله (ص) أمر بلالا عام الفتح فأذن على الكعبة ليغيظ به المشركين . وقال محمد بن سعد عن الواقدى عن محمد بن حرب عن اسماعيل بن أبي خالد عن أبي اسحاق أن أبا سفيان بن حرب بعد فتح مكة كان جالساً فقال فى نفسه لو جمعت لمحمد جمعاً ؟ فانه ليحدث نفسه بذلك إذ ضرب رسول الله (ص) بين كتفيه وقال « إذاً يخزيك الله » قال فرفع رأسه فاذا رسول الله (ص) قائم على رأسه فقال : ما أيقنت أنك نبي حتى الساعة . قال البيهقى وقد أخبرنا أبو عبد الله الحافظ - إجازة - أنبأ أبو حامد احمد بن الحسن المقرى أنبأ أحمد بن يوسف السلمى ثنا محمد بن يوسف الفريابى ثنا يونس بن أبي اسحاق عن أبي السفر عن ابن عباس قال : رأى أبو سفيان رسول الله (ص) يمشى والناس يطئون عقبه ، فقال بينه وبين نفسه : لو عاودت هذا الرجل القتال ؟ فجاء رسول الله (ص) حتى ضرب بيده فى صدره فقال « إذاً يخزيك الله » فقال أتوب الى الله وأستغفر الله مما تفوهت به . ثم روى البيهقى من طريق ابن خزيمة وغيره عن أبي حامد ابن الشرقى عن محمد بن يحيى الذهلى ثنا موسى بن أعين الجزرى ثنا أبي عن اسحاق بن راشد عن سعيد بن المسيب قال : لما كان ليلة دخل الناس مكة ليلة الفتح لم يزالوا فى تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا ، فقال أبو سفيان لهند : أترى هذا من الله ؟ قالت نعم هذا من الله ، قال ثم أصبح أبو سفيان فغدا الى رسول الله (ص) فقال رسول الله (ص) « قلت لهند أترى هذا من الله ؟ قالت نعم هذا من الله » فقال أبو سفيان : أشهد أنك عبدالله ورسوله ، والذى يحلف به ما سمع قولى هذا أحد من الناس غير هند . وقال البخارى ثنا اسحاق ثنا أبوعاصم عن ابن جريج أخبرنى حسن بن مسلم عن مجاهد أن رسول الله (ص) قال « إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام بحرام الله إلى يوم القيامة لا تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى ولم تحلل لى الا ساعة من الدهر لا ينفر صيدها ولا يعضد شوكها ولا يختلى خلاؤها ولا تحل لقطتها الا لمنشد » فقال العباس بن عبد المطلب الا الأذخر يارسول الله فانه لا بد منه للدفن والبيوت ؟ فسكت ثم قال « إلا الأذخر فانه حلال » وعن ابن جريج أخبرنى عبد الكريم - هو ابن مالك الجزرى - عن عكرمة عن ابن عباس بمثل هذا أو نحو هذا . ورواه أبو هريرة عن النبى (ص) تفرد به البخارى من هذا الوجه الاول وهو مرسل، ومن هذا الوجه الثانى أيضا. وبهذا وأمثاله استدل من ذهب إلى أن مكة فتحت عنوة ، وللوقعة التى كانت فى الخندمة كما تقدم . وقد قتل فيها قريب من عشرين نفساً من المسلمين والمشركين وهى ظاهرة فى

ذلك وهو مذهب جمهور العلماء . والمشهور عن الشافعى أنها فتحت صلحاً لانها لم تقسم ، ولقوله ﷺ ليلة الفتح « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن دخل الحرم فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » وموضع تقرير هذه المسألة فى كتاب الاحكام الكبير إن شاء الله تعالى . وقال البخارى ثنا سعيد ابن شرحبيل ثنا الليث عن المقبرى عن أبى شريح الخزاعى أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : إئذن لى أيها الامير أحدثك قولا قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح سمعته أذناى ووعاه قلبى وأبصرته عيناى حين تكلم به ، أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال « إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يعضد بها شجرا فان أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لى فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد الغائب » فقيل لابى شريح ماذا قال لك عمرو ؟ قال قال أنا أعلم بذلك منك ياأبا شريح ، إن الحرم لا يعيذ عاصياً ولا فارا بدم ، ولا فاراً بجزية . وروى البخارى أيضاً ومسلم عن قتيبة عن الليث بن سعد به نحوه . وذكر ابن اسحاق أن رجلا يقال له ابن الأثوع قتل رجلا فى الجاهلية من خزاعة يقال له أحمر بأساً ، فلما كان يوم الفتح قتلت خزاعة ابن الأثوع[1] وهو بمكة قتله خراش بن أمية ، فقال رسول الله ﷺ « يامعشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل لقد كثر القتل إن نفع لقد قتلتم رجلا لأدينّه » قال ابن اسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن حرملة الاسلمى عن سعيد بن المسيب قال : لما بلغ رسول الله ﷺ ما صنع خراش ابن أمية قال « إن خراشاً لقتال » وقال ابن اسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى شريح الخزاعى قال : لما قدم عمرو بن الزبير[2] مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير جئته فقلت له ياهذا إنا كنا مع رسول الله ﷺ حين افتتح مكة ، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً فقال « يأيها الناس إن الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام من حرام الله الى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً ولا يعضد فيها شجراً ، لم تحل لاحد كان قبلى ولا تحل لأحد يكون بعدى ولم تحل لى إلا هذه الساعة غضباً على أهلها ، ألا ثم قد رجعت كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد منكم الغائب فمن قال لكم إن رسول الله ﷺ قد قاتل فيها فقولوا إن الله قد أحلها لرسوله ولم

---

(١) كذا فى الاصل ولم نقف عليه . (٢) قال السهيلى : هذا وهم من ابن هشام وصوابه عمرو بن سعيد بن العاصى بن أمية وهو الاشدق ويكنى أبا أمية وكان يسمى لطيم الشيطان وكان جبارا شديد البأس حتى خافه عبد الملك على مكة فقتله بحيلة وذكر له خبرا طويلا وهو الذى رعف على منبر رسول الله حتى سال الدم . محمود الامام .

بحلها لكم يامعشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فلقد كثر إن نفع لقد قتلتم قتيلا لأدينه فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين إن شاؤا فدم قاتله و إن شاؤا فعقله » ثم ودى رسول الله (ص) ذلك الرجل الذى قتلته خزاعة . فقال عمرو لأبى شريح : انصرف أيها الشيخ فنحن أعلم بحرمتها منك ، إنها لا تمنع سافك دم ، ولا خالع طاعة ، ولا مانع جزية ، فقال أبو شريح : إنى كنت شاهداً وكنت غائبا وقد أمرنا رسول الله (ص) أن يبلغ شاهدنا غائبنا ، وقد أبلغتك فأنت وشأنك . قال ابن هشام : و بلغنى أن أول قتيل وداه رسول الله (ص) يوم الفتح جنيدب بن الاكوع قتله بنو كعب فوداه رسول الله (ص) بمائة ناقة . وقال الامام أحمد : حدثنا يحيى عن حسين عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : لما فتحت مكة على رسول الله (ص) قال « كفوا السلاح إلا خزاعة من بنى بكر » فأذن لهم حتى صلى العصر ثم قال « كفوا السلاح » فلقى رجل من خزاعة رجلا من بنى بكر من غد بالمزدلفة فقتله ، فبلغ ذلك رسول الله (ص) فقام خطيباً فقال ـ فرأيته وهو مسند ظهره الى الكعبة قال ـ « إن أعدى الناس على الله من قتل فى الحرم ، أو قتل غير قاتله أو قتل بذحول الجاهلية » وذكر تمام الحديث وهذا غريب جدا . وقد روى أهل السنن بعض هذا الحديث فأما ما فيه من أنه رخص لخزاعة أن تأخذ بثأرها من بنى بكر الى العصر من يوم الفتح فلم أره الا فى هذا الحديث وكأنه إن صح من باب الاختصاص لهم مما كانوا أصابوا منهم ليلة الوتير والله أعلم . وروى الامام أحمد عن يحيى بن سعيد وسفيان بن عيينة و يزيد بن هرون ومحمد بن عبيد كلهم عن زكريا بن أبى زائدة عن عامر الشعبى عن الحارث بن مالك بن البرصا الخزاعى سمعت رسول الله (ص) يقول يوم فتح مكة « لا تغزى هذه بعد اليوم الى يوم القيامة » ورواه الترمذى عن بندار عن يحيى بن سعيد لقطان به وقال حسن صحيح .

قلت : فان كان نهياً فلا إشكال ، و إن كان نفياً فقال البيهقى معناه على كفر أهلها وفى صحيح مسلم من حديث زكريا بن أبى زائدة عن عامر الشعبى عن عبد الله بن مطيع عن أبيه مطيع بن الاسود العدوى قال قال رسول الله (ص) يوم فتح مكة « لا يقتل قرشى صبراً بعد اليوم الى يوم القيامة » والكلام عليه كالأول سواء . قال ابن هشام : و بلغنى أن رسول الله (ص) حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو وقد أحدقت به الانصار فقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله (ص) إذ فتح الله عليه أرضه و بلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه قال « ما ذا قلتم ؟ » قالوا لا شئ يارسول الله ، فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال رسول الله (ص) « معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم » وهذا الذى علقه ابن هشام قد أسنده الامام احمد بن حنبل فى مسنده فقال ثنا بهز وهاشم قالا : حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت . وقال هاشم حدثنى ثابت البنانى ثنا عبد الله بن رباح قال : وفدت وفود إلى

معاوية أنا فيهم وأبو هريرة وذلك فى رمضان ، فجعل بعضنا يصنع لبعض الطعام ، قال وكان أبو هريرة يكثر ما يدعونا ، قال هاشم يكثر أن يدعونا إلى رحله ، قال فقلت ألا أصنع طعاماً فادعوهم الى رحلى ؟ قال فأمرت بطعام يصنع فلقيت أبا هريرة من العشاء قال قلت يأبا هريرة الدعوى عندى الليلة قال استبقنى [1] قال هاشم قلت نعم فدعوتهم فهم عندى . فقال أبو هريرة ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يامعشر الانصار قال فذكر فتح مكة قال أقبل رسول الله (ص.) فدخل مكة قال فبعث الزبير على أحد المجنبتين و بعث خالدا على المجنبة الأخرى و بعث أبا عبيدة على الجسر وأخذوا بطن الوادى ورسول الله (ص.) فى كتيبته وقد وبشت قريش أوباشها ، قال قالوا نقدم هؤلاء فان كان لهم شىء كنا معهم وإن أصيبوا أعطيناه الذى سألنا ، قال أبو هريرة فنظر فرآنى فقال « يأبا هريرة » فقلت لبيك رسول الله ، فقال « اهتف لى بالانصار ولا يأتينى الا أنصارى » فهتفت بهم فجاءوا فأطافوا برسول الله (ص.) قال فقال رسول الله (ص.) « أترون إلى أوباش قريش واتباعهم ؟ » ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى « أحصدوهم حصدا حتى توافونى بالصفا » قال فقال أبو هريرة فانطلقنا فما يشاء واحد منا أن يقتل منهم ما شاء ، وما أحد منهم يوجه الينا منهم شيئا ، قال فقال أبو سفيان : يارسول الله أبيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم ، قال فقال رسول الله (ص.) « من أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن » قال فغلق الناس أبوابهم ، قال وأقبل رسول الله (ص.) إلى الحجر فاستلمه ثم طاف بالبيت قال وفى يده قوس آخذ بسية القوس ، قال فأتى فى طوافه على صنم إلى جنب البيت يعبدونه قال فجعل يطعن بها فى عينه ويقول « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » قال ثم أتى الصفا فعلاه حيث ينظر إلى البيت فرفع يديه فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه ، قال والانصار تحت قال يقول بعضهم لبعض : أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته قال أبو هريرة : وجاء الوحى وكان اذا جاء لم يخف علينا ، فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله (ص.) حتى يقضى . قال هاشم : فلما قضى الوحى رفع رأسه ثم قال « يا معشر الانصار أقلتم أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته ؟ » قالوا قلنا ذلك يا رسول الله ، قال « فما أسمى إذا ، كلا إنى عبد الله ورسوله هاجرت الى الله واليكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم » قال فاقبلوا اليه يبكون ويقولون والله ما قلنا الذى قلنا الا الضن بالله ورسوله ، قال فقال رسول (ص.) « إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم » وقد رواه مسلم والنسائى من حديث سليمان بن المغيرة زاد النسائى وسلام بن مسكين ورواه مسلم أيضاً من حديث حماد بن سلمة ثلاثتهم عن ثابت عن عبد الله بن رباح الانصارى نزيل البصرة عن أبى هريرة به نحوه . وقال ابن هشام :

---

(١) كذا فى الاصل ولعل الصواب « استبقتنى أو اسبقنى » .

وحدثنى - يعنى بعض أهل العلم - أن فضالة بن عمير بن الملوح - يعنى الليثى - أراد قتل النبى (ص.) وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله (ص.) « أفضالة ؟ » قال نعم فضالة يارسول الله ، قال « ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ » قال لا شئ كنت أذكر الله ، قال فضحك النبى (ص.) ثم قال « استغفر الله » ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شئ أحب الى منه ، قال فضالة فرجعت الى أهلى فمررت بامرأة كنت أتحدث اليها فقالت هلم الى الحديث ؟ فقال لا ، وانبعث فضالة يقول :

قالت هلمَّ إلى الحديثِ فقلتُ لا   يأبى عليكِ اللهُ والاسلام
أو ما رأيتِ محمداً وقبيلَه   بالفتح يوم تُكَسَّر الأصنام
لرأيتِ دينَ الله أضحى بَيِّناً   والشِّرْكَ يغشى وجهه الاظلام

قال ابن اسحق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت : خرج صفوان ابن أمية يريد جدة ليركب منها الى اليمن ، فقال عمير بن وهب : يانبى الله إن صفوان بن أمية سيد قومه وقد خرج هاربا منك ليقذف نفسه فى البحر ، فأمنه يا رسول الله صلى الله عليك فقال « هو آمن » فقال يارسول الله فاعطنى آية يعرف بها أمانك ؟ فاعطاه رسول الله (ص.) عمامته التى دخل فيها مكة ، فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب فى البحر فقال : يا صفوان فداك أبى وأمى الله الله فى نفسك أن تهلكها هذا أمان من رسول الله (ص.) وقد جئتك به ، قال ويلك أعزب عنى فلا تكلمنى قال أى صفوان فداك أبى وأمى أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك ؟ قال إنى أخافه على نفسى ، قال هو أحلم من ذلك وأكرم . فرجع معه حتى وقف على رسول الله (ص.) فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمنتنى ؟ قال « صدق » قال فاجعلنى بالخيار فيه شهرين ؟ قال « أنت بالخيار أربعة أشهر » ثم حكى ابن اسحاق عن الزهرى أن فاختة بنت الوليد امرأة صفوان وأم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عكرمة بن أبى جهل وقد ذهبت وراءه الى اليمن فاسترجعته فاسلم فلما أسلما أقرهما رسول الله (ص) تحتهما بالنكاح الاول . قال ابن اسحاق : وحدثنى سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال : رمى حسان ابن الزبعرى وهو بنجران ببيت واحد ما زاد عليه :

لا تَعْدَمَنْ رَجُلا أحلَّك بغضُه   نجرانَ فى عيشٍ أحذَّ لئيم

فلما بلغ ذلك ابن الزبعرى خرج الى رسول الله (ص.) فأسلم وقال حين أسلم :

يارسولُ المليك إن لسانى   راتقٌ ما فتقْتُ إذْ أنا بُور
إذ أُباري الشيطانَ فى سَنَنِ الغيِّ   ومَنْ مالَ مِيلَهُ مثْبور

آمن اللحمُ والعظامُ لربّي ثم قلبي الشهيدُ أنتَ النذير
إننى عنك زاجرٌ ثَمَّ حيّاً من لؤيٍ وكلُّهم مغرور

قال ابن اسحاق : وقال عبد الله بن الزبعرى أيضاً حين أسلم :

مَنَعَ الرقادَ بلابلٌ وهموم والليلُ مُعْتَلِجُ الرواقِ بَهيم
مما أتاني أن احمدَ لامنى فيه فبتُّ كأننى محموم
يا خيرَ من حملتْ على أوصالها عَيرانةٌ سرحُ اليدين غشوم
إنى لمعتذرٌ اليك من الذى أسديتُ اذْ أنا فى الضلال أهيم
أيام تأمرُنى بأغوى خطةٍ سهمٌ وتأمرُني بها مخزوم
وأَمُدُّ أسبابَ الردى ويقودُنى أمرُ الغواةِ وأمرُهم مشؤوم
فاليومَ آمنَ بالنبيِّ محمدٍ قَلبي ومخطئُ هذه محروم
مضتِ العداوة وانقضتْ أسبابُها ودعتْ أواصرُ بيننا وحلوم
فاغفر فدىً لك والديَّ كلاهما زَللي فإنك راحمٌ مرحوم
وعليكَ من عِلمِ المليكِ علامةٌ نورٌ أغرُّ وخاتم مختوم
أعطاكَ بعد محبَّةٍ برهانَهُ شرفاً وبرهانُ الاله عظيم
ولقد شهدتُ بأن دينك صادقٌ حقٌّ وأنك فى المعاد جسيم
والله يشهدُ أن أحمد مصطفى مستقبلٌ فى الصالحين كريم
قِرمٌ علا بنيانَهُ من هاشم فرعٌ تمكّن فى الذرى وأروم

قال ابن هشام : و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها له .

قلت : كان عبد الله بن الزبعرى السهمى من أكبر اعداء الاسلام ومن الشعراء الذين استعملوا قواهم فى هجاء المسلمين ، ثم من الله عليه بالتوبة والانابة والرجوع إلى الاسلام والقيام بنصره والذب عنه .

فصل

قال ابن اسحاق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف من بنى سليم سبعمائة و يقول بعضهم ألف ومن بنى غفار أربعمائة [ومن أسلم أربعمائة] ومن مزينة الف وثلاثة نفر وسائرهم من قريش والانصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد . وقال عروة والزهرى وموسى بن عقبة : كان المسلمون يوم الفتح الذين مع رسول الله (ص) اثنا عشر الفاً فالله اعلم . قال ابن اسحاق وكان مما قيل من الشعر فى يوم الفتح قول حسان بن ثابت :

عفت ذات الاصابع فالجواء (١) … إلى عذراء منزلها خلاء
ديار من بنى الحسحاس قفر … تعفيها الروامس والسماء
وكانت لا يزال بها أنيس … خلال مروجها نعم وشاء
فدع هذا ولكن من لَطَيفٍ … يؤرقنى اذا ذهب العشاء
لشعثاء التى (٢) قد تيمته … فليس لقلبه منها شفاء
كأن خبيئة من بيت رأس … يكون مزاجها عسل وماء
اذا ما الأشربات ذكرن يوماً … فهن لطيّب الراح الفداء
نوليها الملامة أن ألمنا (٣) … اذا ما كان مغث أو لحاء (٤)
ونشربها فتتركنا ملوكا … وأسداً ما ينهنها اللقاء
عدمنا خيلنا أن لم تروها … تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مصغيات … على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات … يلطمهنّ بالخمر النساء
فاما تعرضوا عنا اعتمرنا … وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لجلاد يوم … يعز (٥) الله فيه من يشاء
وجبريل رسول الله فينا … وروح القدس ليس له كفاء
وقال الله قد أرسلت عبدا … يقول الحق إن نفع البلاء
شهدت به فقوموا صدقوه … فقلتم لا نقوم ولا نشاء
وقال الله قد سيرت جندا … هم الانصار عرضتها اللقاء
لنا فى كل يوم من معد … سباب أو قتال أو هجاء
فنحكم بالقوافى من هجانا … ونضرب حين تختلط الدماء
الا أبلغ أبا سفيان عنى … مغلغلة فقد برح الخفاء
بأن سيوفنا تركتك عبدا … وعبد الدار سادتها الاماء
هجوت محمداً فأجبت عنه … وعند الله فى ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء … فشركما لخيركما الفداء

(١) مواضع بالشام وعذراء قرية عند دمشق . (٢) شعثاء بنت سلام بن مشكم اليهودى .
(٣) قال السهيلى : أتينا بما نلام عليه صرفناه الى الخمر . (٤) المغث الضرب باليد واللحاء الملاحاة باللسان . (٥) وفى رواية يعين الله .

هجوت مباركا براً حنيفاً ... أمين الله شيمته الوفاء

أمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصر سواء

فان أبى ووالده وعرضى ... لعرض محمد منكم وقاء

لسانى صارم لا عيب فيه ... وبحرى لا تكدره الدلاء (١)

قال ابن هشام : قالها حسان قبل الفتح .

قلت : والذى قاله متوجه لما فى اثناء هذه القصيدة مما يدل على ذلك وأبو سفيان المذكور فى البيت هو أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب . قال ابن هشام : و بلغنى عن الزهرى أنه قال : لما رأى رسول الله (ص) النساء يلطمن الخيل بالخمر تبسم الى أبى بكر رضى الله عنه . قال ابن اسحاق : وقال أنس بن زنيم الدئلى يعتذر الى رسول الله (ص) مما كان قال فيهم عمر و بن سالم الخزاعى - يعنى لما جاء يستنصر عليهم - كما تقدم :

أأنت الذى تهدى معد بأمره ... بل الله يهديهم وقال لك اشهد

وما حملت من ناقة فوق رحلها ... أبر وأوفى ذمة من محمد

أحث على خير وأسبغ نائلا ... اذا راح كالسيف الصقيل المهند

وأكسى لبرد الخال (٢) قبل ابتذاله ... وأعطى لرأس السابق المتجرد

تعلم رسول الله أنك مدركى ... وأن وعيداً منك كالأخذ باليد

تعلم رسول الله أنك قادر ... على كل صرم متهمين ومنجد

تعلم أن الركب ركب عويمر ... هموا الكاذبون المخلفوا كل موعد

ونبوا رسول الله أنى هجوته ... فلا حملت سوطى الىّ إذن يدى

سوى أننى قد قلت و يل ام فتية ... أصيبوا بنحس لا بطلق وأسعد

أصابهموا من لم يكن لدمائهم ... كفاء فعزت عبرتى وتبلدى

وإنك قد أخبرت أنك ساعيا ... بعبد بن عبد الله وابنة مهود

ذؤيب وكلثوم وسلمى تتابعوا ... جميعاً فان لا تدمع العين أكمد

وسلمى وسلمى ليس حى كمثله ... وأخوته وهل ملوك كأعبد

فانى لا ذنبا فتقت ولا دما ... هرقت تبين عالم الحق واقصد

قال ابن اسحاق : وقال بجير بن زهير بن أبى سلمى فى يوم الفتح :

---

(١) وقد زاد السهيلى على هذه القصيدة أربعة أبيات . (٢) الخال من برود اليمن وهو من رفيع الثياب ولعله سمى بالخال من الخيلاء اه عن السهيلى .

نفى أهل الحبلق (١) كل فج　مزينة غدوة وبنو خفاف
ضربناهم بمكة يوم فتح النـــبى الخير بالبيض الخفاف
صبحناهم بسبع من سليم　وألف من بنى عثمان واف
نطأ أكتافهم ضربا وطعناً　ورشقاً بالمريشة اللطاف
ترى بين الصفوف لها حفيفاً　كما انصاع الفواق من الرصاف
فرحنا والجياد تجول فيهم　بأرماح مقومة الثقاف
فأبنا غانمين بما اشتهينا　وآبوا نادمين على الخلاف
وأعطينا رسول الله منّا　مواثقنا على حسن التصافى
وقد سمعوا مقالتنا فهموا　غداة الروع منا بانصراف

وقال ابن هشام وقال عباس بن مرداس السلمى فى فتح مكة :

منا بمكة يوم فتح محمد　ألف تسيل به البطاح مسوّم
نصروا الرسول وشاهدوا آياته　وشعارهم يوم اللقاء مقدم
فى منزل ثبتت به أقدامهم　ضنك كأن الهام فيه الحنتم
جرت سنابكها بنجد قبلها　حتى استقام لها الحجاز الأدهم
الله مكنه له وأذله　حكم السيوف لنا وجد مزحم
عود الرياسة شامخ عرنينه　متطلع ثغر المكارم خضرم

وذكر ابن هشام فى سبب اسلام عباس بن مرداس أن أباه كان يعبد صنما من حجارة يقال له ضمار فلما حضرته الوفاة أوصاه به ، فبينما هو يوماً يخدمه إذ سمع صوتا من جوفه وهو يقول :

قل للقبائل من سليم كلها　أودى ضمار وعاش أهل المسجد
إن الذى ورث النبوة والهدى　بعد ابن مريم من قريش مهتدى
أودى ضمار وكان يعبد مدة　قبل الكتاب الى النبى محمد

قال فحرق عباس ضمار ثم لحق برسول الله ﷺ فأسلم ، وقد تقدمت هذه القصة بكمالها فى باب هواتف الجان مع أمثالها وأشكالها ولله الحمد والمنة .

بعثه عليه السلام خالد بن الوليد بعد الفتح الى بنى جذيمة من كنانة

قال ابن اسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبى جعفر محمد بن على قال

(١) الحبلق أرض يسكنها قبائل من مزينة وقيس . والحبلق الغنم الصغار ولعله أراد أصحاب الغنم . قاله السهيلى .

بعث رسول الله (ص) خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعيا ولم يبعثه مقاتلا ، ومعه قبائل من العرب وسُلَيم بن منصور ومدلج بن مرة فوطئوا بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح فان الناس قد أسلموا : قال ابن اسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا من أهل العلم من بنى جذيمة قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم : ويلكم يابنى جذيمة إنه خالد والله ما بعد وضع السلاح الا الأسار ، وما بعد الأسار الا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحى أبداً . قال فأخذه رجال من قومه فقالوا ياجحدم أتريد أن تسفك دماءنا ؟ ! إن الناس قد أسلموا ووضعت الحرب وآمن الناس ، فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم سلاحهم لقول خالد قال ابن اسحاق : فقال حكيم بن حكيم عن أبى جعفر قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم ، فلما انتهى الخبر الى رسول الله (ص) رفع يديه الى السماء ثم قال « اللهم إنى أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل أنكر عليه أحد ؟ » فقال نعم قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة فنهمه خالد فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب فاشتدت مراجعتهما ، فقال عمر بن الخطاب : أما الاول يارسول الله فابنى عبد الله ، وأما الآخر فسالم مولى أبى حذيفة . قال ابن اسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم عن أبى جعفر قال : ثم دعا رسول الله (ص) على بن أبى طالب فقال « يا على اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر فى أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك » فخرج على حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله (ص) فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الاموال حتى أنه ليدى ميلغة الكلب ، حتى إذا لم يبق شئ من دم ولا مال إلاوداه بقيت معه بقية من المال ، فقال لهم على حين فرغ منهم : هل بقى لكم دم أو مال لم يود لكم ؟ قالوا لا ، قال فانى أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطا لرسول الله (ص) مما لا يعلم ولا تعلمون . ففعل ثم رجع إلى رسول الله (ص) فاخبره الخبر ، فقال « أصبت وأحسنت » ثم قام رسول الله (ص) فاستقبل القبلة قائما شاهراً يديه حتى إنه ليرى ما تحت منكبيه يقول « اللهم إنى أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد » ثلاث مرات . قال ابن اسحاق : وقد قال بعض من يعذر خالداً أنه قال ما قاتلت حتى أمرنى بذلك عبد الله بن حذافة السهمى وقال : إن رسول الله (ص) قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الاسلام . قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدينى : لما أتاهم خالد بن الوليد قالوا صبأنا صبأنا وهذه مرسلات ومنقطعات . وقد قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهرى عن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابن عمر قال : بعث رسول الله (ص) خالد بن الوليد إلى بنى – احسبه قال – جذيمة فدعاهم

إلى الاسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا ، وخالد يأخذ بهم أسراً وقتلا ، قال ودفع إلى كل رجل منا أسيراً حتى إذا أصبح يوماً أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره ، قال ابن عمر فقلت والله لا أقتل أسيرى ولا يقتل أحد من أصحابى أسيره ، قال فقدموا على النبى (ص.) فذكروا صنيع خالد فقال النبى (ص.) ورفع يديه « اللهم إنى أبرأ اليك مما صنع خالد » مرتين . ورواه البخارى والنسائى من حديث عبد الرزاق به نحوه . قال ابن اسحاق : وقد قال لهم جحدم لما رأى ما يصنع خالد : يابنى جذيمة ضاع الضرب قد كنت حذرتكم مما وقعتم فيه . قال ابن اسحاق : وقد كان بين خالد و بين عبدالرحمن بن عوف -فيما بلغنى- كلام فى ذلك فقال له عبد الرحمن عملت بأمر الجاهلية فى الاسلام ؟ فقال إنما ثأرت بأبيك ، فقال عبد الرحمن كذبت قد قتلتُ قاتل أبى ، ولكنك ثأرتَ بعمك الفاكه بن المغيرة حتى كان بينهما شر ، فبلغ ذلك رسول الله (ص.) فقال « مهلا ياخالد دع عنك أصحابى فوالله لوكان لك أحد ذهبا ثم أنفقته فى سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابى ولا روحته » ثم ذكر ابن اسحاق قصة الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم عم خالد بن الوليد فى خروجه هو وعوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ومعه ابنه عبد الرحمن وعفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ومعه ابنه عثمان فى تجارة الى اليمن و رجوعهم ومعهم مال لرجل من بنى جذيمة كان هلك باليمن فحملوه الى ورثته فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ولقيهم بارض بنى جذيمة فطلبه منهم [قبل أن يصلوا الى أهل الميت] فأبوا عليه فقاتلهم فقاتلوه حتى قتل عوف والفاكه وأخذت أموالهما وقتل عبد الرحمن قاتل أبيه خالد بن هشام وفر منهم عفان ومعه ابنه عثمان إلى مكة ، فهمت قريش بغزو بنى جذيمة فبعث بنو جذيمة يعتذرون اليهم بانه لم يكن عن ملأ منهم وودوا لهم القتيلين وأموالهما و وضعوا الحرب بينهم ، يعنى فلهذا قال خالد لعبد الرحمن إنما ثأرت أبيك يعنى حين قتلته بنو جذيمة ، فأجابه بأنه قد أخذ ثأره وقتل قاتله ورد عليه بأنه إنما ثأر بعمه الفاكه بن المغيرة حين قتلوه وأخذوا أمواله ، والمظنون بكل منهما أنه لم يقصد شيئاً من ذلك و إنما يقال هذا فى وقت المخاصمة فانما أراد خالد بن الوليد نصرة الاسلام وأهله وإن كان قد أخطأ فى أمر واعتقد أنهم ينتقصون الاسلام بقولهم صبأنا صبأنا ، ولم يفهم عنهم أنهم أسلموا فقتل طائفة كثيرة منهم وأسر بقيتهم ، وقتل أكثر الأسرى أيضاً ، ومع هذا لم يعزله رسول الله (ص.) بل استمر به أميرا و إن كان قد تبرأ منه فى صنيعه ذلك وودى ما كان جناه خطأ فى دم أو مال ففيه دليل لاحد القولين بين العلماء فى أن خطأ الامام يكون فى بيت المال لا فى ماله والله اعلم . ولهذا لم يعزله الصديق حين قتل مالك بن نويرة أيام الردة وتأول عليه ما تأول حين ضرب عنقه واصطفى امرأته أم تميم فقال له عمر بن الخطاب: اعزله فان فى سيفه رهقا فقال الصديق: لا أغمد سيفا سله الله على المشركين

وقال ابن اسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس عن الزهري عن ابن أبي حدرد الأسلمي قال : كنت يومئذ فى خيل خالد بن الوليد فقال فتى من بنى جذيمة وهو فى سنى وقد جمعت يداه الى عنقه برُمَّة ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا فتى قلت ما تشاء ؟ قال هل أنت آخذ بهذه الرُّمَّة فقائدى الى هذه النسوة حتى أقضى اليهن حاجة ثم تردنى بعد فتصنعوا ما بدا لكم ؟ قال قلت والله ليسير ما طلبت فأخذت برمته فقدته بها حتى وقفته عليهن فقال : اسلمى حبيش على نفد العيش :

أريتك إذ طالبتُكم فوجدتُكم   بحلية أو ألفيتكم بالخوانق

ألم يكُ أهلاً أن يُنَوَّل عاشق   تكلَّفَ إدلاجَ السرى والودائق

فلا ذنبَ لى قدقلتُ إذ أهلُنا معا   أثيبي بودٍّ قبل إحدى الصفائق

أثيبي بودّ قبلَ أن يشحطَ النوى   وينأى الاميرُ بالحبيب المفارق

فأنيَ لا ضيَّعتُ سرَّ أمانة   ولا راقَ عيني عنكِ بعدك رائق

سوى أن ما نال العشيرةَ شاغلٌ   عن الودّ إلا أن يكونَ التوامُق

قالت : وأنت فحييت عشراً وتسعاً وتراً وثمانية تترى قال ثم انصرفت به فضربت عنقه . قال ابن اسحاق : فحدثنى أبو فراس بن أبى سنبلة الأسلمى عن أشياخ منهم عمن كان حضرها منهم قالوا فقامت اليه حين ضربت عنقه فأكبت عليه فما زالت تقبله حتى ماتت عنده . وروى الحافظ البيهقى من طريق الحميدى عن سفيان بن عيينة عن عبدالملك بن نوفل بن مساحق أنه سمع رجلا من مزينة يقال له ابن عصام عن أبيه قال : كان رسول الله (ص) اذا بعث سرية قال « إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم مؤذنا فلا تقتلوا أحداً » قال فبعثنا رسول الله (ص) فى سرية وأمرنا بذلك فخرجنا قبل تهامة فأدركنا رجلا يسوق بظعائن فقلنا له أسلم ، فقال وما الاسلام ؟ فأخبرناه به فاذا هو لا يعرفه ، قال أفرأيتم إن لم أفعل ما أنتم صانعون ؟ قال قلنا نقتلك ، فقال فهل أنتم منظرى حتى أدرك الظعائن ؟ قال قلنا نعم ونحن مدركوك ، قال فأدرك الظعائن فقال: اسلمى حبيش قبل نفاد العيش . فقالت الاخرى اسلم عشراً وتسعاً وترا وثمانيا تترى ثم ذكر الشعر المتقدم الى قوله : وينأى الامير بالحبيب المفارق ، ثم رجع الينا فقال شأنكم قال فقدمناه فضربنا عنقه قال فانحدرت الاخرى من هودجها فجثت عليه حتى ماتت . ثم روى البيهقى من طريق أبى عبد الرحمن النسائى ثنا محمد بن على بن حرب المروزى ثنا على بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (ص) بعث سرية فغنموا وفيهم رجل ، فقال لهم إنى لست منهم إنى عشقت امرأة فلحقتها فدعونى أنظر اليها نظرة ثم اصنعوا بى ما بدا لكم ، قال فاذا أمرأة أدماء طويلة فقال لها: اسلمى حبيش قبل نفاد العيش . ثم ذكر البيتين بمعناها . قال فقالت نعم فديتك ، قال فقدموه فضربوا عنقه فجاءت

المرأة فوقعت عليه فشهقت شهقة أو شهقتين، ثم ماتت، فلما قدموا على رسول الله (ص) أخبروه الخبر فقال « أما كان فيكم رجل رحيم »

بعث خالد بن الوليد لهدم العزّى

قال ابن جرير: وكان هدمها لخمس بقين من رمضان عامئذ. قال ابن اسحاق: ثم بعث رسول الله (ص) خالد بن الوليد الى العزى وكانت بيتا بنخلة يعظمه قريش وكنانة ومضر، وكان سدنتها وحجابها من بنى شيبان من بنى سليم حلفاء بنى هاشم، فلما سمع حاجبها السلمى بمسير خالد بن الوليد اليها عاق سيفه عليها ثم اشتد فى الجبل الذى هى فيه وهو يقول:

أيا عزّ شدّي شدة لاشوى لها ... على خالدٍ ألقي القناعَ وشمّري

أيا عزّ إن لم تقتلي المرءَ خالداً ... فبوئى بإثم عاجلٍ أو تنصّرى

قال فلما انتهى خالد اليها هدمها ثم رجع الى رسول الله (ص). وقد روى الواقدى وغيره أنه لما قدمها خالد لخمس بقين من رمضان فهدمها ورجع فاخبر رسول الله (ص) فقال « ما رأيت ؟ » قال لم أر شيئا فأمره بالرجوع فلما رجع خرجت اليه من ذلك البيت امرأة سوداء ناشرة شعرها تولول فعلاها بالسيف وجعل يقول:

يا عُزّى كفرانَك لا سبحانَك ... إني رأيتُ الله قد اهانك

ثم خرب ذلك البيت الذى كانت فيه وأخذ ما كان فيه من الأموال رضى الله عنه وأرضاه، ثم رجع فأخبر رسول الله (ص) فقال « تلك العزى ولا تعبد أبداً » وقال البيهقى أنبأ محمد بن أبى بكر الفقيه أنبأ محمد بن أبى جعفر أنبأ أحمد بن على ثنا أبو كريب عن ابن فضيل عن الوليد بن جميع عن أبى الطفيل قال: لما فتح رسول الله (ص) مكة بعث خالد بن الوليد الى نخلة وكانت بها العزى، فأتاها وكانت على ثلاث سمرات، فقطع السمرات وهدم البيت الذى كان عليها ثم أتى رسول الله (ص) فاخبره فقال « ارجع فانك لم تصنع شيئا » فرجع خالد فلما نظرت اليه السدنة وهم حجابها أمعنوا هربا فى الجبل وهم يقولون: ياعزى خبليه ياعزى عوريه والا فموتى برغم. قال فأتاها خالد فاذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب على رأسها ووجهها فعممها بالسيف حتى قتلها ثم رجع الى النبى (ص) فاخبره فقال « تلك العزى »

فصل في مدة اقامته عليه السلام بمكة

لا خلاف أنه عليه الصلاة والسلام أقام بقية شهر رمضان يقصر الصلاة ويفطر، وهذا دليل من قال من العلماء إن المسافر اذا لم يجمع الاقامة فله أن يقصر ويفطر الى ثمانى عشر يوما فى أحد القولين وفى القول الآخر كما هو مقرر فى موضعه. قال البخارى ثنا أبو نعيم ثنا سفيان ح وحدثنا قبيصة ثنا

سفيان عن يحيى بن أبى اسحاق عن أنس بن مالك قال: أقمنا مع رسول الله (ص) عشرا يقصر الصلاة وقد رواه بقية الجماعة من طرق متعددة عن يحيى بن أبى اسحاق الحضرمى البصرى عن أنس به نحوه . قال البخارى ثنا عبدان ثنا عبد الله انبأ عاصم عن عكرمة عن ابن عباس قال : أقام رسول الله (ص) تسعة عشر يوماً يصلى ركعتين . ورواه البخارى أيضاً من وجه آخر زاد البخارى وأبو حصين كلاهما وأبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث عاصم بن سليمان الاحول عن عكرمة عن ابن عباس به وفى لفظ لابى داود سبعة عشر يوما وحدثنا أحمد بن يونس ثنا أحمد بن شهاب عن عاصم عن عكرمة عن ابن عباس قال أقمنا مع رسول الله (ص) فى سفر تسع عشرة نقصر الصلاة . قال ابن عباس : فنحن نقصر ما بقينا بين تسع عشرة ، فاذا زدنا أتممنا . وقال أبو داود ثنا ابراهيم بن موسى ثنا ابن علية ثنا على بن زيد عن أبى نضرة عن عمران بن حصين قال : غزوت مع رسول الله (ص) وشهدت معه الفتح فأقام ثمانى عشر ليلة لا يصلى الا ركعتين يقول « يا أهل البلد صلوا أربعاً فانا سفر » وهكذا رواه الترمذى من حديث على بن زيد بن جدعان وقال هذا حديث حسن . ثم رواه من حديث محمد بن اسحاق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : أقام رسول الله (ص) عام الفتح خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم قال رواه غير واحد عن ابن اسحاق لم يذكروا ابن عباس . وقال ابن ادريس عن محمد بن اسحاق عن الزهرى ومحمد بن على ابن الحسين وعاصم بن عمرو بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر وعمرو بن شعيب وغيرهم قالوا : أقام رسول الله (ص) بمكة خمس عشرة ليلة .

فصل فيما حكم عليه السلام بمكة من الاحكام

قال البخارى : حدثنا عبد الله بن مسلم عن مالك بن شهاب عن عروة عن عائشة عن النبى (ص) وقال الليث حدثنى يونس عن ابن شهاب أخبرنى عروة بن الزبير أن عائشة قالت : كان عتبة بن أبى وقاص عهد الى أخيه سعد أن يقبض ابن وليدة زمعة ، وقال عتبة إنه ابنى ، فلما قدم رسول الله (ص) مكة فى الفتح أخذ سعد بن أبى وقاص ابن وليدة زمعة فاقبل به الى رسول الله (ص) وأقبل معه عبد بن زمعة فقال سعد بن أبى وقاص : هذا ابن اخى عهد الى أنه ابنه ، قال عبد بن زمعة يارسول الله هذا أخى هذا ابن زمعة ولد على فراشه ، فنظر رسول الله (ص) الى ابن وليدة زمعة فاذا هو أشبه الناس بعتبة بن أبى وقاص ، فقال رسول الله (ص) « هو لك هو أخوك ياعبد بن زمعة من أجل أنه ولد على فراشه » وقال رسول الله (ص) « احتجبى منه يا سودة » لما رأى من شبه عتبة ابن أبى وقاص . قال ابن شهاب قالت عائشة قال رسول الله (ص) « الولد للفراش وللعاهر الحجر » قال ابن شهاب وكان أبو هريرة يصرح بذلك . وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم وأبو داود والترمذى

جميعاً عن قتيبة عن الليث به . وابن ماجه من حديثه وانفرد البخارى بروايته له من حديث مالك عن الزهرى . ثم قال البخارى ثنا محمد بن مقاتل أنبأ عبد الله أنا يونس عن ابن شهاب اخبرنى عروة ابن الزبير أن امرأة سرقت فى عهد رسول الله (ص) فى غزوة الفتح ففزع قومها الى أسامة بن زيد يستشفعونه قال عروة : فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله (ص) وقال « أتكلمنى فى حد من حدود الله ؟ » فقال أسامة استغفرلى يا رسول الله ، فلما كان العشى قام رسول الله (ص) خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال « أما بعد فانما هلك الناس قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والذى نفس محمد بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » ثم أمر رسول الله (ص) بتلك المرأة فقطعت يدها فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت ، قالت عائشة : كانت تأتى بعد ذلك فأرفع حاجتها الى رسول الله (ص). وقد رواه البخارى فى موضع آخر ومسلم من حديث ابن وهب عن يونس عن الزهرى عن عروة عن عائشة به وفى صحيح مسلم من حديث سبرة بن معبد الجهنى قال : أمرنا رسول الله (ص) بالمتعة عام الفتح حين دخل مكة ثم لم يخرج حتى نهى عنها . وفى رواية فقال « ألا إنها حرام حرام من يومكم هذا الى يوم القيامة » وفى رواية فى مسند احمد والسنن أن ذلك كان فى حجة الوداع فالله أعلم . وفى صحيح مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يونس بن محمد عن عبد الواحد بن زياد عن أبى العميس عن أياس بن سلمة بن الاكوع عن أبيه أنه قال : رخص لنا رسول الله (ص) عام أوطاس فى متعة النساء ثلاثا ثم نهانا عنه . قال البيهقى : وعام أوطاس هو عام الفتح فهو وحديث سبرة سواء .

قلت : من أثبت النهى عنها فى غزوة خيبر قال إنها أبيحت مرتين ، وحرمت مرتين ، وقد نص على ذلك الشافعى وغيره . وقد قيل إنها أبيحت وحرمت أكثر من مرتين فالله أعلم . وقيل إنها إنما حرمت مرة واحدة وهى هذه المرة فى غزوة الفتح ، وقيل إنها إنما أبيحت للضرورة فعلى هذا اذا وجدت ضرورة أبيحت وهذا رواية عن الامام احمد وقيل بل لم تحرم مطلقا وهى على الاباحة هذا هو المشهور عن ابن عباس وأصحابه وطائفة من الصحابة وموضع تحرير ذلك فى الأحكام .

فصل

قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق ثنا ابن جريج أنبأ عبد الله بن عثمان بن خثيم أن محمد بن الأسود بن خلف أخبره أن أباه الاسود رأى رسول الله (ص) يبايع الناس يوم الفتح ، قال جلس عند قرن مستقبله فبايع الناس على الاسلام والشهادة قلت وما الشهادة ؟ قال أخبرنى محمد بن الاسود ابن خلف أنه بايعهم على الايمان بالله وشهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله تفرد به احمد وعند البيهقى فجاءه الناس الكبار والصغار والرجال والنساء فبايعهم على الاسلام والشهادة . وقال ابن

جرير : ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله (ص) على الاسلام فجلس لهم - فيما بلغنى - على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل من مجلسه ، فأخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا قال فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وفيهن هند بنت عتبة متنقبة متنكرة لحدثها لما كان من صنيعها بحمزة [فهى تخاف أن يأخذها رسول الله (ص) بحدثها ذلك ، فلما دنين من رسول الله (ص) ليبايعهن قال « بايعننى على أن لا تشركن بالله شيئاً » فقالت هند والله إنك لتأخذ علينا مالا تأخذه من الرجال ؟ « ولا تسرقن » فقالت والله إنى كنت أصبت من مال أبى سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت أدرى أكان ذلك علينا حلالا أم لا ؟ فقال أبو سفيان - وكان شاهدا لما تقول - أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه فى حل ، فقال رسول الله (ص) « وإنك لهند بنت عتبة ؟ » قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك ثم قال « ولا يزنين » فقالت يا رسول الله وهل تزنى الحرة ؟ ثم قال « ولا تقتلن أولادكن » قالت قد ربيناهم صغاراً حتى قتلتهم أنت وأصحابك ببدر كبارا [(١)] فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرق ثم قال « ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن » فقالت والله إن إتيان البهتان لقبيح ، ولبعض التجاوز أمثل ثم قال « ولا يعصيننى » فقالت فى معروف ، فقال رسول الله (ص) لعمر « بايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم » فبايعهن عمر وكان رسول الله (ص) لا يصافح النساء ولا يمس الا امرأة أحلها الله له أو ذات محرم منه . وثبت فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : لا والله ما مست يد رسول الله (ص) يد امرأة قط وفى رواية ما كان يبايعهن الا كلاما ويقول « إنما قولى لامرأة واحدة كقولى لمائة امرأة » وفى الصحيحين عن عائشة أن هنداً بنت عتبة امرأة أبى سفيان أتت رسول الله (ص) فقالت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى من النفقة ما يكفينى ويكفى بنى فهل على من حرج اذا أخذت من ماله بغير علمه ؟ قال خذى من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفى بنيك [(٢)]] [وروى البيهقى من طريق يحيى بن بكير عن الليث عن يونس عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن هند بنت عتبة قالت يا رسول الله ما كان مما على وجه الارض أخباء أو خباء - الشك من أبى بكر - أحب الى من أن يذلوا من أهل أخبائك - أو خبائك - ثم ما أصبح اليوم على ظهر الارض أهل أخباء أو خباء أحب إلى من أن يعزوا من أهل أخبائك أو خبائك فقال رسول الله (ص) « وأيضا والذى نفس محمد بيده » قالت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح فهل على حرج أن اطعم من الذى له ؟ قال « لا بالمعروف » ورواه البخارى عن يحيى بن بكير بنحوه وتقدم ما يتعلق باسلام أبى سفيان] [(٣)]

---

(١) هذه رواية السهيلى وفى الاصول : أفتقتلهم كباراً فأنت وهم أعلم . (٢) مابين المربعين لم يرد فى نسخة دار الكتب المصرية . (٣) ما بين المربعين عن النسخة التيمورية ولم يرد فى غيرها .

وقال أبو داود ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) يوم فتح مكة : « لا هجرة ولكن جهاد ونية ، واذا استنفرتم الا فانفروا » ورواه البخارى عن عثمان بن أبي شيبة ومسلم عن يحيى بن يحيى عن جرير . وقال الامام أحمد ثنا عفان ثنا وهب ثنا ابن طاوس عن أبيه عن صفوان بن أمية أنه قيل له إنه لا يدخل الجنة الا من هاجر فقلت له لا أدخل منزلى حتى أسأل رسول الله ما سأله فأتيته فذكرت له فقال « لا هجرة بعد فتح مكة ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا » تفرد به أحمد وقال البخارى ثنا محمد بن أبي بكر ثنا الفضيل بن سليمان ثنا عاصم عن أبي عثمان النهدى عن مجاشع بن مسعود قال : انطلقت بأبي معبد الى النبي (ص) ليبايعه على الهجرة فقال « مضت الهجرة لاهلها أبايعه على الاسلام والجهاد » فلقيت ابا معبد فسألته فقال صدق مجاشع . وقال خالد عن أبي عثمان عن مجاشع أنه جاء بأخيه مجالد . وقال البخارى ثنا عمرو بن خالد ثنا زهير ثنا عاصم عن أبي عثمان قال حدثنى مجاشع قال : أتيت رسول الله بأخى بعد يوم الفتح فقلت يا رسول الله جئتك بأخى لتبايعه على الهجرة قال « ذهب أهل الهجرة بما فيها » فقلت على أى شيء تبايعه ؟ قال « أبايعه على الاسلام والايمان والجهاد » فلقيت أبا معبد بعد وكان أكبرهما سناً فسألته فقال : صدق مجاشع وقال البخارى ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي بشر عن مجاهد قال قلت لابن عمر : أريد أن أهاجر الى الشام ؟ فقال : لا هجرة ولكن انطلق فاعرض نفسك فان وجدت شيئاً والارجعت . وقال أبو النصر أنا شعبة أنا أبو بشر سمعت مجاهداً قال : قلت لابن عمر[1] فقال لا هجرة اليوم ـ أو بعد رسول الله (ص) ـ مثله . حدثنا اسحاق ابن يزيد ثنا يحيى بن حمزة حدثنى أبو عمرو الاوزاعى عن عبدة بن أبي لبابة عن مجاهد بن جبير أن عبد الله بن عمر قال : لا هجرة بعد الفتح . وقال البخارى ثنا اسحاق بن يزيد أنا يحيى بن حمزة أنا الاوزاعى عن عطاء بن أبي رباح قال : زرت عائشة مع عبيد بن عمير فسألها عن الهجرة فقالت لا هجرة اليوم . وكان المؤمنون يفر أحدهم بدينه الى الله عز وجل والى رسوله مخافة أن يفتن عليه ، فاما اليوم فقد أظهر الله الاسلام فالمؤمن يعبد ربه حيث يشاء ولكن جهاد ونية .

وهذه الاحاديث والآثار دالة على أن الهجرة إما الكاملة أو مطلقا قد انقطعت بعد فتح مكة لان الناس دخلوا فى دين الله أفواجا وظهر الاسلام وثبتت أركانه ودعائمه فلم تبق هجرة اللهم الا أن يعرض حال يقتضى الهجرة بسبب مجاورة أهل الحرب وعدم القدرة على اظهار الدين عندهم فتجب الهجرة الى دار الاسلام وهذا مالا خلاف فيه بين العلماء ولكن هذه الهجرة ليست كالهجرة قبل الفتح ، كما أن كلا من الجهاد والانفاق فى سبيل الله مشروع ورغب فيه الى يوم القيامة وليس كالانفاق ولا الجهاد قبل الفتح فتح مكة . قال الله تعالى [لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح

وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا و كلا وعد الله الحسنى] الآية . وقد قال الامام أحمد : ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى البخترى الطائى عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله (ص) أنه قال لما نزلت هذه السورة « إذا جاء نصر الله والفتح » قرأها رسول الله حتى ختمها وقال : « الناس خير وأنا وأصحابى خير » وقال « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » فقال له مروان كذبت، وعنده] [1] . رافع بن خديج وزيد بن ثابت قاعدان معه على السرير، فقال أبو سعيد : لوشاء هذان لحدثاك ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة ، فرفع مروان عليه الدرة ليضربه فلما رأيا ذلك . قالا : صدق . تفرد به احمد . وقال البخارى ثنا موسى بن اسماعيل ثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر ، فكأنّ بعضهم وجد فى نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممن قد علمتم فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم فما رأيت أنه أدخلنى فيهم يومئذ إلا ليريهم ، فقال ما تقولون فى قول الله عز وجل [اذا جاء نصر الله والفتح] فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا ، فقال لى : أ كذاك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت لا ، فقال ما تقول ؟ فقلت هو أجل رسول الله (ص) أعلمه له قال [إذا جاء نصر الله والفتح] فذلك علامة أجلك [فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا] قال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها الا ما يقول . تفرد به البخارى وهكذا روى من غير وجه عن ابن عباس أنه فسر ذلك بنعى رسول الله (ص) فى أجله ، وبه قال مجاهد وأبو العالية والضحاك وغير واحد كما قال ابن عباس وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما . فأما الحديث الذى قال الامام أحمد ثنا محمد بن فضيل ثنا عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما : نزلت [إذا جاء نصر الله والفتح] قال رسول الله (ص) « نعيت الى نفسى » بانه مقبوض فى تلك السنة تفرد به الامام أحمد وفى إسناده عطاء بن أبى مسلم الخراسانى وفيه ضعف تكلم فيه غير واحد من الأئمة وفى لفظه نكارة شديدة وهو قوله بأنه مقبوض فى تلك السنة ، وهذا باطل فان الفتح كان فى سنة ثمان فى رمضان منها كما تقدم بيانه وهذا مالا خلاف فيه . وقد توفى رسول الله (ص) فى ربيع الاول من سنة إحدى عشرة بلا خلاف أيضا ، وهكذا الحديث الذى رواه الحافظ أبو القاسم الطبرانى رحمه الله ثنا ابراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعى ثنا أبى ثنا جعفر بن عون عن أبى العُميس عن أبى بكر بن أبى الجهم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً اذا جاء نصر الله والفتح . فيه نكارة أيضاً وفى إسناده نظر أيضاً ويحتمل أن يكون أنها آخر

(١) ما بين المربعين لم يرد فى الحلبية . وفى نسخة دار الكتب والتيمورية بهذا السياق .

سورة نزلت جميعها كما قال والله أعلم . وقد تكلمنا على تفسير هذه السورة الكريمة بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة . وقال البخارى ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبى قلابة عن عمرو ابن سلمة ـ قال لى أبو قلابة : ألا تلقاه فتسأله فلقيته فسألته ـ قال كنا بماء ممر الناس ، وكان يمر بنا الركبان فنسألهم ما للناس ما للناس ؟ ما هذا الرجل ؟ فيقولون يزعم أن الله أرسله وأوحى اليه كذا . فكنت أحفظ ذاك الكلام فكأنما يغرى فى صدرى ، وكانت العرب تلوّم بإسلامهم الفتح فيقولون اتركوه وقومه فانه إن ظهر عليهم فهو نبى صادق ، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم ، وبدر أبى قومى بإسلامهم . فلما قدم قال : جئتكم والله من عند النبى حقا . قال صلوا صلاة كذا فى حين كذا ، وصلاة كذا فى حين كذا ، فاذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآنا فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنا منى لما كنت أتلقى من الركبان ، فقدمونى بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين ، وكانت على بردة اذا سجدت تقلصت عنى ، فقالت امرأة من الحى : ألا تغطون عنا است قارئكم ؟ فاشتروا فقطعوا لى قميصاً فما فرحت بشئ فرحى بذلك القميص . تفرد به البخارى دون مسلم .

غزوة هوازن يوم حنين

قال الله تعالى (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم) . وقد ذكر محمد بن اسحاق بن يسار فى كتابه أن خروج رسول الله (ص) الى هوازن بعد الفتح فى خامس شوال سنة ثمان ، وزعم أن الفتح كان لعشر بقين من شهر رمضان قبل خروجه اليهم خمس عشرة ليلة وهكذا روى عن ابن مسعود وبه قال عروة بن الزبير واختاره احمد وابن جرير فى تاريخه . وقال الواقدى : خرج رسول الله (ص) الى هوازن لست خلون من شوال فانتهى الى حنين فى عاشره . وقال أبو بكر الصديق لن نغلب اليوم من قلة ! ! فانهزموا لمكان أول من انهزم بنو سليم ثم أهل مكة ثم بقية الناس .

قال ابن اسحاق : ولما سمعت هوازن برسول الله (ص) وما فتح الله عليه من مكة جمعها ملكها مالك بن عوف النصرى فاجتمع اليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بنى هلال وهم قليل ولم يشهدها من قيس عيلان الا هؤلاء . وغاب عنها ولم يحضرها من هوازن كعب وكلاب ولم يشهدها منهم أحد له اسم وفى بنى جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ليس فيه شى

الا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخاً مجرباً ، وفى ثقيف سيدان لهم ؛ وفى الاحلاف قارب ابن الاسود بن مسعود بن معتب ، وفى بنى مالك ذو الخمار سبيع بن الحارث واخوه احمر بن الحارث وجماع أمر الناس الى مالك بن عوف النصرى ، فلما أجمع السير إلى رسول الله (ص) أحضر مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس اجتمع اليه الناس وفيهم دريد بن الصمة فى شجار له يقاد به ، فلما نزل قال بأى واد أنتم ؟ قالوا بأوطاس قال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا سهل دهس ، مالى أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، و بكاء الصغير، و يعار الشاء ؟ قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، قال أين مالك ؟ قالوا هذا مالك ودعى له ، قال يامالك إنك قد اصبحت رئيس قومك و إن هذا يوم كائن له ما بعده من الايام ، مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير ، و بكاء الصغير ، و يعار الشاء ؟ قال سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، قال ولم ؟ قال أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم ، قال فانقض به ، ثم قال راعى ضأن والله ، هل يرد المنهزم شئ ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، و إن كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك ، ثم قال ما فعلت كعب وكلاب ؟ قال لم يشهدها منهم أحد ، قال غاب الحد والجد لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب ، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب ، فمن شهدها منكم ؟ قالوا عمرو بن عامر وعوف بن عامر قال ذانك الجذعان من عامر لا ينفعان ولا يضران ثم قال يامالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن الى نحور الخيل شيئاً ، ثم قال دريد لمالك ابن عوف : ارفعهم الى متمنع بلادهم وعليا قومهم ثم الق الصبا على متون الخيل فان كانت لك لحق بك من ورائك ، و إن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك ، قال والله لا أفعل إنك قد كبرت وكبر عقلك ، ثم قال مالك : والله لتطيعنني يامعشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى ـ وكره أن يكون لدريد فيها ذكر أو رأى ـ فقالوا : أطعناك فقال دريد : هذا يوم لم أشهده ولم يفتنى :

يا ليتنى فيها جذع   أخب فيها وأضع
أقود وطفاء الزمع   كأنها شاة صدع

ثم قال مالك للناس : اذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شدوا شدة رجل واحد . قال ابن اسحاق : وحدثنى أمية بن عبدالله بن عمرو بن عثمان أنه حدث أن مالك بن عوف بعث عيوناً من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم ، فقال ويلكم ما شأنكم ؟ قالوا رأينا رجالا بيضاً على خيل بلق فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى ، فوالله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد . قال ابن اسحاق : ولما سمع بهم نبى الله (ص) بعث اليهم عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى وأمره أن يدخل فى

الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم ، فانطلق ابن أبى حدرد فدخل فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله (ص) وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله (ص) فأخبره الخبر ، فلما أجمع رسول الله (ص) السير الى هوازن ذكر له أن عند صفوان ابن أمية أدراعاً له وسلاحا فارسل اليه وهو يومئذ مشرك فقال « يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلقى فيه عدونا غدا » فقال صفوان أغصباً يامحمد ؟ قال « بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك » قال ليس بهذا بأس ، فاعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله (ص) سأله أن يكفيهم حملها ففعل . هكذا اورد هذا ابن اسحاق من غير إسناد . وقد روى يونس بن بكير عن ابن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه . وعن عمرو بن شعيب والزهرى وعبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن حزم وغيرهم قصة حنين فذكر نحو ما تقدم ، وقصة الادراع كما تقدم وفيه أن ابن أبى حدرد لما رجع فأخبر رسول الله (ص) خبر هوازن كذبه عمر بن الخطاب ، فقال له ابن أبى حدرد : لئن كذبتنى ياعمر فربما كذبت بالحق ، فقال عمر ألا تسمع ما يقول يا رسول الله ؟ فقال « قد كنت ضالا فهداك الله » . وقد قال الامام أحمد ثنا يزيد بن هارون أنبأ شريك بن عبد العزيز بن رفيع عن أمية بن صفوان بن أمية عن أبيه أن رسول الله (ص) استعار من أمية يوم حنين أدراعاً فقال أغصباً يامحمد ؟ فقال « بل عارية مضمونة » قال فضاع بعضها فعرض عليه رسول الله (ص) أن يضمنها له فقال : أنا اليوم يارسول الله فى الاسلام أرغب . ورواه أبو داود والنسائى من حديث يزيد بن هرون به . وأخرجه النسائى من رواية اسرائيل عن عبد العزيز بن رفيع عن ابن أبى مليكة عبد الرحمن بن صفوان بن أمية أن رسول الله (ص) استعار من صفوان دروعاً فذكره . ورواه من حديث هشيم عن حجاج عن عطاء أن رسول الله (ص) استعار من صفوان أدراعاً وأفراساً وساق الحديث . وقال أبو داود ثنا أبو بكر بن أبى شيبة ثنا جرير عن عبدالعزيز ابن رفيع عن أناس من آل عبد الله بن صفوان أن رسول الله (ص) قال « ياصفوان هل عندك من سلاح ؟ » قال عارية أم غصباً ، قال « بل عارية » فأعاره ما بين الثلاثين الى الاربعين درعاً وغزا رسول الله (ص) حنيناً فلما هزم المشركون جمعت دروع صفوان ففقد منها أدراعاً ، فقال رسول الله (ص) لصفوان « قد فقدنا من أدارعك أدراعاً فهل نغرم لك ؟ » قال لا يا رسول الله إن فى قلبى اليوم ما لم يكن فيه يومئذ . وهذا مرسل أيضاً . قال ابن اسحاق : ثم خرج رسول الله (ص) معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة فكانوا اثنى عشر ألفاً .

قلت : وعلى قول عروة والزهرى وموسى بن عقبة يكون مجموع الجيشين اللذين سار بهما الى

هوازن أربعة عشر ألفاً ، لأنه قدم باثنى عشر ألفاً إلى مكة على قولهم وأضيف ألفان من الطلقاء .
وذكر ابن اسحاق أنه خرج من مكة فى خامس شوال قال واستخلف على أهل مكة عتاب بن أسيد ابن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس الأموى .

قلت : وكان عمره إذ ذاك قريباً من عشرين سنة ، قال ومضى رسول الله (ص.) يريد لقاء هوازن وذكر قصيدة العباس بن مرداس السلمى فى ذلك [1] منها قوله :

أبلغ هوازنَ أعلاها وأسفلَها ... منّي رسالة نُصح فيه تبيان
إنى أظن رسول الله صابحَكم ... جيشاً له فى فضاء الارضِ أركان
فيهم سليم أخوكم غير تارككم ... والمسلمون عبادُ الله غسان
وفى عضادته اليمنى بنو أسد ... والأجربان بنو عبس وذبيان
تكاد ترجف منه الأرض رهبته ... وفى مقدَّمه أوسٌ وعثمان

قال ابن اسحاق : أوس وعثمان قبيلا مزينة . قال وحدثنى الزهرى عن سنان بن أبى سنان الدئلى عن أبى واقد الليثى أن الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله (ص.) إلى حنين ونحن حديثوا عهد بالجاهلية ، قال فسرنا معه إلى حنين، قال وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها و يذبحون عندها و يعكفون عليها يوماً ، قال فرأينا ونحن نسير مع رسول الله (ص.) سدرة خضراء عظيمة ، قال فتنادينا من جنبات الطريق : يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ؟ فقال رسول الله (ص.) « الله اكبر قلتم والذى نفسى بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون ، إنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم » . وقد روى هذا الحديث الترمذى عن سعيد بن عبدالرحمن المخزومى عن سفيان والنسائى عن محمدبن رافع عن عبد الرزاق عن معمر كلاهما عن الزهرى كما رواه ابن اسحاق عنه ، وقال الترمذى حسن صحيح . و رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده مرفوعاً وقال أبو داود ثنا أبو توبة ثنا معاوية بن سلام عن زيد ابن سلام أنه سمع أبا سلام عن السلولى أنه حدثه سهل بن الحنظلية أنهم ساروا مع رسول الله (ص.) يوم حنين فأطنبوا السير حتى كان العشية ، فحضرت صلاة الظهر عند رسول الله (ص.) فجاء رجل فارس فقال يارسول الله إنى انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم و بنعمهم وشائهم اجتمعوا الى حنين ، فتبسم رسول الله (ص.) وقال « تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله » ثم قال « من يحرسنا الليلة » قال أنس بن أبى مرثد : أنا يارسول الله ، قال فاركب فركب

(١) وأولها : أصابتِ العامَ رعلا غولُ قومهم ... وسْطَ البيوتِ ولونُ الغول ألوانُ

فرساً له وجاء الى رسول الله (ص) فقال له رسول الله (ص) « استقبل هذا الشعب حتى تكون فى أعلاه ولا نغرن من قبلك الليلة » فلما أصبحنا خرج رسول الله (ص) الى مصلاه فركع ركعتين ثم قال « هل أحسستم فارسكم ؟ » قالوا يارسول الله ما أحسسنا ، فثوب بالصلاة فجعل رسول الله (ص) يصلى ويلتفت الى الشعب حتى اذا قضى صلاته قال « ابشروا فقد جاءكم فارسكم » فجعل ينظر الى خلال الشجر فى الشعب واذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله (ص) فقال : إنى انطلقت حتى اذا كنت فى اعلا هذا الشعب حيث أمرنى رسول الله (ص) فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما فنظرت فلم أر أحداً ، فقال له رسول الله (ص) «هل نزلت الليلة ؟ » قال لا إلا مصليا أو قاضى حاجة ، فقال له رسول الله (ص) « قد أوجبت فلا عليك ألا تعمل بعدها » وهكذا رواه النسائى عن محمد بن يحيى عن محمد بن كثير الحرانى عن أبى توبة الربيع بن نافع به .

الوقعة وما كان اولَ الأمر من الفرار ثم العاقبة للمتقين

قال يونس بن بكير وغيره عن محمد بن اسحاق : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن ابن جابر بن عبد الله عن أبيه قال : لخرج مالك بن عوف بمن معه الى حنين فسبق رسول الله (ص) اليها فأعدوا وتهيئوا فى مضايق الوادى وأحنائه وأقبل رسول الله وأصحابه حتى انحط بهم الوادى فى عماية الصبح ، فلما انحط الناس ثارت فى وجوهم الخيل فشدت عليهم وانكفأ الناس منهزمين لا يقبل أحد على أحد ، وانحاز رسول الله (ص) ذات اليمين يقول « أين أيها الناس ؟ هلموا الىّ أنا رسول الله ، أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله » قال فلا شئ ، وركبت الابل بعضها بعضاً فلما رأى رسول الله (ص) أمر الناس ومعه رهط من أهل بيته على بن أبى طالب ، وأبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب ، وأخوه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس وقيل الفضيل بن أبى سفيان وأيمن بن أم أيمن وأسامة بن زيد ، ومن الناس من يزيد فيهم قثم بن العباس ورهط من المهاجرين منهم أبو بكر وعمر والعباس آخذ بحكمة بغلته البيضاء وهو عليها قد شجرها ، قال ورجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء فى رأس رمح طويل أمام هوازن وهوازن خلفه اذ أدرك طعن برمحه واذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه ، قال فبينما هو كذلك اذ هوى له على بن أبى طالب ورجل من الانصار يريدانه ، قال فيأتى على من خلفه فضرب عرقوبى الجمل فوقع على عجزه ووثب الانصارى على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه فانجعف عن رحله ، قال واجتلد الناس فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله (ص) ورواه الامام احمد عن يعقوب بن ابراهيم الزهرى عن أبيه عن محمد

ابن اسحاق قال ابن اسحاق : والتفت رسول الله (ص) الى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان ممن صبر يومئذ وكان حسن الاسلام حين أسلم وهو آخذ بثفر بغلة رسول الله (ص) فقال « من هذا ؟ » قال ابن أمك يا رسول الله . قال ابن اسحاق : ولما انهزم الناس تكلم رجال من جفاة الاعراب بما فى أنفسهم من الضغن فقال أبو سفيان صخر بن حرب ـ يعنى وكان اسلامه بعد مدخولا وكانت الازلام بعد معه يومئذ ـ قال : لا تنتهى هزيمتهم دون البحر ، وصرخ كلدة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية ـ يعنى لأمه ـ وهو مشرك فى المدة التى جعل له رسول الله (ص) : ألا بطل السحر اليوم . فقال له صفوان : اسكت فض الله فاك فوالله لئن يربني رجل من قريش أحب الى من أن يربني رجل من هوازن . وقال الامام أحمد حدثنا عفان بن مسلم ثنا حماد بن سلمة أنبا اسحاق ابن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك أن هوازن جاءت يوم حنين بالنساء والصبيان والابل والغنم فجعلوها صفوفاً يكثرون على رسول الله (ص) ، فلما التقوا ولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى فقال رسول الله (ص) « يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله ثم قال « يا معشر الأنصار أنا عبد الله ورسوله » قال فهزم الله المشركين ولم يضرب بسيف ولم يطعن برمح . قال وقال رسول الله (ص) يومئذ « من قتل كافراً فله سلبه » قال فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلا وأخذ أسلابهم ، وقال أبو قتادة : يارسول الله إنى ضربت رجلا على حبل العاتق وعليه درع له فاجهضت عنه فانظر من أخذها قال فقام رجل فقال أنا أخذتها فارضه منها وأعطنيها ، قال وكان رسول الله (ص) لا يسأل شيئاً ألا اعطاه أو سكت فسكت رسول الله (ص) ، فقال عمر : والله لا يفئها الله على أسد من أسد الله ويعطيكها ، فقال رسول الله (ص) « صدق عمر » قال ولقى أبو طلحة أم سليم ومعها خنجر فقال أبو طلحة ما هذا ؟ فقالت إن دنا منى بعض المشركين أن أبعج فى بطنه ، فقال أبو طلحة : أما تسمع ما تقول أم سليم ؟ فضحك رسول الله (ص) ، فقالت : يارسول الله أقتل من بعدها من الطلقاء انهزموا بك ، فقال : « إن الله قد كفى وأحسن يا أم سليم » وقد روى مسلم منه قصة خنجر أم سليم ، وأبو داود قوله « من قتل قتيلا فله سلبه » كلاهما من حديث حماد بن سلمة به . وقول عمر فى هذا مستغرب والمشهور أن ذلك أبو بكر الصديق . وقال الامام أحمد حدثنا عبدالصمد بن عبد الوارث ثنا أبى ثنا نافع أبو غالب شهد أنس بن مالك فقال العلاء بن زياد العدوى : يا أبا حمزة بسن أى الرجال كان رسول الله (ص) إذ بعث ؟ فقال : ابن أربعين سنة ، قال ثم كان ماذا ؟ قال ثم كان بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين فتمت له ستون سنة ، ثم قبضه الله اليه . قال بسن أى الرجال هو يومئذ ؟ قال كأشب الرجال وأحسنه وأجمله وألحمه ، قال يا أبا حمزة وهل غزوت مع رسول الله (ص) ؟ قال نعم غزوت معه يوم حنين فخرج المشركون بكرة فحملوا علينا حتى رأينا خيلنا وراء ظهورنا وفى

المشركين رجل يحمل علينا فيدقنا ويحطمنا ، فلما رأى ذلك رسول الله (ص) نزل فهزمهم الله فولوا ، فقام رسول الله (ص) حين رأى الفتح فجعل يجاء بهم أسارى رجل رجل فيبايعونه على الاسلام ، فقال . رجل من أصحاب النبي (ص) إن على نذراً لئن جئ بالرجل الذى كان منذ اليوم يحطمنا لأضربن عنقه ، قال فسكت رسول الله (ص) وجئ بالرجل فلما رأى نبى الله (ص) قال : يانبي الله تبت الى الله ؟ قال وأمسك نبى الله (ص) أن يبايعه ليوفى الآخر نذره ، قال وجعل ينظر الى النبي (ص) ليأمره بقتله ويهاب رسول الله (ص) ، فلما رأى النبي (ص) أنه لا يصنع شيئاً بايعه فقال يا نبي الله نذرى ؟ قال « لم أمسك عنه منذ اليوم الا لتوفى نذرك » فقال يا رسول الله ألا أومأت الى ؟ قال « إنه ليس لنبي أن يومى » . تفرد به احمد وقال أحمد حدثنا يزيد ثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : كان من دعاء رسول الله (ص) يوم حنين « اللهم إنك إن تشاء لا تعبد فى الارض بعد اليوم » إسناده ثلاثى على شرط الشيخين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه . وقال البخارى ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبى اسحاق سمع البراء بن عازب ــ وسأله رجل من قيس أفررتم عن رسول الله (ص) يوم حنين ؟ ــ فقال : لكن رسول الله (ص) لم يفر ، كانت هوازن رماة وأنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلتنا بالسهام . ولقد رأيت رسول الله (ص) على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان آخذ بزمامها وهو يقول : أنا النبى لا كذب ، ورواه البخارى عن أبى الوليد عن شعبة به وقال :

أنا النبيّ لا كَذِبْ أنا ابنُ عبد المطّلب

قال البخارى : وقال اسرائيل وزهير عن أبى اسحاق عن البراء ثم نزل عن بغلته . ورواه مسلم والنسائى عن بندار . زاد مسلم وأبى موسى كلاهما عن غندر به . وروى مسلم من حديث زكريا بن أبى زائدة عن أبى اسحاق عن البراء قال ثم نزل فاستنصر وهو يقول :

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب « اللهم نزل نصرك » . قال البراء ولقد كنا اذا حمى البأس نتقى برسول الله (ص) وإن الشجاع الذى يحاذى به . وروى البيهقى من طرق أن رسول الله (ص) قال يومئذ : « أنا ابن العواتك » [وقال الطبرانى : ثنا عباس بن الفضل الاسقاطى ثنا عمرو بن عوف الواسطى ثنا هشيم أنبا يحيى بن سعيد عن عمرو بن سعيد بن العاص عن شبابة عن ابن عاصم السلمى أن رسول الله (ص) قال يوم حنين : « أنا ابن العواتك »]

وقال البخارى : ثنا عبد الله بن يوسف أنبا مالك عن يحيى بن سعيد عن عمرو بن كثير بن أفلح عن أبى محمد مولى أبى قتادة عن أبى قتادة قال : خرجنا مع رسول الله (ص) عام حنين ،

فلما التقينا كانت للمسلمين جولة فرأيت رجلا من المشركين قد علا رجلا من المسلمين فضربته من ورائه على حبل عاتقه بالسيف فقطعت الدرع وأقبل على فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت ، ثم أدركه الموت فأرسلني فلحقت عمر ، فقلت ما بال الناس ؟ فقال أمر الله ، و رجعوا وجلس رسول الله (ص.) فقال « من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه » فقمت فقلت من يشهد لى ، ثم جلست فقال رسول الله (ص.) مثله ، فقلت من يشهد لى ، ثم جلست فقال رسول الله (ص.) مثله ، فقلت من يشهد لى ثم جلست ، ثم قال رسول الله (ص.) مثله فقمت فقال « مالك يأبا قتادة ؟ » فأخبرته فقال رجل : صدق سلبه عندى فأرضه منى ، فقال أبو بكر : لاها الله إذاً تعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه ؟! فقال النبى (ص.) « صدق فأعطه » فأعطانيه فابتعت به مخرافا فى بنى سلمة فانه لأول مال تأثلته فى الاسلام . ورواه بقية الجماعة الا النسائى من حديث يحيى بن سعيد به . قال البخارى وقال الليث بن سعد حدثنى يحيى بن سعيد عن عمرو بن كثير بن أفلح عن أبى محمد مولى أبى قتادة أن أبا قتادة قال : لما كان يوم حنين نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلا من المشركين وآخر من المشركين يختله من ورائه ليقتله ، فأسرعت إلى الذى يختله فرفع يده ليضربنى فأضرب يده فقطعتها ، ثم أخذنى فضمنى ضما شديدا حتى تخوفت ثم ترك فتحلل فدفعته ثم قتلته ، وانهزم المسلمون فانهزمت معهم ، فاذا بعمر بن الخطاب فى الناس فقلت له ما شأن الناس ؟ قال أمر الله ، ثم تراجع الناس إلى رسول الله فقال رسول الله « من أقام بينة على قتيل فله سلبه » فقمت لألتمس بينة على قتيلى فلم أر أحدا يشهد لى فجلست ، ثم بدا لى فذكرت أمره لرسول الله (ص.) فقال رجل من جلسائه : سلاح هذا القتيل الذى يذكر عندى فأرضه منى . فقال أبو بكر : كلا لا يعطيه أُضَيْبع من قريش ويدع أسدا من أسد الله يقاتل عن الله و رسوله . قال فقام رسول الله فأداه إلى فاشتريت به مخرافا فكان أول مال تأثلته . وقد رواه البخارى فى مواضع أخر ومسلم كلاهما عن قتيبة عن الليث بن سعد به ، وقد تقدم من رواية نافع أبى غالب عن أنس أن القائل لذلك عمر بن الخطاب فلعله قاله متابعة لابى بكر الصديق ومساعدة وموافقة له ، أو قد اشتبه على الراوى والله أعلم . وقال الحافظ البيهقى أنبأ الحاكم انبأ الاصم انبأ احمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثنى عاصم بن عمر عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله أن رسول الله (ص.) قال يوم حنين حين رأى من الناس ما رأى « ياعباس ناد يامعشر الأنصار يا أصحاب الشجرة » فأجابوه لبيك لبيك ، فجعل الرجل يذهب ليعطف بعيره فلا يقدر على ذلك فيقذف درعه عن عنقه ويأخذ سيفه وترسه ثم يؤم الصوت حتى اجتمع الى رسول الله (ص.) منهم مائة ، فاستعرض الناس فاقتتلوا وكانت الدعوة أول ما كانت للأنصار ، ثم جعلت آخراً للخزرج وكانوا صبراً عند الحرب ، وأشرف رسول الله (ص.) فى ركايبه

فنظر الى مجتلد القوم فقال « الآن حمى الوطيس » قال فوالله ما راجعه الناس الا والأسارى عند رسول الله (ص) مكتفون ، فقتل الله منهم من قتل ، وانهزم منهم من انهزم ، وأفاء الله على رسوله (ص) أموالهم وأبناءهم . وقال ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة . وذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري أن رسول الله (ص) لما فتح الله عليه مكة وأقرّ بها عينه ، خرج إلى هوازن وخرج معه أهل مكة لم يغادر منهم أحداً ركباناً ومشاة حتى خرج النساء يمشين على غير دين نظاراً ينظرون ويرجون الغنائم ولا يكرهون مع ذلك أن تكون الصدمة برسول الله (ص) وأصحابه ، قالوا وكان معه أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وكانت امرأته مسلمة وهو مشرك لم يفرق بينهما ، قالوا وكان رئيس المشركين يومئذ مالك بن عوف النصرى ومعه دريد بن الصمة يرعش من الكبر ، ومعه النساء والذرارى والنعم ، فبعث رسول الله (ص) عبد الله بن أبي حدرد عيناً فبات فيهم فسمع مالك ابن عوف يقول لاصحابه : إذا أصبحتم فاحملوا عليهم حملة رجل واحد واكسروا أغماد سيوفكم واجعلوا مواشيكم صفاً ونساءكم صفاً ، فلما أصبحوا اعتزل أبو سفيان وصفوان وحكيم بن حزام وراءهم ينظرون لمن تكون الدائرة وصف الناس بعضهم لبعض وركب رسول الله (ص) بغلة له شهباء فاستقبل الصفوف فأمرهم وحضهم على القتال وبشرهم بالفتح - إن صبروا - فبينما هم كذلك إذ حمل المشركون على المسلمين حملة رجل واحد فجال المسلمون جولة ثم ولوا مدبرين ، فقال حارثة بن النعمان : لقد حزرت من بقى مع رسول الله (ص) حين أدبر الناس فقلت مائة رجل ، قالوا ومر رجل من قريش بصفوان بن أمية فقال ابشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجتبرونها أبدا ، فقال له صفوان : تبشرني بظهور الأعراب فوالله لرب من قريش أحب الى من رب من الأعراب ، وغضب صفوان لذلك . قال عروة وبعث صفوان غلاماً له فقال اسمع لمن الشعار ؟ فجاءه فقال سمعتهم يقولون : يابنى عبد الرحمن يابنى عبد الله ، يابنى عبيد الله ، فقال : ظهر محمد وكان ذلك شعارهم فى الحرب . قالوا وكان رسول الله (ص) لما غشيه القتال قام فى الركابين وهو على البغلة فرفع يديه الى الله يدعوه يقول « اللهم إنى أنشدك ما وعدتنى اللهم لا ينبغى لهم أن يظهروا علينا » ونادى أصحابه وزمرهم « يا أصحاب البيعة يوم الحديبية الله الله الكرة على نبيكم » ويقال حرضهم فقال « يا أنصار الله وأنصار رسوله يابنى الخزرج يا أصحاب سورة البقرة » وأمر من أصحابه من ينادى بذلك ، قالوا وقبض قبضة من الحصباء فحصب بها وجوه المشركين ونواصيهم كلها وقال « شاهت الوجوه » وأقبل أصحابه اليه سراعا يبتدرون ، وزعموا أن رسول الله (ص) قال « الآن حمى الوطيس » فهزم الله أعداءه من كل ناحية حصبهم منها واتبعهم المسلمون يقتلونهم وغنمهم الله نساءهم وذراريهم ، وفر مالك بن عوف حتى دخل حصن الطائف هو وأناس من أشراف قومه ، وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة حين رأوا نصر الله رسوله (ص)

و إعزازه دينه . رواه البيهقي . وقال ابن وهب : أخبرني يونس عن الزهري أخبرني كثير بن العباس ابن عبد المطلب ، قال قال العباس : شهدت مع رسول الله (ص) يوم حنين فلزمته أنا وأبو سفيان بن الحارث لا نفارقه . ورسول الله (ص) على بغلة بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي ، فلما التقى الناس ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله (ص) يركض بغلته قبل الكفار ، قال العباس وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة أن لا تسرع ، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله (ص) . وقال رسول الله (ص) « أي عباس ناد أصحاب السمرة » قال فوالله لكأنما عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها ، فقالوا : يا لبيكاه يا لبيكاه ، قال فاقتتلوا هم والكفار والدعوة في الأنصار وهم يقولون : يا معشر الانصار ، ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا يا بني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله (ص) وهو على بغلته كالمتطاول عليها الى قتالهم فقال « هذا حين حمي الوطيس » ثم أخذ حصيات فرمى بهن في وجوه الكفار ، ثم قال « انهزموا ورب محمد » قال فذهبت انظر فاذا القتال على هيئته فيما أرى ، قال فوالله ما هو الا أن رماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا ، وأمرهم مدبراً . ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب به نحوه . ورواه أيضا عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري نحوه . وروى مسلم من حديث عكرمة ابن عمار عن اياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال : غزونا مع رسول الله (ص) حنيناً فلما واجهنا العدو تقدمت فأعلو ثنية فاستقبلني رجل من المشركين فأرميه بسهم ، وتوارى عني فما دريت ما صنع ثم نظرت الى القوم فاذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى فالتقوا هم وصحابة رسول الله (ص) . فولى أصحاب رسول الله (ص) وأرجع منهزما وعلي بردتان متزرا باحداهما مرتديا بالاخرى ، قال فاستطلق إزاري فجمعتها جمعاً ومررت على النبي (ص) وأنا منهزم وهو على بغلته الشهباء ، فقال « لقد رأى ابن الاكوع فزعاً » فلما غشوا رسول الله (ص) نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الأرض واستقبل به وجوههم وقال « شاهت الوجوه » فما خلق الله منهم إنسانا الا ملأ عينيه ترابا من تلك القبضة فولوا مدبرين . فهزمهم الله وقسم رسول الله (ص) غنائمهم بين المسلمين . وقال أبو داود الطيالسي في مسنده ثنا حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن عبد الله بن يسار عن أبي عبد الرحمن الفهري قال : كنا مع رسول الله (ص) في حنين فسرنا في يوم قائظ شديد الحر فنزلنا تحت ظلال السمر ، فلما زالت الشمس لبست لأمتي وركبت فرسي فأتيت رسول الله (ص) وهو في فسطاطه فقلت السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ، قد حان الرواح يارسول الله ؟ قال « أجل » ثم قال رسول الله (ص) « يا بلال » فثار من تحت سمرة كأن ظله ظل طائر فقال لبيك وسعديك وأنا فداؤك ؟ فقال « أسرج لي فرسي » فأتاه بدفتين من ليف ليس فيهما أشر ولا بطر . قال فركب فرسه فسرنا يومنا

فلقينا العدو وتسامت الخيلان فقاتلناهم فولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى ، فجعل رسول الله (ص) يقول « يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله » واقتحم رسول الله (ص) عن فرسه ، وحدثنى من كان أقرب اليه منى أنه أخذ حفنة من التراب فحثى بها وجوه العدو وقال « شاهت الوجوه » قال يعلى ابن عطاء فحدثنا أبناؤهم عن آبائهم قالوا : ما بقى أحد الا امتلأت عيناه وفمه من التراب ، وسمعنا صلصلة من السماء كمر الحديد على الطست الحديد فهزمهم الله عز وجل . ورواه أبو داود السجستانى فى سننه عن موسى بن اسماعيل عن حماد بن سلمة به نحوه . وقال الامام أحمد ثنا عفان ثنا عبدالواحد ابن زياد ثنا الحارث بن حصين ثنا القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال قال عبد الله بن مسعود : كنت مع رسول الله (ص) يوم حنين فولى عنه الناس وثبت معه ثمانون رجلا من المهاجرين والانصار ، فنكصنا على أعقابنا نحواً من ثمانين قدماً ولم نولهم الدبر ، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة ، قال ورسول الله (ص) على بغلته يمضى قدما ، فحادت به بغلته فمال عن السرج فقلت له ارتفع رفعك الله فقال « ناولنى كفاً من تراب » فضرب به وجوههم فامتلأت أعينهم ترابا قال « أين المهاجرين والأنصار ؟ » قلت هم أولاء قال « أهتف بهم » فهتفت بهم فجاؤا سيوفهم بأيمانهم كأنها الشهب وولى المشركون أدبارهم . تفرد به أحمد . وقال البيهقى أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنى أبو الحسين محمد بن أحمد بن تميم القنطرى ثنا أبو قلابة ثنا أبو عاصم ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطائفى أخبرنى عبد الله بن عياض بن الحارث الانصارى عن أبيه أن رسول الله (ص) أتى هوازن فى اثنى عشر ألفاً فقتل من أهل الطائف يوم حنين مثل من قتل يوم بدر ، قال وأخذ رسول الله (ص) كفا من حصى فرمى بها فى وجوهنا فانهزمنا ورواه البخارى فى تاريخه ولم ينسب عياضاً . وقال مسدد ثنا جعفر بن سليمان ثنا عوف بن عبدالرحمن مولى أم برثن عمن شهد حنينا كافرا قال : لما التقينا نحن ورسول الله (ص) لم يقوموا لنا حلب شاة ، فجئنا نهش سيوفنا بين يدى رسول الله (ص) حتى إذ غشيناه فاذا بيننا وبينه رجال حسان الوجوه فقالوا : شاهت الوجوه فارجعوا ، فهزمنا من ذلك الكلام . رواه البيهقى . وقال يعقوب بن سفيان ثنا أبو سفيان ثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن ابراهيم ثنا الوليد بن مسلم حدثنى محمد بن عبد الله الشعبى عن الحارث بن بدل النصرى عن رجل من قومه شهد ذلك يوم حنين وعمرو بن سفيان الثقفى قالا : انهزم المسلمون يوم حنين فلم يبق مع رسول الله (ص) الا عباس وأبو سفيان بن الحارث ، قال فقبض رسول الله (ص) قبضة من الحصباء فرمى بها فى وجوههم ، قال فانهزمنا فما خيل الينا إلا أن كل حجر أو شجر فارس يطلبنا ، قال الثقفى : فأعجزت على فرسى حتى دخلت الطائف . وروى يونس بن بكير فى مغازيه عن يوسف بن صهيب بن عبد الله أنه لم يبق مع رسول الله يوم حنين إلا رجل واحد اسمه

زيد . وروى البيهقى من طريق الكديمى ثنا موسى بن مسعود ثنا سعيد بن السائب بن يسار الطائفى عن السائب بن يسار عن يزيد بن عامر السوائى أنه قال عند انكشافة انكشفها المسلمون يوم حنين فتبعهم الكفار وأخذ رسول الله (ص) قبضة من الأرض، ثم أقبل على المشركين فرمى بها وجوههم وقال « ارجعوا شاهت الوجوه » فما أحد يلقى أخاه الا وهو يشكو قذى فى عينيه . ثم روى من طريقين آخرين عن أبى حذيفة ثنا سعيد بن السائب بن يسار الطائفى حدثنى أبى السائب بن يسار سمعت يزيد بن عامر السوائى ـ وكان شهد حنيناً مع المشركين ثم أسلم بعد ـ قال : فنحن نسأله عن الرعب الذى ألقى الله فى قلوب المشركين يوم حنين كيف كان ؟ قال فكان يأخذ لنا بحصاة فيرمى بها فى الطست فيطن ، قال كنا نجد فى اجوافنا مثل هذا . وقال البيهقى أنبأ أبو عبد الله الحافظ ومحمد ابن موسى بن الفضل قالا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا العباس بن محمد بن بكير الحضرمى ثنا أبو أيوب بن جابر عن صدقة بن سعيد عن مصعب بن شيبة عن أبيه قال : خرجت مع رسول الله (ص) يوم حنين والله ما أخرجنى إسلام ولا معرفة به ، ولكن أبيت أن تظهر هوازن على قريش فقلت وأنا واقف معه : يا رسول الله إنى أرى خيلا بلقاً ، فقال « يا شيبة إنه لا يراها الا كافر » فضرب يده فى صدرى ثم قال « اللهم أهد شيبة » ثم ضربها الثانية فقال « اللهم أهد شيبة » ثم ضربها الثالثة ثم قال « اللهم أهد شيبة » قال فوالله ما رفع يده عن صدرى فى الثالثة حتى ما كان أحد من خلق الله أحب الى منه . ثم ذكر الحديث فى التقاء الناس وانهزام المسلمين ونداء العباس واستنصار رسول الله (ص) حتى هزم الله المشركين . وقال البيهقى أنبأ أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزنى ثنا يوسف بن موسى ثنا هشام بن خالد ثنا الوليد بن مسلم حدثنى عبد الله بن المبارك عن أبى بكر الهذلى عن عكرمة مولى ابن عباس عن شيبة بن عثمان قال : لما رأيت رسول الله (ص) يوم حنين قد عرى ، ذكرت أبى وعمى وقتل على وحمزة إياهما ، فقلت اليوم أدرك ثأرى من رسول الله (ص) ، قال فذهبت لأجيئه عن يمينه فاذا بالعباس بن عبد المطلب قائم عليه درع بيضاء كأنها فضة ينكشف عنها العجاج ، فقلت عمه ولن يخذله ، قال ثم جئته عن يساره فاذا أنا بأبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقلت ابن عمه ولن يخذله ، قال ثم جئته من خلفه فلم يبق إلا أن أساوره سورة بالسيف إذ رفع شواظ من نار بينى و بينه كأنه برق نخفت أن يمحشنى ، فوضعت يدى على بصرى ومشيت القهقرى فالتفت رسول الله (ص) وقال « يا شيب أدن منى ، اللهم اذهب عنه الشيطان » قال فرفعت اليه بصرى ولهو أحب إلى من سمعى و بصرى ، فقال « يا شيب قاتل الكفار » وقال ابن اسحاق : وقال شيبة بن عثمان بن أبى طلحة اخو بنى عبد الدار قلت اليوم أدرك ثأرى ـ وكان أبوه قد قتل يوم أحد ـ اليوم أقتل محمدا ، قال فأدرت برسول الله

(ص) لأقتله فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي فلم أطق ذاك وعلمت أنه ممنوع مني. وقال محمد بن اسحاق: وحدثني والدي اسحاق بن يسار عمن حدثه عن جبير بن مطعم قال: إنا لمع رسول الله (ص) يوم حنين والناس يقتتلون اذا نظرت إلى مثل البجاد الاسود يهوي من السماء حتى وقع بيننا وبين القوم فاذا نمل منثور قد ملأ الوادي فلم يكن الا هزيمة القوم، فما كنا نشك أنها الملائكة. ورواه البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق به. وزاد فقال خديج بن العوجا النصري - يعني في ذلك -:

ولما دنونا من حُنين ومائِهِ … رأينا سواداً منكَرَ اللون أخصفا
بملمومةٍ شهباءَ لو قَذفوا بها … شماريخَ من عَروى اذاً عادَ صفصفا
ولو أن قومي طاوعتْني سَراتُهم … اذاً ما لقينا العارضَ المتكشفا
اذاً ما لقينا جندَ آلِ محمدٍ … ثمانين ألفاً واستمدّوا بخندفا

وقد ذكر ابن اسحاق من شعر مالك بن عوف النصري رئيس هوازن يوم القتال وهو في حومة الوغا يرتجز ويقول:

أقدمْ محاجُ إنه يومٌ نُكُرْ … مِثلي على مثلِك يحمي ويكِرِ
اذا أُضيع الصفّ يوما والدبُرْ … ثم احزألّتْ زُمَرٌ بعدَ زمر
كتائبٌ يكلُّ فيهنّ البصَر … قد أطعنُ الطعنةَ تقدى بالسبر
حين يُذَمّ المستكنّ المنجَحِر … وأطعنُ النجلاء تعوي وتهر
لها من الجوفِ رشاشٌ منهمِر … تفهقُ تاراتٍ وحيناً تنفجر
وثعلبُ العاملِ فيها منكسِر … يا زينُ يا ابنَ همْهم أين تفِرّ
قد أنفذ الضرسُ وقد طال العمر … قد عَلِم البيضُ الطويلاتُ الخُمَرْ
أنّيَ في أمثالها غيرُ غُمر … إذ تخرجُ الحاضنُ من تحت السُتُر

وذكر البيهقي من طريق يونس بن بكير عن أبي اسحاق أنه أنشد من شعر مالك أيضاً حين ولى أصحابه منهزمين وذلك قوله بعد ما أسلم وقيل هي لغيره:

أذكُرْ مسيرَهمُ والناسُ كلهم … ومالكٌ فوقه الرايات تختفقُ
ومالكٌ مالك ما فوقه أحد … يوم حنينٍ عليه التاج يأتلق
حتى لقُوا الناس حين البأس يقدُمهم … عليهم البَيض والأبدان والدرق
فضاربوا الناس حتى لم يروا أحَدا … حول النبي وحتى جَنّهُ الغسقُ
حتى تنزّلَ جبريلٌ بنصرِهم … فالقومُ منهزمٌ منّا وممتلِق

منّا ولو غيرَ جبريلٍ يقاتلنا لمنَعْتنا إذاً أسيافنا الفلق
وقد وفى عمرُ الفاروقُ إذ هُزموا بطعنةٍ كان منها سرجُه العَلِق

قال ابن اسحق : ولما هزم المشركون وأمكن الله رسوله منهم قالت أمرأة من المسلمين :

قد غلبتْ خيلُ الله خيلَ اللاتِ والله أحقُّ بالثبات

قال ابن هشام : وقد أنشدنيه بعض اهل الرواية للشعر :

قد غلبتْ خيلُ الله خيلَ اللات وخيلُه أحقُّ بالثبات

قال ابن اسحاق : فلما انهزمت هوازن استحر القتل من ثقيف فى بنى مالك فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم وكانت مع ذى الخمار ، فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب فقاتل بها حتى قتل ، فأخبرنى عامر بن وهب بن الاسود أن رسول الله ص لما بلغه قتله قال « أبعده الله فانه كان يبغض قريشا » وذكر ابن اسحاق عن يعقوب بن عتبة أنه قتل مع عثمان هذا غلام له نصرانى ، فجاء رجل من الانصار ليسلبه فاذا هو أغرل ، فصاح باعلا صوته : يامعشر العرب إن ثقيفاً غرل ، قال المغيرة بن شعبة الثقفى : فأخذت بيده وخشيت أن تذهب عنا فى العرب ، فقلت لا تقل كذلك فداك أبى وأمى إنما هو غلام لنا نصرانى ، ثم جعلت أكشف له القتلى فأقول له ألا تراهم مختتنين كما ترى ؟ قال ابن اسحاق : وكانت راية الاحلاف مع قارب بن الاسود ، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة وهرب هو وبنو عمه وقومه فلم يقتل من الاحلاف غير رجلين ، رجل من بنى غيرة يقال له وهب ورجل من بنى كبة يقال له الجلاح ، فقال رسول الله ص حين بلغه قتل الجلاح « قتل اليوم سيد شباب ثقيف إلا ما كان من ابن هنيدة » يعنى الحارث بن أويس . قال ابن اسحاق فقال العباس بن مرداس يذكر قارب بن الاسود وفراره من بنى أبيه وذا الخمار وحبسه نفسه وقومه للموت :

ألا من مبلغٌ غيلان عنى وسوف أُخالُ يأتيه الخبير
وعروةَ إنما أُهدى جواباً وقولاً غيرُ قولكما يسير
بأنّ محمداً عبدٌ رسولٌ لربٍّ لا يَضِلُّ ولا يجور
وجدناه نبياً مثل موسى فكلُّ فتى يخايره مخير
وبئسَ الأمرُ أمرُ بنى قسيٍّ بوجٍّ إذ تقسّمت الامور
أضاعوا أمرَهم ولكل قومٍ أميرٌ والدوائر قد تدور
فجئنا أُسدَ غاباتٍ إليهم جنودُ الله ضاحيةً تسير
نؤم الجمعَ جمعَ بني قسي على حنق نكادُ له نَطير

وأُقسم لو هموا مكثوا لسرنا ‏ اليهم بالجنود ولم يغوروا
فكُنا أُسدلية ثَم حتى ‏ أبحناها وأسلمتِ النصور
ويوم كان قبلَ لدى حنينٍ ‏ فأقلعَ والدماءُ به تمور
من الأيام لم تَسمع كيومٍ ‏ ولم يَسمع به قوم ذكور
قتلنا في الغبار بني حَطيطٍ ‏ على راياتها والخيلُ زور
ولم يكُ دو الخمار رئيسَ قوم ‏ لهم عقلٌ يعاقِبُ أو نكير
أقام بهم على سَنَن المنايا ‏ وقد بانت لمبصرِها الأمور
فأفلتَ من نجا منهم حَريضاً ‏ وقتّل منهم بشرٌ كثير
ولا يغني الأمورَ أخو التواني ‏ ولا الغَلِقُ الصُرَيِّرةُ الحصور
أحانَهم وحانَ وملّكوه ‏ أمورَهم وأفلتتِ الصقور
بنو عوفٍ تميحُ بهم جيادٌ ‏ أهينَ لها الفصافِصُ والشعير
فلولا قاربٌ وبنو أبيه ‏ تقسّمتِ المزارعُ والقصور
ولكنّ الرياسة عمّموها ‏ على يمنٍ أشار به المشير
أطاعوا قارباً ولهم جدودٌ ‏ وأحلامٌ إلى عزٍ تصير
فان يُهدوا الى الاسلام يُلفوا ‏ أنوفَ الناس ما سَمَرَ السمير
فان لم يسلموا فهموا أذانٌ ‏ بحربِ الله ليس لهم نصير
كما حكمتْ بني سعدٍ وجَرّت ‏ برهطِ بنى غُزيَّة عنقفير
كأنّ بني معاوية بن بكرٍ ‏ الى الاسلام ضَائنةٌ تخور
فقلنا أسلِموا إنّا أخوكم ‏ وقد برأت من الإحَنِ الصدور
كأن القوم اذ جاؤا الينا ‏ من البغضاءِ بعد السّلم عور

فصل

ولما انهزمت هوازن وقف ملكهم مالك بن عوف النصرى على ثنية مع طائفة من أصحابه فقال : قفوا حتى تجوز ضعفاؤكم وتلحق أخراكم . قال ابن اسحاق : فبلغنى أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على الثنية فقال لاصحابه ماذا ترون ؟ قالوا نرى قوما واضعى رماحهم بين آذان خيلهم طويلة بوادهم ، فقال هؤلاء بنو سليم ولا بأس عليكم منهم ، فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادى ، ثم طلعت خيل أخرى تتبعها فقال لأصحابه ماذا ترون ؟ قالوا نرى قوماً عارضى رماحهم اغفالا على خيلهم ، فقال هؤلاء الأوس والخزرج ولا بأس عليكم منهم ، فلما انتهوا إلى أصل الثنية سلكوا

طريق بنى سليم ، ثم طلع فارس فقال لأصحابه ماذا ترون ؟ فقالوا نرى فارساً طويل الباد واضعاً رمحه على عاتقه عاصباً رأسه بملاءة حمراء ، قال : هذا الزبير بن العوام وأقسم باللات ليخالطنكم فأثبتوا له ، فلما انتهى الزبير الى أصل الثنية أبصر القوم فصمد لهم فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها .

وأمر رسول الله (ص) بالغنائم فجمعت من الأبل والغنم والرقيق وأمر أن تساق الى الجعرانة فتحبس هناك ، قال ابن اسحاق : وجعل رسول الله (ص) على الغنائم مسعود بن عمرو الغفارى .

قال ابن اسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا أن رسول الله (ص) مر يومئذ بامرأة قتلها خالد بن الوليد والناس متقصفون عليها فقال لبعض أصحابه « أدرك خالداً فقل له إن رسول الله (ص) ينهاك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيفاً » هكذا رواه ابن اسحاق منقطعاً . وقد قال الامام أحمد ثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو ثنا المغيرة بن عبد الرحمن عن أبى الزناد حدثنى المرقع بن صيفى عن جده رباح بن ربيع أخى بنى حنظلة الكاتب أنه أخبره أنه رجع رسول الله (ص) فى غزوة غزاها وعلى مقدمته خالد بن الوليد ، فمر رباح وأصحاب رسول الله (ص) على امرأة مقتولة مما أصابت المقدمة ، فوقفوا ينظرون اليها ويتعجبون من خلقها حتى لحقهم رسول الله (ص) على راحلته فانفرجوا عنها فوقف عليها رسول الله (ص) فقال « ما كانت هذه لتقاتل » فقال لأحدهم « الحق خالداً فقل له لا يقتلن ذرية ولا عسيفاً » وكذلك رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث المرقع بن صيفى به نحوه .

غزوة أوطاس

وكان سببها أن هوازن لما انهزمت ذهبت فرقة منهم فيهم الرئيس مالك بن عوف النصرى فلجؤوا الى الطائف فتحصنوا بها ، وسارت فرقة فعسكروا بمكان يقال له أوطاس فبعث اليهم رسول الله (ص) سرية من أصحابه عليهم أبو عامر الأشعرى فقاتلوهم فغلبوهم ، ثم سار رسول الله (ص) بنفسه الكريمة فحاصر أهل الطائف كما سيأتى . قال ابن اسحاق : ولما انهزم المشركون يوم حنين أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة الا بنو غيرة من ثقيف ، وتبعت خيل رسول الله (ص) من سلك الثنايا قال فأدرك ربيعة بن رفيع بن أهبان السلمى ويعرف بابن الدغنة ـ وهى أمه ـ دريد بن الصمة فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة وذلك أنه فى شجار لهم ، فاذا برجل فأناخ به فاذا شيخ كبير واذا دريد بن الصمة ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد بى ؟ قال أقتلك ، قال ومن أنت ! قال أنا ربيعة بن رفيع السلمى ، ثم

ضر به بسيفه فلم يغن شيئاً ، قال : بئس ما سلحتك أمك خذ سيفي هـذا من مؤخر رحلي في الشجار ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فأني كذلك كنت أضرب الرجال ، ثم إذا أتيت أمك فاخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فرب والله يوم منعت فيه نساءك ، فزعم بنوسليم أن ربيعة قال لما ضربته فوقع تكشف فاذا عجانه و بطون فخذيه مثل القراطيس من ركوب الخيل إعراء ، فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه فقالت : أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً . ثم ذكر ابن اسحاق مارثت به عمرة بنت دريد أباها فمن ذلك قولها :

قالوا قتلْنا دريداً قلتُ قد صدقوا   فظلَّ دمعي على السِّربال منحدر
لولا الذي قهرَ الأقوامَ كلَّهم   رأتْ سليمُ وكعبٌ كيف يأتمر
إذنْ لصبَّحهم غِبّاً وظاهرةً   حيثُ استقرّت نَواهُمُ جَحْفلٌ ذفر

قال ابن اسحاق : و بعث رسول الله (ص) في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الاشعرى فأدرك من الناس بعض من انهزم فناوشوه القتال فرمى أبو عامر فقتل ، فأخذ الراية أبو موسى الاشعرى وهو ابن عمه فقاتلهم ففتح الله عليه وهزمهم الله عز وجل ، ويزعمون أن سلمة بن دريد هو الذى رمى أبا عامر الاشعرى بسهم فاصاب ركبته فقتله وقال :

إن تسألوا عني فاني سَلمه   ابنُ سَمادِرَ لمن توسّمه
أضربُ بالسيفِ رؤس المُسْلِمه

قال ابن اسحاق : وحدثنى من أثق به من أهل العلم بالشعر وحديثه أن أبا عامر الاشعرى لقى يوم أوطاس عشرة أخوة من المشركين فحمل عليه أحدهم فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه الى الاسلام و يقول اللهم اشهد عليه فقتله أبو عامر ، ثم حمل عليه آخر فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه الى الاسلام و يقول اللهم اشهد عليه فقتله أبو عامر ، ثم جعلوا يحملون عليه وهو يقول ذلك حتى قتل تسعة و بقى العاشر فحمل على أبي عامر وحمل عليـه أبو عامر وهو يدعوه الى الاسلام و يقول اللهم اشهد عليه ، فقال الرجل : اللهم لا تشهد عليّ فكف عنه أبو عامر فأفلت فأسلم بعد فحسن إسلامه ، فكان النبى (ص) إذا رآه قال : « هـذا شريد أبي عامر » قال و رمى أبا عامر ، اخوان العلاء وأوفى أبناء الحارث من بنى جشم بن معاوية فأصاب أحـدهما قلبه والآخر ركبته فقتلاه ، وولى الناس أبا موسى فحمل عليهما فقتلهما ، فقال رجل من بنى جشم يرثيهما :

إن الرزيّة قَتْلُ العلا   ء وأوفى جميعاً ولم يسندا
هما القاتلانِ أبا عامرٍ   وقد كان داهيةً أربدا
هما تركاه لدى معْرَكٍ   كأنّ على عِطفه مجسدا

فلم يُرَ في الناس مِثْلَيْهِما أقلّ عَثاراً وأرمى يدا

وقال البخاري : ثنا محمد بن العلاء وحدثنا أبو أسامة عن بريد بن عبدالله عن أبي بردة عن أبي موسى قال : لما فرغ رسول الله (ص) من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس فلقى دريد بن الصمة فقُتل دريد وهزم الله أصحابه ، قال أبو موسى : و بعثني مع أبي عامر فرمى أبو عامر في ركبته رماه جشمي بسهم فأثبته في ركبته ، قال فانتهيت اليه فقلت ياعم من رماك ؟ فأشار إلى أبي موسى فقال ذاك قاتلي الذي رماني ، فقصدت له فلحقته فلما رآني ولى فاتبعته وجعلت أقول له ألا تستحي ألا تثبت ؟ فكف فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته ، ثم قلت لابي عامر قتل الله صاحبك، قال فانزع هذا السهم فنزعته فنزا منه الماء . قال يا ابن أخي اقرئ رسول الله (ص) السلام وقل له استغفر لي ، واستخلفني أبو عامر على الناس فمكث يسيراً ثم مات فرجعت فدخلت على رسول الله (ص) في بيته على سرير مرمل وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبيه ، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقوله قل له استغفر لي قال فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال « اللهم اغفر لعبيد أبي عامر » ورأيت بياض إبطيه ثم قال « اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك ـ أو من الناس » فقلت ولي فاستغفر ، فقال « اللهم اغفر لعبدالله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما » قال أبو بردة إحداهما لأبي عامر والأخرى لأبي موسى رضى الله عنهما . ورواه مسلم عن أبي كريب محمد بن العلاء وعبد الله بن أبي براد عن أبي أسامة به بنحوه . وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أنبا سفيان ـ هو الثوري ـ عن عثمان البتي عن أبي الخليل عن أبي سعيد الخدري قال . أصبنا نساء من سبي أوطاس ولهن أزواج فكرهنا أن نقع عليهن ولهن أزواج ، فسألنا النبي (ص) فنزلت هذه الآية [والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم] قال فاستحللنا بها فروجهن . وهكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث عثمان البتي به . وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث شعبة عن قتادة عن أبي الخليل عن أبي سعيد الخدري . وقد رواه الامام احمد ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة ، زاد مسلم وشعبة والترمذي من حديث همام عن يحيي ثلاثتهم عن قتادة عن أبي الخليل عن أبي علقمة الهاشمي عن أبي سعيد أن أصحاب رسول الله (ص) أصابوا سبايا يوم أوطاس لهن أزواج من أهل الشرك فكان أناس من أصحاب رسول الله (ص) كفوا وتأثموا من غشيانهن ، فنزلت هذه الآية في ذلك [والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم] وهذا لفظ احمد بن حنبل فزاد في هذا الاسناد أبا علقمة الهاشمي وهو ثقة وكان هذا هو المحفوظ والله أعلم . وقد استدل جماعة من السلف بهذه الآية الكريمة على أن بيع الامة طلاقها . روى ذلك عن ابن مسعود وأبيّ بن كعب وجابر بن عبد الله وابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن البصري وخالفهم الجمهور مستدلين بحديث بريرة

حيث بيعت ثم خيرت فى فسخ نـكاحها أو إبقاءه ، فلو كان بيعها طلاقها لها لما خيرت ، وقد تقصينا الـكلام على ذلك فى التفسير بما فيه كفاية وسنذكره إن شاء الله فى الأحكام الـكبير ، وقد استدل جماعة من السلف على إباحة الأمة المشركة بهذا الحديث فى سبايا أوطاس وخالفهم الجمهور وقالوا هذه قضية عين فلعلهن أسلمن أو كن كتابيات وموضع تقرير ذلك فى الأحكام الـكبير إن شاء الله تعالى .

من استشهد يوم حنين وأوطاس

أيمن ابن أم أيمن مولى رسول الله (ص) وهو أيمن بن عبيد ، وزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب ابن أسد جمح به فرسه الذى يقال له الجناح فمات ، وسراقة بن مالك بن الحارث بن عدى الانصارى من بنى العجلان ، وأبو عامر الاشعرى أمير سرية أوطاس ، فهؤلاء أربعة رضى الله عنهم .

ما قيل من الأشعار في غزوة هوازن

فمن ذلك قول بجير بن زهير بن أبى سلمى :

لولا الالهُ وعيدُه وليتم ... حين استخفَّ الرعبُ كلَّ جبان
بالجزع يومَ حيالنا أقراننا ... وسوابحٍ يكبُونَ للأذقان
من بين ساعٍ ثوبُه فى كفِّه ... ومقطَّرٍ بسنابكٍ ولبان
واللهُ أكرمنا وأظهرَ ديننا ... وأعزَّنا بعبادة الرحمن
واللهُ أهلكهم وفرّق جمعَهم ... وأذلَّهم بعبادة الشيطان

قال ابن هشام ويروى فيها بعض الرواة :

إذ قام عمّ نبيّكم ووليُّه ... يدعون يالـكتيبة الايمان
أينَ الذين همُ أجابوا ربَّهم ... يومَ العريضِ وبيعةِ الرضوان

وقال عباس بن مرداس السلمى :

فأني والسوابحُ يومَ جمعٍ ... وما يتلو الرسولُ من الكتاب
لقد أحببتُ ما لقيتْ ثقيفٌ ... بجنبِ الشِّعب أمسِ من العذاب
همُ رأس العدوّ من أهل نجدٍ ... فقتلُهم ألذّ من الشراب
هزمْنا الجمعَ جمعَ بني قسيّ ... وحكّت بركها ببني رئاب
وصِرماً من هلالٍ غادرتْهم ... بأوطاسٍ تعفّر بالتراب
ولو لاقينَ جمعَ بني كلاب ... لقامَ نساؤهم والنقع كابى
ركضنا الخيلَ فيهم بين بَسٍّ ... إلى الأوراد تنحطُ بالنهاب
بذي لجبٍ رسولُ الله فيهم ... كتيبتُه تعرّضُ للضراب

وقال عباس بن مرداس أيضا :

يا خاتَم النبآءِ إنك مرسَلٌ | بالحق كلّ هُدى السبيل هداكا
إنّ الالهَ بنى عليك محبّة | في خلقِه ومحمداً سماكا
ثم الذين وفَوا بما عاهدتَهُم | جندٌ بعثتَ عليهم الضحاكا
رجلاً به ذَرَبُ السلاح كأنه | لمّا تكنّفه العدو يراكا
يغشى ذوي النسبِ القريبِ وإنما | يبغي رضا الرحمن ثم رضاكا
أنبئكَ أني قد رأيتُ مَكَرّه | تحت العَجاجةِ يدمغُ الإشراكا
طوراً يعانِق باليدين وتارةً | يفري الجماجمَ صارماً فتّاكا
يغشى به هامَ الكماةِ ولو ترى | منه الذي عاينتُ كان شَفاكا (١)
وبنو سليمٍ مُعنِقونَ أمامه | ضَرباً وطعناً في العدوّ دِراكا
يمشون تحتَ لوائه وكأنهم | أُسدُ العرين أرَدْن ثَمَّ عِراكا
ما يرتجون من القريبِ قرابةً | إلا لطاعةِ ربّهم وهواكا
هذى مشاهدُنا التى كانت لنا | معروفةً ووليُّنا مولاكا

وقال عباس بن مرداس أيضاً (٢) :

عفا مِجدَلٌ من أهله فَمُتالعٌ | فَمُطلاُ أريكٍ قد خلا فالمصانعُ
ديارٌ لنا يا جُمْلُ إذ جُلُّ عيشِنا | رخيٌ وصَرْفُ الدهر للحيّ جامع
حبيبةٌ ألوتْ بها غُربةُ النوى | لبينٍ فهل ماضٍ من العيشِ راجع
فان تبتغي الكفّارُ غيرَ ملومةٍ | فاني وزيرٌ للنبي وتابع
دعانا اليه خيرُ وفدٍ علمتُهم | خزيمةُ والمرّارُ منهم وواسع
فجئنا بألف من سليمٍ عليهمُ | لَبوسٌ لهم من نَسْجِ داودَ رائع
نبايعه بالأخشبَيْنِ وإنما | يدُ الله بينَ الأخشبَيْن نُبايع
فجئنا مع المهديِّ مكةَ عَنوةً | بأسيافنا والنقع كابٍ وساطع
علانيةً والخيلُ يغشَى متونَها | حميمٌ وآنٌ من دمِ الجوفِ ناقع
ويوم حنينٍ حينَ سارت هوازنٌ | الينا وضاقتْ بالنفوسِ الأضالع
صبرنا مع الضحّاك لا يستفزّنا | قِراعُ الأعادي منهمُ والوقائع
أمامَ رسولِ الله يخفقُ فوقَنا | لواءٌ كخُذروفِ السَّحابَةِ لامع

---

(١) هذا البيت زدناه من سيرة ابن هشام . (٢) سقط من التيمورية هذه القصائد الى آخر الفصل .

عشيةَ ضحّاكُ بنُ سفيانَ معتَصٍ ... بسيفِ رسولِ الله والموتُ كانع
نذودُ أخانا عن أخينا ولو نرى ... مَصالاً لكنّا الأقربين نتابع
ولكنّ دين الله دينُ محمد ... رضينا به فيه الهدى والشرائع
أقامَ به بعدَ الضلالة أمرَنا ... وليس لأمرٍ حمّهُ الله دافع

وقال عباس أيضاً :

تقطّع باقي وصلِ أم مؤمّلٍ ... بعاقبةٍ واستبدلت نيةٌ خَلفا
وقد حلفتْ بالله لا تقطعُ القُوى ... فما صدقتْ فيه ولا برّتِ الحلْفا
خُفافيةٌ بطنُ العقيقِ مَصيفُها ... وتحتلُّ في البادِينَ وَجْرَةَ فالعرفا
فإن تتبع الكفّارَ أمُّ مؤمل ... فقد زوّدتْ قلبي على نأيها شغْفا
وسوف ينبئّها الخبيرُ بأننا ... أبينا ولم نطلب سوى ربّنا حِلفا
وإنا مع الهادي النبيّ محمدٍ ... وفينا ولم يستوفِها معشرٌ ألفا
بفتيانِ صدقٍ من سليمٍ أعزّةٍ ... أطاعوا فما يعصُون من أمره حرفا
خفافٌ وذكوانٌ وعوفٌ تخالُهم ... مصاعبُ زافتْ في طروقتها كُلفا
كأنّ نسيجَ الشُّهبِ والبيضِ ملبسٌ ... أسوداً تلاقت في مراصِدها غُضفا
بنا عزَّ دين الله غير تنحُّلٍ ... وزدنا على الحي الذي معه ضِعفا
بمكةَ إذ جئنا كأنّ لواءَنا ... عُقابٌ أرادتْ بعد تحليقها خطفا
على شُخُصِ الأبصار تحسَبُ بينَها ... إذا هي جالتْ في مراودها عزفا
غداةَ وطئنا المشركين ولم نجِدْ ... لأمر رسول الله عَدْلا ولا صَرْفا
بمعترَكٍ لا يسمع القومُ وسطَهُ ... لنا زَجْمةً الا التّذامر والنقفا
بِبيضٍ تُطير الهامَ عن مُستقرِّها ... وتقطِفُ أعناقَ الكُماةِ بها قطفا
فكائنْ تركْنا من قتيلٍ ملحَّبٍ ... وأرملةٍ تدعو على بعلها لهفا
رضَا اللهِ ننوي لا رضا الناسِ نبتغي ... ولله ما يبدُو جميعاً وما يخفى

وقال عباس أيضاً رضى الله عنه :

ما بالُ عينِك فيها عائرٌ سَهِرُ ... مثل الحماطة أغضى فوقَها الشُّفُر
عينٌ تأوّبها من شجوها أرَقٌ ... فالماء يغمرها طورا وينحدر
كأنه نظمُ درٍّ عند ناظمه ... تقطّعَ السّلكُ منه فهو منتثر
يا بُعدَ منزلِ مَن ترجو مودّته ... ومن أتى دونه الصُّمّانُ فالحَفَر

دعْ ما تقدَّمَ من عهد الشباب فقد ... وَلّى الشبابُ وزارَ الشَّيبُ والزَّعَر
واذكُرْ بلاءَ سليمٍ فى مواطنها ... وفى سليمٍ لأهلِ الفخرِ مفتخَر
قومٌ هموا نصروا الرحمنَ واتّبعوا ... دينَ الرسول وأمرُ الناس مشتجر
لا يغرِسون فسيلَ النخل وسطَهم ... ولا تخاوَرُ فى مشتاهمُ البقَر
إلا سوابحَ كالعُقبان مقربةً ... فى دارةٍ حولها الأخطارُ والعكَرُ
تدعى خفافُ وعوفٌ فى جوانبها ... وحيٌّ ذكوان لا ميلٌ ولا ضُجُر
الضاربون جنودَ الشِّرك ضاحية ... ببطن مكةَ والأرواحُ تبتدَر
حتى رَفعنا وقتلاهم كأنهمُ ... نخلٌ بظاهرةِ البطحاء منقعِر
ونحن يومَ حنينٍ كان مشهدُنا ... للدين عزاً وعنـد الله مدَّخَر
إذ نركبُ الموتَ مخضرّا بطائنُه ... والخيلُ ينجاب عنها ساطِعٌ كَدِر
تحتَ اللواء مع الضحّاك يقدُمنا ... كما مشى الليثُ فى غاباته الخدر
فى مأزقٍ من مجرّ الحربِ كلكلُها ... تـكاد تأفلُ منه الشمسُ والقمر
وقد صبرنا بأوطاسٍ أسنّتَنا ... لله ننصرُ من شئنا وننتصر
حتى تأوّبَ أقوامٌ منازلَهم ... لولا المليكُ ولولا نحنُ ما صَدَروا
فما ترى معشراً قلّوا ولا كثُروا ... إلا وقد أصبحَ منّا فيهمُ أثر

وقال عباس أيضاً رضى الله عنه :

يا أيها الرجلُ الذى تهوي به ... وجناءُ مجمرَة المناسم عِرْمِسُ
إمّا أتيتَ على النبى فقلْ له ... حقاً عليكَ اذا اطمأنّ المجلس
ياخيرَ من ركِبَ المطيّ ومن مشى ... فوقَ التراب اذا تُعدُّ الأنفس
إنّا وفَيْنا بالذى عاهدتَنا ... والخيلُ تقدَعُ بالـكُماةِ وتضرس
إذ سالَ من أفناءِ بهثةَ كلها ... جمعٌ تظلّ به المخارمُ ترجس
حتى صبحْنا أهلَ مكةَ فيلقاً ... شهباءَ يقدُمها الهمامُ الأشوَس
من كل أغلبَ من سليمٍ فوقَه ... بيضاءُ محكَمَةُ الدِّخال وقَونس
يروي القناةَ اذا تجاسرَ فى الوغى ... وتخالُه أسداً اذا ما يعبِس
يغشى الـكتيبةَ معلماً وبكفه ... عضبٌ يقدّ به ولدنٌ مدعس
وعلى حنينٍ قد وَفَى من جمعنا ... ألفٌ أمدَّ به الرسولَ عرندس
كانوا أمامَ المؤمنين دريئةً ... والشمسُ يومئذ عليهم أشمُس

نعصي ويحرسنا الاله بحفظه ... والله ليس بضائع من يحرس
ولقد حبسنا بالمناقب محبساً ... رضي الاله به فنعم المحبس
وغداة أوطاس شددنا شدةً ... كفت العدو وقيل منها يا احبسوا
تدعو هوازن بالأخوة بيننا ... ثدي تمد به هوازن أيبس
حتى تركنا جمعهم وكأنه ... عير تعاقبه السباع مفرس

وقال أيضاً رضى الله عنه :

من مبلغ الأقوام أن محمداً ... رسول الاله راشد حيث يمما
دعا ربه واستنصر الله وحده ... فأصبح قد وفى اليه وأنعما
سرينا وواعدنا قديداً محمداً ... يؤم بنا أمراً من الله محكما
تماروا بنا فى الفجر حتى تبينوا ... مع الفجر فتياناً وغاباً مقوما
على الخيل مشدوداً علينا دروعنا ... ورجلاً كدفاع الأتي عرمرما
فان سراة الحي إن كنت سائلاً ... سليم وفيهم منهم من تسلما
وجند من الأنصار لا يخذلونه ... أطاعوا فما يعصونه ما تكلما
فان تك قد أمرت في القوم خالداً ... وقدمته فإنه قد تقدما
بجند هداه الله أنت أميره ... تصيب به فى الحق من كان أظلما
حلفت يميناً برةً لمحمد ... فأكملتها ألفاً من الخيل ملجما
وقال نبي المؤمنين تقدموا ... وحب إلينا أن نكون المقدما
وبتنا بنهي المستدير ولم يكن ... بنا الخوف إلا رغبةً وتحزما
أطعناك حتى أسلم الناس كلهم ... وحتى صبحنا الجمع أهل يلملما
يظل الحصان الأبلق الورد وسطه ... ولا يطمئن الشيخ حتى يسوما
سمونا لهم ورد القطا زفه ضحى ... وكلاً تراه عن أخيه قد أحجما
لدن غدوة حتى تركنا عشيةً ... حنيناً وقد سالت دوامعه دما
إذا شئت من كل رأيت طمرةً ... وفارسها يهوي ورمحاً محطما
وقد أحرزت منا هوازن سربها ... وحب اليها أن نخيب ونحرما

هكذا أورد الامام محمد بن اسحاق هذه القصائد من شعر عباس بن مرداس السلمى رضى الله عنه وقد تركنا بعض ما أورده من القصائد خشية الاطالة وخوف الملالة ، ثم أورد من شعر غيره أيضا وقد حصل فيه كفاية من ذلك والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم ـ غزوة الطائف

قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهرى : قاتل رسول الله (ص) يوم حنين وحاصر الطائف فى شوال سنة ثمان ، وقال محمد بن اسحاق : ولما قدم فل ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها وصنعوا الصنائع للقتال ولم يشهد حنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور . قال ثم سار رسول الله (ص) الى الطائف حين فرغ من حنين فقال كعب بن مالك فى ذلك : *

قضينا من تهامة كل ريْبٍ وخيبرَ ثم أجمْمنا السيوفا

نخبِّرها ولو نطقتْ لقالت قواطعُهن دَوساً أو ثقيفا

فلستُ لحاضنٍ إن لم تروْها بساحةِ داركم منا ألوفا

وننتزعُ العروشَ ببطنِ وجٍّ وتصبحُ دورُكم منكم خُلوفا

ويأتيكم لنا سرعانُ خيلٍ يغادر خلفه جمعاً كثيفا

اذا نزلوا بساحتكم سمعتم لها مما أناخ بها رجيفا

بأيديهم قواضبُ مرهفاتٌ يزرْنَ المصطَلين بها الحتوفا

كأمثالِ العقائقِ أخلَصَتْها قيونُ الهند لم تضرب كتيفا

تخالُ جديّة الأبطالِ فيها غداةَ الزحف جادِيّاً مدوفا

أجدّهمُ أليسَ لهم نصيحٌ من الأقوام كان بنا عريفا

يخبِّرهم بأنا قد جمعنا عتاقَ الخيل والنُّجُبَ الطروفا

وأنا قد أتيناهم بزحفٍ يحيطُ بسورِ حصنهمُ صفوفا

رئيسُهم النبيّ وكان صُلْباً نقيّ القلبِ مصطبراً عزوفا

رشيدَ الأمر ذا حكمٍ وعلمٍ وحلمٍ لم يكن نَزِقاً خفيفا

نطيع نبيَّنا ونطيعُ رباً هو الرحمنُ كانَ بنا رؤفا

فان تُلقوا الينا السلم نَقْبلْ ونجعلْكم لنا عضُداً وريفا

وإن تأبوا نجاهدْكم ونصبر ولا يكُ أمرُنا رَعِشاً ضعيفا

نجالدُ ما بقينا أو تُنيبوا الى الاسلام إذعاناً مضيفا

نجاهدُ لا نبالي ما لقينا أأهلكْنا التلادَ أم الطريفا

وكم من معشرٍ ألبوا علينا صميمَ الجذم منهم والحليفا

أتونا لا يرونَ لهم كفاءً فجدّعنا المسامعَ والأنوفا

بكلِّ مهندٍ لَيْنٍ صقيل　نسوقهمُ بها سَوْقا عنيفا
لأمرِ الله والأسلام حتى　يقومَ الدين معتدلا حنيفا
وتُنسى اللاتُ والعزّى وودٌّ　ونسلبُها القلائدَ والشنوفا
فأمسَوا قد أقروا واطمأنوا　ومن لا يمتنعْ يَقْبلْ خسوفا

وقال ابن اسحاق : فاجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفى :

قلت : قد وفد على رسول الله (ص) بعد ذلك فى وفد ثقيف فأسلم معهم . قاله موسى بن عقبة وأبو اسحاق وأبو عمر بن عبدالبر وابن الاثير وغير واحد ، وزعم المداينى أنه لم يسلم بل صار الى بلاد الروم فتنصر ومات بها :

مَن كان يبغينا يريدُ قتالَنا　فإنّا بدارٍ معلَمٍ لا نريمها
وجدنا بها الآباءَ من قبل ما ترى　وكانت لنا أطواؤها وكرومها
وقد جرّبتْنا قبلُ عمرو بن عامر　فأخبرَها ذو رأيها وحليمُها
وقد علمتْ - إن قالتِ الحق - أننا　اذا ما أتت صُعْرُ الخدودِ نقيمها
نقوّمها حتى يلينَ شَريسُها　ويُعرفَ للحقّ المبين ظَلومها
علينا دِلاصٌ من تراب محرَّقٍ　كلونِ السماء زينتها نجومها
نرفعها عنّا ببيضٍ صوارم　اذا جُرِّدت فى غَمرةٍ لا نشيمها

قال ابن اسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمى فى مسير رسول الله (ص) الى الطائف :

لا تنصروا اللاتَ إن الله مهلكُها　وكيف يُنصَرُ من هو ليس ينتصر
إن التي حُرقتْ بالسدّ فاشتعلت　ولم تقاتلْ لدى أحجارِها هدر
إن الرسولَ متى يَنزلْ بلادكم　يظعنْ وليس بها من أهلها بَشَر

قال ابن اسحاق : فسلك رسول الله (ص) - يعنى من حنين الى الطائف - على نخلة اليمانية ثم على قرن ثم على المليح ثم على بحرة الرغاء من لية فابتنى بها مسجدا فصلى فيه قال ابن اسحاق : فحدثنى عمرو بن شعيب أنه عليه السلام أقاد يومئذ ببحرة الرغاء حين نزلها بدم وهو أول دم أقيد به فى الاسلام رجل من بنى ليث قتل رجلا من هذيل فقتله به وأمر رسول الله (ص) وهو بلية بحصن مالك بن عوف فهدم . قال ابن اسحاق : ثم سلك فى طريق يقال لها الضيقة فلما توجه رسول الله (ص) سأل عن اسمها فقال ما اسم هذه الطريق فقيل الضيقة فقال بل هى اليسرى ، ثم خرج منها على نخب حتى نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة قريباً من مال رجل من ثقيف ، فأرسل اليه رسول الله (ص) إما أن تخرج إلينا وإما أن نخرب عليك حائطك ، فأبى أن يخرج فأمر رسول الله (ص)

بإخرابه . وقال ابن اسحاق : عن اسماعيل بن أمية عن بجير بن أبي بجير سمعت عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله (ص) يقول حين خرجنا معه الى الطائف فمررنا بقبر فقال رسول الله (ص) « هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه » قال فابتدره الناس فاستخرجوا معه الغصن . ورواه أبو داود عن يحيى بن معين عن وهب ابن جرير بن حازم عن أبيه عن محمد بن اسحاق به . ورواه البيهقي من حديث يزيد بن زريع عن روح بن القاسم عن اسماعيل بن أمية به . قال ابن اسحاق : ثم مضى رسول الله (ص) حتى نزل قريباً من الطائف فضرب به عسكره فقتل ناس من أصحابه بالنبل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف فتأخروا الى موضع مسجده عليه السلام اليوم بالطائف الذى بنته ثقيف بعد اسلامها ، بناه عمرو بن أمية بن وهب وكانت فيه سارية لا تطلع عليها الشمس صبيحة كل يوم إلا سمع لها نقيض فيما يذكرون ، قال فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة ، قال ابن هشام ويقال سبع عشرة ليلة ، وقال عروة وموسى بن عقبة عن الزهرى : ثم سار رسول الله (ص) إلى الطائف وترك السبي بالجعرانة وملئت عرش مكة منهم فنزل رسول الله (ص) بالاكمة عند حصن الطائف بضع عشرة ليلة يقاتلهم ويقاتلونه من وراء حصنهم ولم يخرج اليه أحد منهم غير أبي بكرة بن مسروح أخي زياد لأمه ، فأعتقه رسول الله (ص) وكثرت الجراح وقطعوا طائفة من أعنابهم ليغيظوهم بها فقالت لهم ثقيف : لا تفسدوا الأموال فانها لنا أولكم ، وقال عروة أمر رسول الله (ص) كل رجل من المسلمين أن يقطع خمس نخلات وخمس حبلات وبعث منادياً ينادى من خرج الينا فهو حر ، فاقتحم اليه نفر منهم فيهم أبو بكرة بن مسروح أخو زياد بن أبي سفيان لامه فأعتقهم ودفع كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يموله ويحمله . وقال الامام أحمد ثنا يزيد ثنا حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن رسول الله (ص) كان يعتق من جاءه من العبيد قبل مواليهم اذا أسلموا ، وقد أعتق يوم الطائف رجلين وقال أحمد ثنا عبد القدوس بن بكر بن خنيس ثنا الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : حاصر رسول الله (ص) أهل الطائف فخرج اليه عبدان فأعتقهما أحدهما أبو بكرة وكان رسول الله (ص) يعتق العبيد اذا خرجوا اليه وقال أحمد أيضاً ثنا نصر بن رئاب عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أنه قال قال رسول الله (ص) يوم الطائف « من خرج الينا من العبيد فهو حر » فخرج عبيد من العبيد فيهم أبو بكرة فأعتقهم رسول الله (ص) ، هذا الحديث تفرد به أحمد ومداره على الحجاج بن أرطاة وهو ضعيف ، لكن ذهب الامام أحمد إلى هذا فعنده أن كل عبد جاء من دار الحرب الى دار الاسلام عتق حكماً شرعياً مطلقاً عاماً ، وقال آخرون إنما كان

هذا شرطاً لا حكماً عاماً ولو صح الحديث لكان التشريع العام أظهر كما فى قوله عليه السلام « من قتل قتيلا فله سلبه » وقد قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثنى عبد الله بن المكرم الثقفى قال : لما حاصر رسول الله (ص) أهل الطائف خرج اليه رقيق من رقيقهم أبو بكرة عبداً للحارث بن كلدة والمنبعث وكان اسمه المضطجع فسماه رسول الله (ص) المنبعث ، ويحنس ووردان فى رهط من رقيقهم فأسلموا . فلما قدم وفد أهل الطائف فأسلموا قالوا يارسول الله رد علينا رقيقنا الذين أتوك ؟ قال « لا أولئك عتقاء الله » ورد على ذلك الرجل ولاء عبده فجعله له . وقال البخارى ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن عاصم سمعت أبا عثمان قال سمعت سعدا - وهو أول من رمى بسهم فى سبيل الله وأبا بكرة وكان تسور حصن الطائف فى أناس فجاء إلى رسول الله (ص) - قالا : سمعنا رسول الله (ص) يقول « من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه فالجنة عليه حرام » ورواه مسلم من حديث عاصم به . قال البخارى : وقال هشام أنبا معمر عن عاصم عن أبى العاليه أو أبى عثمان النهدى قال سمعت سعدا وأبا بكرة عن النبى (ص) قال عاصم : قلت لقد شهد عندك رجلان حسبك بهما ، قال أجل أما أحدهما فاول من رمى بسهم فى سبيل الله ، وأما الآخر فنزل إلى رسول الله (ص) ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف . قال محمد بن اسحاق : وكان مع رسول الله (ص) امرأتان من نسائه إحداهما أم سلمة فضرب لهما قبتين فكان يصلى بينهما ، فحاصرهم وقاتلهم قتالا شديداً وتراموا بالنبل قال ابن هشام : ورماهم بالمنجنيق . فحدثنى من أثق به أن النبى (ص) أول من رمى فى الاسلام بالمنجنيق رمى به أهل الطائف . وذكر ابن اسحق أن نفرا من الصحابة دخلوا تحت دبابة ثم زحفوا ليحرقوا جدار أهل الطائف فأرسلت عليهم سكك الحديد محماة فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالا ، فحينئذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعناب ثقيف فوقع الناس فيها يقطعون ، قال وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فناديا ثقيفاً بالامان حتى يكلموهم فأمنوهم فدعوا نساء من قريش وبنى كنانة ليخرجن اليهم وهما يخافان عليهن السباء اذا فتح الحصن ، فأبين فقال لهما أبو الاسود بن مسعود : ألا أدلكما على خير مما جئتما له ؟ إن مال أبى الاسود حيث قد علمتما ، وكان رسول الله (ص) نازلا بواد يقال له العقيق وهو بين مال بنى الاسود وبين الطائف وليس بالطائف مال أبعد رشاء ولا أشد مؤونة ولا أبعد عمارة منه ، وإن محمدا إن قطعه لم يعمر أبدا فكلماه فليأخذه لنفسه أو ليدعه لله وللرحم . فزعموا أن رسول الله (ص) تركه لهم . وقد روى الواقدى عن شيوخه نحو هذا وعنده أن سلمان الفارسى هو الذى أشار بالمنجنيق وعمله بيده وقيل قدم به وبدبابتين فالله أعلم .

وقد أورد البيهقى من طريق ابن لهيعة عن أبى الاسود عن عروة أن عيينة بن حصن استأذن رسول الله (ص) فى أن يأتى أهل الطائف فيدعوهم إلى الاسلام فأذن له ، فجاءهم فأمرهم بالثبات فى حصنهم وقال

لا يهولنكم قطع ما قطع من الاشجار فى كلام طويل ، فلما رجع قال له رسول الله (ص) « ما قلت لهم » قال دعوتهم إلى الاسلام وأنذرتهم النار وذكرتهم بالجنة ، فقال « كذبت بل قلت لهم كذا وكذا » فقال صدقت يارسول الله أتوب إلى الله واليك من ذلك . وقد روى البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن احمد ابن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن هشام الدستوائى عن قتادة عن سالم بن أبى الجعد عن معدان ابن أبى طلحة عن ابن أبى نجيح السلمى وهو عمرو بن عبسة رضى الله عنه قال : حاصرنا مع رسول الله (ص) قصر الطائف فسمعت رسول الله (ص) يقول « من بلغ بسهم فله درجة فى الجنة » فبلغت يومئذ ستة عشر سهماً ، وسمعته يقول « من رمى بسهم فى سبيل الله فهو عدل محرر ، ومن شاب شيبة فى سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة وأيما رجل أعتق رجلا مسلما فان الله جاعل كل عظم من عظامه وقاء كل عظم بعظم وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فان الله جاعل كل عظم من عظامها وقاء كل عظم من عظامها من النار » . ورواه أبوداود والترمذى وصححه النسائى من حديث قتادة به . وقال البخارى ثنا الحميدى سمع سفيان ثنا هشام عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة قالت : دخل على رسول الله (ص) وعندى مخنث فسمعه يقول لعبد الله بن أبى أمية : أرأيت إن فتح الله عليكم الطائف غدا فعليك بابنة غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان فقال رسول الله (ص) « لا يدخلن هؤلاء عليكن » قال ابن عيينة وقال ابن جريج : المخنث هيت . وقد رواه البخارى أيضا ومسلم من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه به وفى لفظ وكانوا يرونه من غير أولى الأربة من الرجال ، وفى لفظ قال رسول الله (ص) « ألا أرى هذا يعلم ما هاهنا لا يدخلن عليكن هؤلاء » يعنى اذا كان ممن يفهم ذلك فهو داخل فى قوله تعالى [أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء] والمراد بالمخنث فى عرف السلف الذى لاهمة له الى النساء وليس المراد به الذى يؤتى إذ لو كان كذلك لوجب قتله حتما كما دل عليه الحديث وكما قتله أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ومعنى قوله تقبل بأربع وتدبر بثمان يعنى بذلك عكن بطنها فانها تكون أربعا اذا أقبلت ثم تصير كل واحدة ثنتين اذا أدبرت ، وهذه المرأة هى بادية بنت غيلان بن سلمة من سادات ثقيف ، وهذا المخنث قد ذكر البخارى عن ابن جريج أن اسمه هيت وهذا هو المشهور . لكن قال يونس عن ابن اسحاق قال : وكان مع رسول الله (ص) مولى لخالته بنت عمرو بن عايذ مخنث يقال له ماتع يدخل على نساء رسول الله (ص) فى بيته ولا نرى أنه يفطن لشئ من أمور النساء مما يفطن اليه رجال ، ولا يرى أن له فى ذلك إرباً فسمعه وهو يقول لخالد ابن الوليد : ياخالد إن افتتح رسول الله (ص) الطائف فلا تنفلتن منكم بادية بنت غيلان فانها تقبل باربع وتدبر بثمان ، فقال رسول الله (ص) حين سمع هذا منه « ألا أرى هذا يفطن لهذا » الحديث ثم قال لنسائه « لا يدخلن عليكم » فحجب عن بيت رسول الله (ص) . وقال البخارى ثنا على بن عبدالله

ثنا سفيان عن عمرو عن أبي العباس الشاعر الاعمى عن عبد الله بن عمرو قال : لما حاصر رسول الله (ص) الطائف فلم ينل منهم شيئا قال « إنا قافلون غداً إن شاء الله » فثقل عليهم وقالوا نذهب ولا نفتح ؟ فقال « اغدوا على القتال » فغدوا فأصابهم جراح فقال « إنا قافلون غداً إن شاء الله » فأعجبهم فضحك النبي (ص) وقال سفيان مرة فتبسم ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به وعنده عن عبد الله بن عمر بن الخطاب واختلف فى نسخ البخارى ففى نسخة كذلك عن عبد الله بن عمرو بن العاص والله أعلم . وقال الواقدى حدثنى كثير بن زيد بن الوليد بن رباح عن أبي هريرة قال : لما مضت خمس عشرة من حصار الطائف استشار رسول الله (ص) نوفل بن معاوية الدئلى فقال « يا نوفل ما ترى فى المقام عليهم ؟ » قال يارسول الله ثعلب فى جحر إن أقمت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرك . قال ابن اسحاق : وقد بلغنى أن رسول الله (ص) قال لابى بكر وهو محاصر ثقيفاً « يأبا بكر إنى رأيت أنى أهديت لى قعبة مملوءة زبداً فنقرها ديك فهراق ما فيها » فقال أبو بكر رضى الله عنه : ما أظن أن تدرك منهم يومك هـذا ما تريد ، فقال رسول الله (ص) « وأنا لا أرى ذلك » قال ثم إن خولة بنت حكيم السلمية وهى امرأة عثمان بن مظعون قالت : يارسول الله اعطنى إن فتح الله عليك حلى بادية بنت غيلان بن سلمة أو حلى الفارعة بنت عقيل ـ وكانت من أحلى نساء ثقيف ـ فذكر أن رسول الله (ص) قال لها « وإن كان لم يؤذن فى ثقيف ياخويلة » فخرجت خولة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب فدخل على رسول الله (ص) فقال : يا رسول الله ما حـديث حدثتنيه خولة زعمت أنك قلته ؟ قال « قد قلته » قال أو ما أذن فيهـم ؟ قال لا ، قال أفلا أؤذن بالرحيل ؟ قال بلى ، فأذن عمر بالرحيل فلما استقبل الناس نادى سعيد بن عبيد بن أسيد بن أبى عمرو بن علاج : ألا إن الحى مقيم ، قال يقول عيينة بن حصن أجل والله مجدة كراماً ، فقال له رجل من المسلمين قاتلك الله ياعيينة أتمدح المشركين بالامتناع من رسـول الله (ص) وقـد جئت تنصره ؟ فقال إنى والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم ، ولـكنى أردت أن يفتح محمـد الطائف فأصيب من ثقيف جارية أطؤها لعلها تلد لى رجلا فان ثقيفاً مناكير . وقـد روى ابن لهيعة عن أبى الاسود عن عروة قصة خولة بنت حكيم وقول رسول الله (ص) ما قال . وتأذين عمر بالرحيل ، قال وأمر رسـول الله (ص) الناس أن لا يسرحوا ظهرهم فلما أصبحوا ارتحل رسول الله (ص) وأصحابه ودعا حين ركب قافلا فقال « اللهم اهدهم واكفنا مؤنتهم » وروى الترمذى من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبى الزبير عن جابر قالوا : يارسول الله أحرقتنا نبال ثقيف فادع الله عليهم فقال « اللهـم اهد ثقيفاً » ثم قال هذا حديث حسن غريب . وروى يونس عن ابن اسحاق حدثنى عبدالله بن أبى بكر وعبدالله بن المـكرم عمن أدركوا من أهل العلم قالوا : حاصر رسول الله (ص) أهل الطائف ثلاثين ليلة أو قريباً من ذلك ، ثم انصرفوا عنهم ولم

يؤذن فيهم ، فقدم المدينة فجاءه وفدهم فى رمضان فأسلموا وسيأتى ذلك مفصلا فى رمضان من سنة تسع إن شاء الله . وهذه تسمية من استشهد من المسلمين بالطائف فيما قاله ابن اسحاق فمن قريش : سعيد ابن سعيد بن العاص بن أمية ، وعرفطة بن حُباب حليف لبنى أمية بن الأسد بن الغوث ، وعبدالله ابن أبى بكر الصديق رمى بسهم فتوفى منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله (ص) وعبدالله بن أبى أمية بن المغيرة المخزومى من رمية رميها يومئذ ، وعبدالله بن عامر بن ربيعة حليف لبنى عدى ، والسائب بن الحارث بن قيس بن عدى السهمى وأخوه عبد الله ، وجليحة بن عبد الله من بنى سعد بن ليث ، ومن الانصار ثم من الخزرج ثابت بن الجذع الأسلمى ، والحارث بن سهل بن أبى صعصعة المازنى ، والمنذر بن عبد الله من بنى ساعدة ، ومن الأوس رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوذان بن معاوية فقط ، فجميع من استشهد يومئذ اثنا عشر رجلا سبعة من قريش وأربعة من الأنصار ورجل من بنى ليث رضى الله عنهم أجمعين . قال ابن اسحاق : ولما انصرف رسول الله (ص) راجعاً عن الطائف قال بجير بن زهير بن أبى سلمى يذكر حنيناً والطائف :

كانت علالةَ يومَ بَطنِ حنينٍ ... وغداةَ أوطاسٍ ويومَ الأبرق
جمعت باغواء هوازنُ جمعها ... فتبدّدوا كالطائر المتمزّق
لم يمنعوا منا مقاما واحداً ... إلا جدارَهُمُ وبطنَ الخندق
ولقد تعرَّضْنا لِكيما يَخرُجوا ... فاستحصنوا منا بباب مُغلَق
ترتدّ حسراناً الى رَجراجةٍ ... شهباءَ تلمعُ بالمنايا فيلق
ملمومةً خضراءَ لو قَذفوا بها ... حِصناً لظلّ كأنه لم يخلق
مشْيَ الضِّراء على الهراس كأننا ... قُدرٌ تفرَّقَ فى القِياد ويلتقي
فى كل سابغةٍ إذا ما استحصنتْ ... كالنِّهْي هبتْ ريحُه المترقرق
جُدُلٍ تمسُّ فضولُهن نعالنا ... من نسْجِ داودَ وآلِ مُحرّق

وقال أبو داود ثنا عمر بن الخطاب أبو حفص ثنا الفريابى ثنا أبان ثنا عمرو - هو ابن عبد الله ابن أبى حازم - ثنا عثمان بن أبى حازم عن أبيه عن جده صخر - هو أبى العيلة الأحمسى - أن رسول الله (ص) غزا ثقيفاً فلما أن سمع ذلك صخر ركب فى خيل يمد النبى (ص) فوجده قد انصرف ولم يفتح ، فجعل صخر حينئذ عهد وذمة لا أفارق هذا القصر حتى ينزلوا على حكم رسول الله (ص) ولم يفارقهم حتى نزلوا على حكم رسول الله (ص) وكتب اليه صخر : أما بعد فان ثقيفا قد نزلت على حكمك يارسول الله وأنا مقبل بهم وهم فى خيلى فأمر رسول الله (ص) بالصلاة جامعة فدعا لأحمس عشر دعوات « اللهم بارك لاحمس فى خيلها ورجالها » . وأتى القوم فتكلم المغيرة بن شعبة فقال :

يارسول الله إن صخرا أخذ عمتي ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ، فدعاه فقال « ياصخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا دماءهم وأموالهم فادفع الى المغيرة عمته » فدفعها اليه وسأل رسول الله (ص) ماء لبني سليم قد هربوا عن الاسلام وتركوا ذلك الماء فقال : يارسول الله أنزلنيه أنا وقومي ؟ قال « نعم » فأنزله وأسلم ـ يعني الاسلميين ، فأتوا صخرا فسألوه أن يدفع اليهم الماء فأبى فأتوا رسول الله (ص) فقالوا : يارسول الله أسلمنا وأتينا صخرا ليدفع الينا ماءنا فأبى علينا ، فقال « يا صخر إن القوم اذا أسلموا أحرزوا أموالهم ودماءهم فادفع اليهم ماءهم » قال نعم يانبي الله فرأيت وجه رسول الله (ص) يتغير عند ذلك حمرة حياء من أخذه الجارية وأخذه الماء . تفرد به أبو داود وفي اسناده اختلاف

قلت : وكانت الحكمة الالهية تقتضي أن يؤخر الفتح عامئذ لئلا يستأصلوا قتلا لأنه قد تقدم أنه عليه السلام لما كان خرج الى الطائف فدعاهم الى الله تعالى والى أن يؤووه حتى يبلغ رسالة ربه عز وجل وذلك بعد موت عمه أبي طالب فردوا عليه قوله وكذبوه فرجع مهموماً فلم يستفق الا عند قرن الثعالب ، فاذا هو بغمامة واذا فيها جبريل فناداه ملك الجبال فقال يامحمد إن ربك يقرأ عليك السلام وقد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك فان شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؟ فقال رسول الله (ص) « بل أستأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده وحده لا يشرك به شيئا » فناسب قوله بل أستأني بهم أن لا يفتح حصنهم لئلا يقتلوا عن آخرهم وأن يؤخر الفتح ليقدموا بعد ذلك مسلمين في رمضان من العام المقبل كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى .

مرجعه عليه السلام من الطائف وقسمة غنائم هوازن

قال ابن اسحاق : ثم خرج رسول الله (ص) حين انصرف عن الطائف على دحنا حتى نزل الجعرانة فيمن معه من المسلمين ومعه من هوازن سبي كثير وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف : يارسول الله ادع عليهم فقال « اللهم اهد ثقيفا وائت بهم » قال ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة وكان مع رسول الله (ص) من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ومن الابل والشاء مالا يدرى عدته قال ابن اسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب وفي رواية يونس بن بكير عنه قال عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده كنا مع رسول الله (ص) بحنين فلما أصاب من هوازن ما أصاب من أموالهم وسباياهم أدركه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا فقالوا : يارسول الله إنا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا منّ الله عليك وقام خطيبهم زهير بن صرد أبو صرد فقال : يارسول الله إنما في الحظائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ولو أنا ملحنا لابن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما

وأنت رسول الله خير المكفولين ، ثم أنشأ يقول :

أمْنُنْ علينا رسولَ الله فى كَرَمٍ … فإنك المرءُ نرجوه وننتظر
أمنن على بيضةٍ قد عاقها قَدَر … ممزَّقٍ شملُها فى دهرها غِيَرُ
أبقت لنا الدهرَ هتّافاً على حَزَنٍ … على قلوبهمُ الغمّاءُ والغمر
[ياخير طفلٍ ومولودٍ ومنتجب … فى العالمين اذا ما حصّل البشر (١)
إن لم تداركها نعماءُ تنشرها … يا أرجحَ الناس حِلماً حين يُختبر
أمنن على نسوة قد كنتَ ترضعها … إذ فوكَ تملؤه من محضها الدُّرَرَ
أمنن على نسوة قد كنتَ ترضعها(٢) … وإذ يزنيك ما تأتى وما تذر
لا تجعلنّا كمن شالتْ نعامته … واستبقِ منّا فإنا معشرٌ زُهُر
إنا لنشكر آلاء وإن كفرت … وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

قال فقال رسول الله (ص) « نساؤكم وأبناؤكم أحب اليكم أم أموالكم ؟ » فقالوا يارسول الله خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا ؟ بل أبناؤنا ونساؤنا أحب الينا ، فقال رسول الله (ص) « أماما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، واذا أنا صليت بالناس فقوموا فقولوا إنا نستشفع برسول الله (ص) إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله (ص) فى أبنائنا ونسائنا فانى سأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم » فلما صلى رسول الله (ص) بالناس الظهر قاموا فقالوا ما أمرهم به رسول الله (ص) فقال « أما ما كان لى ولبنى عبدالمطلب فهو لكم » فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله (ص) وقالت الانصار وما كان لنا فهو لرسول الله (ص) ، وقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا ، وقال عيينة : أما أنا وبنو فزارة فلا ، وقال العباس بن مرداس السلمى : أما أنا وبنو سليم فلا ، فقالت بنو سليم بل ما كان لنا فهو لرسول الله (ص) ، قال يقول عباس بن مرداس لبنى سليم وهنتمونى ؟ فقال رسول الله (ص) « من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ستة فرائض من أول فئ نصيبه » فردوا إلى الناس نساءهم وأبناءهم ثم ركب رسول الله (ص) وأتبعه الناس يقولون : يارسول الله اقسم علينا فيئنا ، حتى اضطروه إلى شجرة فانتزعت رداءه فقال « أيها الناس ردوا على ردائى فو الذى نفسى فى يده لو كان لكم عندى عدد شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم ثم ما ألفيتمونى بخيلا ولا جباناً ولا كذاباً » ثم قام رسول الله (ص) الى جنب بعير فأخذ من سنامه وبرة فجعلها بين إصبعيه ثم رفعها فقال « أيها الناس والله مالى من فيئكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم فأدوا الخياط والمخيط فان الغلول

(١) هذا البيت زيادة من السهيلى وزاد عليها ثلاثة أبيات أخر. (٢) فى السهيلى : إذ كنت طفلا صغيرا كنت ترضعها .

عار ونار وشنار على أهله يوم القيامة » فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر فقال : يارسول الله أخذت هـذه لأخيط بها برذعة بعير لى دبر ، فقال رسول الله (ص) « أما حق منها فلك » فقال الرجل : أما إذا بلغ الأمر فيها فلا حاجة لى بها فرمى بها من يده . وهـذا السياق يقتضى أنه عليه السلام رد اليهـم سبيهم قبل القسمة كما ذهب اليه محمـد بن اسحاق بن يسار خلافاً لموسى بن عقبة وغيره . وفى صحيح البخارى من طريق الليث عن عقيل عن الزهرى عن عروة عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أن رسول الله (ص) قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوا أن ترد اليهم أموالهم ونساؤهم فقال لهم رسول الله (ص) « معى من ترون وأحب الحديث الىّ أصدقه فاختاروا إحدى الطائفتين إما السبى وإما المال ؟ وقد كنت أستأنيت بكم » وكان رسول الله (ص) انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف ، فلما تبين لهم أن رسول الله (ص) غير راد اليهم أموالهم إلا إحدى الطائفتين قالوا إنا نختار سبينا ، فقام رسول الله (ص) فى المسلمين وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال « أما بعد فان إخوانـكم هؤلاء قد جاؤا تائبين وإنى قد رأيت أن أرد اليهم سبيهم فمن أحب أن يطيّب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول مال يفئ الله علينا فليفعل » فقال الناس : قد طيبنا ذلك يارسول الله فقال لهم « إنا لا ندرى من أذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم أمركم » فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله (ص) فاخبروه بأنهـم قد طيبوا وأذنوا . فهذا ما بلغنا عن سبى هوازن ولم يتعرض البخارى لمنع الأقرع وعيينة وقومهما بل سكت عن ذلك والمثبت مقدم على النافى فكيف الساكت . وروى البخارى من حديث الزهرى أخبرنى عمر بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أخبره جبير بن مطعم أنه بينما هو مع رسول الله (ص) ومعـه الناس مقفله من حنين علقت الاعراب برسول الله (ص) يسألونه حتى اضطروه الى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله (ص) ثم قال « أعطونى ردائى فلو كان عدد هـذه العضاة نعماً لقسمته بينـكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذوباً ولا جباناً » تفرد به البخارى . وقال ابن اسحاق : وحدثنى أبو وجزة يزيد بن عبيد السعدى أن رسول الله (ص) أعطى على بن أبى طالب جارية يقال لها ريطة بنت هلال بن حيان بن عميرة ، وأعطى عثمان بن عفان جارية يقال لها زينب بنت حيان بن عمرو بن حيان ، وأعطى عمر جارية فوهبها من ابنه عبد الله وقال ابن اسحاق : فحدثنى نافع عن عبدالله بن عمر قال : بعثت بها الى أخوالى من بنى جمح ليصلحوا لى منها ويهيئوها حتى أطوف بالبيت ثم آتيهم وأنا أريد أن أصيبها اذا رجعت اليهـا ، قال فجئت من المسجد حين فرغت فاذا الناس يشتدون فقلت ما شأنكم ؟ قالوا رد علينا رسول الله (ص) نساءنا وابناءنا ، قلت تلكم صاحبتكم فى بنى جمح فاذهبوا فخذوها فذهبوا اليها فأخذوها . قال ابن اسحاق :

ولما عيينة بن حصن فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن وقال حين أخذها أرى عجوزاً إني لأحسب لها في الحي نسبا وعسى أن يعظم فداؤها ، فلما رد رسول الله (ص) السبايا بست فرائض أبى أن يردها ، فقال له زهير بن صرد : خذها عنك فو الله ما فوها ببارد ، ولا ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد ، ولادرها بماكد ، إنك ما أخذتها والله بيضاء غريرة ولا نصفا وثيرة [فردها بست فرائض] قال الواقدي : ولما قسم رسول الله (ص) الغنائم بالجعرانة أصاب كل رجل أربع من الابل وأربعون شاة . وقال سلمة عن محمد بن اسحاق عن عبدالله بن أبي بكر أن رجلا ممن شهد حنين قال والله إني لأسير الى جنب رسول الله (ص) على ناقة لي وفي رجلي نعل غليظة إذ زحمت ناقتي ناقة رسول الله (ص) ويقع حرف نعلي على ساق رسول الله (ص) فأوجعه ، فقرع قدمي بالسوط وقال « أوجعتني فتأخر عني » فانصرفت فلما كان الغد إذا رسول الله (ص) يلتمسني قال قلت هذا والله لما كنت أصبت من رجل رسول الله (ص) بالأمس ، قال فجئته وأنا أتوقع فقال « إنك أصبت رجلي بالأمس فأوجعتني فقرعت قدمك بالسوط فدعوتك لأعوضك منها » فأعطاني ثمانين نعجة بالضربة التي ضربني ، والمقصود من هذا أن رسول الله (ص) رد إلى هوازن سبيهم بعد القسمة كما دل عليه السياق وغيره ، وظاهر سياق حديث عمرو بن شعيب الذي أورده محمد بن اسحاق عن أبيه عن جده أن رسول الله (ص) رد الى هوازن سبيهم قبل القسمة ، ولهذا لما رد السبي وركب علقت الاعراب برسول الله (ص) يقولون له اقسم علينا فيئنا حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فقال « ردوا علي ردائي أيها الناس فوالذي نفسي بيده لو كان لكم عدد هذه العضاة نعماً لقسمته فيكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا جباناً ولا كذاباً » كما رواه البخاري عن جبير بن مطعم بنحوه . وكأنهم خشوا أن يرد الى هوازن أموالهم كما رد اليهم نساءهم وأطفالهم فسألوه قسمة ذلك فقسمها عليه الصلاة والسلام بالجعرانة كما أمره الله عز وجل وآثر أناساً في القسمة وتألف أقواماً من رؤساء القبائل وأمرائهم فعتب عليه أناس من الأنصار حتى خطبهم وبين لهم وجه الحكمة فيما فعله تطييباً لقلوبهم ، وتنقد بعض من لا يعلم من الجهلة والخوارج كذي الخويصرة واشباهه قبحه الله كما سيأتي تفصيله وبيانه في الاحاديث الواردة في ذلك وبالله المستعان . قال الامام أحمد حدثنا عارم ثنا معتمر بن سليمان سمعت أبي يقول ثنا السميط السدوسي عن أنس بن مالك قال : فتحنا مكة ثم إنا غزونا حنيناً فجاء المشركون بأحسن صفوف رأيت فصفت الخيل ثم صفت المقاتلة ثم صفت النساء من وراء ذلك ، ثم صفت الغنم ، ثم النعم ، قال ونحن بشر كثير قد بلغنا ستة آلاف وعلى مجنبة خيلنا خالد بن الوليد ، قال فجعلت خيلنا تلوذ خلف ظهورنا قال فلم نلبث أن انكشف خيلنا وفرت الاعراب ومن نعلم من الناس ، قال فنادى رسول الله (ص) يا للمهاجرين يا للمهاجرين يا للأنصار ؟ - قال أنس هذا حديث

عمته — قال قلنا لبيك يارسول الله قال وتقدم رسول الله (ص) ، قال وأيم الله ما أتيناهم حتى هزمهم الله قال فقبضنا ذلك المال ثم انطلقنا الى الطائف فحاصرناهم أربعين ليلة ثم رجعنا الى مكة ، قال فنزلنا فجعل رسول الله (ص) يعطى الرجل المائة و يعطى الرجل المائتين ، قال فتحدث الانصار بينها أما من قاتله فيعطيه ، وأما من لم يقاتله فلا يعطيه ؟ ! فرفع الحديث الى رسول الله (ص) ثم أمر بسراة المهاجرين والأنصار أن يدخلوا عليه ثم قال « لا يدخلن على إلا أنصارى — أو الانصار » قال فدخلنا القبة حتى ملأناها قال نبى الله (ص) « يامعشر الأنصار » أو كما قال « ما حديث أتانى ؟ » قالوا ما أتاك يارسول الله قال « ما حديث أتانى » قالوا ما أتاك يارسول الله ، قال « ألا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون برسول الله حتى تدخلوه بيوتكم ؟ » قالوا رضينا يارسول الله ، قال فرضوا أو كما قال . وهكذا رواه مسلم من حديث معتمر بن سليمان وفيه من الغريب قوله أنهم كانوا يوم هوازن ستة آلاف و إنما فى كانوا اثنى عشر الفاً ، وقوله إنهم حاصروا الطائف أربعين ليلة و إنما حاصروها قريباً من شهر ودون العشرين ليلة فالله أعلم . وقال البخارى ثنا عبد الله بن محمد ثنا هشام ثنا معمر عن الزهرى حدثنى أنس بن مالك قال قال ناس من الانصار حين أفاء الله على رسوله ما أفاء من أموال هوازن فطفق النبى (ص) يعطى رجالا المائة من الابل ، فقالوا : يغفر الله لرسول الله (ص) يعطى قريشاً و يتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ؟ قال أنس بن مالك فحدث رسول الله (ص) بمقالتهم فأرسل إلى الانصار فجمعهم فى قبة أدم ولم يدع معهم غيرهم ، فلما اجتمعوا قام النبى (ص) فقال « ما حديث بلغنى عنكم ؟ » قال فقهاء الأنصار : أما رؤساؤنا يارسول الله فلم يقولوا شيئاً ، وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله (ص) يعطى قريشاً و يتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ، فقال رسول الله (ص) « فانى لأعطى رجالا حديثى عهد بكفر أتألفهم أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبى إلى رحالكم ؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به » قالوا يارسول الله قد رضينا فقال لهم النبى (ص) « فستجدون أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فانى على الحوض » قال أنس : فلم يصبروا . تفرد به البخارى من هذا الوجه ، ثم رواه البخارى ومسلم من حديث ابن عوف عن هشام بن زيد عن جده أنس بن مالك قال : لما كان يوم حنين التقى هوازن ومع النبى (ص) عشرة آلاف والطلقاء فأدبروا فقال « يامعشر الأنصار » قالوا لبيك يارسول الله وسعديك لبيك نحن بين يديك . فنزل رسول الله (ص) فقال « أنا عبد الله ورسوله » فانهزم المشركون فأعطى الطلقاء والمهاجرين ولم يعط الأنصار شيئاً ، فقالوا ، فدعاهم فأدخلهم فى قبته فقال « أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله ؟ » (ص) [قالوا بلى] فقال رسول الله (ص) « لو

سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الانصار » . وفى رواية للبخارى من هذا الوجه قال لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذراريهم ومع رسول الله ﷺ عشرة آلاف والطلقاء ، فأدبروا عنه حتى بقى وحده فنادى يومئذ نداءين لم يخلط بينهما ، التفت عن يمينه فقال « يامعشر الأنصار ؟ » قالوا لبيك يارسول الله ابشر نحن معك ، ثم التفت عن يساره فقال « يامعشر الأنصار ؟ » فقالوا لبيك يارسول الله ابشر نحن معك ، وهو على بغلة بيضاء فنزل فقال « أنا عبد الله ورسوله » فانهزم المشركون وأصاب يومئذ مغانم كثيرة فقسم بين المهاجرين والطلقاء ولم يعط الأنصار شيئاً ، فقالت الأنصار اذا كانت شديدة فنحن ندعى ويعطى الغنيمة غيرنا فبلغه ذلك فجمعهم فى قبة فقال « يامعشر الأنصار ما حديث بلغنى ؟ » فسكتوا فقال « يامعشر الأنصار ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى بيوتكم ؟ » قالوا بلى فقال « لو سلك الناس وادياً وسلكت الانصار شعباً لسلكت شعب الانصار » . قال هشام : قلت ياأبا حمزة وأنت شاهد ذلك ؟ قال وأين أغيب عنه ؟ ثم رواه البخارى ومسلم أيضاً من حديث شعبة عن قتادة عن أنس قال : جمع رسول الله ﷺ الأنصار فقال « إن قريشاً حديثوا عهد بجاهلية ومصيبة وإنى أردت أن أجبرهم وأتألفهم أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله الى بيوتكم ؟ » قالوا بلى ، قال « لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار شعباً لسلكت وادى الانصار أو شعب الأنصار » . وأخرجاه أيضاً من حديث شعبة عن أبى التياح يزيد بن حميد عن أنس بنحوه وفيه فقالوا : والله إن هذا لهو العجب إن سيوفنا لتقطر من دمائهم والغنائم تقسم فيهم ، فخطبهم وذكر نحو ما تقدم . وقال الامام احمد ثنا عفان ثنا حماد ثنا ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أعطى أبا سفيان وعيينة والأقرع وسهيل بن عمرو فى آخرين يوم حنين ، فقالت الأنصار : يارسول الله سيوفنا تقطر من دمائهم وهم يذهبون بالمغنم ؟ فبلغ ذلك النبي ﷺ فجمعهم فى قبة له حتى فاضت فقال « فيكم أحد من غيركم ؟ » قالوا لا الا ابن اختنا ، قال « ابن اخت القوم منهم » ثم قال « أقلتم كذا وكذا ؟ » قالوا نعم ، قال « أنتم الشعار والناس الدثار أما ترضون أن يذهب الناس بالشاه والبعير وتذهبون برسول الله ﷺ الى دياركم ؟ » قالوا بلى ، قال « الانصار كرشى وعيبتى لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعبهم ، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الانصار » وقال قال حماد أعطى مائة من الابل فسمى كل واحد من هؤلاء . تفرد به احمد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم . وقال الامام احمد حدثنا ابن أبى عدى عن حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « يا معشر الأنصار ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بى ؟ ألم آتكم متفرقين فجمعكم الله بى ، الم آتكم اعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا بلى يارسول الله قال « أفلا تقولون جئتنا خائفاً فأمناك ، وطريداً

فآويناك ، ومخذولا فنصرناك ؟ » قالوا بل لله المن علينا ولرسوله . وهذا إسناد ثلاثى على شرط الصحيحين فهذا الحديث كالمتواتر عن أنس بن مالك . وقد روى عن غيره من الصحابة قال البخارى ثنا موسى ابن اسماعيل ثنا وهيب ثنا عمرو بن يحيى عن عباد بن تميم عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال : لما أفاء الله على رسوله ص. يوم حنين قسم فى الناس فى المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً فكأنهم وجدوا فى أنفسهم إذ لم يصيبهم ما أصاب الناس ، فخطبهم فقال « يامعشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بى ؟ وعالة فأغناكم الله بى ؟ » كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أمن ، قال « لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا أماترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله الى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرءاً من الانصار ، ولو سلك الناس وادياً وشعبا لسلكت وادى الانصار وشعبها . الأنصار شعار والناس دثار ، إنكم ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض » . ورواه مسلم من حديث عمرو بن يحيى المازنى به وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن أبى سعيد الخدرى قال : لما أصاب رسول الله ص. الغنائم يوم حنين وقسم للمتألفين من قريش وسائر العرب ما قسم ولم يكن فى الأنصار منها شئ قليل ولا كثير ، وجد هذا الحى من الأنصار فى أنفسهم حتى قال قائلهم : لقى والله رسول الله قومه ، فمشى سعد بن عبادة إلى رسول الله ص. فقال : يارسول الله إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم ؟ فقال « فيم ؟ » قال فيما كان من قسمك هذه الغنائم فى قومك وفى سائر العرب ولم يكن فيهم من ذلك شئ ، فقال رسول الله ص. « فأين أنت من ذلك ياسعد ؟ » قال ما أنا الا امرؤ من قومى : قال فقال رسول الله ص. « فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة فاذا اجتمعوا فأعلمنى » فخرج سعد فصرخ فيهم فجمعهم فى تلك الحظيرة فجاء رجل من المهاجرين فأذن له فدخلوا وجاء آخرون فردهم حتى إذا لم يبق من الأنصار أحد إلا اجتمع له أتاه فقال : يارسول الله قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار حيث أمرتنى أن أجمعهم ، فخرج رسول الله ص. فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال « يا معشر الأنصار ألم آتكم ضلالا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا بلى ثم قال رسول الله ص. « ألا تجيبون يامعشر الأنصار ؟ » قالوا وما نقول يارسول الله ؟ وبماذا نجيبك ؟ المن لله ولرسوله قال « والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم جئتنا طريداً فآويناك ، وعائلا فآسيناك ، وخائفا فأمناك ، ومخذولا فنصرناك » فقالوا المن لله ولرسوله فقال رسول الله ص. « أوجدتم فى نفوسكم يا معشر الأنصار فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً أسلموا ووكلتكم الى ما قسم الله لكم من الاسلام ، أفلا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس الى رحالهم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله الى رحالكم فوالذى

نفسي بيده لو ان الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الانصار، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الانصار. اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار وأبناء أبناء الانصار » قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا بالله رباً ورسوله قسما ثم انصرف وتفرقوا. وهكذا رواه الامام أحمد من حديث ابن اسحاق ولم يروه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه وهو صحيح وقد رواه الامام أحمد عن يحيى بن بكير عن الفضل بن مرزوق عن عطية بن سعد العوفي عن أبي سعيد الخدري قال رجل من الأنصار لاصحابه: أما والله لقد كنت أحدثكم أنه لو استقامت الامور قد آثر عليكم، قال فردوا عليه ردا عنيفاً فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاءهم فقال لهم أشياء لا أحفظها قالوا بلى يارسول الله، قال « وكنتم لا تركبون الخيل » وكلما قال لهم شيئا قالوا بلى يارسول الله ثم ذكر بقية الخطبة كما تقدم. تفرد به أحمد أيضا. وهكذا رواه الامام أحمد منفرداً به من حديث الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد بنحوه ورواه أحمد أيضاً عن موسى بن عقبة عن ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر مختصراً وقال سفيان بن عيينة عن عمر بن سعيد بن مسروق عن أبيه عن عباية بن رفاعة بن رافع بن خديج عن جده رافع بن خديج أن رسول الله ﷺ أعطى المؤلفة قلوبهم من سبي حنين مائة من الابل، وأعطى أبا سفيان بن حرب مائة. وأعطى صفوان ابن أمية مائة، وأعطى عيينة بن حصن مائة. وأعطى الأقرع بن حابس مائة. وأعطى علقمة بن علاثة مائة، وأعطى مالك بن عوف مائة، وأعطى العباس بن مرداس دون المائة، ولم يبلغ به أولئك فأنشأ يقول:

أتجعل نهبي ونهبَ العبيـــد بين عُيَيْنَةَ والأقرعِ
فما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ في المجمع
وما كنتُ دون امرئٍ منهما ومن تَخفِضِ اليوم لا يُرفع
وقد كنتُ في الحرب ذا تدرئٍ فلم أُعطَ شيئاً ولم أُمنع

قال فأتم له رسول الله ﷺ مائة. رواه مسلم من حديث ابن عيينة بنحوه وهذا لفظ البيهقي وفي رواية ذكرها موسى بن عقبة وعروة بن الزبير وابن اسحاق فقال:

كانت نِهاباً تلافيتُها بكرّي على المهر في الأجرع
وإيقاظيَ الحيَّ أن يرقُدوا إذا هَجَعَ الناس لم أهجع
فأصبحَ نهبي ونهبُ العبـــيدِ بين عيينةَ والاقرع
وقد كنتُ في الحرب ذاتدرئٍ فلم أعط شيئاً ولم أمنع
إلا أفايلَ أُعطيتُها عديدَ قوائمها الأربع

وما كان حِصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ فى المجمع
وما كنتَ دونَ امرئٍ منهما ومن تضعِ اليومَ لا يُرفع

قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهرى : فبلغ ذلك رسول الله (ص) فقال له « أنت القائل أصبح نهبى ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة ؟ » فقال أبو بكر ما هكذا قال يارسول الله ولكن والله ما كنت بشاعر وما ينبغى لك . فقال « كيف قال ؟ » فانشده أبو بكر فقال رسول الله (ص) « هما سواء ما يضرك بأيهما بدأت » ثم قال رسول الله (ص) « اقطعوا عنى لسانه » فخشى بعض الناس أن يكون أراد المثلة به وإنما أراد النبى (ص) العطية ، قال وعبيد فرسه . وقال البخارى حدثنا محمد ابن العلاء ثنا أسامة عن يزيد بن عبد الله عن أبى بردة عن أبى موسى قال : كنت عند النبى (ص) وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال ، فأتى رسول الله (ص) أعرابى فقال : الا تنجز لى ما وعدتنى ؟ فقال له « ابشر » فقال قد أكثرت على من أبشر ! فأقبل على أبى موسى و بلال كهيئة الغضبان فقال « رد البشرى فاقبلا أنتما » ثم دعا بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه ثم قال « اشربا منه وافرغا على وجوهكما ونحوركما وابشرا » فأخذا القدح ففعلا ، فنادت أم سلمة من وراء الستر أن أفضلا لأمكما . فأفضلا لها منه طائفة . هكذا رواه . وقال البخارى حدثنا يحيى بن بكير ثنا مالك عن اسحاق بن عبد الله عن أنس بن مالك قال : كنت أمشى مع رسول الله (ص) وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فأدركه أعرابى فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله (ص) قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ، قال : مر لى من مال الله الذى عندك ، فالتفت اليه فضحك ثم أمر له بعطاء . وقد ذكر ابن اسحاق الذين أعطاهم رسول الله (ص) يومئذ مائة من الابل وهم أبو سفيان صخر بن حرب ، وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ، والحارث بن كلدة أخو بنى عبد الدار ، وعلقمة بن علاثة ، والعلاء بن حارثة الثقفى حليف بنى زهرة ، والحارث بن هشام ، وجبير بن مطعم ، ومالك بن عوف النصرى ، وسهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ، وعيينة ابن حصن ، وصفوان بن أمية ، والأقرع بن حابس ، قال ابن اسحاق : وحدثنى محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمى أن قائلا قال لرسول الله (ص) من أصحابه : يارسول الله أعطيت عيينة والاقرع مائة مائة وتركت جعيل بن سراقة الضمرى ؟ ! فقال رسول الله (ص) « أما والذى نفس محمد بيده لجعيل خير من طلاع الارض كلهم مثل عيينة والأقرع ، ولكن تألفتهما ليسلما ، ووكلت جعيل بن سراقة إلى اسلامه » ثم ذكر ابن اسحاق من أعطاه رسول الله (ص) دون المائة ممن يطول ذكره . وفى الحديث الصحيح عن صفوان بن أمية أنه قال : ما زال رسول الله (ص) يعطينى من غنائم حنين وهو أبغض الخلق إلىّ حتى ما خلق الله شيئا أحب إلى منه .

قدوم مالك بن عوف النصري على الرسول

قال ابن اسحاق : وقال رسول الله (ص) لوفد هوازن وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل ؟ فقالوا هو بالطائف مع ثقيف فقال « أخبروه إنه إن أتاني مسلماً رددت اليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل » فلما بلغ ذلك مالكا انسل من ثقيف حتى أتى رسول الله (ص) وهو بالجعرانة - أو بمكة - فأسلم وحسن إسلامه ، فرد عليه أهله وماله ولما أعطاه مائة فقال مالك بن عوف رضي الله عنه :

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله ... في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتُدي ... ومتى تشأ يخبرْك عمّا في غد
وإذا الكتيبةُ عرَّدتْ أنيابها ... بالسمهريّ وضَرْبِ كل مهند
فكأنه ليثٌ على أشباله ... وسْطَ المباءةِ خادرٌ في مرصد

قال واستعمله رسول الله (ص) على من أسلم من قومه وتلك القبائل ثمالة وسلمة وفهم ، فكان يقاتل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم . وقال البخاري ثنا موسى بن اسماعيل ثنا جرير بن حازم ثنا الحسن حدثني عمرو بن تغلب قال : أعطى رسول الله (ص) قوماً ومنع آخرين فكأنهم عتبوا عليه فقال « إني أعطي قوماً أخاف هلعهم وجزعهم وأكل قوماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب » قال عمرو : فما أحب أن لي بكلمة رسول الله (ص) حمر النعم ، زاد أبو عاصم عن جرير سمعت الحسن ثنا عمرو بن تغلب أن رسول الله (ص) أتى بمال - أو سبي - فقسمه بهذا . وفي رواية للبخاري قال أتى رسول الله بمال - أو بشيء - فأعطى رجالا وترك رجالا فبلغه أن الذين ترك عتبوا فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أما بعد » فذكر مثله سواء . تفرد به البخاري [1] وقد ذكر ابن هشام أن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال فيما كان من أمر الانصار وتأخرهم عن الغنيمة :

[ذر الهمومَ فماءُ العين منحدرٌ ... سحّاً إذا حَفَلتهُ عَبرة دِرَرُ]
وجداً بشمّاءَ إذ شماءُ [2] بهكنةٌ ... هيفاءُ لا ذَنَنٌ فيها ولا خَوَر
دع عنكَ شماءَ إذ كانت مودّتها ... نزراً وشرُّ وِصال الواصلِ النَّزِرُ
وائت الرسولَ وقل ياخيرَ مؤتمنٍ ... للمؤمنينَ إذ ما عُدِّد البشر
علامَ تُدعى سليمٌ وهي نازحة ... قُدّامَ قومٍ هموا آوَوا وهمْ نَصروا
سمّاهم الله أنصاراً بنصرهم ... دينَ الهدى وعوانُ الحرب تستعر
وسارعوا في سبيلِ الله واعترضوا ... للنائباتِ وما خَانوا وما ضَجِروا

---

(١) هذا الحديث مؤخر في التيمورية بعد قصيدة حسان . (٢) في الحلبية : شنباء .

والناس إلبٌ علينا فيكَ ليس لنا إلا السيوفُ وأطرافُ القنا وَزَر
نجالدُ الناس لا نُبقي على أحدٍ ولا نضيِّع ما توحي به السوَر
ولا تهرّ جُناة الحرب نادينا ونحن حين تلظَّى نارُها سُعُر
كما رددنا ببدرٍ دونَ ما طلبوا أهلَ النفاق وفينا ينزِل الظفر
ونحن جندُك يوم النعفِ من أُحد إذ حزَّبت بَطَراً أحزابَها مُضَر
فما ونَيْنا وما خِمنا وما خَبَروا منا عِثارا وكلُّ الناس قد عثروا

اعتراض بعض اهل الشقاق على الرسول

قال البخاري : ثنا قبيصة ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال : لما قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسمة حنين قال رجل من الأنصار : ما أراد بها وجه الله ، قال فأتيت رسول الله (ص) فأخبرته فتغير وجهه ثم قال « رحمة الله على موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر » . ورواه مسلم من حديث الأعمش به ثم قال البخاري ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال : لما كان يوم حنين آثر النبي صلى الله عليه وسلم ناسا أعطى الأقرع بن حابس مائة من الابل ، وأعطى عيينة مثل ذلك ، وأعطى ناسا فقال رجل : ما أريد بهذه القسمة وجه الله فقلت لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم ، [فأخبرته] فقال « رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر » . وهكذا رواه من حديث منصور عن المعتمر به . وفي رواية للبخاري فقال رجل والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله ، فقلت والله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته فأخبرته فقال « من يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله ؟ ! رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر » . وقال محمد بن اسحاق : وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن مقسم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : خرجت انا وتليد بن كلاب الليثي حتى أتينا عبد الله بن عمرو ابن العاص وهو يطوف بالبيت معلقا نعله بيده ، فقلنا له هل حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كلمه التميمي يوم حنين ؟ قال نعم جاء رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فوقف عليه وهو يعطي الناس فقال له : يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم ، فقال رسول الله (ص) « أجل فكيف رأيت ؟ » قال لم أرك عدلت ، قال فغضب النبي (ص) فقال « ويحك اذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون ؟ » فقال عمر بن الخطاب : ألا نقتله ؟ فقال « دعوه فانه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ينظر في النصل فلا يوجد شيء ثم في القدح فلا يوجد شيء ثم في الفوق فلا يوجد شيء سبق الفرث والدم » وقال الليث بن سعد عن يحيى

ابن سعيد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : أتى رجل بالجعرانة النبي (ص) منصرفه من حنين وفي ثوب بلال فضة ورسول الله ص يقبض منها ويعطى الناس ، فقال : يامحمد اعدل ، قال « ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل لقد خبت وخسرت إذا لم أكن أعدل » فقال عمر بن الخطاب دعني يارسول الله فأقتل هذا المنافق ؟ فقال « معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي إن هذا وأصحابه يقرؤن القرآن لا يتجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية » ورواه مسلم عن محمد بن رمح عن الليث . وقال احمد ثنا أبو عامر ثنا قرة عن عمرو بن دينار عن جابر قال : بينما رسول الله (ص) يقسم مغانم حنين إذ قام اليه رجل فقال اعدل ، فقال « لقد شقيت اذ لم أعدل » ورواه البخاري عن مسلم بن ابراهيم عن قرة بن خالد السدوسي به . وفي الصحيحين من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي سعيد قال : بينما نحن عند رسول الله (ص) وهو يقسم قسما إذ أتاه ذوالخويصرة رجل من بني تميم فقال : يارسول الله اعدل ، فقال رسول الله (ص) « ويلك ومن يعدل إن لم أعدل لقد خبت وخسرت ، إذا لم أعدل فمن يعدل ؟ » فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله إيذن لي فيه فاضرب عنقه ؟ فقال رسول الله (ص) « دعه فان له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر الى نصله فلا يوجد فيه شئ ثم الى رُصافه فلا يوجد فيه شئ ثم ينظر الى نصيه ـ وهو قدحه ـ فلا يوجد فيه شئ ثم ينظر الى قذذه فلا يوجد فيه شئ قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر ويخرجون على حين فرقة من الناس » قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله (ص) ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه ، وأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظرت اليه على نعت رسول الله (ص) الذي نعت . ورواه مسلم أيضا من حديث القاسم بن الفضل عن أبي نضرة عن أبي سعيد به بنحوه .

مجيء اخت رسول الله (ص) من الرضاعة عليه بالجعرانة

قال ابن اسحاق : وحدثني بعض بني سعد بن بكر أن رسول الله (ص) قال يوم هوازن « إن قدرتم على بجاد ـ رجل من بني سعد بن بكر ـ فلا يفلتنكم » وكان قد أحدث حدثاً، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله وساقوا معه الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله (ص) من الرضاعة ، قال فعنفوا عليها في السوق فقالت للمسلمين : تعلمون والله إني لأخت صاحبكم من الرضاعة ؟ فلم يصدقوها حتى أتوا بها رسول الله (ص) . قال ابن اسحاق : فحدثني يزيد بن عبيد السعدي ـ هو أبو وجزة ـ قال فلما انتهى بها إلى رسول الله (ص) قالت : يارسول الله إني أختك من الرضاعة ، قال « وماعلامة ذلك ؟ » قالت عضة عضضتنيها في ظهري وأنا متوركتك ، قال فعرف رسول الله (ص)

العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وخيرها وقال « إن أحببت فعندى محببة مكرمة ، و إن أحببت أن أمتعك وترجعي إلى قومك فعلت ؟ » قالت : بل تمتعنى وتردنى إلى قومى ، فمتعها رسول الله (ص.) وردها إلى قومها فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً يقال له مكحول وجارية فزوجت أحدهما الآخر فلم يزل فيهم من نسلهما بقية . وروى البيهقى من حديث الحكم بن عبد الملك عن قتادة قال : لما كان يوم فتح هوازن جاءت جارية إلى رسول الله (ص.) فقالت : يا رسول الله أنا أختك أنا شيماء بنت الحارث ، فقال لها « إن تكونى صادقة فان بك منى أثر لا يبلى » قال فكشفت عن عضدها فقالت : نعم يارسول الله وأنت صغير فعضضتنى هذه العضة ، قال فبسط لها رسول الله (ص.) رداءه ثم قال « سلى تعطى واشفعى تشفعى » . وقال البيهقى انبأ أبو نصر بن قتادة انبأ عمرو بن اسماعيل ابن عبد السلمى ثنا مسلم ثنا أبو عاصم ثنا جعفر بن يحيى بن ثوبان أخبرنى عمى عمارة بن ثوبان أن أبا الطفيل أخبره قال : كنت غلاماً أحمل عضو البعير ، ورأيت رسول الله (ص.) يقسم نعما بالجعرانة ، قال فجاءته امرأة فبسط لها رداءه فقلت من هذه ؟ قالوا أمه التى أرضعته . هذا حديث غريب ولعله يريد أخته وقد كانت تحضنه مع أمها حليمة السعدية و إن كان محفوظاً فقد عمرت حليمة دهراً فان من وقت أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وقت الجعرانة أزيد من ستين سنة ، وأقل ما كان عمرها حين أرضعته صلى الله عليه وسلم ثلاثين سنة ، ثم الله أعلم بما عاشت بعد ذلك ، وقد ورد حديث مرسل فيه أن أبويه من الرضاعة قدما عليه والله أعلم بصحته . قال أبو داود فى المراسيل ثنا أحمد بن سعيد الهمدانى ثنا ابن وهب ثنا عمرو بن الحارث أن عمر بن السائب حدثه أنه بلغه أن رسول الله (ص.) كان جالساً يوماً فجاءه أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ، ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ، ثم جاءه أخوه من الرضاعة فقام رسول الله (ص.) فأجلسه بين يديه ، وقد تقدم أن هوازن بكمالها متواليه برضاعته من بنى سعد بن بكر وهم شرذمة من هوازن ، فقال خطيبهم زهير بن صرد : يا رسول الله إنما فى الحظائر أمهاتك وخالاتك وحواضنك فامنن علينا منّ الله عليك وقال فيما قال :

أمنن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك يملؤه من محضها دُرَر
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها وإذ يزينك ما تأتى وما تَذَر

فكان هذا سبب إعتاقهم عن بكرة أبيهم فعادت فواضله عليه السلام عليهم قديماً وحديثاً خصوصاً وعموماً . وقد ذكر الواقدى عن ابراهيم بن محمد بن شرحبيل عن أبيه قال : كان النضير بن الحارث ابن كلدة من أجمل الناس فكان يقول : الحمد لله الذى من علينا بالاسلام ، ومن علينا بمحمد (ص.) ولم نمت على ما مات عليه الآباء ، وقتل عليه الاخوة ، و بنو العم . ثم ذكر عداوته للنبى (ص.) وأنه

خرج مع قومه من قريش الى حنين وهم على دينهم بعد ، قال ونحن نريد إن كانت دائرة على محمد أن نغير عليه فلم يمكنا ذلك ، فلما صار بالجعرانة فوالله إنى لعلى ما أنا عليه إن شعرت إلاّ برسول الله (ص) فقال « أنضير ؟ » قلت لبيك ، قال « هل لك الى خير مما أردت يوم حنين مما حال الله بينك و بينه ؟ » قال فأقبلت اليه سريعاً فقال « قد آن لك أن تبصر ما كنت فيه توضع ». قلت قد أدرى أن لوكان مع الله غيره لقد أغنى شيئاً ، و إنى أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، فقال رسول الله (ص) « اللهم زده ثباتاً » قال النضير : فو الذى بعثه بالحق لكأن قلبى حجر ثباتا فى الدين ، وتبصرة بالحق . فقال رسول الله (ص) « الحمد لله الذى هداه »

عمرة الجعرانة في ذي القعدة

قال الامام أحمد ثنا بهز وعبد الصمد المعْنى قالا : ثنا همام بن يحيى ثنا قتادة قال سألت أنس بن مالك قلت كم حج رسول الله (ص) ؟ قال : حجة واحدة ، واعتمر أربع مرات . عمرته زمن الحديبية وعمرته فى ذى القعدة من المدينة ، وعمرته من الجعرانة فى ذى القعدة ، حيث قسم غنيمة حنين ، وعمرته مع حجته . ورواه البخارى ومسلم وابوداود والترمذى من طرق عن همام بن يحيى به . وقال الترمذى حسن صحيح . وقال الامام أحمد ثنا أبو النضر ثنا داود - يعنى العطار - عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس قال : اعتمر رسول الله (ص) أربع عمر ؛ عمرة الحديبية ، وعمرة القضاء ، والثالثة من الجعرانة ، والرابعة التى مع حجته . ورواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث داود ابن عبدالرحمن العطار المكى عن عمرو بن دينار به . وحسنه الترمذى . وقال الامام أحمد ثنا يحيى ابن زكريا بن أبى زائدة ثنا حجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - عن عبدالله ابن عمرو بن العاص - قال : اعتمر رسول الله (ص) ثلاث عمر ، كل ذلك فى ذى القعدة يلبى حتى يستلم الحجر . غريب من هذا الوجه وهذه الثلاث عمر اللاتى وقعن فى ذى القعدة ماعدا عمرته مع حجته فانها وقعت فى ذى الحجة مع الحجة وان أراد ابتداء الاحرام بهن فى ذى القعدة فلعله لم يرد عمرة الحديبية لانه صد عنها ولم يفعلها والله أعلم .

قلت : وقد كان نافع ومولاه ابن عمر ينكران أن يكون رسول الله (ص) اعتمر من الجعرانة بالكلية وذلك فيما قال البخارى ثنا أبو النعمان ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله إنه كان علىّ اعتكاف يوم فى الجاهلية فأمره أن يفى به ، قال وأصاب عمر جاريتين من سبى حنين فوضعهما فى بعض بيوت مكة ، قال فمنّ رسول الله (ص) على سبى حنين فجعلوا يسعون فى السكك ، فقال عمر : ياعبد الله انظر ماهذا ؟ قال منّ رسول الله (ص) على السبى ، قال اذهب فارسل الجاريتين . قال نافع ولم يعتمر رسول الله (ص) من الجعرانة ولو اعتمر لم يخف على

عبد الله ، وقد رواه مسلم من حديث أيوب السختيانى عن نافع عن ابن عمر به . ورواه مسلم أيضاً عن أحمد بن عبدة الضبي عن حماد بن زيد عن أيوب عن نافع قال ذكر عند ابن عمر عمرة رسول الله (ص) من الجعرانة فقال: لم يعتمر منها وهذا غريب جدا عن ابن عمر وعن مولاه نافع فى إنكارهما عمرة الجعرانة وقد أطبق النقلة ممن عداهما على رواية ذلك من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد وذكر ذلك أصحاب المغازى والسنن كلهم . وهذا أيضاً كما ثبت فى الصحيحين من حديث عطاء بن أبى رباح عن عروة عن عائشة لما أنكرت على ابن عمر قوله إن رسول الله (ص) اعتمر فى رجب وقالت : يغفر الله لابى عبدالرحمن ما اعتمر رسول الله (ص) الا وهو شاهد ، وما اعتمر فى رجب قط . وقال الامام أحمد ثنا ابن نمير ثنا الأعمش عن مجاهد قال سأل عروة بن الزبير ابن عمر فى أى شهر اعتمر رسول الله (ص) ؟ قال فى رجب ، فسمعتنا عائشة فسألها ابن الزبير وأخبرها بقول ابن عمر فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر عمرة إلا وقد شهدها وما اعتمر عمرة قط الا فى ذى القعدة ، واخرجه البخارى ومسلم من حديث جرير عن منصور عن مجاهد به نحوه . ورواه أبو داود والنسائى أيضاً من حديث زهير عن أبى اسحاق عن مجاهد سئل ابن عمر كم اعتمر رسول الله (ص) ؟ فقال مرتين ، فقالت عائشة لقد علم ابن عمر أن رسول الله (ص) اعتمر ثلاثاً سوى التى قرنها بحجة الوداع . قال الامام أحمد ثنا يحيى بن آدم ثنا مفضل عن منصور عن مجاهد قال : دخلت مع عروة بن الزبير المسجد فاذا ابن عمر مستند إلى حجرة عائشة وأناس يصلون الضحى : فقال عروة : أبا عبد الرحمن ما هذه الصلاة ؟ قال بدعة ، فقال له عروة أبا عبد الرحمن كم اعتمر رسول الله ؟ فقال أربعاً إحداهن فى رجب ، قال وسمعنا استنان عائشة فى الحجرة ، فقال لها عروة إن أبا عبد الرحمن يزعم أن رسول الله اعتمر أربعاً إحداهن فى رجب ؟ فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر النبى (ص) الا وهو معه ، وما اعتمر فى رجب قط . وهكذا رواه الترمذى عن احمد بن منيع عن الحسن بن موسى عن شيبان عن منصور وقال حسن صحيح غريب . وقال الامام احمد ثنا روح ثنا ابن جريج أخبرنى مزاحم بن أبى مزاحم عن عبد العزيز بن عبد الله عن محرش الكعبى أن رسول الله (ص) خرج من الجعرانة ليلا حين أمسى معتمرا فدخل مكة ليلا يقضى عمرته ، ثم خرج من تحت ليلته فأصبح بالجعرانة كبائت حتى اذا زالت الشمس خرج من الجعرانة فى بطن سرف ، حتى جاء مع الطريق ـ طريق المدينة ـ بسرف قال محرش : فلذلك خفيت عمرته على كثير من الناس. ورواه الامام احمد عن يحيى بن سعيد عن ابن جريج كذلك وهو من افراده والمقصود أن عمرة الجعرانة ثابتة بالنقل الصحيح الذى لا يمكن منعه ولا دفعه ومن نفاها لا حجة معه فى مقابلة من أثبتها والله أعلم . ثم هم كالمجمعين على أنها كانت فى ذى القعدة بعد غزوة الطائف وقسم غنائم حنين ، وما رواه الحافظ أبو القاسم الطبرانى فى معجمه

الـكبير قائلا : حدثنا الحسن بن اسحاق التسترى ثنا عثمان بن أبى شيبة ثنا محمد بن الحسن الأسدى ثنا ابراهيم بن طهمان عن أبى الزبير عن عمير مولى عبد الله بن عباس عن ابن عباس قال : لما قدم رسول الله (ص.) من الطائف نزل الجعرانة فقسم بها الغنائم ثم اعتمر منها وذلك لليلتين بقيتا من شوال فانه غريب جداً وفى إسناده نظر والله أعلم . وقال البخارى ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا اسماعيل ثنا ابن جريج أخبرنى عطاء أن صفوان بن يعلى بن أمية أخبره أن يعلى كان يقول : ليتنى أرى رسول الله (ص.) حين ينزل عليه ، قال فبينا رسول الله (ص.) بالجعرانة وعليه ثوب قد أظل به معه فيه ناس من أصحابه إذ جاءه اعرابى عليه جبة متضمخ بطيب ، قال فأشار عمر بن الخطاب الى يعلى بيده أن تعال فجاء يعلى فادخل رأسه فاذا النبى (ص.) محمر الوجه يغط كذلك ساعة ثم سرى عنه فقال « أين الذى يسألنى عن العمرة آنفا ؟ » فالتمس الرجل فأتى به ، قال « أما الطيب الذى بك فاغسله ثلاث مرات ، وأما الجبة فانزعها ثم اصنع فى عمرتك كما تصنع فى حجك » ورواه مسلم من حديث ابن جريج وأخرجاه من وجه آخر عن عطاء كلاهما عن صفوان بن يعلى بن أمية به . وقال الامام احمد ثنا أبو أسامة أنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت : دخل رسول الله (ص.) عام الفتح من كداء من أعلى مكة ودخل فى العمرة من كدى . وقال أبو داود ثنا موسى أبو سلمة ثنا حماد عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله (ص.) وأصحابه اعتمروا من الجعرانة فرملوا بالبيت ثلاثا ومشوا أربعاً وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم ثم قذفوها على عواتقهم اليسرى. تفرد به أبو داود ورواه أيضاً وابن ماجه من حديث ابن خثيم عن أبى الطفيل عن ابن عباس مختصرا . وقال الامام احمد ثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج حدثنى الحسن بن مسلم عن طاوس أن ابن عباس أخبره أن معاوية أخبره قال قصرت عن رسول الله (ص.) بمشقص أو قال : رأيته يقصر عنه بمشقص عند المروة . وقد أخرجاه فى الصحيحين من حديث ابن جريج به . ورواه مسلم أيضاً من حديث سفيان بن عيينة عن هشام ابن حجير عن طاوس عن ابن عباس عن معاوية به . ورواه أبو داود والنسائى أيضا من حديث عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه به . وقال عبد الله بن الامام أحمد حدثنى عمرو بن محمد الناقد ثنا أبو أحمد الزبيرى ثنا سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن ابن عباس عن معاوية قال : قصرت عن رأس رسول الله (ص.) عند المروة . والمقصود أن هذا إنما يتوجه أن يكون فى عمرة الجعرانة وذلك أن عمرة الحديبية لم يدخل إلى مكة فيها بل صد عنها كما تقدم بيانه ، وأما عمرة القضاء فلم يكن أبو سفيان أسلم ولم يبق بمكة من أهلها أحد حين دخل رسول الله (ص.) بل خرجوا منها ، وتغيبوا عنها مدة مقامه عليه السلام بها تلك الثلاثة الأيام ، وعمرته التى كانت مع حجته لم يتحلل منها بالاتفاق . فتعين أن هذا التقصير الذى تعاطاه معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما من رأس رسول الله (ص.)

عند المروة إنما كان فى عمرة الجعرانة كما قلنا والله تعالى أعلم . وقال محمد بن اسحاق رحمه الله : ثم خرج رسول الله (ص) من الجعرانة معتمراً وأمر ببقاء الفيء فحبس بمجنة بناحية مر الظهران .

قلت : الظاهر أنه عليه السلام انما استبقى بعض المغنم ليتألف به من يلقاه من الأعراب فيما بين مكة والمدينة . قال ابن اسحاق : فلما فرغ رسول الله (ص) من عمرته انصرف راجعاً الى المدينة واستخلف عتاب بن أسيد على مكة وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس فى الدين ويعلمهم القرآن . وذكر عروة وموسى بن عقبة أن رسول الله (ص) خلف معاذا مع عتاب بمكة قبل خروجه الى هوازن ثم خلفهما بها حين رجع الى المدينة . وقال ابن هشام : وبلغنى عن زيد بن أسلم أنه قال لما استعمل رسول الله (ص) عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما فقام فخطب الناس فقال : أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم فقد رزقنى رسول الله (ص) درهما كل يوم فليست لى حاجة الى أحد . قال ابن اسحاق : وكانت عمرة رسول الله (ص) فى ذى القعدة وقدم المدينة فى بقية ذى القعدة أو فى أول ذى الحجة . قال ابن هشام : قدمها لست بقين من ذى القعدة فيما قال أبو عمرو المدينى . قال ابن اسحاق : وحج الناس ذلك العام على ما كانت العرب تحج عليه وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد وهى سنة ثمان . قال وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم فى طائفهم مابين ذى القعدة إلى رمضان من سنة تسع .

اسلام كعب بن زهير بن ابي سلمى وذكر قصيدته : بانت سعاد

قال ابن اسحاق : ولما قدم رسول الله (ص) من منصرفه عن الطائف كتب بجير بن زهير بن أبى سلمى الى أخيه لابويه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله (ص) قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه و يؤذيه وأن من بقى من شعراء قريش ؛ ابن الزبعرى وهبيرة بن أبى وهب هربوا فى كل وجه فان كانت لك فى نفسك حاجة فطر الى رسول الله (ص) فانه لا يقتل أحداً جاءه تائباً و إن أنت لم تفعل فانج الى نجائك من الارض . وكان كعب قد قال :

ألا بلّغا عني بُجَيْراً رسالةً ... فويحكَ (1) فيما قلتَ ويحكَ هل لكا

فبيّنْ لنا إن كنتَ لستَ بفاعلٍ ... على أي شيءٍ غيرُ ذلك دلّكا

على خُلُق لم ألفِ يوماً أباً له ... عليه وما تلقى عليه أباً لكا

فانْ أنتَ لم تفعل فلستُ بآسف ... ولا قائلٍ إمّا عثرتَ لَعاً لكا

(1) كذا فى الاصل وفى ابن هشام والتيمورية : فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا

سقاكَ بها المأمونُ كأسا رويّةً فأنهلَكَ المأمونُ منها وعلّكا

قال ابن هشام : وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر :

من مبلغٌ عني بجيراً رسالة فهل لكَ فيما قلتَ بالخيفِ هل لكا
شربتَ مع المأمونِ كأسا رويّةً فأنهلَكَ المأمونُ منها وعلّكا
وخالفتَ أسباب الهدى واتبعتَه على أي شيءٍ ويبَ غيرِكَ دلكا
على خُلُقٍ لم تلفَ أماً ولا أباً عليه ولم تُدرِكْ عليه أخاً لكا
فإنْ أنتَ لم تفعل فلستُ بآسفٍ ولا قائلٍ إمّا عثرتَ لعاً لكا

قال ابن اسحاق : وبعث بها إلى بجير فلما أتت بجيرا كره أن يكتمها رسول الله (ص) فأنشده إياها ، فقال رسول الله (ص) لما سمع سقاك بها المأمون « صدق وإنه لكذوب أنا المأمون » ولما سمع على خلق لم تلف أماً ولا أباً عليه قال « أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه » قال ثم كتب بجير إلى كعب يقول له :

من مبلغٌ كعباً فهل لكَ فى التي تلوم عليها باطلاً وهي أحزَمُ
إلى الله لا العزّى ولا اللاتِ وحدَه فتنجو إذا كان النَّجاءُ وتسلمِ
لدى يومَ لاينجو وليس بمفلتٍ من الناس إلا طاهرُ القلبِ مسلمِ
فدينُ زهيرٍ وهو لا شيءَ دينُه ودينُ أبي سُلمى عليَّ محرّمِ

قال فلما بلغ كعب الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأرجف به من كان فى حاضره من عدوه وقالوا هو مقتول ، فلما لم يجد من شيء بداً قال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله (ص) وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة كما ذكر لى فغدا به الى رسول الله (ص) فى صلاة الصبح فصلى مع رسول الله (ص) ثم أشار له إلى رسول الله (ص) فقال هذا رسول الله فقم اليه فاستأمنه ، فذكر لى أنه قام الى رسول الله (ص) فجلس اليه ووضع يده فى يده ، وكان رسول الله (ص) لا يعرفه فقال : يارسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه إن جئتك به ؟ فقال رسول الله (ص) « نعم » فقال إذا أنا يا رسول الله كعب بن زهير . قال ابن اسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجل من الانصار فقال : يا رسول الله دعنى وعدو الله أضرب عنقه ؟ فقال رسول الله (ص) « دعه عنك فانه جاء تائباً نازعاً » قال فغضب كعب بن زهير على هذا الحى من الانصار لما صنع به صاحبهم وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فقال فى قصيدته التى قال حين قدم على رسول الله (ص) :

بانتْ سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ ... متيّمٌ عندها لم يُفدَ مكبولُ
وما سعادُ غداةَ البيْن إذ رحلوا ... إلا أغنّ غضيضُ الطّرْف مكحول
هيفاءُ مقبلةً عجزاءُ مدبرةً ... لا يشتكي قِصرٌ منها ولا طول (١)
تجلو عوارضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمتْ ... كأنه مُنهلٌ بالراح معلول
شُجتْ بذي شبمٍ من ماء محنيةٍ ... صافٍ بأبطحَ أضحى وهو مشمول
تنفي الرياحُ القذى عنه وأفرطه ... من صوب غاديةٍ بيضٌ يعاليل
فيالها خلةً لو أنها صدقتْ ... بوعدها أو لو أن النصحَ مقبول
لكنها خلةٌ قد سيط من دمها ... فجعٌ وولعٌ وإخلافٌ وتبديل
فما تدومُ على حالٍ تكون بها ... كما تلونَ في أثوابها الغول
وما تمسكُ بالعهد الذي زعمتْ ... الا كما يمسكُ الماءَ الغرابيل
فلا يغرّنْكَ ما منّتْ وما وعدت ... إن الأمانيّ والاحلامَ تضليل
كانت مواعيدُ عرقوبٍ لها مثلا ... وما مواعيدها الا الأباطيل
أرجو وآمل أن تدنو مودّتها ... وما لهنّ إخالُ الدهرَ تعجيل
أمستْ سعادُ بأرضٍ لا تبلّغها ... الا العتاقُ النجيباتُ المراسيل
ولن يبلّغها إلا عذافرةٌ ... فيها على الأيْنِ إرقالٌ وتبغيل
من كل نضاخة الذفري اذا عرِقت ... عرْضتها طامسَ الاعلام مجهول
ترمي الغيوبَ بعيني مفردٍ لهِقٍ ... اذا توقّدت الحزّانُ والمِيل
ضخمٌ مقلّدها فعمٌ مقيّدها ... في خَلقها عن بنات الفحل تفضيل
حرفٌ أخوها أبوها من مهجّنةٍ ... وعمها خالها قَوْداء شمليل
يمشي القُراد عليها ثم يزلقه ... منها لَبانٌ وأقرابٌ زهاليل
عيرانةٌ قذفتْ بالنّحض عن عُرُضٍ ... مرفقها عن بنات الزور مفتول
قنواءُ في حرّتيها للبصير بها ... عِتقٌ مبين وفي الخدّين تسهيل
كأنما فاتَ عينيها ومذبحها ... من خطمها ومن اللحيين برطيل
تمر مثلَ عسيب النخل ذا خُصَل ... في غاردٍ لم تخوّنه الأحاليل
تهوي على يَسَراتٍ وهي لاهية ... ذوابلٌ وقعُهن الارض تحليل
يوماً تظلّ به الحرباء مصطخدا ... كأن ضاحيَهُ بالشمس محلول

(١) لم يورد المصنف هذ البيت واختصر بعض أبيات منها مع تقديم وتأخير وهي مشهورة فلتراجع.

وقال للقوم حاديهم وقد جعلت ... وُرقُ الجنادب يركضن الحصا قيلوا
أوبّ بذى فاقدٍ شمطاً معوله ... قامت فجاءَ بها نُكر مثا كيل
نواحةٌ رخوةُ الضبعين ليس لها ... لما نعى بكرها الناعون معقول
تفري اللبانَ بكفيها ومدرعها ... مشقّقٌ عن تَراقيها رعابيل
تسعى الغواةُ جنابيها وقولهم ... إنك يا ابنَ أبي سلمى لمقتول
وقال كل صديقٍ كنتُ آمله ... لا أُلهينّك إني عنك مشغول
فقلتُ خلّوا سبيلي لا أبالكم ... فكل ما قدّر الرحمنُ مفعول
كل ابن أنثى وإن طالت سلامتُه ... يوماً على آلةٍ حدباء محمول
نُبئتُ أن رسولَ الله أوعدني ... والعفوُ عند رسول الله مأمول
مهلاً هداكَ الذى أعطاكَ نافلةَ الـــقرآن فيه مواعيظٌ وتفصيل
لا تأخذنّي بأقوالِ الوشاةِ ولم ... أُذنب ولو كثرتْ فيَّ الأقاويل
لقد أقوم مقاماً لو يقوم به ... أرى وأسمع ما قد يَسمع الفيل
لظلَّ يُرعِدُ من وَجدٍ موارده ... من الرسول بإذن الله تنويل
حتى وضعتُ يميني ما أنازعها ... في كفّ ذي نَقمات قوله القيل
فلهوَ أخوفُ عندي إذ أكلمه ... وقيلَ إنك منسوبٌ ومسئول
من ضيغمٍ بضراءِ الأرض مخدرة ... في بطن عثَّر غيلٌ دونه غيل
يغدو فيُلحِم ضرغامين عيشُهما ... لحمٌ من الناس معفورٌ خراديل
إذا يساورُ قِرناً لا يحلُّ له ... أن يترك القرنَ إلا وهو مفلول
منه تظلُّ حمير الوحشِ نافرةً ... ولا تمشّي بواديه الأراجيل
ولا يزالُ بواديه أخو ثقة ... مضرَّجَ البز والدرسان مأكول
إن الرسولَ لنورٌ يُستضاء به ... مهندٌ من سيوف الله مسلول
في عُصبةٍ من قريشٍ قال قائلُهم ... ببطن مكةَ لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشُف ... عند اللقاء ولا ميلٌ معازيل
يمشون مشيَ الجمال الزُّهرِ يعصمُهم ... ضربٌ إذا عرَّدَ السودُ التنابيل
شُمُّ العرانينِ أبطالٌ لبوسهم ... من نسج داودَ في الهيجا سرابيل
بيضٌ سوابغُ قد شُكَّت لها حَلَق ... كأنها حَلَقُ القفعاءِ مجدول
ليسوا مفاريحَ إن نالت رماحهم ... قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا

لا يقعُ الطعنُ الا فى نحورِهِم ولا لهمْ عن حِياضِ الموتِ تهليل

قال ابن هشام هكذا أورد محمد بن اسحاق هذه القصيدة ولم يذكر لها إسناداً ، وقد رواها الحافظ البيهقى فى دلائل النبوة باسناد متصل فقال انا أبو عبد الله الحافظ انا أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن ابن أحمد الاسدى بهمذان ثنا ابراهيم بن الحسين ثنا ابراهيم بن المنذر الحزامى ثنا الحجاج بن ذى الرقيبة ابن عبد الرحمن بن كعب بن زهير بن أبى سلمى عن أبيه عن جده قال : خرج كعب و بجير ابنا زهير حتى أتيا أبرق العزاف فقال بجير لكعب أثبت فى هذا المكان حتى آتى هذا الرجل ـ يعنى رسول الله (ص) ـ فأسمع ما يقول فثبت كعب وخرج بجير فجاء رسول الله (ص) فعرض عليه الاسلام فاسلم فبلغ ذلك كعباً فقال :

ألا أبلغا عنى بجيراً رسالةً على أى شئ ويبَ غيرك دلّكا
على خُلُق لم تلفِ أماً ولا أباً عليه ولم تُدرك عليه أخالكا
سقاك أبو بكرٍ بكأسٍ رويّة وأنهلك المأمونُ منها وعلّكا

فلما بلغت الأبيات رسول الله (ص) أهدر دمه وقال « من لقى كعباً فليقتله » فكتب بذلك بجيرا إلى أخيه وذكر له أن رسول الله (ص) قد أهدر دمه ويقول له النجاء وما أراك تنفلت ، ثم كتب اليه بعد ذلك إعلم أن رسول الله (ص) لا يأتيه أحد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله الا قبل ذلك منه وأسقط ما كان قبل ذلك فاذا جاءك كتابى هذا فاسلم وأقبل ، قال فاسلم كعب وقال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله (ص) ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله (ص) ثم دخل المسجد ورسول الله مع أصحابه كالمائدة بين القوم متحلقون معه حلقة خلف حلقة يلتفت إلى هؤلاء مرة فيحدثهم و إلى هؤلاء مرة فيحدثهم قال كعب : فأنخت راحلتى بباب المسجد فعرفت رسول الله (ص) بالصفة حتى جلست اليه فأسلمت وقلت أشهد أن لا اله الا الله وأنك محمد رسول الله الأمان يارسول الله ، قال « ومن أنت ؟ » قال كعب بن زهير ، قال « الذى يقول » ثم التفت رسول الله (ص) ، فقال « كيف قال يا أبا بكر ؟ » فانشده أبو بكر :

سقاك بها المأمون كأساً روية وأنهلك المأمون منها وعلّكا

قال يارسول الله ما قلت هكذا ، قال « فكيف قلت ؟ » قال قلت :

سقاك بها المأمون كأسا روية وأنهلك المأمون منها وعلكا

فقال رسول الله (ص) مأمون والله ثم أنشده القصيدة كلها حتى أتى على آخرها وهى هذه القصيدة

بانت سعاد فقلبي اليومَ متبول متيَّم عندها لم يفدَ مكبول

وقد تقدم ما ذكرناه من الرمز لما اختلف فيه إنشاد ابن اسحاق والبيهقى رحمهما الله عز وجل

وذكر أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب أن كعباً لما انتهى إلى قوله :

إن الرسولَ لنورٌ يُستضاء به   مهندٌ من سيوف الله مسلول
ُنبئتُ أن رسولَ الله أوعدَنى   والعفوُ عندَ رسولِ الله مأمول

قال : فأشار رسول الله (ص) إلى من معه أن اسمعوا . وقد ذكر ذلك قبله موسى بن عقبة فى مغازيه ولله الحمد والمنة .

قلت : ورد فى بعض الروايات أن رسول الله (ص) أعطاه بردته حين أنشده القصيدة وقد نظم ذلك الصرصرى فى بعض مدائحه وهكذا ذكر ذلك الحافظ أبو الحسن بن الاثير فى الغابة قال وهى البردة التى عند الخلفاء .

قلت : وهذا من الامور المشهورة جداً ولكن لم أر ذلك فى شئ من هذه الكتب المشهورة باسناد أرتضيه فالله أعلم . وقد روى أن رسول الله (ص) قال له لما قال بانت سعاد ومن سعاد ؟ قال زَوْجتى يارسول الله ، قال لم تبن ولكن لم يصح ذلك وكأنه على ذلك توهم أن بأسلامه تبين امرأته والظاهر أنه إنما أراد البينونة الحسية لا الحكمية والله تعالى اعلم . قال ابن اسحاق : وقال عاصم بن عمر بن قتادة فلما قال كعب ـ يعنى فى قصيدته ـ اذا عرد السود التنابيل وانما يريدنا معشر الانصار لما كان صاحبنا صنع به وخص المهاجرين من قريش بمدحته غضبت عليه الانصار فقال بعد أن أسلم يمدح الانصار ويذكر بلاءهم من رسول الله (ص) وموضعهم من اليمن :

مَن سَره كرمُ الحياة فلا يزل   فى مِقْنبٍ من صالحي الأنصار
ورِثوا المكارمَ كابراً عن كابر   إن الخيارَ همو بنو الاخيار
المكرِ هينَ السمهريَّ بأذرُعٍ   كسوالفِ الهنديِّ غيرِ قصار
والناظرينَ بأعينٍ محمرةٍ   كالجمرِ غيرِ كليلةِ الأبصار
والبائعينَ نفوسَهم لنبيّهم   للموتِ يومَ تعانُقٍ وَكِرارِ
[والقائدينَ الناس عن أديانهم   بالمشرفيّ وبالقَنا الخطار]
يتطهرونَ يرونَه نُسكاً لهم   بدماءِ من عَلِقوا من الكفار
دَربوا كما دَربتْ بطونُ خفيةٍ   غلبُ الرقاب من الأسودِ ضوارى
واذا حللتَ ليمنعوك اليهمُ   أصبحتَ عند معاقلِ الأغفار
ضربوا علياً يوم بدرٍ ضربةً   دانتْ لوقعتِها جميعُ نزار
لو يعلمُ الأقوامُ علمي كلَّه   فيهمْ لصدّقنى الذين أمارِى
قومٌ إذا خوَتِ النجومُ فإنهم   للطارقينَ النازلينَ مَقارى

قال ابن هشام : ويقال إن رسول الله (ص) قال له حين أنشده بانت سعاد « لولا ذكرت الانصار بخير فانهم لذلك أهل » فقال كعب هذه الأبيات وهى فى قصيدة له قال وبلغنى عن على بن زيد بن جدعان أن كعب بن زهير أنشد رسول الله (ص) فى المسجد بانت سعاد فقلبي اليوم متبول . وقد رواه الحافظ البيهقى باسناده المتقدم إلى ابراهيم بن المنذر الحزامى حدثنى معن بن عيسى حدثنى محمد بن عبد الرحمن الأفطس عن ابن جدعان فذكره وهو مرسل . وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله فى كتاب الاستيعاب فى معرفة الأصحاب بعد ما أورد طرفاً من ترجمة كعب بن زهير إلى أن قال : وقد كان كعب بن زهير شاعراً مجوداً كثير الشعر مقدماً فى طبقته هو وأخوه بجير وكعب أشعرهما وأبوهما زهير فوقهما ومما يستجاد من شعر كعب بن زهير قوله :

لو كنت أَعجبُ من شيءٍ لأعجبني ... سعيُ الفتى وهو مخبوءٌ له القَدَر
يسعى الفتى لأُمورٍ ليس يُدركها ... فالنفسُ واحدةٌ والهمُّ منتشر
والمرءُ ما عاشَ ممدودٌ له أملٌ ... لا تنتهي العينُ حتى ينتهي الأثَر

ثم أورد له ابن عبد البر أشعاراً كثيرة يطول ذكرها ولم يؤرخ وفاته ، وكذا لم يؤرخها أبو الحسن بن الأثير فى كتاب الغابة فى معرفة الصحابة ولكن حكى أن أباه توفى قبل المبعث بسنة فالله أعلم . وقال السهيلي ومما أجاد فيه كعب بن زهير قوله يمدح رسول الله (ص) :

تجري به الناقةُ الأَدماءُ معتَجِرا ... بالبُرْدِ كالبدرِ جَلّى ليلةَ الظُّلَمِ
ففى عِطافيه أو أثناءَ بُرْدَتِهِ ... ما يعلَمُ اللهُ من دِينٍ ومن كَرَمِ

الحوادث المشهورة في سنة ثمان والوفيات

فكان فى جمادى منها وقعة مؤتة ، وفى رمضان غزوة فتح مكة ، وبعدها فى شوال غزوة هوازن بحنين ، وبعده كان حصار الطائف ، ثم كانت عمرة الجعرانة فى ذى القعدة ، ثم عاد إلى المدينة فى بقية السنة . قال الواقدى : رجع رسول الله (ص) إلى المدينة لليالى بقين من ذى الحجة فى سفرته هذه . قال الواقدى : وفى هذه السنة بعث رسول الله (ص) عمرو بن العاص إلى جيفر وعمرو ابنى الجلندى من الأزد ، وأخذت الجزية من مجوس بلدهما ومن حولها من الأعراب ، قال وفيها تزوج رسول الله (ص) فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابى فى ذى القعدة فاستعاذت منه عليه السلام ففارقها ، وقيل بل خيرها فاختارت الدنيا ففارقها . قال وفى ذى الحجة منها ولد ابراهيم ابن رسول الله (ص) من مارية القبطية فاشتدت غيرة أمهات المؤمنين منها حين رزقت ولداً ذكراً وكانت قابلتها فيه سلمى

مولاة رسول الله (ص)، فخرجت الى أبي رافع فأخبرته فذهب فبشر به رسول الله (ص) فاعطاه مملوكا ودفعه رسول الله (ص) الى أم برة بنت المنذر بن أسيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار وزوجها البراء بن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف بن مبذول ، وكانت فيها وفاة من ذكرنا من الشهداء فى هذه الوقائع وقد قدمنا هدم خالد بن الوليد البيت الذى كانت العزى تعبد فيه بنخلة بين مكة والطائف وذلك لخمس بقين من رمضان منها . قال الواقدى : وفيها كان هدم سواع الذى كانت تعبده هذيل برهاط ، هدمه عمرو بن العاص رضى الله عنه ولم يجد فى خزانته شيئاً ، وفيها هدم مناة بالمشلل وكانت الأنصار أوسها وخزرجها يعظمونه هدمه سعد بن زيد الاشهلى رضى الله عنه وقد ذكرنا من هذا فصلا مفيدا مبسوطا فى تفسير سورة النجم عند قوله تعالى [أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى

قلت : وقد ذكر البخارى بعد فتح مكة قصة تخريب خثعم البيت الذى كانت تعبده ويسمونه الكعبة اليمانية مضاهية للكعبة التى بمكة ويسمون التى بمكة الكعبة الشامية ولتلك الكعبة اليمانية فقال البخارى : ثنا يوسف بن موسى ثنا أبو أسامة عن اسماعيل بن ابى خالد عن قيس عن جرير قال قال لى رسول الله (ص) « ألا تريحنى من ذى الخلصة ؟ » فقلت بلى فانطلقت فى خمسين ومائة فارس من أحمس وكانوا أصحاب خيل وكنت لا أثبت على الخيل فذكرت ذلك للنبى (ص) فضرب يده فى صدرى حتى رأيت أثر يده فى صدرى وقال « اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا » قال فما وقعت عن فرس بعد . قال وكان ذوالخلصة بيتا باليمن لخثعم وبجيلة فيه نصب تعبد يقال له الكعبة اليمانية . قال فأتاها فحرقها فى النار وكسرها ، قال فلما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالازلام فقيل له إن رسول رسول الله (ص) هاهنا فان قدر عليك ضرب عنقك ، قال فبينما هو يضرب بها اذ وقف عليه جرير فقال لتكسرنها وتشهد أن لا اله الا الله أو لأضربن عنقك ؟ فكسرها وشهد . ثم بعث جرير رجلا من أحمس يكنى أرطاة الى النبى (ص) يبشره بذلك ، قال فلما أتى رسول الله (ص) قال : يارسول الله والذى بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب ، قال فبارك رسول الله (ص) على خيل أحمس ورجالها خمس مرات . ورواه مسلم من طرق متعددة عن اسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله البجلى بنحوه .

تم والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات الجزء الرابع من تاريخ البداية والنهاية لابن كثير ويتلوه الجزء الخامس وأوله ذكر غزوة تبوك فى رجب منها

فهرس الجزء الرابع

من البداية والنهاية

صحيفة

صحيفة











